المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف

جمعاً ودراسةً

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب

محمد بن عبد الله بن علي بن عبد القادر باجسير

بإشراف

فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد بن خليفة التميمي

الأستاذ المشارك في قسم العقيدة

العام الدراسي

١٤٢٠-١٤٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

وتقبلُ الطاعاتُ والقُرُبَاتُ ، وتَعْظُمُ الأُجورُ والحسنات، وبه تُمْحَى الذنوبُ ، وتقالُ العثراتُ ، ومن حقَّقه كان له نصيبٌ من الشّفاعةِ النبويةِ ، يومَ العرضِ الأكبر ، ونال به مزيداً من الهبات الربانية .

وقد تضمن هذا التوحيدُ في طَيَّاتِهِ ، كثيراً من الأسماءِ الشرعيةِ ، والألفاظِ المرعيةِ ، والمصطلحاتِ الإسلاميةِ ، التي منها ما هو أساسٌ ، وأصلٌ ، وركن في هذا الدين ، كأسماء أركان الدين ؛ كالإيمان والإسلام والتوحيد والمحبة والإخلاص وعبادة الله وحده ، ولا إله إلا الله ، ولا تتمُ إقامةُ هذا التوحيدِ بدونِ معرفةِ هذه الألفاظِ ـــ أسماء أركان الدين ـــ وما تحويه من المعارف والمعاني والعلومِ ، ومعرفةِ ما هو داخلٌ في مضمونها وإطارِها ، مما هو خارجٌ عنها ، والحاصلُ أَنَّ معرفةَ مضامينِ هذه الألفاظِ الشرعية ، والعلمَ الصحيحَ بمعانيها المرعيةِ ، هو من معرفةِ ((الحدودِ الشرعية)) ، التي مدحَ اللهُ من تعلَّمها ، وأقامها ، وحافظ عليها ، وجعل ذلك من صفاتِ المؤمنين ، كما أنه تعالى ذمَّ وشانَ من جَهِلَهَا، وأضاعَهَا ورماهَا، وجعل ذلك من صفاتِ الكافرين، حيث يقول تعالى : ﴿ الأعراب أَشَدُّ كفراً ونفاقاً وأجدَرُ ألا يعلموا حدود ما أَنزَل اللهُ على رسُولِهِ﴾ [التوبة : ٩٧] .

ولقد بذلَ العلماءُ هِمَّةً عالية ، وجُهداً كبيراً ، في تتبُعِ هذه الألفاظِ الشرعية ؛ بالبيانِ ، والشرحِ ، والتوضيحِ، لا سيما الألفاظَ المتعلّقةَ بباب توحيدِ العبادة، لما لهذا البابِ من أهميّةٍ قصوى ، فلا تكادُ تَمُرُّ بهم في تواليفهم ، إلا أَعْقَبوهَا بالبيان والتفسير ، فكشفوا ستارَها ، وأزالوا غموضَها ، وأوضحوا مُشْكِلَها ، ومنهم من خصَّ بالتأليفِ جملةً منها ، كما صنع الإمامُ الهرويُّ في ((منازلِ السائرينَ)) ، وشرحِهِ ((مدارجِ السالكين)) للعلامةِ ابنِ القيمِ ـــ رحم الله تعالى الجميع ـــ ،...

ولما كان لزاماً على كل طالبِ التحقَ بقسمِ الدّراساتِ العليا ، أن يختار موضوعاً لرسالتِه يجعلُه محورَ بحثِهِ في هذه المرحَلةِ ، آثرت أن يكون مجالَ بحثي هو جَمْعُ واستقصاءُ وتتبعُ جميعِ الألفاظِ والمصطلحاتِ الشرعيةِ المستعملةِ في توحيدِ العبادةِ قدرَ الإمكان ، ومن ثم دراستُها وفقَ منهجٍ علميٍّ معينٍ ، بذكرِ أقوالِ العلماءِ في بيانها ، وشرحها ، وتوضيحها ، وعُنوانه هو :

((... المصطلحاتُ المستعملةُ في توحيدِ الألوهيةِ عند السلف ...)).

ثم إنّي أَلفِتُ النظرَ إلى أنَّ هذا الموضوعَ بهذا العُنوان يعتبرُ الجزءَ الأول من الموضوعِ الذي تم تسجيلُه في قسمِ العقيدةِ في بدايةِ المرحَلةِ وقد كان عُنوانُه : - ((**المصطلحاتُ المستعملةُ في توحيدِ الألوهيةِ بين السلفِ وخصومِهم**)) ، ولطولِ هذا الموضوعِ كما لا يخفى على المتأمّل فيه، تمَّ حذفُ قسمِهِ الثاني المتعلقِ بمصطلحاتِ الخصومِ ، وذلك بعدَ موافقةِ جميعِ الأقسامِ والمجالسِ المختصةِ .

أهميّة الموضوع .. وأسباب اختياره :-

ترجعُ أهميّةُ موضوعِ المصطلحاتِ في توحيدِ الألوهيةِ إلى أمورٍ عديدةٍ ، أَذْكُرُها ملخصةً فيما يلي :-

أولاً : كونه متعلّقاً بهذا البابِ العظيمِ ــ توحيد العبادة ــ ، الذي هو من خصوصيات ربِّ العالمين ، وهو الأصلُ والأساسُ ، والركيزةُ التي يقومُ عليها دينُ الإسلامِ ، وقد أشَرْنَا إلى تلك الأهميةِ بإشاراتٍ يسيرةٍ ، وسيأتي لذلك مزيدُ بيانٍ ، فهذه المصطلحاتُ ؛ إما أن تكون أصلاً وأساساً في هذا التوحيد ، وإما أن تكون متعلقة به ، أو مستعملة ودارجة في كلام العلماء عند كلامهم في هذا التوحيد .

ثانياً : لا تخفى على أحدٍ ممن هدى اللهُ قلبَهُ ، ونوَّر بصيرتَه ، حاجةُ المسلمين عموماً لمعرفةِ هذا البابِ ، لا سيما في ألفاظهِ ومصطلحاتهِ ، لما حصل من التغيير ، والانحرافِ في عقولِ كثيرٍ من المسلمين ، فاختلطَ الحقُّ عندهم بالباطلِ ، ووقعوا في مناقضةِ هذا التوحيد ، فهم في أَمَسِّ الحاجةِ للتعرُّفِ على حقيقةِ هذا التوحيدِ، ودراسةِ مصطلحاتِ وألْفاظ هذا الباب، وبيانُها من أنجعِ الطرقِ ، وأجودِ الوسائلِ للتوصلِ إلى تلك الغايةِ ، وذلك المأمول .

ثالثاً : شمولُ هذا الموضوعِ ، إذ أنه يتعلّقُ بجميعِ ما يخصُّ توحيدَ العبادةِ ، فهو يدخلُ في كلِ أبوابِ هذا التوحيدِ ، ويتناولُ جميعَ أصولِ هذا البابِ ، وفروعِهِ ، وأنواعِهِ ، وجزئياتِهِ .

رابعاً: كونُهُ متعلّقاً بمصطلحاتِ وألفاظِ هذا البابِ، ولا تخفى أهميةُ هذه المصطلحاتِ ، ليس في هذا البابِ فحسْب ، بل في جميعِ أبوابِ العلمِ وفنونِهِ ، إذ بها يحصلُ الفهمُ الصحيحُ ، ويكتملُ التصوّرُ ، ويتمُ الإدراكُ ، وتتبلورُ المعاني في أحسنِ صورةٍ ، وأسهلِ عبارةٍ ، وفي التمهيدِ مزيدُ إيضاحٍ لذلك .

خامساً : ومما يزيدُ في أهميةِ هذا الموضوعِ ، كونُ مصطلحاتُ وألفاظُ هذا البابِ لم تجمعْ في مؤلّفٍ واحدٍ ــ وذلك حَسَبَ علمي ــ ، وما جُمِعَ منها في مؤلّفٍ لا يقارنُ بمجموعِ ما هو مبثوثٌ ومنثورٌ في كتبِ العلماءِ، فجمعُ هذه الألفاظِ في مكانٍ واحدٍ، يُعدُّ عملاً جديداً .

سادساً : قمتُ بعرضِ هذا الموضوعِ على أحدِ كبارِ العلماءِ ، وهو فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري ــ رحمه الله تعالى ، وبارك في عَقِبِهِ ــ فاستحسنَهُ ، وقال : ((هذا موضوعٌ جيّدٌ إن أُخذَ حقّه من البحث ، وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أنا لا أُعلم مؤلَّفاً جمع هذه الألفاظ)).

وبعد .. فكل ما سبق ــ مما يدُلُّ على أهميةِ هذا الموضوعِ ــ كان سبباً في اختيارِه ، ليكونَ موضوعَ دراستي في هذه المرحَلَةِ ، فاستعنتُ الله تبارك وتعالى ، وسألته التوفيق والسداد ، وعزمت على شقِّ الطريقِ ، وإكمالِ الدربِ .

خِطَّةُ الرســالةِ :-

آثرتُ أن تكونَ الخِطَّةُ المتَّبعةُ في بُنْيَةِ هذه الرسالةِ مشتملةً على الآتي : مقدمــــةٍ ، وتمــهيدٍ ، وبابينِ ، وخاتمةٍ ، وفهارسَ :-

فأولاً : المقدِّمَة ، وتشتمل على ما يلي :

١.أهميّةِ الموضوعِ ، وسببِ اختيارِه .

٢.بيانِ خطةِ البحثِ .

٣.المنهجِ المتَّبعِ في جمعِ ودراسةِ هذه المصطلحاتِ .

ثانياً : التمــهيد ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهومُ المصطلحاتِ وأثرُها في إدراكِ العلومِ .

المبحث الثاني : المصطلحات الشرعية :-

المبحث الثالث : مفهوم السلف :-

أما الباب الأول : توحيد الله تعالى .

وفيه ثلاثة فصول :-

الفصل الأول : ما يتعلّقُ بالتوحيدِ عموماً .

وفيه مبحثان :-

المبحث الأول : تعريفُ التوحيدُ .

المبحث الثاني : ذكرُ تقسيماتِ التوحيدِ ، وأدلّةُ ذلك .

الفصل الثاني : ما يتعلّقُ بتوحيدِ الألوهيةِ .

وفيه ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول : مسمياتُهُ والمناسبةُ بينها .

المبحث الثاني : أدلّتُه .

المبحث الثالث : مكانتُه وأهميتُه .

الباب الثاني : المصطلحاتُ الشرعيةِ المستعملةِ في توحيدِ الألوهيةِ .

المطلب الثالث : الأصنامُ .
المطلب الرابع : الأندادُ .
المطلب الخامس : الأنصابُ .
المطلب السادس : الأوثانُ .
المطلب السابع : الجبتُ .
المطلب الثامن : الرهبان .
المطلب التاسع : الطاغوتُ .
المطلب العاشر : العرَّافُ .

المبحث الثاني : المصطلحاتُ التي هي وسائلُ وذرائعُ لنقض توحيدِ الألوهيةِ .

وفيه أحدَ عشرَ مطلباً :-
المطلب الأول : الاستقسامُ .
المطلب الثاني : التمائمُ .
المطلب الثالث : التنجيمُ .
المطلب الرابع : التِّولةُ .
المطلب الخامس : الرهبانيةُ .
المطلب السادس : الرياءُ .
المطلب السابع : السحرُ .
المطلب الثامن : الطِّيَرَةُ .
المطلب التاسع : العِيَافَةُ .
المطلب العاشر : الكِهَانَةُ .
المبحث الحادي عشر : النُّشْرَةُ .

الخاتمة : وفيها أهمُ النتائج التي توصلتُ إليها من خلالِ هذا البحثِ مع التوصيةِ .

وأخيراً الفهارس .

المنهجُ المتّبعُ في البحثِ :-

يمكن تلخيصُ منهجِ هذا البحثِ بما يلي :

١. حاولت جاهداً نقلَ تعريفاتِ العلماءِ ــ في بيان معاني المصطلحات ــ من كتبهم ، تفادياً للتصحيفِ ، أو النقلِ بالمعنى ، وقد اعتمدتُ على النقلِ بالواسطةِ في مواضعَ قليلةٍ ونادرةٍ ، وذلك في حالةِ عدمِ تمكني من الحصولِ على لمصدرِ الذي حوى التعريفَ .

٢. تقيَّدت فيما يتعلّقُ بالمصطلحاتِ الشرعيةِ بما ورد ذكره في الكتابِ ، والسنةِ ، وكلامِ السلفِ الصالحِ ، وعلماءِ الإسلامِ المشهودِ لهم بالخيريةِ ، والإمامةِ في الدينِ .

٣. ذكرتُ ما وقفتُ عليهِ من مصطلحات متعلّقةٍ بتوحيدِ الألوهيةِ ، أو لها ارتباطٌ بهِ ، أو استعملها السلفُ في بيانِ هذا التوحيدِ ، أو لها تعلُّقٌ بما ينقضُ هذا التوحيدَ ، أو يكونُ ذريعةً إلى نقضهِ .

٤. إذا كان النصُ منقولاً بالمعنى ، أو كان مقتبساً من عدة كتبٍ ، فالإحالةُ إلى ذلك تكونُ بكلمةِ (ينظر) ، وغالباً ما يكونُ هذا في الجانبِ اللغوي ، كما يحالُ بكلمةِ (ينظر) إلى المصادرِ التي يكونُ فيها شيءٌ مما ذُكِرَ في المتنِ ؛ إما بلفظهِ ، أو بمعناه .

٥. إذا تكرَّرَ المصدرُ فإني أُشير إلى المكررِ بكلمةِ [المصدر السابق] .

٦. أستعملُ الاسمَ الذي اشتهرَ به العالمُ إلا إذا خشيتُ اللبسَ فأنصُّ على الاسمِ بالكاملِ ، أو بما يميّزه عن غيرهِ ، فإذا أطلقت مثلاً ((الألوسي)) فهو الجدُّ صاحبُ التفسيرِ ، فإن كان غيرَهُ ذكرتُ الاسمَ المميّز له .

٧. فيما يتعلّقُ بدراسةِ المصطلحاتِ ، حيث تكلمتُ على كلِ مصطلحٍ في جانبين :

الأول : الجانب اللغوي ، وأذكرُ فيه الآتي :-

أصلَ الكلمة .

تصريفَها .

معناها لغةً .

الثاني : الجانبُ الشرعي ، وأذكرُ فيه المعنى الشرعيَّ للمصطلحِ ، معتمداً في ذلك على أقوالِ العلماءِ في بيانهِ وتوضيحهِ ، وأختمُ المصطلحَ بوضعِ تعريفٍ إن تيسّر لي ذلك ، وقد أُرجّحُ تعريفاً من ضمنها .

٨. عزوتُ الآياتِ إلى مواضعها ، بذكرِ اسمِ السورةِ ورقمِ الآية ، وجعلت العزوَ في المتنِ رغبةً في تخفيفِ الحاشيةِ .

٩. خرَّجتُ الأحاديثَ وَعزوتها إلى كتب الحديث ، مكتفياً بصحيحي البخاريّ ومسلم في حالةِ وجودِ الحديثِ فيهما ، أو في أحدهما ، وإلا خرّجتُه بما تيسّر من كتبِ الحديثِ الأخرى ، وذلك بذكرِ اسمِ الكتابِ ، والجزءِ والصفحةِ ، ورقمِ الحديثِ إن وجد .

١٠. قمتُ بشرحِ الكلماتِ الغريبةِ الواردةِ في ثنايا البحثِ من كتبِ اللغةِ ، وهي قليلةٌ .

١١. لم أتعرض للتعريفِ بالأعلام ، لكثرَتِها ، مما سيكونُ له بالغُ الأثرِ في مضاعفةِ ، وتضخيمِ حجمِ الرسالةِ ، كما أن طبيعةَ البحثِ قد لا تستدعي ذلك .

١٢. أُنهيتُ البحثَ بخاتمةٍ سجّلتُ فيها أهمَّ النتائجِ المتحصَّلةِ من البحثِ .

١٣. وضعتُ فهارسَ تسهِّلُ الاستفادةَ من مادةِ هذا البحثِ وهي :-

- ❖ فهرسُ الآيات .
- ❖ فهرسُ الأحاديث .
- ❖ فهرسُ الآثار وبعضُ الأقوال المأثورة .
- ❖ فهرسُ الكلماتِ الغريبةِ .
- ❖ فهرسُ المصادر والمراجع .
- ❖ فهرسُ للمصطلحات الشرعية الواردة في البحث مرتَّبة على حروف الهجاء .
- ❖ فهرسُ الموضوعات والمحتويات .

ورتّبتُ هذه الفهارسَ على الحروفِ الهجائيةِ ، عدا فهرسِ الآياتِ فكان الترتيبُ فيه حسبَ ترتيبِ السورِ من المصحفِ .

وهنا تنبيه مهم ، وهو أن هذا التصنيف أعني تصنيف المصطلحات إلى ما سبق ذكره من فصول فإني راعيت فيه الآتي :-

الفصل الأول : مصطلحات العبادات القلبية : وأذكر فيه العبادات المتعلقة بالقلب خاصة ، وليس لها تعلّق بشيء من البدن أو الجوارح .

الفصل الثاني : مصطلحات العبادات القولية : وأذكر فيه العبادات المتعلقة باللسان مع ملاحظة أن تعلق القلب بهذه العبادات وغيرها أمر لا شك إذ لا تصح عبدة لله تعالى بدون أن يكون القلب أصل فيها . ولكنها في الظاهر تقع باللسان ، وما في القلب يؤثر فيها صحةً وبطلاناً ، وقبولاً ورداً .

الفصل الثالث : مصطلحات العبادات العملية : وهذه خاصة بالعبادات المتعلقة بأعمال الجوارح ، ويقال فيها ما قيل في سابقتها .

الفصل الرابع : مصطلحات العبادات المشتركة : وهذه خاصة بالعبادات التي يشترك فيها القلب واللسان والجوارح ، أو بالقلب واللسان ، أو بالقلب والجوارح .

الفصل الخامس : المصطلحات العامة : وهذا الفصل يتعلق بمصطلحات وأسماء عامة وردت في الشرع ، وتضمنت في طياتها أموراً عديدة .

الفصل السادس : المصطلحات المضادة لتوحيد الألوهية : وهذا في الأمور التي تناقض هذا التوحيد : إما في أسماء معبودات من دون الله تعالى ، أو في أمور تخرج عن حد هذا التوحيد أو تكون وسيلة لمناقضته .

وأخيراً ، فلا أدعي أنّي بلغتُ غايةَ المطلوبِ ، ونهايةَ الأملِ ، أو أنّي أوفيتُ الموضوعَ حقَّهُ ؛ وذلك بسببِ صعوبةِ هذا الموضوعِ ، وتناثرِ مادتِهِ في كتبِ العلماءِ ، فليست محصورةً في كتبِ العقيدةِ فحسب ، بل تجدُها بكثرةٍ متكاثرةٍ في مطوياتِ شروحِ كتبِ الحديثِ وغريبِهِ ، وكتبِ التفسيرِ ، وغريبِهِ ، إضافةً إلى الكتبِ المتعلّقةِ بالألفاظِ ، وغيرِ ذلك من كتبِ العلماءِ ، أضف إلى ذلك صعوبةَ المنهجيةِ المتبعةِ في هذا البحثِ، فمن الطبيعي ألا يسلمَ من الخطأ والزللِ، والتقصيرِ والخللِ ، فخذ يا أخي ما سلم منه ، وردَّ ما لم يسلَم ، شاكراً لك سلفاً ما تبديهِ من ملاحظٍ وتصويبات .

وختاماً فإني أحمد الله تعالى حمداً كثيراً مديداً ــ وهو للحمد أهلٌ ــ وأشكرُه على مزيدِ تيسيرِه ، وعظيمِ امتنانِهِ ، ومن أعظمِ ما أنعمَ به عليَّ نعمةُ الإسلامِ ، ثم الهدايةُ إلى سلوكِ طريقِ أهلِ الحقِ ، أهلِ السنةِ والجماعةِ ، ثم التوفيقُ لطلبِ العلمِ الصحيحِ النافعِ الموافقِ للكتابِ والسنةِ ، الذي كان من ثمراتِه هذا البحثُ ، الذي ضمَّ وحوى كلامَ السلفِ ، وعلماءِ الإسلامِ ، فاللهم لك الحمدُ والشكرُ أن أعنتني على إكمالِهِ وإتمامِهِ ، فاللهم اجعله لوجهكَ خالصاً ، ولا تجعل لأحدٍ فيه معك نصيباً ، ولا جزأً مقسوماً ، وانفعني اللهم به ، وانفع به عبادَك المؤمنين .

ثم اعترافاً بالفضلِ والإحسانِ ، وقبولاً للجميلِ والإكرامِ ، وامتثالاً لقوله ﷺ : ((لا يشكرُ الله من لا يشكرُ الناسَ))[1] ، أتقدم بوافرِ الشكرِ والتقديرِ ، وبمزيدِ الامتنانِ والعرفانِ ، لشيخي وأُستاذي ، فضيلةِ الأستاذِ الدكتورِ / محمد بن خليفة التميمي ــ حفظه الله تعالى ــ المشرف على هذه الرسالةِ ، على ما أولاني بهِ من رعايةٍ كبيرةٍ ، واهتمامٍ متواصلٍ ، وحرصٍ بالغٍ ، ولقد أفدتُ كثيراً من علمِهِ ، وتوجيهاتِه السديدةِ الصائبةِ ، ومرئياتِهِ الدقيقةِ النافعةِ ، مع دماثةِ خُلُقٍ ، وحسنِ سمتٍ ، ولا أنسى ــ من باب نسبة الفضل لأهله ــ أن موضوعي هذا كان من بُنَيَّاتِ فكرِه ، وثمراتِ جُهدِه، وصناعةِ عقلِهِ، فهو الذي أشارَ عليَّ بِهِ ، فجزاه الله خيرَ ما جزى شيخاً عن تلميذه ، وزادَه الله طهراً وصفاءً ، وعفةً ونقاءً ، وهدىً وصلاحاً ، وعلماً وإيماناً ، وبارك فيه وفي جهوده .

كما أتقدمُ بالشكرِ الجزيلِ لأصحابِ الفضيلةِ عُضْوَيْ المناقشةِ فضيلةِ الشيخِ الدكتور/ سعود بن عبد العزيز الخلف ــ حفظه الله تعالى ــ ، وفضيلةِ الشيخِ الدكتور/ محمد بن عبد الرحمن أبو سيف ــ حفظه الله تعالى ــ على ما تكبداه من مشقّةٍ وشدّةٍ وتعبٍ في قراءة هذه الرسالة ، وتصويبِها ، وتوجيهِهَا إلى الأحسنِ والأفضلِ . فجزاهم الله خيراً ، وتقبَّلَ الله منهم ، وأحسن إليهم.

كما أتقدمُ بالشكرِ والتقديرِ للجامعةِ الإسلاميةِ بالمدينةِ النبويةِ على ما تقومُ به من جهودٍ عظيمةٍ في خدمةِ الإسلامِ والمسلمينَ، وأخصُّ بالشكر كليةَ الدعوةِ وأصولِ الدينِ ، ممثّلةً في قسمِ العقيدةِ والقائمينَ عليه ، على ما يبذُلُونَه من جُهْدٍ في سبيلِ نشرِ العقيدةِ الصحيحةِ الصافيةِ ، عقيدةِ سلفِ هذه الأمةِ .

ولا يفوتني أن أُزجيَ الشكرَ لكلِ مَن أعانني ، بنصيحةٍ أو توجيهٍ ، أو إعارةٍ لكتابٍ ، من أساتذتي ومشايخي ، أو من إخواني وزملائي ، وأخصُّ بالشكر هنا فضيلةَ الشيخِ الدكتور/ عبد الرزّاق الصاعدي ــ حفظه الله تعالى ــ ، فجزاهم الله جميعاً خيرَ الجزاءِ ، وجعل ذلك لهم من السعيِ المشكورِ ، والعملِ المتقبَّلِ المبرورِ ، الذي يجدونه مسطّراً لهم ، يوم لا ينفعُ مالٌ ولا ولدٌ ولا بنون ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسَلَّم .

---

[1] رواه أبو داود (٤/٢٥٥) برقم (٤٨١١) ، والترمذي (٤/٣٣٩) برقم (١٩٥٤) ، بلفظ ((من لا يشكر الناس لا يشكر الله)) وقال : هذا حديثٌ حسنٌ صحيح ، وصحيح ابن حبان (٨/١٩٨) برقم (٣٤٠٧) ، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٦/١٨٢) برقم (١١٨١٢) ، وإسناده صحيح : ينظر : صحيح الجامع برقم (٦٦٠١) ، وتخريج المشكاة برقم (٣٠٢٥) .

التمهيد

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول : مفهوم المصطلحات وأثرها في إدراك العلوم .

المبحث الثاني : المصطلحات الشرعية .

المبحث الثالث : مفهوم السلف .

المبحث الأول
مفهوم المصطلحات وأثرها
في
إدراك ومعرفة العلوم

وفيه ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : تعريف المصطلح لغةً .

المطلب الثاني : تعريف المصطلح اصطلاحاً .

المطلب الثالث : أثر المصطلحات في إدراك ومعرفة العلوم .

المطلب الأول
المصطلح لغة

أصل الكلمة : كلمة مصطلح مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو (صَلَحَ).[١]

تصريفها : المُصْطَلَح على وزن (مُفْتَعَل) ، وهو اسم مفعول من الفعل الخماسي (اصطلح) ، على وزن (افْتَعَل) ؛ وذلك لكون الفعل المشتق منه اسم المفعول ليس من الثلاثي المجرد ، فيكون قياسه على وزن المضارع المبني للفاعل ، بعد إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر ، فمعنى مصطلح ، أي مصطلح عليه .[٢]

معناها لغةً : معاني مادة صلح في كتب اللغة :-

١. الصلاح : ضد الفساد .
٢. الصُّلح : تصالح القوم بينهم ، وقيل : السِّلْم ، وقد اصطلحوا، وصالحوا، واصَّلحوا ، وتصالحوا .[٣]

هذه من أهم المعاني لهذه المادة ، والمعني الثاني هو المناسب لما نحن بصدده ، فالفعل **(اصطلح)** يدل على فعل الاتفاق ، والشيء الذي يقع عليه الاتفاق هو ما يسمى بالمصطلح كما أن اتفاق كلمة الناس على شيء يعتبر من الصَّلاح وعدم الفساد ، وبذلك تظهر علاقة المعنى اللغوي الأول بالمعنى الثاني ، ولذا جعل ابن فارس القول الأول هو الأصل فقال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((الصاد واللام والحاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خلاف الفساد)).[٤]

---

[١] مقاييس اللغة (٣/٣٠٣) .

[٢] ينظر للتصريف في : تصريف الأسماء (ص/٩١) .

[٣] ينظر إلى هذه المعاني وغيرها في : الصحاح (٣٨٣/١) ، لسان العرب (٣٨٤/٧-٣٨٥) .

[٤] مقاييس اللغة (٣/٣٠٣) .

المطلب الثاني
المصطلح اصطلاحاً

لا يختلف معنى المصطلح في الاصطلاح عن معناه في اللغة كثيراً ، وقد ذكرنا سابقاً الفرق بين لفظة مصطلح ولفظة اصطلاح في مبحث اللغة ، ولكن كثيراً ممن تعرَّض لهذا المبحث يتطرّق إلى معنى الاصطلاح فقط ، ولا يعرِّج على معنى المصطلح ، ولكن يمكننا الاستفادة من هذه التعريفات للاصطلاح في تعريف المصطلح ؛ وذلك أن الاصطلاح هو الطريق الموصل إلى المصطلح ، فلا يتكوّن مصطلح إلا بعد حدوث اصطلاح ،...

يقول الإمام **ابن حزم** ـ رحمه الله تعالى ـ : « والاصطلاح يقتضي وقتاً لم يكن موجوداً قبله ؛ لأنه عمل المصطلحين ...».[1]

فالاصطلاح عمل المصطلحين ، والمصطلح هو ثمرة ذلك العمل .

ويعرّفه الإمام **الزبيدي** ـ رحمه الله تعالى ـ فيقول : « والاصطلاح : اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص .قاله الخفاجي ».[2]

ويقول **الجرجاني** ـ رحمه الله تعالى ـ في تعريفه : « الاصطلاح : عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ، يُنْقَل عن موضعه الأول [3] ، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر ، لمناسبة بينهما ».[4]

وقيل : « الاصطلاح : اتفاق طائفة على وضع اللفظ بازاء المعنى ».[5]

وقيل كذلك : « الاصطلاح : إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر ، لبيان المراد ».[6]

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام (١/٣٢) .

(٢) تاج العروس (٦/٥٥١) .

(٣) وبذلك عرَّفه المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ التوقيف على مهمات التعاريف (ص/٦٨).

(٤) التعريفات (ص/٤٤) .

(٥) التعريفات (ص/٤٤) .

(٦) المصدر السابق (ص/٤٥) .

وقيل : « الاصطلاح : لفظ معين بين قوم معينين ».[١]

وهذا التعريف يتعلق بالمصطلح وليس بالاصطلاح ؛ إذ لا يوجد فيه ذكر الاجتماع أو الاتفاق الذي يشترط في تعريف الاصطلاح .

ويقول **الكفوي** ـ رحمه الله تعالى ـ : « الاصطلاح : هو اتفاق القوم على وضع الشيء ، وقيل : إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد ... ، ويستعمل الاصطلاح غالباً في العلم الذي تحصل معلوماته بالنظر والاستدلال ».[٢]

ويقول الإمام **الطوفي** ـ رحمه الله ـ : « وأما الاصطلاح : فبأن يجمع الله سبحانه وتعالى دواعي العقلاء بالاصطلاح على ما يتخاطبون به ، ويعينهم بالتوفيق والسداد ، فيحصل التخاطب بينهم بالاصطلاح ».[٣]

ويقول الشيخ **بكر أبو زيد** ـ حفظه الله تعالى ـ معرفاً للاصطلاح : « اللفظ المختار للدلالة على شيء معلوم ليتميز به عما سواه ».[٤]

ولعل هذا التعريف أقرب إلى معنى المصطلح منه إلى معنى الاصطلاح [٥]

وقريبا منه : « فالاصطلاح لفظ محدد يستخدم للدلالة على ظاهرة معينة ..».[٦]

ومثلهما : « الاصطلاحات : هي الألفاظ الموضوعة للحقائق ».[٧]

يقول الأستاذ **عوض القوزي** : « إذن فلكلمة (المصطلح) دلالتان :

الأولى : الدلالة اللغوية ...

والثانية : الدلالة العلمية (الاصطلاحية)، وتعني : اتفاق جماعة على أمر مخصوص ».[١]

---

(١) المصدر السابق (ص/٤٤-٤٥) .

(٢) الكليات (ص/١٢٩) .

(٣) شرح مختصر الروضة (١/٤٧٣) .

(٤) فقه النوازل (١/١٢٣) .

(٥) يراجع كلام الإمام ابن حزم السابق (ص/٢٣) .

(٦) تاريخ النحو العربي (ص/٦٩) ، وينظر : المصطلح النحوي (ص/٢٣) .

(٧) موسوعة مصطلحات أصول الفقه (١/١٨٩) .

ثم قال : ((وهذا الاتفاق والتواطؤ أو التصالح ، إن تمّ بين جماعة المحدثين تفتّق عن مصطلح في الحديث ، وإن كان بين جماعة الفقهاء على مسائل في الفقه، نتج عنه مصطلح في الفقه ، وإن كان بين جماعة من النحاة صنعوا مصطلحاً نحوياً ، وقل مثل ذلك في سائر العلوم)).[٢]

وهكذا نجد غالب هذه التعريفات السابقة تذكر أن وقوع الاصطلاح لا بد أن يصدر من جماعة ، ولكن نجد صاحب كتاب ((موسوعة مصطلحات أصول الفقه)) ينقل نقلاً في تعريف الاصطلاح لا يشترط ذلك ، ويرى وقوعه ولو من شخص واحد ،...

فيقول : ((الاصطلاح : فبأن يجمع الله دواعي جمع من العقلاء ، للاشتغال بما هو مهمهم وحاجتهم ؛ من تعريف الأمور الغائبة التي لا يمكن الإنسان أن يصل إليها ، فيبتدئ واحد ويتبعه الآخر ، حتى يتم الاصطلاح ، بل العاقل الواحد ربما ينقدح له وجه الحاجة ، وإمكان التعريف بتأليف الحروف ، فيتولى الوضع ثم يعرف الآخرين بالإشارة ، والتكرير معها للفظ مرة بعد مرة ، كما يفعل الوالدان بالولد الصغير ، وكما يعرف الأخرس ما في ضميره بالإشارة)).[٣]

هذا ما تيسر فيما يتعلق بمعنى المصطلح اصطلاحاً ، وخلاصة ما سبق هو أن نقول :

بأن المصطلح : هو عبارة عن اللفظ الذي وقع عليه اتفاق مجموعة معينة ، أو تواطؤ فئة خاصة ؛ للدلالة على أمر مخصوص فيتميّز به عما سواه . والاصطلاح : هو وقوع ذلك الاتفاق ، وحصوله بين تلك المجموعة على ذلك الأمر المخصوص .

وعليه ، فالذي يترجح هو تعريف الشيخ بكر أبو زيد ــ حفظه الله تعالى ــ على أن يكون كلامه في تعريف المصطلح ، والله أعلم .

---

(١) المصطلح النحوي (ص/٢٢) .

(٢) المصدر السابق (ص/٢٢) .

(٣) موسوعة مصطلحات أصول الفقه (١/١٨٩) . كما أنه نُصَّ على أن هذا الجمع لا بد أن يكون من العقلاء .

المطلب الثالث
أهمية المصطلحات وأثرها في إدراك ومعرفة العلوم

فيما يلي نذكر بعض ما نراه دالاً على أهمية هذه المصطلحات ، ـــ مع ملاحظة أننا حينما نتكلّم عن المصطلحات ، فإنه يدخل في ضمن كلامنا جميع ما يسمّى بالألفاظ الشرعية ، أو الأسماء الإسلامية ، أو الحدود الشرعية ـــ كما سيأتي بيان ذلك في المطالب القادمة .

أولاً : وجود الحاجة الماسة ، والضرورة الملحة للتفاهم والتخاطب بين الناس ، ثم ما من فئة يحصل بينها هذا التخاطب والتفاهم ، إلا ويوجد في كلامها من الألفاظ والتعبيرات والرسوم الخاصة بهم ، اصطلحوا عليها ، وتواطؤا على التفاهم بها ، وعليه فلا يمكن لغيرهم التفاهم معهم ، بدون أن تكون هذه الاصطلاحات في حسبان المتحدث معهم ، وبذلك تبرز أهمية معرفة المصطلحات وأثرها في هذا المجال ، ...

يقول الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((.. فالحاجة إلى معرفة هذه الحدود ماسة لكل أمة ، وفي كل لغة ، فإن معرفتها من ضرورة التخاطب ، الذي هو النطق الذي لا بد منه لبني آدم)).[1]

ويقول **شيخ الإسلام** ـــ رحمه الله ـــ أيضاً : ((ومعرفتنا بلغات الناس واصطلاحاتهم نافعة في معرفتنا مقاصدهم ، ثم نُحَكِّم فيها كتاب الله تعالى ؛ فما وافقه فهو حق ، وما خالفه فهو باطل)).[2]

ويقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((فكل من شرح كلام غيره وفسره وبين تأويله ، فلا بد له من معرفة حدود الأسماء التي فيه)).[3]

---

(١) الرد على المنطقيين (ص/٥١) .

(٢) بغية المرتاد (ص/٢٣٥) .

(٣) الفتاوى (٩/٦٦) .

ثانياً : حاجة جميع الفنون لهذه المصطلحات ، التي تخدم الفن ، وتقَرِّب ما بَعُـــدَ ، وتسهِّل ما صَعُبَ منه ، وتذلل عقباته ، وتعين الدارس له على معرفته وفهمه .

يقول الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ مبيّناً أن هذه الاصطلاحات واقعة كذلك عند أصحاب العلوم الدنيوية ؛ من طب ، وصناعة وغيرها ، وأن فهم كلامهم متوقف على معرفة ما وضعوه من اصطلاحات ، فيقول : ((وما من أهل فن إلا وهم معترفون بـــأنهم يصطلحون على ألفاظ يتفاهمون بها مرادهم ، كما لأهل الصناعات العملية ألفاظ يعبرون بها عن صناعتهم، وهذه الألفاظ هي عرفية عرفاً خاصاً ، ومرادهم بها غير المفهوم منها في أصل اللغة ، سواء كان ذلك المعنى حقاً أو باطلاً)).[1]

ويقول **التهانوي** : ((إن أكثر ما يحتاج به في تحصيل العلوم المدونة ، والفنون المروجة إلى الأساتذة ، هو اشتباه الاصطلاح ، فإن لكل علم اصطلاحاً خاصاً به إذا لم يُعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه الاهتداء إليه سبيلاً ، وإلى انفهامه دليلاً)).[2]

ويقول الشيخ **بكر أبو زيد** ــ حفظه الله ــ : ((فالمصطلحات إذاً ضرورة علميــة ، ووسيلة مهمة من وسائل التعليم ، ونقل المعلومات ، وقد أصبحت لضرورتها تمثل جزءاً مهماً في المناهج العلمية ، مساعدة على حسن الأداء ، ودقة الدلالة ، وسرعة الاســـتحضار ، وتقريب المسافة ، وتوفير المجهود في الإلمام بالمتون . وفيها جمع أفكار المتعلمين على دلالات واضحةٍ . وهي ملتقى العلماء في تناقل أفكارهم ومداركهم . وعلى أساسها يقوم التأليف والنشر)).[3]

ثالثاً : أنها تأتي بمعان جديدة ، زيادة على ما كان في الأصل اللغوي الــذي تفرَّع عنه ذلك المصطلح ، أو الاسم الشرعي ، ولا شك أن الحاجة تمس إلى توضيح نوع الاختلاف ، أو الاختصاص الذي طرأ عليها .

يقول الإمام **ابن حزم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وأكثر الأسماء الشرعية فإنها موضوعة من عند الله تعالى على مسميات لم يعرفها العرب قط ، هذا أمر لا يجهله أحد من أهل الأرض

---

(١) درء التعارض (١/٢٢٢-٢٢٣) .

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون (١/١) .

(٣) فقه النوازل (١/١٤٨) .

ممن يدري اللغة العربية ، ويدري الأسماء الشرعية ؛ كالصلاة فإن موضوع هذه اللفظة في لغة العرب الدعاء فقط ، فأوقعها الله عز وجل على حركات محدودة ، معدودة ، من قيام موصوف إلى جهة موصوفة ..»[1] إلى آخر كلامه ــ رحمه الله ــ .

ويقول **الأمير مصطفى الشهابي** : « والاصطلاح يجعل للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية أو الأصلية ؛ فالسيارة في اللغة : القافلة ، والقوم يسيرون ، وهي في اصطلاح الفلكيين : اسم لأحد الكواكب السيارة التي تسير حول الشمس ، وفي الاصطلاح الحديث هي : الأوتوموبيل[2]، والمصطلحات لا توضع ارتجالاً ، ولا بد في كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة ، كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللغوي ، ومدلوله الاصطلاحي ».[3]

رابعاً : نظراً لما هو معلوم من تنوّع معاني المصطلحات بحسب تنوع الفن الذي تستعمل فيه ؛ فمثلاً لفظ « السنة » تختلف معانيه بحسب استعماله في كل فن ، فالسنة في فن العقيدة والاعتقاد يختلف معناها عن كل من فنّي الفقه والحديث ، ولذلك تعظم الحاجة إلى تمييز كل فن بمصطلحاته على حدة .

ومما سبق يتبين لنا عظم ومكانة هذه المصطلحات ، وأنها مهمة وضرورية ، ولا يكاد يستغني عنها أحد ، فهي مهمة في مسألة التخاطب والتفاهم ، كما أنها مفيدة للتعرّف على كثير من العلوم والفنون ، ويمكن عن طريقها تفسير كلام الناس على الوجه الصحيح ، وفهمه على وفق قصود أصحابه . هذا والله تعالى أعلم .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ــ ابن حزم (٣/١٠٩–١١٠) .

(٢) وهي السيارة المعروفة اليوم بين الناس .

(٣) المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث (ص/٦) ، نقلاً عن المصطلح النحوي (ص/٢٣) .

المبحث الثاني

في المصطلحات الشرعية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم المصطلح الشرعي وبيان ضابطه .

المطلب الثاني : مصادر المصطلحات الشرعية .

المطلب الثالث : أهمية المصطلحات الشرعية ووجوب المحافظة عليها .

المطلب الأول
مفهوم المصطلح الشرعي وبيان ضابطه

قبل البدء في بيان ماهية المصطلح الشرعي ومعرفة ضابطه ، يحسن بنا في هذا المقام ذكر مقدّمة تمهيدية ، تزيد الأمر وضوحاً ، وتدرأ اللبس ، وتزيل الإشكال . فنقول :

اعلم أن الأسماء والألفاظ الواردة في الشرع ، والتي خاطب الله تعالى بها عباده تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

الأول : الحقيقة الشرعية .

الثاني : الحقيقة اللغوية .

الثالث : الحقيقة العرفية .

ويمكن التعبير عنها بـــ : الوضع الشرعي واللغوي والعرفي .

فالحاصل أن الأسماء الواردة لا تخرج عن هذه الأنواع الثلاثة ؛ فهناك من الأسماء ما يُرجع إلى معرفة معناها إلى الشرع ، ومنها ما يُرجع فيه إلى اللغة ، وثالث يُرجع فيه إلى العرف .

يقول الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله ـــ : ((بل الأسماء المذكورة في الكتاب والسنة ثلاثة أصناف؛ منها ما يعرف حده باللغة؛ كالشمس والقمر والكوكب ونحو ذلك، ومنها ما لا يعرف إلا بالشرع؛ كأسماء الواجبات الشرعية والمحرمات الشرعية؛ كالصلاة والحج والربا والميسر ، ومنها ما يعرف بالعرف العادي، وهو عرف الخطاب باللفظ ، كاسم النكاح والبيع والقبض وغير ذلك، هذا في معرفة حدودها التي هي مسمياتها على العموم)).[1]

ويقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((واعلم أن من لم يُحَكِّم دلالات اللفظ ، ويعلم أن ظهور المعنى من اللفظ ؛ تارة يكون بالوضع اللغوي أو العرفي أو الشرعي ، إما في الألفاظ المفردة وإما في المركبة...)).[2]

---

[1] الرد على المنطقيين (ص/٥٢) . شرح العمدة ـــ ابن تيمية (١/٤٧٤) .

[2] الفتاوى (٣٣/١٨١) .

ويقول الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((والأسماء التي لها حدود في كلام الله ورسوله ثلاثة أنواع ؛ نوع له حد في اللغة، كالشمس والقمر والبر والبحر والليل والنهار ، فمن حمل هذه الأسماء على غير مسماها ، أو خصها ببعضه ، أو أخرج منها بعضه فقد تعدى حدودها ، ونوع له حد في الشرع ؛ كالصلاة والصيام والحج والزكاة والإيمان والإسلام والتقوى ونظائرها ، فحكمها في تناولها لمسمياتها الشرعية كحكم النوع الأول في تناوله لمسماه اللغوي ، ونوع له حد في العرف لم يحده الله ورسوله بحد غير المتعارف ، ولا حد له في اللغة كالسفر والمرض المبيح للترخص ، والسفه والجنون الموجب للحجر ، والشقاق الموجب لبعث الحكمين ، والنشوز المسوغ لهجر الزوجة وضربها ، والتراضي المسوغ لحل التجارة ، والضرار المحرم بين المسلمين وأمثال ذلك)).(١)

فالاصطلاح اللغوي : يعتبر هو الأصل بالنسبة لبقية الاصطلاحات ، فما من اسم شرعي، أو اصطلاحي عرفي، أو غير ذلك ، إلا والأصل فيه هو المعنى اللغوي، ثم زيد عليه من المعاني الجديدة ، ما جعل الأول شرعياً، والثاني عرفياً .

ويبين الإمام ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ كيفية تصرف الشرع في الأسماء اللغوية ، وقلبها إلى شرعية فيقول : ((وتحقيق ذلك إن تصرف الشرع فيها كتصرف أهل العرف في بعض الأسماء اللغوية ؛ إما تخصيصها ببعض معانيها ، كالدابة ، وإما تحويلها إلى ما بينه وبين المعنى الأول سبب ، كاسم الراوية ، والغائط ، والعذرة ، فالصلاة كانت اسماً لكل دعاء فصارت اسماً لدعاء مخصوص ...)).(٢)

ويقرر الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ ما سبق مبيناً حقيقة الأسماء الشرعية ، فيقول : ((إن غاية ما يقال إن في القرآن ألفاظاً استعملت في معان لم تكن تعرفها العرب وهي الأسماء الشرعية ، كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والاعتكاف ، ونحوها ، والأسماء

---

(١) إعلام الموقعين (١/٢٦٦) .

(٢) شرح العمدة (٤/٣٠) .

الدينية كالإسلام والإيمان والكفر والنفاق ونحوها ...)).[١]

وينقل **رفيق العجم** كلاماً في كيفية تكون المصطلح الشرعي فيقول : ((يعمد الشارع إلى اصطفاء ألفاظ من اللغة ينقلها من معانيها اللغوية ليضع لها معاني ومفاهيم خاصة ، وهي ما تسمى في عرفنا بالاصطلاحات)).[٢]

ومما يدل على العلاقة الوثيقة بين الاسم الشرعي والمعنى اللغوي ، أن العلماء دائما ما يقرنون المعنى الشرعي بمعناه في اللغة ، فيقدمون معنى الاسم في اللغة باعتباره أصلاً ، ثم يُعقبونه بالمعنى الشرعي ،...

يقول الإمام **الطوفي** ــ رحمه الله ــ : ((وقبل الشروع فيه هاهنا تنبيه كلي ، وهو أن الأصوليين والفقهاء جرت عادتهم أنهم إذا انتصبوا لبيان لفظ، بينوه من جهة اللغة، والشرع، فقالوا مثلاً : الفقه في اللغة : كذا ، وفي الاصطلاح الشرعي : كذا ، كما نحن بصدد بيانه إن شاء الله تعالى)).[٣]

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد ، أن الأسماء الشرعية إذا وردت مطلقةً في كلام الشارع ، أو في تعبيرات الفقهاء ، فإن المعنى المعتبر في ذلك هو الموضوع الشرعي لهذه الأسماء ابتداءً ، ...

يقول الإمام **ابن قدامة** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وكذلك كل ماله موضوع شرعي ولغوي إنما ينصرف المطلق منه إلى الموضوع الشرعي ؛ كالوضوء ، والصلاة ، والصوم، والزكاة، والحج، ونحوه؛ لأن الظاهر من صاحب الشرع التكلم بموضوعاته)).[٤]

هذا ما أردتُ بيانه تمهيداً وتوطئةً لما نحن بصدده ، ...

---

[١] الصواعق المرسلة (٧٥٣/٢) . يلاحظ تفريق الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ بين الأسماء الشرعية والدينية ، ولعله يقصد بالدينية ما كان منها متعلقاً بالاعتقاد والقلب . وبالشرعية : ما كان متعلقاً بالأمور العملية ، يقول الإمام الطوفي : ((والصواب في ذلك أن يقال : إنها عملي ، وهي الشرعية ، أو اعتقادي ، وهي الدينية .. وهذه القسمة ، وإن لم تخل عما يقال فيها. فهي أولى وأطرد من الأولى))[شرح مختصر الروضة(٤٩٢/١)] والله أعلم .

[٢] موسوعة مصطلحات أصول الفقه (١٨٩/١) .

[٣] شرح مختصر الروضة (١٢٩/١) .

[٤] المغني (١٣/١) .

والذي يتعلق ببحثنا هنا هو ما يسمى بالاصطلاح الشرعي ، أو بالمصطلحات الشـــرعية، والمقصود من ذلك ، هو تلك الألفاظ التي خاطب الله تعالى بها عباده؛ كـــالصلاة، والزكـــاة ، والصوم ، والحج ، وغيرها ، أو جاءت على لسان الصحابة ـــ رضوان الله عليهم ـــ ، مما تصالحوا عليه ، واحتاجوا له ، وليس له ذكر في النصوص ، كمصطلح ، أو تكلم بها علمـــاء الســـلف واستعملوها في كتبهم، هذا هو المقصود بالمصطلحات الشرعية، وهذا من أعظـــم ضوابطـــها ، وستأتي بقيتها .

يقول الشيخ **بكر أبو زيد** ـــ حفظه الله تعالى ـــ مبينـــاً طـــرق الوصـــول إلى تكويـــن المصطلحات : « الوصول إلى المواضعة لتكوين المصطلح العلمي بواحد من طريقين :

الأول : طريق النقل للكلمة من مدلولها الأصلي إلى مدلول جديد لها به صلة ، ليصبح المعنى المتواضع عليه حقيقة عرفية ، وقد يُنسى من أجله المدلول القديم ، كالشأن في ألفاظ أركان الإسلام العملية الأربعة الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج .

وأجل ألفاظ هذا الطريق ما علم نقله بأصل الشرع كهذه الألفاظ ، وكلفظ : التوحيـــد، ونحو ذلك مما ورد إطلاقه بنص من القرآن أو السنة .

فهذا هو أصل المواضعات الشرعية، ولا خيار لأحد فيه بتغيير، أو تحريف، أو تبديل.

ثم ما علم بلسان الصحابة ـــ رضي الله عنهم ـــ فهم أهل اللسان وأرباب الفصاحة والبيان ، وأقرب الأمة للشرع علماً وعملاً ...

فلمواضعاتهم حرمتها ، والتحول عنها من باب استبدال الأدنى بالذي هو خير .

وهكذا في تطورات الاصطلاح والحقائق الشرعية المسجلة بأقلام علماء الإسلام في شـــتى مراحله، وبنيت عليها مؤلفاتهم، وتأسست عليها تعريفاتهم. فاللجوء إليها، وإحياؤها، وإخراجـها إلى سوق التداول العلمي : هو السنن القويم ، والهدي المستقيم ، وهو من أقوى عوامل اتصـــال حاضر الأمة بماضيها ، وثباتها على دينها ».[1] إلى آخر كلامه ـــ حفظه الله تعالى ـــ .

وعلى ذلك يكون الاصطلاح الشرعي أعم في المعنى من الحقيقة الشرعية من حيث الوضع؛ إذ أن الحقيقة الشرعية مقصورة في لفظها ومعناها على وضع الشارع وحده دون ما سواه ، ...

---

(١) فقه النوازل ـــ المواضعة في الاصطلاح (١/١٤٣-١٤٤) .

يقول الإمام **الشوكاني** ـــ رحمه الله ـــ مبيناً ضابط الحقيقة الشرعية : ((وينبغي أن يعلم قبل ذكر الخلاف والأدلة من الجانبين ، أن الشرعية هي اللفظ المستعمل فيما وُضِعَ له بوضع الشارع لا بوضع أهل الشرع كما ظن)).[1]

ثم إني ألفت النظر والانتباه إلى الآتي :

أولاً : إدخال هذه الألفاظ الشرعية ، المنصوص عليها في الكتاب والسنة ، لفظاً ومعنى؛ كالإيمان ، والإسلام، والإحسان، وغيرها ، تحت ما يسمى بالمصطلحات الشرعية ، هو من باب التجوز ، أو من باب المواطآت الاصطلاحية [2] ، وإلا فكان الأولى أن توسم بـ ((الحدود الشرعية)) ، أو ((الأسماء الشرعية)) [3] ، وهذا هو المستعمل في نصوص الشرع وفي كلام العلماء .

ثانياً : وبناء على ما سبق أولاً يرى بعض العلماء أن الواجب في تعريف الأسماء الشرعية ، المنصوص عليها في الشرع، أن يقال فيها (تعريفها شرعاً)، ولا يقال (تعريفها اصطلاحاً) ؛ وذلك لكونها موضوعة لفظاً ومعنى من قبل الشارع ، ولا دخل للعباد فيها .

يقول **الكفوي** ـــ رحمه الله ـــ : ((والاصطلاح : مقابل الشرع في عرف الفقهاء ، ولعل وجه ذلك أن الاصطلاح (افتعال) من (الصلح) للمشاركة كالاقتسام ، والأمور الشرعية موضوعات الشارع وحده لا يتصالح عليها بين الأقوام ...)).[4]

ولذلك نجد غالب الفقهاء خاصة المتقدمين منهم يعبرون بقولهم ((شرعاً)) ، فيقولون : الصلاة شرعاً ، والزكاة شرعاً ، إلى آخر ذلك .

يقول الشيخ **بكر أبو زيد** ـــ حفظه الله ـــ : ((.. كثيراً ما ترى لدى علماء الشريعة في تعريف ألفاظها قولهم : وهو ((شرعاً)) أي في معناه الشرعي ، وهو إخراج للشيء عن المعنى اللغوي إلى الحقيقة الشرعية ، وهي ما تلقي معناها عن الشارع ، وإن لم يتلق عن

---

(١) إرشاد الفحول (ص/٤٩) .

(٢) فقه النوازل ـــ المواضعة في الاصطلاح (١/١١٩) .

(٣) ينظر : المصدر السابق (١/١١٩-١٢٠) .

(٤) الكليات (ص/٢٩) .

الشارع : سمّي اصطلاحاً ، وعرفاً . وقد غلط جمع من المتأخرين في عدم الاعتداد بهذا التفريـق . والذي يتعين هو : التزامه فيما ورد به النص من كتاب أو سنة : فيقال فيه : تعريفه ((شرعاً)) ، ولا يقال : ((اصطلاحاً)) ؛ لأن الاصطلاح والمواضعة عليه إنما تكون من جماعة ، فالقول مثلاً في لفظ الصلاة تعريفها اصطلاحاً : هو كذا وكذا . إطلاقٌ فاسد لغةً وشرعاً . وإنما يقال : ((تعريفـــها شرعاً)) ..)).(١)

ويقول الأستاذ **محمد عمر بازمول** ـــ حفظه الله ـــ : ((ومما يجدر التنبيه إليه أنه لا يقال عن المعنى الشرعي : إنه معنى اصطلاحي ؛ إذ الاصطلاح ما كان عن اجتماع بعض الناس فتصالحوا على معنى ما في لفظ ، والمعنى الشرعي ليس كذلك ، إنما هو ما نتج عن استقرار الاستعمال الشـرعي لذلك اللفظ)).(٢)

هذا ما تيسر ذكره في هذا المطلب ، وقد تبين لنا من خلاله المفهوم الصحيح للمصطلـــح الشرعي ، والخلاصة في ضابط المصطلح الشرعي :

أن يكون منصوصاً عليه في الشرع ، إما في الكتاب ، أو في السنة ، فإن لم يكن موجوداً فيهما ، ((فلا مشاحة في الاصطلاح)) ، ولكن لا بد فيه من توفر أمرين :

الأول : عدم مخالفته للشريعة .

الثاني : جريانه على وفق لغة العرب .

يقول الشيخ **بكر أبو زيد** ـــ حفظه الله ـــ : ((ويمكن تكييف ضوابط المواضعة الصناعيـة بأمرين هما :

الأول : تنـــزيل المواضعات على مقاييس اللغة العربية وقواعدها ، لتحقيق سلامة المفردات ، وصحة الدلالة ، وباستقامة تأليف المركبات منها على وجه مقبول في لسان العرب ونسجها .

الثاني : تنـــزيلها على مقاييس الشريعة ، وقواعدها ، حتى تثبت على قرارة اليقين منها)).(٣)

وهذا آخر المقصود ، والله أعلم .

---

(١) فقه النوازل ـــ المواضعة في الاصطلاح (١/١٢٠) . وانظر كذلك : معجم المناهي اللفظية (ص/١٩٢) .

(٢) الحقيقة الشرعية (ص/٣١) .

(٣) فقه النوازل (١/١٤٧) .

المطلب الثاني
مصادر المصطلحات الشرعية

والمقصود بذلك معرفة المصادر التي تُؤخذ منها المصطلحات الشرعية ، ويُعتمد عليها في إثباتها ، وأماكن تواجد هذه المصطلحات ، وقد تكلم أهل العلم في ذلك وبينوا هذه المصادر ، ...

وهذه المصادر الجامعة للمصطلحات يؤخذ منها أمران :

الأول : لفظ المصطلح الشرعي .

الثاني : معنى المصطلح الشرعي .

وأما أن يؤخذ لفظه بمنأى عن معناه الشرعي ، ثم إحداث معانٍ مخالفة له ، فهذا هو عين الجهالة والضلالة .

ومن أعظم مصادر هذه المصطلحات الشرعية هو الكتاب العزيز ، والسنة النبوية المطهرة ، ففيهما كثير من الأسماء الشرعية التي يقوم عليها هذا الدين ، ...

يقول الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : « والحدود : هي حدود الأسماء المذكورة فيما أنزل الله من الكتاب والحكمة ؛ مثل حدود الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والمؤمن ، والكافر ، والزاني ، والسارق ، والشارب ، وغير ذلك حتى يعرف من الذي يستحق ذلك الاسم الشرعي ممن لا يستحقه ، وما تستحقه مسميات تلك الأسماء من الأحكام ».[1]

فبين ــ رحمه الله تعالى ــ أن الحدود في قوله تعالى : ﴿ الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ..﴾[التوبة : ٩٧] ، هي تلك الأسماء التي خاطب الله تعالى بها عباده ؛ فهذا نص في قوله تعالى : ما أنزل الله على رسوله . يبين أن هذه الأسماء منزلة من عند الله ، ...

---

[1] اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٤٦-١٤٧) .

ويبين الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ هذا المصدر العظيم ، مع بعض التفصيل لهذه الأسماء الشرعية فيقول : « ومما يجب معرفته أن الأسماء والألفاظ التي تعلق بها الأحكام الشرعية ؛ من الأمر والنهي ، والتحليل والتحريم ، والاستحباب والكراهة ، والمدح والذم ، والثواب والعقاب ، والموالاة والمعاداة : هي الألفاظ الموجودة في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ، ومعاني تلك الألفاظ وذلك مثل لفظ الإيمان ، والإخلاص ، والعبادة ، والكفر والشرك ، والهدى والضلال ، والرشاد والغي ، والعبادة ، والتوكل ، والشكر ، والصبر ، والنبوة والرسالة ، والتوكيل ، ونحو ذلك فأما الألفاظ التي لم توجد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تعلق لها بشيء من ذلك ، إلا إذا تبين أن معانيها موافقة لمعاني ألفاظ الكتاب والسنة ».[1]

فالكتاب والسنة من أعظم المصادر التي يتلقى منها المصطلحات الشرعية .

يقول الشيخ **بكر أبو زيد** ــ حفظه الله ــ : « وأجل ألفاظ هذا الطريق ما علم نقله بأصل الشرع كهذه الألفاظ . وكلفظ : التوحيد ، ونحو ذلك مما ورد إطلاقه بنص من القرآن أو السنة ، فهذا هو أصل المواضعات الشرعية ، ولا خيار لأحد فيه بتغيير ، أو تحريف ، أو تبديل ».[2]

ومن تلكم المصادر كلام الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ وكلام السلف الصالح . فإنهم قد اتفقوا على اصطلاحات عديدة في علم المواريث وغيره ، لم توجد ألفاظ هذه المصطلحات في الشرع ، وإنما الموجود أصول المعاني لهذه المصطلحات ، فحدوث الوقائع المستجدة ، التي لم تقع في زمان التشريع ، جعل الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ يتفقون ويتصالحون على ألفاظ، معانيها مستقاة من الشرع ، وهذه المصطلحات التي اصطلح عليها الصحابة حقٌ لا ريب في ذلك؛ إذ أن الأمة لا تجتمع على ضلالة ، ...

---

(١) الرد على البكري (٧٠٦/٢) .

(٢) فقه النوازل (١٤٣/١) .

يقول الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((وبالجملة فمعلوم أن الألفاظ نوعان : لفظ ورد في الكتاب والسنة أو الإجماع ، فهذا اللفظ يجب القول بموجبه ، سواء فهمنا معناه أو لم نفهمه ؛ لأن الرسول لا يقول إلا حقاً ، والأمة لا تجتمع على ضلالة)).[1]

فإذا اتفق الصحابة أو من بعدهم على لفظ أو تعبير ، ولم يخالف في ذلك أحد ، فالواجب قبوله ، فإن الأمة لا تجتمع على خلاف الحق ، ولا يجوز رده ، لا في لفظه ولا في معناه .

يقول الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((والرجوع إلى الصحابة في معاني الألفاظ متعين ، سواء كانت لغوية أو شرعية)).[2]

ولا ضير من إحداث ألفاظ ومصطلحات تتضمن حقاً ، وتدعو لها الحاجة ، بما ذكرناه من ضوابط سابقة ، فإنه لا مشاحة في الاصطلاح ، ...

يقول الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((وإحداث عبارة للدلالة على مقصود صحيح ، كإحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح)).[3]

ويقول العلامة **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((والاصطلاحات لا مشاحة فيها إذا لم تتضمن مفسدة)).[4]

وعليه فلا يجوز استيراد ألفاظ ومصطلحات ، عن أهل الكفر ، ونحن في غنى عن ألفاظهم ومصطلحاتهم ، بما أغنانا الله تعالى به ، فديننا من أفضل الأديان وأكملها ، ولغتنا من أفصح اللُّغات .

فالخلاصة إذاً أن مصادر المصطلحات الشرعية هي الكتاب والسنة ، ثم أقوال السلف وعلماء الشريعة ، على ضوء ما ذكرناه آنفاً من شروط وضوابط ، ويعلم بهذا أن الباب ليس مفتوحاً على مصراعيه ، لكنه مضبوط [5] ، ورحم الله علماء الإسلام ، وحماة الشريعة فما أحرصهم على هذا الدين .

---

(1) الفتاوى (٥/٢٩٨) .

(2) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (٩/٢٤٣) .

(3) درء التعارض (٧/١٦٠-١٦١) .

(4) مدارج السالكين (٣/٣٠٦) .

(5) ينظر : حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١/٨٧) .

المطلب الثالث
أهمية المصطلحات الشرعية ووجوب المحافظة عليها

المصطلحات الشرعية ذات حرمة عظيمة ، لاسيما ما كان منها منصوصاً عليه في الشرع ، ولكن قبل الكلام في بيان الواجب الشرعي حيال هذه المصطلحات ، لعلنا نتعرض في عجالة سريعة لبيان أهمية العلم بهذه المصطلحات ، في ألفاظها ومعانيها .

ثم ليعلم أن علماء الإسلام ما برحوا ومنذ أزمان بعيدة ، ودهور مديدة ، يحملون راية الدفاع عن الإسلام ، والحفاظ عليه في كل جزئياته ، عقيدة وشريعة، أصولاً وفروعاً ، وكان مما له نصيب من هذا الجهاد العظيم ، موضوع الأسماء الشرعية ، والحدود المرعية ، وسبب جهودهم في هذا المجال ، ما استقر في عقولهم من أهمية هذه الأسماء الشرعية ، وخطورة العبث بها .

وفيما يلي ، نذكر شيئاً مما يدل على أهمية هذه الأسماء الشرعية ، ومكانتها من دين الإسلام ، وأقوال بعض العلماء في ذلك .

أولاً : معرفة هذه الأسماء الشرعية تعتبر من مهمات العلوم، بل هي من أشرف العلوم، لما تضمنته من الفوائد العزيزة ، والمنافع الجمة ، إذ بها يحفظ الله تعالى هذا الدين ، وتحقق الأمة بها الوسطية التي تؤهلها للقيام بالشهادة على جميع الأمم ، ...

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : « فمن أشرف العلوم وأنفعها علم الحدود، ولا سيما حدود المشروع ، المأمور والمنهي ، فأعلم الناس أعلمهم بتلك الحدود ، حتى لا يدخل فيها ما ليس منها ، ولا يخرج منها ما هو داخل في مضمونها ومحتواها ، قال تعالى : ﴿الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله﴾ [التوبة : ٩٧] ، فأعدل الناس من قام بحدود الأخلاق والأعمال والمشروعات ؛ معرفة ، وفعلا .. »[(١)]

---

(١) الفوائد (ص/ ١٤١) .

فبين ــ رحمه الله ــ خطورة العبث بهذه الأسماء ، وما يحصل في حال الجهل بها ، من اللبس والتخليط، فتدخل فيها معانٍ فاسدة، وتخرج منها معانٍ هي من صميمها .

ثانياً: العلم بهذه الأسماء الشرعية من مهمات الدين ، فمنها ما هو فرض عين لا يستقيم الدين بدون معرفته والعمل به ، وبعضها ما تكون معرفته والعمل به كمالاً في الدين وزيادةً في الفضل ،...

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : « وهذه الحدود معرفتها من الدين في كل لفظ هو في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قد تكون معرفتها فرض عين ، وقد تكون فرض كفاية ، ولهذا ذم الله تعالى من لم يعرف هذه الحدود بقوله : ﴿ الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﴾[التوبة : ٩٧] ، والذي أنزله على رسوله فيه ما قد يكون الاسم غريباً بالنسبة إلى المستمع ؛ كلفظ ضيزى ، وقسورة ، وعسعس ، وأمثال ذلك ، وقد يكون مشهوراً لكن لا يعلم حده ، بل يعلم معناه على سبيل الإجمال ؛ كاسم الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ».[1]

ثالثاً : إن معرفة هذه الأسماء الشرعية تعتبر من معرفة الحدود التي أنزلها الله على رسوله ﷺ ، وقد ذمّ الله تبارك وتعالى من جهل هذه الحدود و لم يفقهها ، ...

يقول الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : « ومعرفة عموم الأسماء الموجودة في النص وخصوصها من معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله ، وقد قال تعالى : ﴿ الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﴾[التوبة : ٩٧] ».[2]

ويقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : « فالأولى بنا أن نذكر منازل العبودية الواردة في القرآن والسنة ، ونشير إلى معرفة حدودها ، ومراتبها ، إذ معرفة ذلك من تمام معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله ، وقد وصف الله تعالى من لم يعرفها بالجهل والنفاق فقال تعالى : ﴿ الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﴾[التوبة : ٩٧] ، فبمعرفة حدودها دراية ، والقيام بها رعاية ، يستكمل العبد الإيمان ، ويكون من أهل إياك نعبد وإياك نستعين ».[3]

---

(١) الفتاوى (٩/٩٥) .

(٢) الفتاوى (١٩/٢٨٩) .

(٣) مدارج السالكين (١/١٤٠) .

رابعاً : العلم بحدود الأسماء الشرعية هو العلم النافع ، بل هو أصل العلم ، إذ العلم هو مجموع هذه الأسماء الشرعية ، ولا ينتفع بالعلم من جهل هذه الأسماء ، بل هو في عداد الجاهلين ،...

يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله ــ : ((ولهذا كان معرفة حدودها ما أنزل الله على رسوله أصل العلم ، وقاعدته ، وأخيته التي يرجع إليها ، فلا يُخرج شيئاً من معاني ألفاظه عنها ، ولا يُدخل فيها ما ليس منها ، بل يعطيها حقها ، ويفهم المراد منها)).(١)

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((وهذا باب شريف ينتفع به انتفاعاً عظيماً في فهم ألفاظ القران، ودلالته، ومعرفة حدود ما أنزل الله على رسوله ، فإنه هو العلم النافع ، وقد ذم الله تعالى في كتابه من ليس له علم بحدود ما انزل الله على رسوله ، فإن عدم العلم بذلك مستلزم مفسدتين عظيمتين ، إحداهما أن يدخل في مسمى اللفظ ما ليس منه ، فيحكم له بحكم المراد من اللفظ ، فيساوي بين ما فرق الله بينهما ، والثانية أن يخرج من مسمى اللفظ بعض أفراده الداخلة تحته ، فيسلب عنه حكمه ، فيفرق بين ما جمع الله بينهما)).(٢)

خامساً : ومما يبرز أهمية معرفة هذه الأسماء الشرعية ، ما فيها من مصلحة العباد ، إذ عن طريقها يتعرفون على حقيقة مضامين هذه الأسماء الشرعية ، فيسلمون من تحريف الكلم عن مواضعه ، ويلتزمون بهذه الأسماء نفياً وإثباتاً ،...

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ : ((ومعرفة حدود الأسماء واجبة ؛ لأنه بها تقوم مصلحة بني آدم في النطق ، الذي جعله الله رحمة لهم ، لا سيما حدود ما أنزل الله في كتبه من الأسماء ، كالخمر والربا ، فهذه الحدود هي الفاصلة المميزة بين ما يدخل في المسمى ويتناوله ذلك الاسم ، وما دل عليه من الصفات ، وبين ما ليس كذلك ، ولهذا ذم الله من سمى الأشياء بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، فأنه أثبت للشيء صفة باطلة كإلهية الأوثان)).(٣)

---

(١) إعلام الموقعين (١/٢٢٠) .

(٢) بدائع الفوائد (١/١٢) .

(٣) الفتاوى (٩/٥٩) .

سادساً : العلم بهذه الأسماء الشرعية سبب من أسباب الألفة والاجتماع ؛ لما تميّزت به من العصمة والثبات ، بخلاف الأسماء المحدثة ، والألفاظ المحرّفة المبدّلة ، فإنها من أسباب الشقاق والجفاء ،...

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((والمقصود هنا أن الأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة المشتبهة ، لما فيها من لبس الحق بالباطل ، مع ما توقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة ، بخلاف الألفاظ المأثورة ، والألفاظ التي بينت معانيها ، فإن ما كان مأثوراً حصلت به الألفة ، وما كان معروفاً حصلت به المعرفة ، كما يروى عن **مالك** ــ رحمه الله ــ أنه قال ((إذا قل العلم ظهر الجفاء وإذا قلت الآثار كثرت الأهواء)) [1] فإذا لم يكن اللفظ منقولاً ولا معناه معقولاً ظهر الجفاء والأهواء ، ولهذا تجد قوماً كثيرين يحبون قوماً ويبغضون قوماً ، لأجل أهواء لا يعرفون معناها ولا دليلها ، بل يوالون على إطلاقها ، أو يعادون من غير أن تكون منقولة نقلا صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وسلف الأمة ، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها ، ولا يعرفون لازمها ومقتضاها ، وسبب هذا إطلاق أقوال ليست منصوصة ، وجعلها مذاهب يدعى إليها ، ويوالى ويعادى عليها)).[2]

ومن خلال ما سبق تظهر لنا أهمية هذه الأسماء الشرعية ، وما لها من مكانة عظيمة في هذا الدين ، وعليه فإن من أهم المهمات ، وأعظم الواجبات ، المحافظة على هذه الأسماء الشرعية ، والدفاع عنها ، في ألفاظها ومعانيها ، فإن لها عند الله حرمة عظيمة ، وقد توعد الله تعالى من حرّف الكلام وبدله ، بشديد العقاب وأليم العذاب ،...

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فاللفظ الذي أثبته الله أو نفاه حق ، فإن الله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، والألفاظ الشرعية لها حرمة ، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ، ليثبت ما أثبته ، وينفى ما نفاه من المعاني ، فانه يجب علينا أن نصدقه في كل ما أخبر ، ونطيعه في كل ما أوجب وأمر)).[3]

---

[1] رواه الإمام الهروي بسنده في ((أحاديث في ذم الكلام وأهله)) ، (٤/١٢٢) برقم (٨٨٢) ، بلفظ : ((ما قلت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء ولا قلت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء)). ولم أجده باللفظ المذكور .

[2] درء التعارض (١/٢٧١) .

[3] الفتاوى (١٢/١١٣-١١٤) .

ويقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ : ((فالمدافعة عن كلام الله ورسوله ، والذب عنه من أفضل الأعمال ، وأحبها إلى الله وأنفعها للعبد ، ومن رزقه الله بصيرة نافذة علم سخافة عقول هؤلاء المحرفين ، وأنهم من أهل الضلال المبين ، وأنهم إخوان الذين ذمهم الله بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ...)).[١]

والخلاصة أن الواجب حيال هذه الأسماء الشرعية المنصوص عليها أمور عدة :

أولاً : إثبات ألفاظها كما وردت والإيمان بها .

ثانياً : التعرف على مراد الله ورسوله منها ، والإيمان بذلك .

ثالثاً : صيانة هذه الأسماء من أن تدخلها المعاني الفاسدة المخالفة للشرع .

رابعاً : الحفاظ عليها بعدم تفريغها مما احتوته من معانٍ شرعية .

خامساً : الحذر من تبديل هذه الأسماء بأسماء أخرى حادثة، لا تخلو من محاذير شرعية.

هذا ما تيسر ذكره فيما يجب تجاه هذه الأسماء الشرعية ،...

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ : ((.. قيل ليس هذا شأن الحدود الشرعية ، فإنها مضبوطة ، لا يزاد عليها ولا ينقص منها ...)).[٢]

ما سبق ذكره من ضوابط إنما يتعلق بالمصطلحات الشرعية المنصوص عليها في الكتاب والسنة ، وأما ما أحدثه الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ ومن بعدهم من التابعين ، وعلماء الإسلام، من مصطلحات لم توجد في القرآن والسنة ، فالواجب نحوها كما يلي :

أولاً : إن كان ما اصطلحوا عليه محل إجماع بينهم واتفاق ، فإنه يكاد يلحق بالمنصوص عليه ؛ إذ أن الأمة لا تجتمع على ضلالة ، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ سابقاً .

ثانياً : وأما ما لم يكن محل إجماع، فالواجب النظر فيه من حيث موافقته للشرع ، فإن خالفه رُدَّ ، وإن وافقه قُبِلَ ،...

---

(١) الصواعق المرسلة (٣٠٢/١) .

(٢) حاشية ابن القيم على السنن (٨٧/١) .

يقول الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : « فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل ، ويراعون أيضاً الألفاظ الشرعية ، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ، ردوا عليه ، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً نسبوه إلى البدعة ».[1]

وهذا المصطلح الذي وافق الشرع وتضمن حقاً ولم يكن محل إجماع ، لا يعتبر ملزماً لأحد في قبوله أو استعماله ، أعني من ناحية استعمال اللفظ ، وإلا فالمعنى لا إشكال فيه لموافقته للشرع .

يقول الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : « والمنازعات في الألفاظ التي لم ترد بها الشريعة ، لا حاجة بنا إليها ، بل المقصود المعنى ، نعم إلا (إذا) [2] كان اللفظ شرعياً كنا مأمورين بحفظ حده ، كما قال تعالى : ﴿ الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﴾[التوبة : ٩٧] ... ».[3]

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ كذلك : « وما زال أهل العلم إذا انتهى النزاع بينهم إلى الألفاظ ، مع اتفاقهم على المعاني ، يقولون : هذا نزاع لفظي ، والنزاع اللفظي لا اعتبار به ، يستهينون بالنزاع في الألفاظ إذا وقع الاتفاق على المعاني ».[4]

هذا آخر ما تيسر وبالله التوفيق .

---

(١) درء التعارض (١/٢٥٤) .

(٢) زيادة مهمة ليستقيم المعنى .

(٣) الفتاوى الكبرى (٥/٢١٥) .

(٤) تلخيص كتاب الاستغاثة (١/٢٦٣) .

المبحث الثالث

في مفهوم السلف

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف السلف لغةً .

المطلب الثاني : تعريف السلف اصطلاحاً وبيان ضابط ذلك .

المطلب الثالث : ضرورة التقيُّد بفهم السلف .

المطلب الأول
تعريف السلف لغةً

أصل الكلمة : كلمة السَّلف مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو (سَلَفَ).[١]

تصريفها : السَّلَف على وزن (فَعَل) ، مصدر سماعي من الفعل الثلاثي (سَلَفَ) ، يقال : (سَلَفَ يَسْلُفُ سَلَفاً وسُلُوفاً) ، من باب نصر ينصر، وقيل : السَّلَف أيضاً : جمع سالف ، كخَالِفٍ وخَلَفٍ .[٢]

معناها لغة : ذكرت في معاجم اللغة معانٍ كثيرة ، منها :-

١. السَّلف : الجماعة المتقدمون ، وسلفُ الرجل : آباؤه المتقدمون ، والسالف : هو المتقدم ، والتسليف : التقديم ، والسَّلَفُ : السَّلم وهو القرض ، والسَّلف أيضاً : كل عمل قدَّمه العبد .[٣]

هذه من أهم المعاني ، وجميعها يتضمن معنى التقدم ، ولذا يقول ابن فارس ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((السين واللام والفاء أصلٌ يدلُّ على تقدم وسبق)).[٤] ولعل أقربها إلى ما نحن بصدده : الجماعة المتقدمون ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٩٥/٣) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (١٣٧٦/٤-١٣٧٧) ، تصريف الأسماء (ص٥١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٢٧) .

(٣) ينظر هذه المعاني وغيرها في : الصحاح (١٣٧٦/٤-١٣٧٧) ، لسان العرب (٣٣٠/٦-٣٣٣) .

(٤) مقاييس اللغة (٩٥/٣) .

المطلب الثاني
تعريف السلف اصطلاحا وبيان ضابط ذلك

أما عن المفهوم الاصطلاحي لكلمة السلف فكما ذكرنا من قبل أن من شأن المصطلحات الشرعية أن تكون مبنية على المعاني اللغوية التي أخذت منها ، ومما ذكرناه من المعاني : الجماعة المتقدمون ، وهذا معنى لغوي عام ، يدخل فيه كل من تقدَّم على غيره فهو من سلف ذلك الغير ، ولكن هل هذا هو المعنى الاصطلاحي لكلمة السلف ؟ ، أم هي قاصرة على زمان بعينه ، وأشخاص بذواتهم ، ...

الذي يظهر أن المفهوم الاصطلاحي لكلمة السلف ، لا يعدو فترة زمنية ، ولا حقبة تاريخية ، بل هو مفهوم قاصر على جماعة معينة ، عاشوا في زمان معين ، وتميّزوا بمواصفات خاصة .

ومع ذلك فلم تتفق أقوال العلماء في تحديد تلك الفترة الزمنية، التي تجسّد ذاك المفهوم، والناظر في أقوالهم في تحديد تلك الفترة ، تبدو له ثلاثة أقوال ، هي كما يلي :-

القول الأول : المراد بالسلف : هم الصحابة فقط [(١)] .

القول الثاني : المراد بالسلف هم الصدر الأول من التابعين فقط ، وممن لمح إليه الشيخ **المباركفوري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ ، حيث يقول : ((وقيل : سلف الإنسان من تقدمه بالموت؛ من الآباء، وذوي القرابة؛ ولذا سمي الصدر الأول من التابعين : بالسلف الصالح)).[(٢)]

---

(١) يقول الشيخ الدكتور محمد باكريم : ((وهو قول عدد من شراح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني))[وسطية أهل السنة (ص/٩٧)] .

يقول صاخ الأزوري ـــ صاحب الثمر الداني شرح رسالة أبي زيد القيرواني ـــ في شرحه للرسالة في قول أبي زيد : ((واتّباع السلف ..)) . يقول : ((أي يجب اتباع السلف الصالح وهم الصحابة في أقوالهم وأفعالهم ...)) ، وكأنه رجع عن قوله في آخر شرحه للرسالة ، فجعل السلف هم أصحاب القرون الثلاثة الأُوَلْ ، ينظر : الثمر الداني [(ص ٢٤ ، ٧٢٢)] .

(٢) تحفة الأحوذي (١٣٥/٤) .

ومما يؤيد ذلك قوله ـــ رحمه الله تعالى ـــ في موضع آخر : ((فإن القـــــرن الأول والسلف بعدهم تحرجوا واحترزوا أن يطلقوا ....)).[١]

القول الثالث : أن المراد بهم : الصحابة والتابعون . رجحه أبو حامد الغزالي .[٢]

وقال بهذا القول ، الإمام **ابن رجب الحنبلي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ حيث أشار إليـــه بقوله : ((وكذلك سير السلف الصالح، أهل العلم والإيمان ، من الصحابة ، والتابعين)).[٣]

وممن أشار إلى أن السلف : هم الصحابة والتابعون فقط ، كل من الإمام ابن عبد البر والنووي والحافظ ابن حجر ـــ رحمهم الله تعالى ـــ .[٤]

لكن مجرد الإشارة خلال الكلام قد لا تكفي في نسبة القول ، بخلاف ما لو نصّ على ذلك .

القول الرابع : أن المراد بالسلف هم : الصحابة ، والتابعون ، وتابعوهم ، وهذا قول كثير من العلماء ، وهو الراجح إن شاء الله ، وممن قال به : شيخ الإسلام ابن تيمية ، والإمام السفاريني ، والشوكاني ، وغيرهم .

وهذا القول يجعل مفهوم السلف يعني القرون الثلاثة التي فضلها ﷺ على غيرها ، حيث قال ﷺ : ((خير الناس قرني ، ثم الذين يونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته)) ..)).[٥]

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((ونقل أقوال السلف من القرون الثلاثة ، ومن نقل أقوالهم في إثبات أن الله فوق العرش يطول ، ولا يتسع له هذا الموضـــــع ..)).[٦]

---

(١) تحفة الأحوذي (٤/٤٩٩) .

(٢) يقول في كتابه إلجام العوام عن علم الكلام : ((واعلم أن الحق الذي لا مراء فيه ، عند أهل البصائر هو مذهب السلف ، أعني : مذهب الصحابة والتابعين))[إلجام العوام (ص/٥٣)] .

(٣) التخويف من النار (ص/٦) .

(٤) ينظر : التمهيد (٢٢/٢١٨) ، شرح مسلم ، للنووي (١/٢٤٥) ، فتح الباري (٤/١٤٨) .

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٢/٩٣٨) برقم (٢٥٠٩) ، وكذا مسلم في الصحيح (٤/١٩٦٣) برقم (٢٥٣٣) .

(٦) بيان تلبيس الجهمية (٢/٤١) .

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : «.. وقلت له مذهب أهل الحديث ، وهم السلف من القرون الثلاثة ، ومن سلك سبيلهم من الخلف ...».[١]

ويقول الإمام **السفاريني** ــ رحمه الله تعالى ــ : « المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام ــ رضوان الله عليهم ــ وأعيان التابعين لهم بإحسان ، وأتباعهم ، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة ، وعرف عظم شأنه في الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف ، دون من رمي ببدعة ، أو شُهر بلقب غير مرضي ؛ مثل الخوارج ، والروافض ، والقدرية ، والمرجئة ، والجبرية ، والجهمية ، والمعتزلة ، والكرامية ، ونحو هؤلاء ..».[٢]

ويقول الإمام **الشوكاني** ــ رحمه الله تعالى ــ : « وبهذا الكلام القليل الذي ذكرنا نعرف أن مذهب السلف من الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ ، والتابعين ، وتابعيهم ، وهو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها دون تحريف لها ولا تأويل ».[٣]

وكما ذكرنا فإن الراجح والصحيح : هو قول من قال : بأن السلف هم أصحاب القرون الثلاثة ، التي مدحها ﷺ ، وأثنى عليها ، ...

يقول الشيخ **محمد أمان الجامي** ــ رحمه الله تعالى ــ : « عندما نطلق كلمة السلف إنما نعني بها من الناحية الاصطلاحية : أصحاب رسول الله ﷺ الذين حضروا عصره فأخذوا منه هذا الدين مباشرة غضاً طرياً في أصوله وفروعه ، كما يدخل في هذا الاصطلاح : التابعون لهم ، الذين ورثوا علمهم قبل أن يطول عليه الأمد ، والذين شملتهم شهادة الرسول لهم ، وثناؤه عليهم بأنهم ((خير الناس)) ، حيث يقول ﷺ : ((خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ......)) [٤] ، كما يشمل الاصطلاح تابعي التابعين ».[٥]

---

(١) الفتاوى (٦/٣٥٥) .

(٢) لوامع الأنوار (١/٢٠) .

(٣) التحف في مذاهب السلف (ص/٧) .

(٤) سبق تخريجه قريباً .

(٥) الصفات الإلهية (ص/٥٧) .

ويقول الدكتور **محمود خفاجي** : ((فإنني أرى أن من يحدد السلف بالصحابة ، والتابعين ، وتابعي التابعين هو الصواب وذلك لموافقته الأثر من ناحية ، ولما نجده من الاتفاق بين من يذكرون السلف بطريقة الاسم من عدّ تابعي التابعين من ناحية أخرى ....)).(١)

إذاً هذا هو القول الصحيح في مفهوم السلف ، أنهم أصحاب القرون الثلاثة ،...

كما أن الإمام ابن تيمية يُدخل في مفهوم السلف : أئمة الإسلام عموماً ، المشهود لهم بالخير والصلاح ، كالإمام أحمد بن حنبل ، والإمام الشافعي ، وغيرهم ـــ رحم الله تعالى الجميع ـــ وذلك من باب اتباعهم أهل القرون الثلاثة ، واقتفائهم آثارهم .

يقول الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((والمقصود أن هذين القولين لا يقدر أحد أن ينقل واحداً منهما عن أحد من السلف ، أعني الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، وسائر أئمة المسلمين المشهورين بالعلم والدين ، الذين لهم في الأمة لسان صدق في زمن **أحمد بن حنبل** ، ولا زمن **الشافعي** ، ولا زمن **أبي حنيفة** ، ولا قبلهم ...)).(٢)

ويقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً : ((وأما السلف ، كالإمام **أحمد** وغيره ، فلفظ الغير عندهم يراد به هذا ويراد به هذا ...)).(٣)

ولكن هنا تنبيه لا بد منه وهو هل كون الشخص قد عاش في تلك العصور المفضلة يستوجب أن يكون من السلف ، وينال من الفضيلة التي خصها رسول الله ﷺ بتلك الفترة ...،

من المعلوم أن الذي يرفع الإنسان ، ويرتقي به، ويعلي شأنه، إنما هو الإيمان والتقوى، فلا فضل لجنس على جنس ، ولا للون على لون إلا بالتقوى والعمل الصالح ، فهذه الأزمنة والأمكنة ـــ بحد ذاتها ـــ لا تقدّس أحداً من الناس، مهما كان ، فهي لا ترفع أهل الإيمان ، وتُعْلِي درجتهم، كما أنها لا تخفض أهل الكفر والعناد والعصيان، وإنما الذي يقدّس الإنسان، ويرفعه : هو عمله الذي قدَّمه ، إن خيراً فمرفوع ، وإن شراً فموضوع في عداد الأسفلين الأرذلين .

---

(١) العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة (ص/٢١) .

(٢) الفتاوى (٨٧/١٧) .

(٣) منهاج السنة النبوية (٥٤٢/٢) .

يقول الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وكثير من أهل الشام لو خرجوا عنها إلى مكان يكونون فيه أطوع لله ولرسوله لكان أفضل لهم ، وقد كتب أبوالدرداء إلى سلمان الفارسي رضى الله عنهما يقول له : هلم إلى الأرض المقدسة ، فكتب إليه سلمان : ((إن الأرض لا تقدس أحداً ، وإنما يقدس الرجلَ عملُه)) [١] ، وهو كما قال **سلمان الفارسي** ، فإن مكة حرسها الله تعالى أشرف البقاع ، وقد كانت في غربة الإسلام دار كفر وحرب يحرم المقام بها ، وحرم بعد الهجرة أن يرجع إليها المهاجرون فيقيموا بها ، **وأما الفضيلة الدائمة في كل وقت ومكان ففي الإيمان ، والعمل الصالح** ، كما قال تعالى ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ﴾[البقرة : ٦٢]...)).[٢]

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((ولهذا كان أفضل الأرض في حق كل إنسان أرض يكون فيها أطوع لله ورسوله ، وهذا يختلف باختلاف الأحوال ، ولا تتعين أرض يكون مقام الإنسان فيها افضل ، وإنما يكون الأفضل في حق كل إنسان بحسب التقوى والطاعة والخشوع والخضوع والحضور ...)).[٣]

وعلى ذلك فليس كل من وجد وعاصر تلك الحقبة الزمنية يعتبر من السلف ، ولذلك تنبّه **السفاريني** ــ رحمه الله تعالى ــ إلى ذلك ، فوضع شروطاً وقيوداً تحدد المعنى الدقيق لكلمة السلف [٤]، ...

إذاً فالواجب علينا الانتباه لهذا الأمر ، وأن لا نقبل كلاماً من أحد ولو كان ممن عاش في تلك القرون ، حتى نعرضه على الكتاب والسنة .

---

[١] رواه مالك في الموطأ (٢/٧٦٩) برقم : (١٤٥٩) . يقول الزرقاني ــ رحمه الله ــ في شرح هذا الأثر : ((إن الأرض لا تقدس أحداً : لا تطهره من ذنوبه ولا ترفعه إلى أعلى الدرجات ، وإنما يقدس الإنسان عمله الصالح في أي مكان)) [شرح الزرقاني على الموطأ (٤/٩٣)] .

[٢] الفتاوى (٢٧/٤٤-٤٥) .

[٣] الفتاوى (١٨/٢٨٣) .

[٤] ينظر إلى كلام السفّاريني السابق (ص/٤٩) .

فالخلاصة أن هناك ضابطين لمصطلح السلف :

الأول : أن يكون صاحبه ممن أدرك القرون الثلاثة المفضلة ؛ فإما أن يكون صحابياً، أو تابعياً ، أو من أتباع التابعين .

الثاني : أن يكون ممن عرف بالإيمان، وصحة المعتقد ، وسلامة المنهج ، والتقــوى ، والعمل الصالح ، واشتهر بين من يعيش معهم بذلك .

هذا هو الضابط الذي ينبغي التزامه في مفهوم السلف ، والله أعلم .

****

المطلب الثالث
ضرورة التقيد بفهم السلف

أرسل الله تعالى إلى العرب رسولنا محمداً ﷺ ، خاتم الرسل وأفضلهم ، وهو عربي ولسانه عربي ، فبلّغ ﷺ كل ما أمر بتبليغه ، من الكتاب والسنة ، وفهم الصحابة رضوان الله عليهم هذا الدين حق الفهم ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأتم عليهم النعمة بإكمال هذا الدين ، ورضي لهم الإسلام ديناً .

وهكذا استمرت الأمة في عزة وعافية وإباء ، ـــ متمسكة بكتاب ربها ، وسنة نبيها محمد ﷺ ، ووحدة صفها ، بعيدة عن الأهواء المضللة ، والفهوم الفاسدة الكاسدة ـــ إلى ما شاء الله ، ثم ظهرت فيهم البلايا والمحن ، « وتفرقوا شذر مذر »[1] ، ورجعوا القهقرى إلى هوان وذلة بعد قوة وعزة ، وما ذلك إلا لبعدهم عن النبع الصافي ، والنور المبين المتلألئ ، كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، وفق منهج قويم وعلى فهم سليم .

والناظر في حال هذه الفرق ، التي لم يحالفها توفيق الله تعالى ، فضلّت السبيل ، وتنكّبت الطريق، ليعجب أشد العجب من ادعاء كل واحدة منها أنها على الحق والصواب، بل ينسبون أنفسهم للسلف الصالح بكل جرأة ، وما ذلك إلا لجهلهم بمذاهب السلف ، ثم هم كما قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** يعتقدون أن ما ذهبوا إليه حقاً ، وأن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً ، فهم إذاً على مذهب السلف ، فهم بهذه النتائج الفاسدة التي بنوها على مقدّمات مهلهلة طالحة، فانهارت بهم في غيابات الضلال، وسراديب الظُّلم ، وجرأتهم على هذه النسبة لمذهب السلف ،...

يقول الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « ومن المعلوم أن مذهب السلف إن كان يعرف بالنقل عنهم ، فليرجع في ذلك إلى الآثار المنقولة عنهم ، وإن كان إنما يعرف بالاستدلال المحض ، بأن يكون كل من رأى قولاً عنده هو الصواب ، قال هذا قول

---

[1] معجم الأمثال العربية (٢/٤٥٠) .

السلف ؛ لأن السلف لا يقولون إلا الصواب ، وهذا هو الصواب ، فهذا هو الذي يجرئ المبتدعة على أن يزعم كل منهم أنه على مذهب السلف ، فقائل هذا القول قد عاب نفسه بنفسه حيث انتحل مذهب السلف بلا نقل عنهم ، بل بدعواه أن قوله هو الحق)).[1]

فالحاصل أن جميع هذه الفرق والطوائف الإسلامية تنتحل مذهب السلف ، وهو بريء منهم لا يُقرّ لهم بذاك .

فهم وإن كان فيهم من عنده نصيب من معرفة الكتاب والسنة ، إلا أنهم خواء من الفهم الصحيح لهما ، وأنى لهم ذلك فهم من أجهل الناس بفهم السلف .

يظهر لكل ذي عينين مما سبق، أنه لا يصح لأحد من الناس أن يقيم هذا القرآن والسنة، معرفة واعتقاداً وعملاً وسلوكاً ، بمنأى عن فهم السلف ، وفي مقدمتهم صحابة النبي ﷺ ثم من بعدهم كما علم سابقاً ، ولكن لماذا التقيد بفهم السلف ؟ ، ألا تكفي عقولنا وأفكارنا ولغتنا في فهم القرآن والسنة ؟ ، أقول نعم لا تكفي ما لم يكن فهم السلف هو الأصل والأساس ، وكم وكم من أرداه عقله وأورده المهالك ، وأدخله في حيرة وتخبط ، وافتراء عظيم على الشرع والدين ، والله المستعان .

أرجع فأقول لماذا التقيد بفهم السلف ؟ . وهل فيه من ميزة تميّز بها ؟ .

الجواب هو أن نقول : إن تقيدنا بفهم السلف في أمور الدين، ليس ناتجاً عن فراغ، وإنما له أسباب كثيرة ، تجعلنا لا نحيد عن هذا الفهم قيد أنملة ، ونوقن أيما إيقان بأن فهمهم هو الفهم الصحيح ، وفيما يلي نتطرق لبعض الأمور التي اختص بها السلف عن غيرهم ، لا سيما الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، وبها صار اقتفاء آثارهم من أوجب الأمور ،...

أولاً : ما تميزوا به من الفصاحة والبلاغة ، واستقامة اللسان ، فهم عرب أقحاح ، والعربية لغتهم ، والقرآن عربي مبين ، ورسولهم من أنفسهم ، بل هو من أفصحهم ﷺ ، فصاروا بذلك على درجة كبيرة من التهيئة لفهم هذا الدين .

ثانياً : ما تميزوا به من معاصرتهم للوحي ، ومشاهدتهم للتنزيل ، ومعرفتهم بالوقائع وأسباب النزول ، كل ذلك يجعل فهمهم للنصوص في غاية الدقة والتأصيل ، وهذا خاص بعصر الصحابة رضي الله عنهم .

---

[1] الفتاوى (٤/١٥١) .

ثالثاً : ما تميزوا به من إرادة الله الكونية من كونهم لا يجتمعون على خطأ أبداً ، ولا على باطل أصلاً ، وذلك لقوله ﷺ : ((... سألت الله عز وجل أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها ...)).[1] ، وهذه نعمة عظيمة اختص الله تعالى بها هذه الأمة ، فمذهب السلف لا يكون إلا حقاً وصواباً ،...

يقول الإمام **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق ، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً ، فإن كان موافقا له باطناً وظاهراً فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطناً وظاهراً ، وإن كان موافقاً له في الظاهر فقط دون الباطن ، فهو بمنزلة المنافق، فتقبل منه علانيته وتوكل سريرته إلى الله، فإنا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس، ولا نشق بطونهم)).[2]

ويقول أيضاً : ((وأما هذه الأمة المرحومة ، وأصحاب هذه الأمة المعصومة ، فإن أهل العلم منهم والدين هم من أمرهم على يقين ، فظهر لهم الصدق من المين ، كما يظهر الصبح لذي عينين ، عصمهم الله أن يجمعوا على خطأ في دين الله ؛ معقول أو منقول ، وأمرهم إذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلى الله والرسول)).[3]

رابعاً : ما تميزوا به ـ رحمهم الله تعالى ـ من رجاحة العقل ، وحدة الذهن ، وثقابة الفهم ، وشدة الذكاء ، وسرعة الإدراك ، كيف لا وهم صفوة العرب وزبدتها ، بعد نبيها محمد ﷺ، اصطفاهم الله لصحبته ﷺ، ومن نظر في كلامهم تبين له من ذلك الشيء الكثير.

---

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٩٦/٦) برقم : (٢٧٢٦٧) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٨٠/٢) برقم : (٢١٧١) ، كلاهما من حديث أبي بصرة الغفاري ، ورواه أبو داود (٩٨/٤) برقم : (٤٢٥٣) ، من حديث أبي مالك الأشعري . ورواه الترمذي (٤٦٦/٤) برقم : (٢١٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنه بلفظ : ((إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد ﷺ على ضلالة ..)) ، ثم قال أبو عيسى هذا حديث غريب من هذا الوجه . ورواه ابن ماجة (١٣٠٣/٢) برقم : (٣٩٥٠) من حديث أنس بن مالك بلفظ : ((إن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم)) ، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه موقوفاً على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٤٥٧/٧) برقم : (٣٧١٩٢) ، بلفظ : ((... وعليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع أمة محمد على ضلالة ..)) .

(2) الفتاوى (١٤٩/٤) .

(3) الفتاوى (٩/١) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ : ((قلت : ... فإن السلف كانوا أعظم عقولاً ، وأكثر فهوماً ، وأحد أذهاناً، وألطف إدراكاً ، كما قال عبد الله بن مسعود : ((من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ؛ أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)) [١] ، وقد تواترت النصوص عن النبي : بأن خير قرون هذه الأمة القرن الذي بعث فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وأعظم الفضائل فضيلة العلم والإيمان فهم أعلم الأمة باتفاق علماء الأمة)).[٢]

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((والمقصود هنا أن السلف كانوا أكمل النـــاس في معرفة الحق ، وأدلته ، والجواب عما يعارضه ، وإن كانوا في ذلك درجات ، وليس كل منهم يقوم بجميع ذلك ، بل هذا يقوم بالبعض ، وهذا يقوم بالبعض ، كما في نقل الحديث عن النبي وغير ذلك من أمور الدين)).[٣]

وما دام أنهم بهذه الدرجة في عقولهم وأفهامهم ، مع ملاحظة أنه لم يوجد ولن يوجد عصر من العصور تجد فيه ما يقارب تلك العقول : ويناظر هاتيك الفهوم ، فضلاً عن مساواتها ، فبأي مسوّغ بعد ذلك نطرح تلك العقول الكبيرة ، والفهوم المنيرة .

خامساً : ما أمرنا الله تعالى به في كتابه، وكذا رسوله ﷺ في سنته؛ من اتباع ســبيلهم، واقتفاء آثارهم ، والاهتداء بهديهم، ورتب على ذلك من المنافع العظيمة للمتبعين سبيلهم ، وبين جل وعز ما يلحق المتنكبين عن سبيلهم من شديد العقاب وأليم العذاب .

يقول الله تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾[النساء : ١١٥]

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٤٧) برقم : (١٨١٠) عن ابن مسعود بلفظ ((من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ..)) ، ورواه الأصبهاني في الحجة (/) ، وروي الأثر عن ابن عمر رضي الله عنه بلفظ ((من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد ...)) ، ينظر : ((جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٤٧-٩٤٨) بتحقيق أبي الأشبال الزهيري .

(٢) درء التعارض (٧/٢٨٧) .

(٣) المصدر السابق (٧/١٧٢) .

يقول الإمام الطبري ـــ رحمه الله تعالى ـــ في تفسيره لهذه الآية : ((ويتبع غير سبيل المؤمنين ، يقول : ويتبع طريقاً غير طريق أهل التصديق ، ويسلك منهاجاً غير منهاجهم ، وذلك هو الكفر بالله ؛ لأن الكفر بالله ورسوله غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم)).

ولا شكَّ أن أولى من يستحق الوصف بالإيمان والتصديق هم صحابة النبي ﷺ .

ويقول الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ مبيناً أمر الله تعالى لعباده باتباع سبيل السلف : ((.. قال الله تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾[النساء : ١١٥] ، وقد شهد الله لأصحاب نبيه ﷺ ومن تبعهم بإحسان بالإيمان . فعلم قطعاً أنهم المراد بالآية الكريمة ، فقال تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾[التوبة : ١٠٠] ، وقال تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾[الفتح : ١٨] .

فحيث تقرر أن من اتبع غير سبيلهم ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم)).[1]

فحذر الله تعالى من مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين، وكلاهما يستلزم الآخر ، فمن وقع في المشاقة ، فجعل نفسه في جانب وجعل الرسول ﷺ في جانب آخر ، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين ؛ لأنهم في الجانب الذي فيه الرسول ﷺ ، ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقق الرسول ﷺ ؛ إذ هو الأصل في سبيلهم ،...

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((فهكذا مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين ، ومن شاقه فقد اتبع غير سبيلهم ، وهذا ظاهر ، ومن اتبع غير سبيلهم قد شاقه أيضاً ، فإنه قد جعل له مدخلاً في الوعيد فدل على أنه وصف مؤثر في الذم ..)).[2]

فتبين مما سبق أن فهم السلف له من المكانة العظيمة ، والمرتبة العلية ، والدرجة الشريفة في هذا الدين، ونقول الواجب اتباع فهمهم وهديهم في كل ما يتعلق بالدين، صغيراً كان أم كبيراً، من عقيدة ، وعبادة ، وسلوك ،...

---

(١) الفتاوى (٤/١-٢) .

(٢) الفتاوى (١٩/١٩٤) .

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((.. لأن المراد بسبيلهم اعتقاداتهم وأفعالهم ...)).[١]

وليعلم أن كل من خالف طريقة السلف التي ساروا عليها، فإن مآله إلى الضلال والغي، والحيرة والتناقض ،...

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فكل من أعرض عن الطريقة السلفية النبوية الشرعية الإلهية ، فإنه لابد أن يضل ويتناقض ، ويبقى في الجهل المركب ، أو البسيط)).[٢]

وهذا آخر المراد ، والله أعلم .

---

[١] منهاج السنة النبوية (٣٤٨/٨) .

[٢] درء التعارض (٣٥٦/٥) .

الباب الأول
توحيد الله تعالى .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : بيان بالتوحيد عموماً .

الفصل الثاني : بيان ما يتعلّق بتوحيد الألوهية .

الفصل الثالث : موقف خصوم أهل السنة من توحيد الألوهية .

الفصل الأول
بيان بالتوحيد عموماً

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف التوحيد

المبحث الثاني : ذكر تقسيمات التوحيد وأدلة ذلك .

المبحث الأول

تعريف التوحيد

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف التوحيد لغةً .

المطلب الثاني : تعريف التوحيد شرعاً .

المطلب الأول
التوحيد لغةً

التوحيد مشتق من (وَحِدَ).[١] . والتوحيد على وزن (تَفْعِيل) وهو مصدر للفعل الثلاثي المزيد بتضعيف العين فيه ،ومادته وحد، مثال واوي، وهو من باب عَلِم، وَحِدَ ـ يَحِدُ ، والتوحيد تفعيل للنسبة كالتصديق والتكذيب لا للجعل[٢]

وأصل هذه الكلمة يدل على الانفراد والتفرد ، كما قال ابن فارس في مادة (وحد) : ((أصل واحد يدلّ على الانفراد، من ذلك الوَحْدَة ، وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله)).[٣]

وعرفه **الجرجاني** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد،والعلم بأنه واحد)).[٤]

ويتبين من كلام أهل اللغة أن مادة (وحد) تدور حول انفراد الشيء وعدم وجود المثيل له .

---

(١) مقاييس اللغة (٦/٩٠) .

(٢) لوامع الأنوار (١/٥٦) .

(٣) معجم مقاييس اللغة (٦/٩٠) .

(٤) التعريفات (ص/٦٩) .

المطلب الثاني
التوحيد شرعاً

سيأتي ــ بإذن الله تعالى ــ الكلام على معنى التوحيد في الشرع في مكانه بتوسع ، وأما في هذا الموضع فاقتضى الحال التطرّق لمعنى التوحيد شرعاً، ولو بشيء من الاختصار ؛ كي يكون عند القارئ بعض التصور لما نحن بصدده .

اعلم رحمك الله أن التعريف الأمثل لتوحيد الله تعالى ، هو الذي اجتمعت فيه أركان التوحيد وأنواعه، ولذلك فإني أكتفي بذكر تعريفين جمعا هذه الأنواع ، الأول منهما للشيخ **سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ حيث يقول : « وسمي دين الإسلام توحيداً ؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له ، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له ، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين ».[1]

والتعريف الثاني **للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي** ــ رحمه الله تعالى ــ يقول فيه : « حدُّ التوحيد الجامع لكل أنواعه : هو علم العبد ، واعتقاده ، واعترافه وإيمانه بتفرد الربّ بكل صفة كمال ، وتوحُّده في ذلك ، واعتقاد أنه لا شريك له ، ولا مثيل له في كماله ، وأنه ذو الأُلوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، ثم إفراده بأنواع العبادة ، فدخل في هذا التعريف أقسام التوحيد الثلاثة ».[2]

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/١٧) .

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (تفسير/٣/٦١) .

المبحث الثاني
تقسيمات التوحيد وأدلة ذلك

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تقسيمات التوحيد .

المطلب الثاني : أدلة هذه التقسيمات .

المطلب الأول
تقسيمات التوحيد

الناظر في كلام بعض العلماء ، فيما يتعلّق بتوحيد الله تعالى ، وأنواعه وتقسيماته ، وذلك بعد جمع مُتفرِّقه ، وتأليف شتاته ، يتبيّن له أن هذه التقسيمات ليست من الأمور المنصوص عليها في الشرع لفظاً ، وإنما هي عبارة عن استنباط بعد استقراءٍ لنصوص الشرع ، قصدوا به إبراز هذه الأقسام ، والتنويه إلى أهميّتها ، وتسهيل فهمها ومعرفتها ، وبِنَاءً على ذلك ، فقد تنوَّعت تراجم العلماء ، وتعدَّدت أساليبُهم في التعبيرِ عن تلكم الأنواع والتقسيمات ، بحسب المتعلقات والاعتبارات التي نظر إليها كلٌ منهم ؛ فمنهم من قسَّمه إلى قسمين ، وبعضهم إلى ثلاثة أقسام ، والبعض قسَّمه إلى أربعة أقسام ، وفيما يلي أسوق لك أخي القارئ ما وقفت عليه من تقسيمات ، وأنواع ، ومسمّيات تتعلّق بتوحيد الله تعالى مشفوعةً بأقوال من عبَّر بها ، أو استعملها :-

● فمن العلماء من قسَّمه إلى قسمين :

الأول : توحيد المعرفة والإثبات .

الثاني : توحيد الطلب والقصد .

يقول الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((وهو نوعان توحيد في المعرفة والإثبات وتوحيد في المطلب والقصد)).[١]

ويقول الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ـ رحمه الله ـ : ((وإن شئت قلت التوحيد نوعان : توحيد في المعرفة والإثبات ، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وتوحيد في الطلب والقصد ، وهو توحيد الإلهية والعبادة)).[٢]

---

(١) مدارج السالكين (٣/٤٤٩) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص/١٧) .

فسمّي بتوحيد المعرفة والإثبات : أي أن في هذا النوع من التوحيد ، التعرُّف على ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وملكه ، وإثباتها من غير نقص .

وسمّي بتوحيد الطلب والقصد : لأن العبد يتوجه بقلبه ولسانه وجوارحه بالعبادة لله وحده ، رغبة ورهبة ، ويقصد بذلك وجه الله وابتغاء مرضاته .[1]

● وبعض العلماء يقسِّمُه إلى :-

الأول : التوحيد العلمي الخبري .

الثاني : التوحيد الإرادي الطلبي .

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((... فإن القرآن ؛ إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري ، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي)).[2]

وسمّي بالتوحيد العلمي الخبري ؛ لأنه يتعلّق بالعلم بالله تعالى ، وذاته ، وأسمائه وصفاته ، ولأنه في مقابل توحيد الألوهية الذي يشكل الجانب العملي من التوحيد ، والطريق إليه لا يكون إلا بالخبر عن الله ورسوله ، فلا مجال للفكر ولا للنظر فيه.

كما سمّي بالتوحيد الإرادي الطلبي ؛ لأن العبد له في العبادات إرادة ، فهو إما أن يفعل ، أو لا يفعل ، كما أنه يطلب بتلك العبادات وجه الله ويبتغي مرضاته .[3]

ويقول الشيخ **فالح بن مهدي** ــ رحمه الله ــ في بيان كونه إرادي طلبي :

((فمن الطلبي الإرادي " توحيد الشرع والقدر "[4] فمنه ما هو مطلوب مراد

---

[1] ينظر : معتقد أهل السنة والجماعة (ص/٤٤) .

[2] مدارج السالكين (٣/٤٥٠) .

[3] ينظر : معتقد أهل السنة والجماعة (ص/٤٥) .

[4] جعل الشيخ فالح ــ رحمه الله تعالى ــ القدر هنا من باب الطلب والإرادة تبعاً لكلام شيخ الإسلام في التدمرية ، قال الدكتور محمد الخميس :((لقد صرح شيخ الإسلام في كلامه هذا : بأن القدر من باب الطلب والإرادة : ولكن أقول : إن هذا يحتاج إلى تفصيل : وهو أن القدر له جهتان ، جهة الإخبار ، وجهة الإرادة . فالقدر من جهة الإخبار هو من باب الخبر نفياً أو إثباتاً ، فإذا أخبر الله تعالى أنه قدَّر كذا وكذا ــ أو أنه ليس بكذا فهو من باب الخبر . أما نفس القدر ــ فهو من باب الإرادة ، فالله تعالى قد أراد أشياء وأحبها ، فقدَّرها كوناً وأرادها

محبوب؛ كالتوحيد وسائر الطاعات، ومنه ما هو مبغض ممنوع؛ كالشرك والمعاصي)).(١)

●ومن العلماء من قسَّمه إلى :-

الأول : التوحيد العلمي الاعتقادي .

الثاني : التوحيد القصدي الإرادي .

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ : ((التوحيد نوعان نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد ، ويسمى الأول التوحيد العلمي ، والثاني التوحيد القصدي الإرادي ، لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة ، والثاني بالقصد والإرادة)).(٢)

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر ... والثاني توحيد القصد والإرادة ، وهو أن لا يعبد إلا إياه ، فلا يشرك به في عبادته سواه ، بل يكون وحده هو المعبود)).(٣)

●وبعضهم قسَّمه إلى :-

الأول : التوحيد القولي العلمي .

الثاني : التوحيد العملي الإرادي .

يقول الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((لأن فيهما التوحيد ، هذه فيها توحيد العمل والإرادة ، وتلك فيها توحيد القول والعلم)).(٤)

شرعاً ؛ كالتوحيد والطاعات ، وقدَّر أشياء كوناً ولكنه لم يقدّرها شرعاً ؛ لأنه لم يحبها ، بل كرهها وأبغضها ، فلم يردها شرعاً كالكفر والفسوق))[توحيد مقاصد المصطلحات العلمية (ص/١١)] .

(١) التحفة المهدية (ص/٢٦) .

(٢) مدارج السالكين (١/٢٤-٢٥) .

(٣) بدائع الفوائد (١/١٤٦) .

(٤) الصفدية (٢/٣١٥) .

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((وهو متضمن لشيئين ؛ أحدهما القول العلمي وهو إثبات صفات الكمال له ، وتتريهه عن النقائص ، وتتريهه عن أن يماثله أحد في شيء من صفاته ... والتوحيد العملي الإرادي، أن لا يعبد إلا إياه ؛ فلا يدعو إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يخاف إلا إياه ولا يرجو إلا إياه ، ويكون الدين كله لله)).[1]

ويقول الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله ــ أيضاً : ((وقد بسط الكلام في التوحيد وأنه نوعان؛ علمي قولي وعملي قصدي؛ فقل يا أيها الكافرون اشتملت على التوحيد العملي نصاً وهي دالة على العلمي لزوماً ، و قل هو الله أحد اشتملت على التوحيد العلمي القولي نصاً وهي دالة على التوحيد العملي لزوماً)).[2]

ويقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ : ((هذا فصل عظيم النفع جليل القدر ، إنما ينتفع به من عرف نوعي التوحيد القولي العلمي الخبري ، والتوحيد القصدي الإرادي العملي)).[3]

وسمّي بالتوحيد القولي العلمي ؛ لأنه لا يتعلّق بالعمل ، وإنما يتعلّق بالاعتقاد والاعتراف والتصديق والعلم بالله تعالى ، فالمقصود به أقوال القلوب .

يقول الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله ــ : ((والثاني : التوحيد القولي الاعتقادي ، وهو المشتمل على أقوال القلوب ، وهو اعترافها واعتقادها ، وعلى أقوال اللسان والثناء على الله بتوحيده)).[4]

وسمّي بالتوحيد العملي الإرادي ؛ لأنه يتعلّق بجانب العمل ، أي عمل القلب واللسان والجوارح ، كما أن للإنسان إرادة قلبية في القيام بهذه الأعمال .

---

(١) الصفدية (٢/٢٢٨-٢٢٩) .

(٢) الفتاوى (١٧/١٠٧-١٠٨) .

(٣) الصواعق المرسلة (٢/٤٠١) .

(٤) مجموعة مؤلفات السعدي (عقيدة/٣/٢١٢) .

● ومن العلماء من قسَّمه إلى قسمين هما :-

الأول : توحيد المُرْسِل .

الثاني : توحيد متابعة الرسول (أي المُرْسَل) .

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : «... فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان ، كما وحد المُرْسِل سبحانه وتعالى بالعبادة ، والخضوع ، والذل ، والإنابة والتوكل ، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما ؛ توحيد المُرْسِل ، وتوحيد متابعة الرسول ، فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره ».[1]

كما يشير الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ إلى هذين النوعين من التوحيد ، مبيّناً أن لكل واحد ضداً ،...

فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ : « وقوله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى : إني خلقت عبادي حنفاء فاحتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم [2] يتضمن أصلين عظيمين مقصودين لأنفسهما ... : أحدهما عبادته وحده لا شريك له ، والثاني إنما يُعبد بما شرعه وأحبه وأمر به ، وهذان الأصلان هما المقصود الذي خلق له الخلق ، فضدهما الشرك والبدع ؛ فالمشرك يعبد مع الله غيره ، وصاحب البدعة يتقرب إلى الله بما لم يأمر به ، ولم يشرعه ، ولا أحبه ... ، فمدار الدين على هذين الأصلين ... فأخبر سبحانه أن الشياطين اقتطعت عباده عن هذا المقصود ... ، فأمرتهم أن يشركوا به ما لم ينـزّل به سلطانا، وهذا يتناول الإشراك بالمعبود الحق ، بأن يُعبد معه غيره ، والإشراك بعبادته الحقة ، بأن يُعبد بغير شرعه ، وكثيرا ما يجتمع الشركان فيعبد المشرك معه غيره بعبادة لم يشرع سبحانه أن يتعبد له بها ، وقد ينفرد أحد المشركين فيشرك به غيره في نفس العبادة التي شرعها ، ويعبده وحده بعبادة شركية لم يشرعها ..».[3]

---

(١) مدارج السالكين (٣٨٧/٢) ، وينظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص/٢١٧) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢١٩٧/٤) ، برقم (٢٨٦٥) ، من حديث عياض المجاشعي ، ولفظه : «.. وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ... »

(٣) شفاء العليل (ص/٣٠٣) بتصرف .

●ومنهم من قسَّمه إلى :-

الأول : التوحيد العامي .

الثاني : التوحيد الخاصي .

وهذا التقسيم باعتبار فعل الموحّد ، وليس في تقسيم التوحيد ، وإنما هو تقسيمٌ لأهل التوحيد من ناحية عملهم في التوحيد ؛ فمنهم من يكون توحيده عامياً ، ومنهم من يرتقي إلى التوحيد الخاصي ،...

يقول الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((فإن التوحيد نوعان : عامي وخاصي ، كما أن الصلاة نوعان، والذكر نوعان، وسائر القرب كذلك خاصية وعامية ، فالخاصية ما بذل فيها العامل نصحه وقصده، بحيث يوقعها على أحسن الوجوه وأكملها ، والعامية ما لم يكن كذلك ، فالمسلمون كلهم مشتركون في إتيانهم بشهادة أن لا إله إلا الله ، وتفاوتهم في معرفتهم بمضمون هذه الشهادة ، وقيامهم باطناً وظاهراً أمر لا يحصيه إلا الله عز وجل)).[1]

فالمقصود بالتوحيد العامي : اشتراك جميع المسلمين في إتيانهم ، ونطقهم بشهادة أن لا إله إلا الله .

أما التوحيد الخاصي : فهو معرفة مضمون هذه الكلمة، والقيام بحقوقها باطناً وظاهراً .

●ومنهم من قسَّمه إلى :-

الأول : توحيد الطلب .

الثاني : توحيد المطلوب .

يقول الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((فإن إقامة الوجه للدين : هو إفراد طلبه بحيث لا يبقى في القلب إرادة لغيره ، والحنيف : المفرد لمعبوده لا يريد غيره ، فالصدق أن لا ينقسم طلبك ، والإخلاص أن لا ينقسم مطلوبك ، الأول توحيد الطلب ، والثاني توحيد المطلوب)).[2]

---

(١) طريق الهجرتين (ص/٥٥) .

(٢) جلاء الأفهام (ص/٢٦٩) .

ويقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ مبيّناً معنى توحيد الطلب والمطلوب : ((ولا يصح للعبد مقام الإرادة حتى يفرد طلبه وإرادته ، ومطلوبه ، فلا ينقسم المطلوب ولا الطلب ؛ أما توحيد المطلوب ، أن لا يتعلق طلبه وإرادته بغير الله ، وما يقرب إليه ويدني منه ، وأما توحيده في الطلب ، أن يستأصل الطلب والإرادة نوازع الشهوات ، وجواذب الهوى وتسكن الإرادة فى أقطار النفس ، فتملأها فلا يدع فيها فضلا لغير الانجذاب إلى جانب الحق جل جلاله ، فتتمحض الإرادة له)).(١)

● ومن العلماء من قسّمه إلى :-

الأول : توحيد السيادة .

الثاني : توحيد العبادة .

فالمقصود بتوحيد السيادة أي توحيد الربوبية والصفات ، وسمي بذلك ؛ لأنّ تفرّد الله تعالى بالملك والتدبير والتصرف التام في هذا الكون ؛ خلقاً ورزقاً وإحياءً وإماتة ، واختصاصه بالأسماء الحسنى والصفات العلى ، يوجب له السيادة المطلقة ، والصمدية التامة التي تعلو وتسيطر على كل سيادة .(٢)

أما توحيد العبادة فهو توحيد الألوهية كما مرَّ سابقاً .

هذا ما وقفت عليه فيمن قسَّم التوحيد إلى قسمين ، ومن العلماء من قسَّمه إلى ثلاثة أقسام وإليكها فيما يلي :-

● فمن العلماء من قال :

الأول : توحيد العلم (الأسماء والصفات).

الثاني : توحيد الربوبية .

الثالث : توحيد الألوهية .

---

(١) عدة الصابرين (ص/٢٢٦) ، وانظر طريق الهجرتين (ص/٥٦) ، مدارج السالكين (١/١١٠) ، (٢/٩٧) .

(٢) ينظر معتقد أهل السنة والجماعة (ص/٤٦) .

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : « فصل في اشتمال هذه السورة على أنواع التوحيد الثلاثة التي اتفقت عليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم . التوحيد نوعان : نوع في العلم ، ونوع في الإرادة والقصد ، ويسمى الأول التوحيد : العلمي ، والثاني : التوحيد القصدي الإرادي ؛ لتعلُّق الأول بالأخبار والمعرفة ، والثاني بالقصد والإرادة وهذا الثاني أيضاً نوعان : توحيد في الربوبية ، وتوحيد في الإلهية ، فهذه ثلاث أنواع ».[1]

والمقصود بتوحيد العلم في كلامه ، هو توحيد الأسماء والصفات ، بدليل قوله ــ رحمه الله تعالى ــ : « فأما توحيد العلم فمداره إلى إثبات صفات الكمال ، وعلى نفي التشبيه والمثال ، والتنـزيه عن العيوب والنقائص ».[2]

ويقول الإمام **ابن أبي العز** ــ رحمه الله ــ : « فان التوحيد يتضمن ثلاث أنواع : أحدها الكلام في الصفات ، والثاني توحيد الربوبية وبيان أن الله وحده خالق كل شيء ، والثالث توحيد الإلهية ، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له ».[3]

● ومن العلماء من عبَّر عن هذه الأقسام الثلاثة بـ :

الأول : توحيد الملك والفعل .

الثاني : توحيد الذات والصفات .

الثالث : توحيد الإلهية والعبادة .

يقول الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ : « وسمي دين الإسلام توحيداً ؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له ، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له ، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند ، له والى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين ».[4]

---

[1] مدارج السالكين (١/٢٤-٢٥) .

[2] مدارج السالكين (١/٢٥) .

[3] شرح العقيدة الطحاوية (ص/٧٦) ، وانظر : مجموعة مؤلفات السعدي (عقيدة/٣/١٠-١١) ، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٥-١٢) .

[4] تيسير العزيز الحميد (ص/١٧) .

وهذه بعينها الأقسام الثلاثة الماضية ؛ فتوحيد الملك والفعل هو توحيد الربوبية ؛ لأن فيه إفراد الله تعالى بخلق هذا الكون وملكه وتدبيره ، وتوحيد الذات والصفات فيه التعرُّف على ذات الله تعالى ، وأسمائه وصفاته ، وإثباتها ، وتنزيهه تعالى عن العيوب والمثالب ، أما توحيد الإلهية والعبادة، فهو إفراد الله تعالى بالتأله والعبادة؛ بالقلب واللسان والجوارح.

ويقول الشيخ **العثيمين** ـــ رحمه الله ـــ : « فباعتبار إضافته إلى الله يسمّى : توحيد الألوهية ، وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمّى توحيد العبادة ».[1]

● ومن العلماء من قال :-

الأول : توحيد المطلوب .

الثاني : توحيد الطلب .

الثالث : توحيد الطريق

ذكر هذه الأنواع العلامة **ابن القيم** فقال ـــ رحمه الله ـــ في بيانها : « والهدى التام يتضمن توحيد المطلوب، وتوحيد الطلب ، وتوحيد الطريق الموصلة ، والانقطاع وتخلف الوصول يقع من الشركة في هذه الأمور ، أو في بعضها ؛ فالشركة في المطلوب تنافي التوحيد والإخلاص ، والشركة في الطلب تنافي الصدق والعزيمة ، والشركة في الطريق تنافي اتباع الأمر ، فالأول يوقع في الشرك والرياء، والثاني يوقع في المعصية والبطالة، والثالث يوقع في البدعة ومفارقة السنة فتأمله ، فتوحيد المطلوب يعصم من الشرك ، وتوحيد الطلب يعصم من المعصية ».[2]

ومن مسمّيات توحيد الألوهية التي استعملها أو ذكرها بعض العلماء (توحيد الشرع والقدر) ، و(التوحيد الفعلي) ، يقول الشيخ **فالح بن مهدي آل مهدي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « قوله [وهذا] راجعة إلى توحيد الشرع والقدر . وكما يسمى بذلك يسمّى أيضاً التوحيد الطلبي الإرادي ، وتوحيد العبادة ، وتوحيد الألوهية ، والتوحيد الفعلي نسبة إلى أفعال العباد ، وتوحيد القصد والعمل ، فهذه كلها ألقاب لهذا النوع ».[3]

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٩/١) .

(٢) التبيان في أقسام القرآن (ص/٤٤) .

(٣) التحفة المهدية (ص/٢٨) .

وهناك من العلماء من قسَّم التوحيد إلى أربعة أقسام :

● فقال بعضهم :-

الأول : توحيد الربوبية .

الثاني : توحيد العبادة .

الثالث : توحيد الأسماء و الصفات .

الرابع : توحيد الاتباع .

وممن ذكر هذا التقسيم من العلماء ، الشيخ **تقي الدين الهلالي** ، فقال ــ رحمه الله تعالى ــ : « ... أشرح فيه أنواع التوحيد الأربعة، التي أولها توحيد الربوبية ، وثانيها توحيد العبادة ، وثالثها توحيد الاتباع ، ورابعها توحيد الأسماء والصفات ».[1]

ثم إنَّ توحيد الاتباع يعتبر داخلاً في توحيد العبادة ؛ لأنّ من شرط قبول العبادة ، كونها موافقة لما جاء به النبي ﷺ ، فلا يصح لعبد توحيد العبادة حتى يوحِّد النبي ﷺ في الاتباع [2]؛ ولذلك يقول الشيخ **الهلالي** ــ رحمه الله تعالى ــ : « أنواع التوحيد في الحقيقة ثلاثة ؛ لأن الثالث وهو الاتباع داخل في الثاني ، ولكنني جعلته قسماً لكثرة خلاف المقلدين لما جاء به الرسول ﷺ ».[3]

ولذلك يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ مبيّناً علاقة توحيد الألوهية بالاتباع : « وهو توحيد الإلهية والعبادة ، وهو الذي لا سعادة للنفوس إلا بالقيام به ؛ علماً وعملاً وحالاً ، وهو أن يكون الله وحده أحب إلى العبد من كل ما سواه ، وأخوف عنده من كل ما سواه ، وأرجى له من كل ما سواه ، فيعبده بمعاني الحب ، والخوف ، والرجاء ، بما يحبه هو ويرضاه . وهو ما شرعه على لسان رسوله ، لا بما يريده العبد ويهواه ، وتلخيص ذلك في كلمتين : إياك أريد بما تريد ؛ فالأولى توحيد وإخلاص ، والثانية اتباع للسنة وتحكيم للأمر».[4]

---

[1] سبيل الرشاد في هدي خير العباد (١٩/١) .

[2] معتقد أهل السنة والجماعة (ص/٤٣) .

[3] انظر : سبيل الرشاد في هدي خير العباد (١٩/١) من الحاشية .

[4] مدارج السالكين (٣٩٨/٣) .

● ومن قسَّم التوحيد إلى أربعة أقسام الإمام **ابن منده** ــ رحمه الله تعالى ــ في كتابه التوحيد وهذا ما ذكره الشيخ الدكتور **على ناصر الفقيهي** ــ من خلال استعراضه لمباحث الكتاب ــ حيث قال ــ حفظه الله تعالى ــ : « قسَّم المؤلف التوحيد إلى أربعة أقسام ــ حيث جعل أسماء الله الحسنى قسماً مستقلاً ــ ثم أتبعها بالصفات . وأقسام التوحيد التي ذكرها هي :

الأول : الوحدانية في الربوبية .

الثاني : توحيد الألوهية ــ وهو تحقيق ــ شهادة أن لا إله إلا الله .

الثالث : توحيد أسماء الله الحسنى .

الرابع : الصفات .»[1]

هذا بعض ما وقفت عليه من تقسيمات ومسمّيات للتوحيد ، والمتأمل فيها يجد أنها متّحدةٌ من حيث المضمون والجوهر ، فلا تعارض بينها ولا اختلاف ، فهي تعود إلى أمور اعتبارية ، حسب نظرة المعتبر ، ولا مشاحة في الاصطلاح والتعبير مع اتفاق الأصل والمضمون ، مع العلم أن جميع هذه التقسيمات ليست من البدع المحدثة التي أنشأها بعض العلماء ، وإنما هي حقائق شرعية ثابتة مستمدة من النصوص الشرعية ، وهذا ما سوف ندلل عليه في المطلب التالي والله تعالى أعلم .[2]

---

(١) كتاب التوحيد (١/٣٣) .

(٢) ينظر القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد لعبد الرزاق البدر (ص/٣٠) .

المطلب الثاني
أدلة هذا التقسيم

اعلم رحمك الله أن هذه التقسيمات للتوحيد ، ليست من الأمور المحدثة ، التي اخترعها بعض العلماء بمحض فكره ونظره ، أو هي اصطلاحات اصطلحوا عليها بمنأى عن الدليل والحجة ـــ حاشاهم ـــ ، وإنما لها أدلتها التي اعتمد عليها العلماء ، وفيما يلي أسوق لك أخي القارئ بعض الأدلة ، التي تثبت صحة هذا التقسيم ، وتبيّن أن كل من انتقد هذا التقسيم وأبطله لم يخالفه الصواب ، و لم يكتب الله له التوفيق في هذا الباب . فأقول وبالله التوفيق :

من أعظم الأدلة التي يقوم عليها هذا التقسيم :

أولاً : الاستقراء التام [١] والتتبع الكامل للنصوص الشرعية ، فقد دلّت النصوص على جميع هذه الأقسام ، واستنبطها العلماء بعد التتبع والاستقراء التامين الكاملين ، وممن أشار إلى هذا الاستقراء من العلماء ، الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ حيث قال : ((وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه، فوراء ذلك كله ، وهو نوعان : توحيد في المعرفة والإثبات وتوحيد في المطلب والقصد ،

فالأول : هو حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله . . .

النوع الثاني : مثل ما تضمنته سورة ﴿ قل يا أيّها الكافرون ﴾ وقوله : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ الآية [آل عمران : ٦٤]، وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها، وأول سورة يونس ووسطها وآخرها ، وأول سورة الأعراف وآخرها ، وجملة سورة الأنعام ، وغالب سور القرآن ، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد ، بل نقول قولاً كليّاً : إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه . . .)).[٢]

---

[١] قال الإمام الزركشي ـــ رحمه الله تعالى ـــ :((الاستقراء : وهو تصفح أمورٍ جزئية ، ليحكم بحكمها على أمر يشمل تلك الجزئيات، وينقسم إلى تام وناقص، فالتام : إثبات الحكم في جزئي لثبوته في الكلّي على الاستغراق ، وهذا هو القياس المنطقي المستعمل في العقليات ، وهو حجة بلا خلاف))[البحر المحيط (١٠/٦)] .

[٢] مدارج السالكين (٤٤٩/٣-٤٥٠) بتصرف .

وممن نصَّ من العلماء على هذا الاستقراء الشيخ **محمد الأمين الشنقيطي** ، فقال ــ رحمه الله تعالى ــ : « وقد دلَّ استقراء القرآن العظيم ، على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : توحيده في ربوبيته ، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء ، قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله ...﴾ [الزخرف : ٨٧] ، وقال تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميّت ويخرج الميّت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ [يونس : ٣١] ... وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله ، كما قال تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ [يوسف : ١٠٦] . والآيات الدّالة على ذلك كثيرة جداً .

الثاني : توحيده جلَّ وعلا في عبادته . وضابط هذا النوع من التوحيد ، هو تحقيق معنى ((لا إله إلا الله)) ... وأكثر آيات القرآن في هذا النوع من التوحيد ، وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم : ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ [ص : ٥] .

ومن الآيات الدّالة على هذا التوحيد قوله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ...﴾ [محمد : ١٩] ، وقوله : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل : ٣٦] ......

النوع الثالث : توحيده جلَّ وعلا في أسمائه وصفاته)).(١)

فقد نصَّ ــ رحمه الله تعالى ــ على دلالة الاستقراء على أقسام التوحيد الثلاثة .

يقول الشيخ بكر **أبو زيد** ــ حفظه الله تعالى ــ : « هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه : **ابن مندة** ، **وابن جرير الطبري** ، وغيرهما ، وقرره شيخا الإسلام **ابن تيمية وابن القيم** ، وقرره **الزبيدي** في تاج العروس ، وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين ــ رحم الله الجميع ــ ، وهو استقراء تام لنصوص الشرع ، وهو مطرد لدى أهل كل فنٍّ ، كما في استقراء النحاة كلام العرب : إلى اسم ، وفعل ، وحرف ، والعرب لم تفه بهذا ، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب ، وهكذا من أنواع الاستقراء)).(٢)

---

(١) أضواء البيان (٣/٤١٠-٤١١) بتصرف .

(٢) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير ، ضمن مجموع ((الردود)) (ص/٣٣١) .

ثانياً : وكما يمكننا الاستدلال على صحة تقسيم التوحيد إلى ربوبية ، وألوهية ، وأسماء وصفات باللغة العربية ؛ وذلك أن الكلام في لغة العرب ؛ إما خبر أو طلب ، وما خرج عن هذا فليس بكلام عندهم ؛ فالخبر دائر بين التصديق والتكذيب ، والنفي والإثبات ، أما الطلب فلا يصح نفيه ولا إثباته لذاته ، ولا يدخله التصديق والتكذيب ، وإنما هو دائر بين المحبة والإرادة ، والأمر والنهي والإباحة ، وهكذا فمن نظر في نصوص الشرع تبيَّنت له هذه القسمة ، فتوحيد الله تعالى ؛ إما إخبار بعظمة ذاته ، وجليل أسمائه ، وجميل صفاته ، وعجيب صنعه وفِعَالِهِ ، فهذا هو توحيد المعرفة والإثبات ، ويتضمن توحيد الربوبية ، والأسماء والصفات ، وإما طلب ؛ بإخلاص العبادة والتأله لله وحده ، والنهي عن الشرك وأسبابه وطرقه وذرائعه ، فهذا هو توحيد الألوهية .

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ : « فالكلام في باب التوحيد والصفات هو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات ، والكلام في الشرع والقدر هو من باب الطلب والإرادة ، الدائر بين الإرادة والمحبة وبين الكراهة والبغض نفيا وإثباتا ، والإنسان يجد في نفسه الفرق بين النفي والإثبات ، والتصديق والتكذيب ، وبين الحب والبغض والحض والمنع ، حتى إن الفرق بين هذا النوع وبين النوع الآخر معروف عند العامة والخاصة ، ومعروف عند أصناف المتكلمين في العلم كما ذكر ذلك الفقهاء في كتاب الأيمان ، وكما ذكره المقسمون للكلام من أهل النظر والنحو والبيان ، فذكروا أن الكلام نوعان : خبر وإنشاء ، والخبر دائر بين النفي والإثبات ، والإنشاء أمر أو نهي أو إباحة ».[1]

ويقول الشيخ **فالح آل مهدي** ـ رحمه الله تعالى ـ : « فالمقصود أن معاني الكلام : إما طلب ، والطلب أمر ونهي وهو الإنشاء ، وإما خبر وهو ما يصح إثباته كما يصح نفيه لذاته ، فمن الطلبي الإرادي توحيد ((الشرع والقدر)) ومنه ما هو مطلوب مراد محبوب كالتوحيد وسائر الطاعات ، ومنه ما هو مبغض ممنوع كالشرك والمعاصي . ومن الخبري ((توحيد الربوبية والأسماء والصفات)) ، فمنه ما يثبت كأوصاف الكمال ونعوت الجلال ، ومنه ما ينفى ؛ كنفي النقص والعيوب والشرك والمثيل ».[2]

---

(١) الفتاوى (٢/٣) .

(٢) التحفة المهدية (ص/٢٦) .

ثالثاً : دلّ على صحة هذا التقسيم كذلك ، ما استقر في عقول الناس وفطرهم ؛ ذلك أن الإنسان يجد في نفسه الفرق بين ما يُخبَر به ، وبين ما يؤمر به وينهى عنه ، وأعظم ما يخبر به ؛ هو ذات الله تعالى ، وعظمته وجلاله ، وملكه وتدبيره ، وأسماؤه وصفاته ، وأنه الخالق الرازق ، وأنه على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم ، وهذا هو توحيد المعرفة والإثبات .

وأعظم ما يؤمر به ؛ شكر الله تعالى وحمده على نعمه العظيمة وآلائه الفاضلة ، ومننه الجليلة ، ومن أعظم الشكر إفراده تبارك وتعالى بالعبادة ، وبالتأله الذي هو كمال الذل والخضوع والانقياد له، مع كمال المحبة، والإنابة، وبذل الجهد في طاعته ومرضاته ، وإيثار محابه ، ومراده الديني على محبة العبد ومراده ، والبعد عن الشرك ، صغيره وكبيره ، وعن طرقه وأسبابه ووسائله .[1]

وإضافة إلى ما سبق من أدلة على صحة تقسيم التوحيد ، فقد ثبت عن جملة من علماء السلف ، وأئمة الإسلام الذين شهدت لهم الأمة بالإمامة والديانة ، وليس هو من الأمور الحادثة ، بل قد جاء في كلام بعض الصحابة والتابعين ؛ كابن عباس ﷺ وقتادة وغيرهما ما يشير إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية [2] ، وممن ثبت عنه هذا التقسيم من العلماء الإمام ابن بطة العكبري حيث يقول ــ رحمه الله تعالى ــ : ((... وذلك أنّ أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء :

أحدها : أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً .

والثاني : أن يعتقد وحدانيته ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره .

والثالث : أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من ؛ العلم ، والقدرة، والحكمة، وسائر ما وصف به نفسه في كتابه ... ولأنّا نجد الله قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث ، والإيمان بها)).[3]

---

(1) ينظر : شفاء العليل (١/١٣٩) ، منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل (٢/٦١٢-٦١٣) .

(2) ينظر : جامع البيان (١٣/٧٧-٧٨) ، ويراجع : المطلب الثاني من الفصل الثاني من هذا الباب (ص/) .

(3) الإبانة ......

فهذا الذي ذكره هذا الإمام هو بعينه التقسيم الذي يذكره كثيرٌ من العلماء ، وهو تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

كما أشار إلى هذا التقسيم الإمام ابن منده ـ رحمه الله ـ كما مرَّ معنا سابقاً [1] ، وممن أشار إلى هذا التقسيم الإمام أبو جعفر الطحاوي ـ رحمه الله تعالى ـ حيث يقول : ((نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله : إنَّ الله واحد لا شريك له ، ولا شيء مثله ، ولا شيء يعجزه ، ولا إله غيره ...))[2]

---

[1] ينظر (ص/) من الرسالة .

[2] شرح العقيدة الطحاوية (ص/) . وينظر لمزيد البيان ((القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد)) (ص/٣٥-٤٤) وكذا (ص/٤٧) .

الفصل الثاني
ما يتعلَّق بتوحيد الألوهية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مسمياته والمناسبة بينها .

المبحث الثاني : أدلته .

المبحث الثالث : مكانته وأهميته .

المبحث الأول
مسمياته والمناسبة بينها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : في ذكر مسمياته .

المطلب الثاني : في ذكر اعتبارات هذه المسميات .

المطلب الأول
مسمّياته

عُلِمَ مما سبق في مبحث التقسيمات ، شيءٌ من مسمّيات هذا النوع من أنواع التوحيد ، ووجه التسمية فيها ، ولعلّي أنقل لك في هذا المطلب ما وقفت عليه من تسميات أطلقها أهل العلم على هذا النوع ، ألا وهو توحيد الألوهية .

فمن أشهر تلك المسمّيات توحيد الألوهية . وهذا كثير في تعبيرات العلماء ، إشارة إلى هذا النوع .[1]

ومن مسمّياته ، **توحيد العبادة** .[2]

ومن مسمّياته ، **توحيد المطلب والقصد** .[3]

ومنها ، **التوحيد الإرادي الطلبي** .[4]

ومنها ، **التوحيد القصدي الإرادي** .[5]

ومنها ، **التوحيد العملي الإرادي** .[6]

ومنها ، **توحيد المحبة** .[7]

---

(١) ينظر : الفتاوى (٢/٢٧٧) ، مدارج السالكين (١/٢٤-٢٥) ، شرح الطحاوية (ص/٧٦) ، مؤلفات السعدي (عقيدة/٣/١٠-١١) ، القول المفيد (١/٥-١٢) .

(٢) الفتاوى الكبرى ـــ ابن تيمية (٥/٢٥٠) ، شرح قصيدة ابن القيم (٢/٢٥٨) .

(٣) مدارج السالكين (٣/٤٤٩) .

(٤) المصدر السابق (٣/٤٥٠) .

(٥) المصدر السابق (١/٢٤-٢٥) .

(٦) الفتاوى (١٧/١٠٧-١٠٨) ، الصواعق المرسلة (٢/٤٠١) .

(٧) الفتاوى (٣/٤٠) ، مدارج السالكين (٣/٤٠) .

ومنها ، **توحيد المُرْسِل** .[١]

ومنها **توحيد الشرع والقدر** .[٢]

وأخيراً **التوحيد الفعلي** .[٣]

هذا ما وقفت عليه من تسميات وألقاب ، أطلقها أهل العلم على هذا النوع العظيم من أنواع التوحيد ، ألا وهو توحيد الألوهية ، ولكل هذه التسميات وجهة وتوجيه ، وهذا ما سنتعرّض له في المطلب التالي بإذن الله تعالى .

---

(١) مدارج السالكين (٣٨٧/٢) ، شرح الطحاوية (ص/٢١٧) .

(٢) التحفة المهدية (ص/٢٨) .

(٣) المصدر السابق (ص/٢٨) .

المطلب الثاني
اعتبارات هذه المسمّيات

كنت قد ذكرت في فصل سالف ، أن هذه التسميات مرجعها إلى أمور اعتبارية نظرية ، وأنه لا ضير في التسمية ما دام المسمّى واحداً ،...

فمن سمّاه توحيد الألوهية اعتبر معنى التأله القائم بقلب العبد ، والتأله هو المحبة ، والطاعة والخضوع ، والذلة ، والانقياد .

يقول الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ : « ويسمى هذا النوع توحيد الإلهية ؛ لأنه مبني على إخلاص التأله ، وهو أشد المحبة لله وحده وذلك يستلزم إخلاص العبادة ». [١]

وأما تسميته بتوحيد العبادة ؛ فالنظر في ذلك إلى قيام العباد بإفراده تبارك وتعالى بالعبادة ؛ من محبة ، وتوكل ، وخوف ، ورغبة ، ورهبة ، ودعاء ، إلى آخر ما هنالك من أنواع العبادة .

يقول الشيخ **العثيمين** ــ حفظه الله تعالى ــ : « فباعتبار إضافته إلى الله يسمّى : توحيد الألوهية ، وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمّى توحيد العبادة ».[٢]

أما تسميته بتوحيد الطلب والقصد ؛ فوجه تسميته بذلك ؛ أن العبد يفرد فيه طلبه لله تبارك تعالى ، فيتوجه بقلبه ، ولسانه ، وجوارحه بالعبادة لله وحده رغبة ورهبة ، ويقصد بذلك وجه الله وابتغاء مرضاته .[٣]

ويمكن أن نسمّيه بتوحيد الطلب ، في مقابل توحيد المعرفة والإثبات فإنه من باب الخبر ، والأول من باب الإنشاء والطلب .

---

[١] تيسير العزيز الحميد (ص/٢٢) .

[٢] القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٩) .

[٣] ينظر معتقد أهل السنة والجماعة (ص/٤٤) .

ووجه تسميته بالتوحيد الإرادي الطلبي ؛ أن العبد له في العبادة إرادة ، إما أن يقوم بها أو لا ، ويطلب بها وجه الله ويبتغي مرضاته .

ووجه تسميته بالتوحيد العملي الإرادي ؛ لأنه يتعلق بأعمال القلب ، واللسان والجوارح ، التي تشكل بمجموعها جانب العمل من التوحيد ، فالتوحيد له جانبان ، جانب تصديقي علمي ، وجانب انقيادي عملي .(١)

يقول الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « ويسمى هذا النوع توحيد الإلهية ؛ لأنه مبني على إخلاص التأله ، وهو أشد المحبة لله وحده وذلك يستلزم إخلاص العبادة . وتوحيد العبادة لذلك ، وتوحيد الإرادة لأنه مبني على إرادة وجه الله بالأعمال ، وتوحيد القصد لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده ، وتوحيد العمل ؛ لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده ».(٢)

أما وجه تسميته بتوحيد المحبة ؛ فلأنه يقوم على إفراده تبارك وتعالى بالمحبة ، فإنه ما من عمل يتقرّب به الإنسان إلى ربه ـــ من أعمال القلوب والجوارح ـــ إلا وأصله محبة الله تعالى .

يقول الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « فمحبة الله عز وجل أصل المحاب المحمودة ، وأصل الإيمان والتوحيد ... ».(٣) إلى آخر كلامه ـــ رحمه الله تعالى ـــ .

أما وجه تسميته بتوحيد المُرْسِل ؛ فلأن الله تعالى أرسل جميع رسله بهذا التوحيد ، ومن أطلق عليه هذه التسمية ، جعل في مقابله توحيد المُرْسَل ، وهذا الثاني شرط في قبول الأول .

ووجه تسميته بتوحيد الشرع والقدر ؛ فبالنظر إلى أنّ الشرع والقدر من باب القصد والإرادة والعمل ، وهذا يتضمن التوحيد في عبادته وحده لا شريك له .(٤)

---

(١) ينظر معتقد أهل السنة والجماعة (ص/٤٦) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص/٢٢) .

(٣) إغاثة اللهفان (٢/١٤٠) .

(٤) الفتاوى (٣/٣) .

وأما التوحيد الفعلي فوجه تسميته كونه يمثل جانب الفعل والعمل في مقابل توحيد القول الذي يمثل جانب الاعتقاد والمعرفة . أو لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح .

يقول الشيخ **فالح آل مهدي** ــ رحمه الله تعالى ــ : « والتوحيد الفعلي نسبة إلى أفعال العباد ».(١)

ويقول الشيخ **ناصر السعدي** ــ رحمه الله تعالى ــ : « وسمّي توحيداً فعليّاً لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح ، فهو توحيد الله بأفعال العبيد ، وأنه لا يُتّخذ له شريك ولا نديد ».(٢)

هذا ما تيسَّر الوقوف عليه من تسميات وألقاب ، أطلقها العلماء على توحيد الألوهية ، وقد ذكرنا وجهة وتوجيه كل منها ، على حسب ما تيسَّر من أقوال العلماء ، والله أعلم .

---

(١) التحفة المهدية (ص/٢٨) .

(٢) مجموعة مؤلفات السعدي (عقيدة/٣/٢١٢) .

المبحث الثاني

أدلة

توحيد الألوهية

المبحث الثاني
أدلة توحيد الألوهية

لا يخفى على كل ذي لبّ وبصيرة ، وفطرة سويّة ، استحقاقه تبارك وتعالى للعبادة وحده دون ما سواه ، وأنه هو الإله الحق المبين ، فهو أحق من عبد ، وأعظم من ذُكِر ، وأجل من دُعي ، والناظر في كتاب الله تعالى ؛ متأمّلاً فيه ، متدبّراً له ، يجد تقرير هذا الأصل وبيانه من الكثرة بمكان ، مع تنوّع الأدلة ونصاعة الحجة ، ودحض للشبهات والشكوك ، التي هي كبيوت العنكبوت في وهنها وضعفها وركاكتها .

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : « فهذان الأصلان ــ يعني التوحيد العلمي والعملي ــ هما قطب رحى القرآن ، وعليهما مداره ، وبيانهما من أهم الأمور ، والله سبحانه بينهما غاية البيان ؛ بالطرق الفطرية والعقلية والنظرية والأمثال المضروبة ونوع سبحانه الطرق في إثباتهما أكمل التنويع ، بحيث صارت معرفة القلوب الصحيحة والفطر السليمة لها بمنزلة رؤية الأعين المبصرة التي لا آفة بها للشمس والقمر والنجوم والأرض والسماء ، فذاك للبصيرة بمنزلة هذا للبصر ».[1]

ولعلنا في هذا المبحث نتعرّض لهذه الأدلة التي تثبت هذا الأصل العظيم ، والتي دعا الله تعالى بها أهل الشرك والعناد إلى توحيده عز وجل وإخلاص العبادة له .

اعلم رحمك الله أنها قد تنوّعت أساليب القرآن ، وتعددت طرقه في دعوة هؤلاء المشركين إلى هذا التوحيد ، وإقامة الحجة عليهم ، ﴿ ليهلك من هلك عن بيّنة ، ويحيى من حي عن بينة ﴾[الأنفال :٤٢] ، ومن تلكم الطرق :-

أولاً : الدعوة الصريحة ، والأمر العام الواضح في عشرات الآيات القرآنية إلى إفراد الله تعالى بالعبادة ، والنهي عن الشرك بعبادة الأوثان ، والأنداد ، والأصنام ، أو الرسل والملائكة والجن ، أو غير ذلك مما وقع المشركون في عبادته .

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/٤٠٣) .

قال الله تعالى : ﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين .ألا لله الدين الخالص ﴾ [الزمر : ٢،٣] .

وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ...﴾[البيّنة : ٥] .

ويقول عز وجل : ﴿ قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ...﴾[الرعد : ٣٦] .

ويقول تعالى : ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ..﴾[الزمر : ١١] .

وقال تعالى : ﴿ إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ..﴾[يوسف : ٤٠] .

وقال : ﴿ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ..﴾[الأنعام : ٥٦] .

وقال تعالى :﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ..﴾[التوبة :٣١] .

وقال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ..﴾[النساء :٣٦] .

وهكذا يطول بنا المقام إذا أردنا حصرها ، بل ذكر الله عن هود وصالح وشعيب عليهم السلام أنهم قالوا لأقوامهم ﴿ ..اعبدوا الله .. ﴾[الأعراف : ٥٩، ٦٥،٧٣،٨٥] ، بل حكى الله عن جميع الأنبياء والمرسلين أنهم بدؤوا أقوامهم بأمرهم بعبادة الله وإخلاص الدين له ، فقال عز وجل :﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾[النحل :٣٦] . وسيأتي قريباً مزيد بيان في كون مبدأ دعوة الرسل كان في توحيد العبادة .

ثانياً : إلزام المشركين بتوحيد الألوهية بإقرارهم بتوحيد الربوبية ، وذلك أن الله تعالى من عظيم فضله ، وواسع رحمته ، فطر عباده على الإقرار به والاعتراف بوجوده ، وتوحيده في جانب الربوبية ، فالنفوس كلها مفطورة ؛ مؤمنهم وكافرهم ، على هذا التوحيد ، ومن أنكر ذلك كفرعون عليه لعنة الله ، فهو إنكار منه بعد ما استيقنت بذلك نفسه كفراً وجحوداً واستكباراً ، قال الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وكان فرعون في الباطن عارفاً بوجود الصنع ، وإنما استكبر كإبليس وأنكر وجوده ، ولهذا قال له موسى ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر ﴾ [الإسراء : ١٠٢]..)).(1)

---

(1) الفتاوى (٧/٦٣١) .

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((والذين أظهروا إنكار الصانع ، كفرعون خاطبتهم الرسل خطاب من يعرف أنه حق ، كقول موسى لفرعون ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر)).(١)

فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ، فمن يخلق ويرزق ويحيي ويميت ، ويدبّر الأمر ، ويصرّف الكون ، وهو المالك لكل شيء ، وهو المنعم المتفضّل على عباده بعظيم النعم ووابل المنن ــ فمن هذا شأنه ــ فهو حقيق بأن يعبد وحده ، ويفرد بالعبادة والشكر والخضوع والمحبة، ولهذا كان توحيد الربوبية من أكبر الأدلة على توحيد الألوهية ،...

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فتوحيد الربوبية أعظم دليل على توحيد الإلهية ولذلك وقع الاحتجاج به في القرآن أكثر مما وقع بغيره لصحة دلالته وظهورها وقبول العقول والفطر لها)).(٢)

ومن الآيات الدالة على أن الله تعالى يستدل على المشركين بتوحيدهم في الربوبية ، بإلزامهم بتوحيد الألوهية قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾[البقرة :٢١-٢٢] .

يقول **ابن عباس** رضي الله عنه في هذه الآية : ((.. وإنما عنى بقوله فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ، أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر ، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه)).(٣)

ويقول الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ في تفسير هذه الآية : ((.. فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئاً وأن يعبدوا غيره ، أو يتخذوا له نداً وعدلاً في الطاعة ، فقال

(١) منهاج السنة النبوية (٢/٢٧٠) .
(٢) طريق الهجرتين (ص/٨٠) .
(٣) جامع البيان (١/١٦٤) .

كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم ، وملكي إياكم ، ونعمتي التي أنعمتها عليكم ، فكذلك فأفردوا لي الطاعة ، وأخلصوا لي العبادة ، ولا تجعلوا لي شريكاً ونداً من خلقي ، فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني)).[١]

ويقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((ثم قال اعبدوا ربكم ، فأمرهم بعبادة ربهم وفي ضمن هذه الكلمة البرهان القطعي على وجوب عبادته ؛ لأنه إذا كان ربنا الذي يربينا بنعمة وإحسانه وهو مالك ذواتنا ورقابنا وأنفسنا ، وكل ذرة من العبد فمملوكه له ملكاً خالصاً حقيقياً ، وقد رباه بإحسانه إليه وإنعامه عليه ، عبادته له وشكره إياه واجب عليه ولهذا قال اعبدوا ربكم ولم يقل إلهكم ، والرب هو السيد والمالك والمنعم والمربي والمصلح والله تعالى هو الرب بهذه الاعتبارات كلها ، فلا شيء أوجب في العقول والفطر من عبادة من هذا شأنه وحده لا شريك له ، ثم قال الذي خلقكم فنبه بهذا أيضا على وجوب عبادته وحده ، وهو كونه أخرجهم من العدم إلى الوجود ، وأنشأهم ، واخترعهم وحده بلا شريك باعترافهم وإقرارهم كما قال في غير موضع من القرآن ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، فإذا كان هو وحده الخالق ، فكيف لا يكون وحده المعبود ، وكيف يجعلون معه شريكا في العبادة ، وأنتم مقرون بأنه لا شريك له في الخلق **وهذه طريقة القرآن يستدل بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية**)).[٢]

ويقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فتأمل ما تحت هذه الألفاظ من البرهان الشافي في التوحيد أي إذا كان الله وحده هو الذي فعل هذه الأفعال فكيف يجعلون له أندادا وقد علمتم أنه لا ند له يشاركه في فعله)).[٣]

ويقول الإمام **ابن كثير** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته ، بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة ، بأن جعل لهم الأرض فراشا أي مهدا كالفراش

---

(١) جامع البيان (١٦٣/١) .

(٢) بدائع الفوائد (٩٤٣/٤) .

(٣) المصدر السابق (٩٤٥/٤) .

مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات ، والسماء بناء وهو السقف ... ، وأنزل لهم من السماء ماء والمراد به السحاب هاهنا في وقته عند احتياجهم إليه ، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد ، رزقاً لهم ولأنعامهم ... ، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره ولهذا قال فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)).(١)

ثم قال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له)).(٢)

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم * إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾[البقرة :١٦٣-١٦٤] .

فبين الله تعالى في الآية الأولى أنه هو المعبود الحق المستحق للعبادة ، ثم شرع في بيان الدليل على هذا الاستحقاق ، فدعى إلى النظر والتأمّل في هذا الكون وما فيه من الآيات الباهرة والدلائل الساطعة ؛ من سماوات وأرض ، وليلٍ ونهار ، وبحار ورياح وسحاب ، وموت وحياة وغير ذلك .

يقول الإمام **ابن جرير الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ في هذه الآية : ((والصواب من القول في ذلك أن الله تعالى ذكره نبَّه عباده على الدلالة على وحدانيته وتفرده بالألوهية دون كل ما سواه من الأشياء بهذه الآية)).(٣) ، يعني قوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ...﴾ الآية .

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ في نفس الآية : ((وذلك وإن كان كذلك فإن الله إنما حاج بذلك قوماً كانوا مقرين بأن الله خالقهم ، غير أنهم يشركون في عبادته ــ عبادة الأصنام والأوثان)).(٤)

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥٨/١) باختصار .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥٩/١) .

(٣) جامع البيان (٦٢/٢) .

(٤) المصدر السابق (٦٥/٢) .

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى :﴿ إن إلهكم لواحد . رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق ﴾[الصافات : ٤-٥] .

يقول الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((وقرر توحيد ربوبيته ، فقال ﴿ إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾ [الصافات : ٤-٥]، من أعظم الأدلة على أنه إله واحد ، ولو كان معه إله آخر لكان الإله مشاركاً له في ربوبيته كما شاركه في إلهيته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، **وهذه قاعدة القرآن ، يقرر توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية ، فيقرر كونه معبوداً وحده بكونه خالقاً رازقاً وحده**)).[1]

ولهذا يحاجج الله تعالى أهل الشرك ، فيطلب منهم دليلاً سمعيّاً أو عقليّاً على استحقاق آلهتهم للعبادة ، فيقول تعالى : ﴿ قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ﴾[الأحقاف :٤] ، ولكن هيهات !!! .

ويقول الإمام **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((فكان ذلك التوحيد الذي هو توحيد الربوبية حجة عليهم ، فإذا كان الله هو رب كل شيء و مليكه ، ولا خالق ولا رازق إلا هو ، فلماذا يعبدون غيره معه ، وليس له عليهم خلق ولا رزق ولا بيده لهم منع ولا عطاء بل هو عبد مثلهم لا يملك لنفسه ضراً، ولا نفعاً ، ولا موتاً ، ولا حياةً ، ولا نشوراً)).[2]

ويقول الحافظ **ابن كثير** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((والمعنى الثاني في قولهم أفي الله شك أي أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك ، وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له ، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ولكن تعبد معه غيره من الوسائط ، التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى)).[3]

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص/٢٧٢) .

(٢) الفتاوى (١٤/٣٨٠) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/٥٢٦) .

ويقول الإمام ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ : ((فإن من تفرد بخلق العبد وبهدايته وبرزقه وإحيائه وإماتته في الدنيا ، وبمغفرة ذنوبه في الآخرة ، مستحق أن يفرد بالإلهية والعبادة والسؤال والتضرع والاستكانة له قال الله عز وجل ﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ [الروم :٤٠])).[1]

ويقول الشيخ **السعدي** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((وإذا كان الله تعالى هو الذي خلقك ورزقك وأنعم عليك بالنعم الظاهرة والباطنة لم يشاركه في ذلك مشارك ، فعليك أن لا تتأله ولا تتعبد لغيره ، وعليك أن تخصه بالتوحيد والسؤال واللجأ والفزع في أمورك كلها ، وهذا من أعظم الأدلة على توحيد الإلهية ، وهو الاستدلال بربوبية الله للعبد بل وللخلق كلهم ، والتفرد بتدبيرهم وإسداء النعم عليهم، على أنه هو الإله حقاً الذي لا يستحق الألوهية ولا شيئاً من العبودية غيره)).[2]

ويقول الشيخ **الشنقيطي** ـ رحمه الله ـ : ((ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وجوب توحيده في عبادته؛ ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير ، فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يعبد وحده ، ووبخهم منكراً عليهم شركهم به غيره ، مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده ؛ لأن من اعترف بأنه الرب وحده ، لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده)).[3]

وهكذا من تدبّر كتاب الله تعالى وجد عشرات الأمثلة من هذا القبيل ، وكذا من تتبّع أقوال علماء السلف قديماً وحديثاً ، فإنه يجد هذه الطريقة من الاستدلال مجمع على تقريرها ، والله أعلم .

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص/٢٢٥) .

(٢) مجموعة مؤلفات السعدي (عقيدة/٣/٢٦٩) .

(٣) أضواء البيان (٣/٤١١) .

ثالثاً : الاستدلال بتوحيد الأسماء والصفات على توحيد العبادة :-

من المعلوم أن الإله الحق الذي يستحق أن يعبد ويؤله وتصرف له العبادة وحده ، لا بد أن يتصف بصفات الكمال ، وينعت بنعوت الجلال ، ويتنـزّه عن كل نقص وعيب ، فيكون له المثل الأعلى في ذاته وأسمائه وصفاته ، والحاصل هنا أن من أثبت لله تعالى أسمائه وصفاته على وجه الكمال والجمال المطلق ، منـزّهاً له عن العيوب والنقائص ، فإن إثباته هذا يلزم منه إفراده تعالى بالمحبة والتأليه ؛ لأنه اعتقد الكمال فيه ، وأثبت له صفات من لا تصلح العبادة إلا له .

يقول الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((.. فهذان مسلكان آخران في حسن التكليف والأمر والنهي ، أحدهما يتعلق بذاته وصفاته وأنه أهل لذلك وان جماله تعالى وكماله وأسماءه وصفاته تقتضي من عباده غاية الحب والذل والطاعة له ، والثاني متعلق بإحسانه وإنعامه ولا سيما مع غناه عن عباده وانه إنما يحسن إليهم رحمة منه وجوداً وكرماً لا لمعاوضة ، ولا لاستجلاب منفعة ولا لدفع مضرة وأي المسلكين سلكه العبد أوقفه على محبته وبذل الجهد في مرضاته)).[1]

ويقول الشيخ **السعدي** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((ومن الأدلة ـ يعني أدلة توحيد الألوهية ـ على ذلك معرفة تفرد الرب بالكمال المطلق ، وأن له كل صفة كمال ، أن المخلوقات كلها كل وصف حميد فيها من الله تعالى ، ليس بها وليس منها ، وهذا من أعظم البراهين على أنه هو المخصوص بالتأله والعبودية)).[2]

رابعاً : دلالة الفطرة والعقل على توحيد العبادة :-

إن نعم الله على عباده لا تُعد ولا تحصى ، ويعجز البشر عن القيام بشكر هذه النعم ، ولا حتى ببعضها ، كيف لا ، وشكرها نعمة تستوجب شكراً آخر وهكذا ، ومن تلكم النعم العظيمة والمواهب الجليلة ، أن منَّ الله على عباده بفطرة سليمة وخِلْقَة سويّة ، تدلهم على الحق وتسوقهم إليه ، وبعقل صحيح وفكرٍ رجيح يميّزون به بين الخير والشر ، بين ما ينفعهم وما يضرهم ، فلك اللهم حمداً عظيماً وشكراً كبيراً .

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٩١-٩٢) .

(٢) مجموعة مؤلفات السعدي (عقيدة/٣/٢٦٩-٢٧٠) .

فقد ثبت عن أبي هريرة أنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ، ثم يقول أبو هريرة : واقرؤوا إن شئتم : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾)).[1]

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رهبة ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مت مت على الفطرة ...)).[2]

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((.. إن الله سبحانه منح عباده فطرة فطرهم عليها لا تقبل سوى الحق ، ولا تؤثر عليه غيره لو تركت ، وأيدها بعقول تفرِّق بين الحق والباطل ، وكملها بشرعة تفصِّل لها ما هو مستقر في الفطرة وأدركه العقل مجملا ، فالفطرة قابلة ، والعقل مزكٍّ ، والشرع مبصر مفصل لما هو مركوز في الفطرة ، مشهود أصله دون تفاصيله بالعقل ، فاتفقت فطرة الله المستقيمة ، والعقل الصريح ، والوحي المبصر المكمل...)).[3] إلى آخر كلامه ــ رحمه الله تعالى ــ .

وبناء على ذلك فإن إفراد الله تعالى بالعبادة ، مركوز في فطر البشرية مجبولة عليه ، ثم جاء العقل البشري مؤيداً لهذه الفطرة ؛ لأنه بحكم طبيعته السليمة يقبل الحق ، ويؤيده ولا يعترض عليه ، ومن ثم يكون العقل وتكون الفطرة من أعظم الأدلة على إفراد الله تعالى بالعبادة ، وإخلاص الدين له وحده دون ما سواه .

ويقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وكذلك دينه وأمره وما بعث به رسله ، هو ثابت في العقول جملة ، ثم علم بالوحي ، فقد تطابقت شهادة العقل والوحي

---

(١) صحيح البخاري (٤٥٦/١) برقم (١٢٩٢) ، مسلم (٢٠٤٧/٤) برقم (٢٦٥٨) .

(٢) البخاري (٢٦٢٦/٥) برقم (٥٩٥٢) .

(٣) الصواعق المرسلة (١٢٧٧/٤-١٢٧٨) .

على توحيده وشرعه والتصديق بوعده ووعيده ، وأنه سبحانه دعا عباده على ألسنة رسله إلى ما وضع في العقول حسنه والتصديق به جملة ، فجاء الوحي مفصلاً مبيناً ومقرراً ومذكراً لما هو مركوز في الفطر والعقول ».[1]

روي عن **معاذ بن جبل** ﷺ قوله : ((ثلاث وهن المنجيات ، الإخلاص وهو الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها ، والصلاة وهي الملة ، والطاعة وهي العصمة)).[2]

فدلّ قوله ـ ﷺ ـ على أن الفطرة ـ في كلامه ـ هي الإخلاص ، وهو إفراده بالعبادة وحده لا شريك له .

يقول الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ مبيناً أن توحيد العبادة مما فطرت عليه النفوس : « والمقصود أن الله فطر عباده على فطرة فيها الإقرار به ومحبته والإخلاص له والإنابة إليه وإجلاله وتعظيمه وأن الشخص الخارج عنها لا يحدث فيها ذلك ويجعلها فيها بعد أن لم يكن وإنما يذكرها بما فيها وينبهها عليه ويحركها له ويفصله لها ويبينه ويعرفها الأسباب المقوية والأسباب المعارضة له والمانعة من كماله كما أن الشخص الخارج لا يجعل في الفطرة شهوة اللبن عند الرضاع والأكل والشرب والنكاح وإنما تذكر النفس وتحركها لما هو مركوز فيها بالقوة ».[3]

ويقول ـ رحمه الله تعالى ـ أيضاً : « وما أودع في فطرهم من حسن شكره وعبادته وحده لا شريك له ، وان نعمه عليهم توجب بذل قدرتهم وطاقتهم في شكره ، والتقرب إليه ، وإيثاره على ما سواه ، وأثبت في الفطر علمها بقبيح أضداد ذلك ».[4]

ويزيد الإمام **ابن القيم** الأمر وضوحاً وبياناً فيقول ـ رحمه الله تعالى ـ : « فقد تبين دلالة الكتاب والسنة والآثار واتفاق السلف، على أن الخلق مفطورون على دين الله ، الذي هو معرفته والإقرار به ومحبته والخضوع له ، وإن ذلك موجب فطرتهم ومقتضاها ،

---

(1) مفتاح دار السعادة (٢/١٢) .

(2) جامع البيان (٢١/٤٠) .

(3) شفاء العليل (ص/٣٠٢) .

(4) مفتاح دار السعادة (١/٢٨٢) .

يجب حصوله فيها إن لم يحصل ما يعارضه ، ويقتضي حصول ضده ، وإن حصول ذلك فيها لا يقف على وجود شرط ، بل على انتفاء المانع ، فإذا لم يوجد فهو لوجود منافيه لا لعدم مقتضيه ، ولهذا لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم لوجود الفطرة شرطاً بل ذكر ما يمنع موجبها ، حيث قال فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، فحصول هذا التهويد والتنصير موقوف على أسباب خارجة عن الفطرة ، وحصول الحنيفية والإخلاص ومعرفة الرب والخضوع له لا يتوقف أصله على غير الفطرة وإن توقف كماله وتفصيله على غيرها وبالله التوفيق)).[1]

كما أن الله تعالى قد فطر النفوس والعقول على استقباح الشرك والنفرة عنه ، وجعل العلم بقبحه من الأمور البديهية ، المعلومة بضرورة العقل ، وبين أن من وقع فيه فلا نصيب له في العقل الصحيح ولا الفطرة السليمة .

يقول الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((واعلم أنه إن لم يكن حسن التوحيد وقبح الشرك معلوما بالعقل مستقراً في الفطر ، فلا وثوق بشيء من قضايا العقل ، فإن هذه القضية من أجل القضايا البديهيات ، وأوضح ما ركب الله في العقول والفطر ولهذا يقول سبحانه عقيب تقرير ذلك ، أفلا تعقلون ، أفلا تذكرون وينفي العقل عن أهل الشرك ويخبر عنهم بأنهم يعترفون في النار أنهم لم يكونوا يسمعون ولا يعقلون ، وأنهم خرجوا عن موجب السمع والعقل ، وأخبر عنهم أنهم صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون ، وأخبر عنهم أن سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم لم تغن عنهم شيئا ، وهذا إنما يكون في حق من خرج عن موجب العقل الصريح والفطرة الصحيحة ، ولو لم يكن في صريح العقل ما يدل على ذلك لم يكن في قوله تعالى انظروا، واعتبروا، وسيروا في الأرض فانظروا فائدة ، فإنهم يقولون عقولنا لا تدل على ذلك ، وإنما هو مجرد إخبارك ، فما هذا النظر والتفكر والاعتبار والسير في الأرض ، وما هذه الأمثال المضروبة والأقيسة العقلية والشواهد العيانية أفليس في ذلك أظهر دليل على حسن التوحيد والشكر ، وقبح الشرك والكفر مستقر في العقول والفطر معلوم لمن كان له قلب حي وعقل سليم وفطرة صحيحة)).[2]

---

(١) شفاء العليل (ص/٣٠٢-٣٠٣) .

(٢) مدارج السالكين (٣/٤٩١) ، وانظر كذلك (١/٢٣٩) ، مفتاح دار السعادة (٢/٨-٩) .

فالخلاصة إذاً أن الفطرة والعقل دليلان عظيمان من أدلة توحيد العبادة ، فالله تعالى اعتبر الفطرة عندما أشهد بني آدم وأخذ منهم الميثاق وهم في ظهر أبيهم آدم ، كما أنه تعالى اعتبر العقل وخاطبه بهذا التوحيد في مواطن عدة ، ولم يكتف سبحانه وتعالى بمجرد الأمر بإفراده بالعبادة ، بل أكثر من الاستدلال ونوَّع في الأدلة التي ترشد العقل وتوقظ الفطرة .

ولو لم يكن للفطرة والعقل اعتبار في هذا الباب لاكتفى بمجرد الأمر ، فلما لم يحصل الاكتفاء دلّ على الاعتبار ، والله أعلم .

خامساً : الاستدلال بالأمثال المضروبة على توحيد العبادة :

وهذا جانب آخر من الاستدلال على توحيد العبادة وحسنه ، وتصوير الإشراك به بأقبح الصور وأبشعها ، وهي طريقة نافعة ومفيدة تتطلب عقلاً صحيحاً وفهماً سليماً ، وقد ذكر الله تعالى هذه الطريقة في كتابه الكريم واستدل بها على هؤلاء المشركين ، ولا تخفى فائدة ضرب الأمثال من زيادة البيان والإيضاح ، وتقريب البعيد وتصويره كالمحسوس ، والإقناع والتذكير وغير ذلك .

يقول الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله ـــ : « فهذه فائدة ضرب الأمثال ، وهي خاصة العقل ولبه ، ولهذا أكثر الله تعالى منها في القرآن ، ونفى عقلها عن غير العلماء فقال تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعلقها إلا العالمون ».[1]

ويقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « وضرب الأمثال مما يظهر به الحال وهو القياس العقلي الذي يهدي به الله من يشاء من عباده قال تعالى : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ﴾[الروم :٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾[العنكبوت :٤٣].. ».[2]

ويقول الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « ومن هذا ما وقع في القرآن من الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون ، فإنها تشبيه شيء بشيء في حكمه ، وتقريب المعقول من المحسوس ، أو أحد المحسوسين من الآخر ».[3]

---

(١) مدارج السالكين (١/١٤٠) ، وانظر : كذلك المدارج (١/٢٣٨-٢٤٠) .

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/٣٤٧) .

(٣) إعلام الموقعين (١/١٥٠) .

وذكر ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً شيئاً من فوائد هذه الأمثال فقال : ((ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور ؛ التذكير ، والوعظ ، والحث ، والزجر ، والاعتبار ، والتقرير ، وتقريب المراد للعقل ، وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس ، وقد تأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر على المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلي تفخيم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر والله أعلم)).[1]

ويزيد الإمام **ابن القيم** المعنى وضوحاً وظهوراً فيقول ــ رحمه الله ــ : ((فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام ، وتنفر من الغربة ، والوحدة ، وعدم النظير ، ففي الأمثال من تأنيس النفس ، وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق ، أمر لا يجحده أحد ولا ينكره ، وكلما ظهرت له الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً ، فالأمثال شواهد المعنى المراد ومزكية له ، فهي كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته)).[2]

فلكل هذه الفوائد والمصالح التي في ضرب الأمثال ، أكثر الله منها ، فضلاً منه ، ورحمة بعباده تبارك وتعالى ، ضربها إقامة للحجة ، وبياناً للمحجة .

يقول العلامة **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ : ((ولهذا ضرب الله سبحانه الأمثال، وهي الأدلة العقلية، وخاطب العباد بذلك خطاب من استقر في عقولهم ، وفطرهم حسن التوحيد ووجوبه وقبح الشرك وذمه ، والقرآن مملوء بالبراهين العقلية الدالة على ذلك)).[3]

وفيما يلي أذكر بعض هذه الأمثال التي ضربها الله لعباده ، استدلالاً بها على توحيد عبادته عز وجل ، مقرونة بكلام أهل العلم فيها .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾[العنكبوت :٤١] ،

---

(١) بدائع الفوائد (٨١٥/٤) .

(٢) إعلام الموقعين (٢٣٩/١-٢٤٠) .

(٣) مدارج السالكين (٤٨٨/٣) .

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ : « فذكر سبحانه أنهم ضعفاء ، وأن الذين اتخذوهم أولياءهم أضعف منهم ، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتاً ، وهو من أوهن البيوت وأضعفها ، وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً ، كما قال تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً ﴾[مريم :٨١ ، ٨٢] ، وقال تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون ﴾[يس :٧٥] ... وهذا من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده ».(١)

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾[الروم :٢٨] .

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : « يحتج سبحانه عليهم لما في عقولهم من قبح كون مملوك أحدهم شريكا له ، فإذا كان أحدكم يستقبح أن يكون مملوكه شريكه ولا يرضى بذلك ، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء تعبدونهم كعبادتي ، وهذا يبين أن قبح عبادة غير الله تعالى مستقر في العقول والفطر ، والسمع نبه العقول وأرشدها إلى معرفة ما أودع فيها من قبح ذلك ».(٢)

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ [الزمر : ٢٩] .

يوضح الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ هذا المثل بقوله : « احتج سبحانه على قبح الشرك بما تعرفه العقول من الفرق بين حال مموك يملكه أرباب متعاسرون سيئو الملكة ، وحال عبد يملكه سيد واحد، قد سلم كله له ، فهل يصح في العقول استواء حال العبدين ، فكذلك حال المشرك والموحد الذي قد سلمت عبوديته لإلهه الحق لا يستويان ».(٣)

---

(١) إعلام الموقعين (١/١٥٤-١٥٥) .

(٢) مدارج السالكين (١/٢٤٠) .

(٣) المصدر السابق (١/٢٤٠) .

وكذلك ضرب الله مثلاً لمن وقع في الشرك الأصغر وهو الرياء ، فقال تعالى :﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾[البقرة :٢٦٤] .

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ في هذه الآية : « وكذلك قوله تعالى مثلاً لقبح الرياء المبطل للعمل ، والمن والأذى المبطل للصدقات بصفوان ، وهو الحجر الأملس عليه تراب غبار قد لصق به ، فأصابه مطر شديد فأزال ما عليه من التراب فتركه صلداً أملس لا شيء عليه وهذا المثل في غاية المطابقة لمن فهمه ».[1]

فهذا غيض من فيض مما ذكره الله تعالى في القرآن من تلكم الأمثلة ، محتجاً بهذه الطريقة على استحقاقه تبارك وتعالى للعبادة وحده دون ما سواه ، ومع ذلك فلا يستفيد من هذه الأمثال إلا أصحاب العقول الصحيحة والفهوم السليمة ، الذين كتب الله لهم الهداية والتوفيق ، وقليل ما هم ، ذلك أن الكثيرين ممن يدعون الإسلام ، ويتلفظون بشهادة التوحيد لا إله إلا الله ، بل بعضهم لا تفارق هذه الشهادة لسانه ، ثم هم يتقنون حفظ القرآن ، ويقرؤونه آناء الليل وأطراف النهار ، ومع ذلك فقلوبهم معلّقة بغير رب الأرض والسماء ، معلّقة بمن هو مخلوق مثلهم مربوب ضعيف لا حول له ولا قوة ؛ يدعونهم ويرجون منهم السعادة والخير ، فهل ترى أو تظن أن هؤلاء استفادوا من هذه الأمثال المضروبة ، أم هي تمر عليهم كمر السحاب ، وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾[العنكبوت :٤٣] .

سادساً : الاستدلال على توحيد الله بما حلّ بالأمم السالفة ، التي وقعت في الشرك من العذاب :-

هذه سنة الله في تلك الأمم التي سبقت الأمة المحمدية ، فإنه ما من أمة من الأمم إلا خلا فيها نذير من رسل الله وأنبيائه ، يأمرهم بالتوحيد وعبادة الله وحده ، وقد تأتيهم الكتب من الله والآيات ، فمن آمن منهم نجا ، ومن أعرض عن التوحيد واستمر في لوثة

---

(١) مدارج السالكين (١/٢٤٠) .

الشرك وقذارة الوثنية ، وكذب الأنبياء وجحد الآيات البينات ، لم يمهله الله حتى يذيقه من شديد عقابه وأليم عذابه ، وكل هذا الذي حلَّ بالأمم الماضية من الدمار والهلاك ذكره الله تعالى في كتابه الكريم ؛ ليكون ذلك عبرة لهذه الأمة المحمدية ، فيقيمون التوحيد ويفردون الله بالعبادة ، ويبتعدون عن الشرك وطرقه وأسبابه ، وإلا استحقوا الهلاك وخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين والضلال البعيد .

يقول الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ في قوله عز وجل ﴿ وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ﴾[الأعراف :١٧٤] ، : ((يقول تعالى ذكره وكما فصلنا يا محمد لقومك آيات هذه السورة ، وبيّنا فيها ما فعلنا بالأمم السالفة قبل قومك ، وأحللنا بهم من المثلات بكفرهم وإشراكهم في عبادتي غيري ، كذلك نفصل الآيات غيرها ونبينها لقومك لينزجروا ويرتدعوا ، فينيبوا إلى طاعتي ، ويتوبوا من شركهم وكفرهم ، فيرجعوا إلى الإيمان ، والإقرار بتوحيدي ، وإفراد الطاعة لي ، وترك عبادة ما سواي)).[1]

فبيّن ــ رحمه الله تعالى ــ أن الغرض من ذكر هذه الوقائع والأحداث التي حلّت بالأمم السابقة إنما هو الاعتبار بحالهم ، وتجنّب ما كان سبباً في عذابهم ودمارهم ؛ من شرك بالله وترك عبادته وحده ، والإعراض عن رسله .

ويقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((ومن بعض الأدلة العقلية ، ما أبقاه الله تعالى من آثار عقوبات أهل الشرك ، وآثار ديارهم ، وما حل بهم ، وما أبقاه من نصر أهل التوحيد وإعزازهم وجعل العاقبة لهم ، قال تعالى ﴿ وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم .. ﴾[العنكبوت:٣٨] ، وقال في ثمود ﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون * وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [النمل :٥٢،٥٣] ، وقال في قوم لوط ﴿ إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون * ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون﴾[العنكبوت:٣٤،٣٥] ، وقال تعالى ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين * وإنها لبسبيل مقيم * إن في ذلك لآية للمؤمنين * وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين * فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين ﴾[الحجر:٧٥ــ٧٩] ، وقال تعالى في قوم لوط

---

(١) جامع البيان (٩/١١٩) .

﴿ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعلقون ﴾[الصافات:١٣٧،١٣٨] ، وهو سبحانه يذكر في سورة الشعراء ما أوقع بالمشركين من أنواع العقوبات ، ويذكر إنجاءه لأهل التوحيد ، ثم يقول ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾[الشعراء:١٢١،١٢٢] ، فيذكر شرك هؤلاء الذين استحقوا به الهلاك ، وتوحيد هؤلاء الذين استحقوا به النجاة ، ثم يخبر أن في ذلك آية وبرهاناً للمؤمنين ..)).[1]

إلى آخر كلامه ـــ رحمه الله تعالى ـــ .

هذا ما وجدته فيما يتعلق بأدلة هذا النوع العظيم من أنواع التوحيد ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، والله تعالى أعلم .

---

(١) مدارج السالكين (٤٩٢/٣) ، وينظر : التبيان في أقسام القرآن (ص/ ١٨٨-١٨٩) .

المبحث الثالث
مكانته وأهميته

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : توحيد الألوهية دعوة جميع الرسل .

المطلب الثاني : بيان أنه هو الذي أنكره المشركون .

المطلب الثالث : أنه معنى لا إله إلا الله .

المطلب الرابع : أنه حقيقة دين الإسلام .

المطلب الأول
توحيد الألوهية دعوة جميع الرسل

لقد كان الناس أمة واحدة على التوحيد ، فجاءهم الشيطان فغيَّر فطرهم ، ولوّث دينهم ، ومحى الحنيفية من قلوبهم ، فاقتضت حكمة الله تعالى أن بعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين ، فجاءوا أقوامهم يدعونهم إلى توحيد الله تعالى ، وإفراده بالعبادة ، وترك الأوثان والأنداد ، وإخلاص الدين لله ، هذا هو أصل دعوة الرسل جميعاً ؛ من نوح عليه السلام وإلى خاتمهم سيِّد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ ، وهذه حقيقة ثابتة واضحة كالشمس في وضح النهار ، إلا أنه مع ذلك بقيت فئة تشكك في أهمية هذا النوع ، ومن أسباب ذلك التشكيك الجهل بمعاني آيات القرآن العظيم ، وعدم الرجوع إلى كلام السلف ، والتزام منهجهم ، لكل ذلك وغيره فلا بد من نقل كلام أئمة السلف في هذا الباب ؛ لقشع سحائب الضلال ، وتبديد حجب الظلام عن تلك القلوب الميّتة ، والعقول الجامدة ، وفيما يلي أسوق لك أخي القارئ أقوال العلماء وأئمة التفسير في بيان هذا الأمر الجلل .

يقول الإمام ابن جرير الطبري ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً كون جميع الرسل إنما بعثوا بتوحيد العبادة فقال في قوله عز وجل :﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل : ٣٦] : « يقول تعالى ذكره : ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمة سلفت قبلكم رسولاً ، كما بعثنا فيكم ، بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة، واجتنبوا الطاغوت يقول : وابعدوا من الشيطان ، واحذروا أن يغويكم ، ويصدكم عن سبيل الله فتضلوا ».[1]

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ في قوله تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ : « يقول تعالى ذكره وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السموات والأرض تصلح

---

(١) جامع البيان (١٤/١٠٣) .

العبادة له سواي فاعبدون ، يقول : فأخلصوا لي العبادة وأفردوا لي الألوهة . ثم ذكر بسنده أثر قتادة في الآية الذي قال فيه : قال أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد لا يقبل منهم ــ قال أبو جعفر أظنه أنا قال ــ عمل حتى يقولوه ويقروا به ، والشرائع مختلفة في التوراة شريعة ، وفي الإنجيل شريعة ، وفي القرآن شريعة ، حلال وحرام ، وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له ».[1]

ويقول الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ في قوله عز وجل ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] : « أي قلنا للجميع لا إله إلا الله ، فأدلة العقل شاهدة أنه لا شريك له ، والنقل عن جميع الأنبياء موجود ، والدليل إما معقول ، وإما منقول ... ».[2]

ثم يأتي شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ مبيّناً أهمية توحيد الألوهية ، مقرّراً ما قرّره العلماء قبله ؛ من أن أصل دعوة جميع الأنبياء والمرسلين هو توحيد الألوهية والعبادة فيقول : « وهذا الأصل وهو التوحيد ، هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره ، وبه أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، كما قال تعالى :

﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ [الزخرف :٤٥] ، وقال تعالى :﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء :٢٥] ، وقال تعالى :﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ [النحل : ٣٦] ، وقد ذكر الله عز وجل عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه : اعبدوا الله مالكم من إله غيره ».[3]

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : « وجميع الرسل افتتحوا دعوتهم بهذا الأصل ، كما قال نوح عليه السلام : اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، وكذلك هود ، وصالح ، وشعيب عليهم السلام وغيرهم ، كل يقول اعبدوا الله مالكم من اله غيره ».[4]

---

(١) جامع البيان (١٧/١٥) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١١/٢٨٠) .

(٣) الفتاوى (١/١٥٤) . وانظر : درء التعارض (١/٢٢٥) ، منهاج السنة النبوية (٢/٢٧٠) .

(٤) الفتاوى (١٠/٥١) .

ويؤيّد الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ شيخه شيخ الإسلام ، فيما قرّره من كون توحيد العبادة هو أساس دعوة الأنبياء ، وزبدة رسالاتهم ، فيقول : « وجميع الرسل إنما دعوا إلى إياك نعبد وإياك نستعين ؛ فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته ، من أولهم إلى آخرهم ، فقال نوح لقومه : اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، وكذلك قال هود ، وصالح ، وشعيب وإبراهيم ، قال الله تعالى :﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل : ٣٦] ، وقال :﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدوا ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، وقال تعالى :﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم * وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ [المؤمنون : ٥١-٥٢]..».[1]

ويقول الحافظ **ابن كثير** ــ رحمه الله ــ : « فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب ، يأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وينهى عن عبادة ما سواه ، قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل : ٣٦] ».[2]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : «... كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نحن معاشر الأنبياء أخوة لعلات ديننا واحد ».[3] يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله ، وضمنه كل كتاب أنزله ، كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] وقال تعالى :﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل : ٣٦]..».[4]

---

(١) مدارج السالكين (١٠١/١) . وانظر : إغاثة اللهفان (١٣٤/٢) ، شفاء العليل (ص/١٣٩) ، الجواب الكافي (ص/١٤١) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٢٦/٤) ، وانظر كذلك (١٩٩/٢) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١٢٧٠/٣) ، برقم (٣٢٥٩) ، ولفظه « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد » .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦٧/٢) .

ويقول الإمام **ابن أبي العز الحنفي** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل ، قال تعالى :﴿ لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره)).[١]

ويقول الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((..وأما معنى الآية فأخبر تعالى أنه بعث في كل أمة ، أي في كل طائفة وقرن من الناس رسولا بهذه الكلمة ، أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت : أي اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه ، فلهذا خلقت الخليقة ، وأرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ..)).[٢] إلى آخر كلامه ــ رحمه الله تعالى ــ .

ويقول الإمام **الصنعاني** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((إن رسل الله وأنبياءه من أولهم إلى آخرهم بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة ، وكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (أن لا تعبدوا إلا الله) (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) ..)).[٣] إلى نهاية كلامه ــ رحمه الله تعالى ــ .

ويقول الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وهذا النوع ــ أي توحيد الألوهية ــ زبدة رسالة الله لرسله ، فكل نبي يبعثه الله يدعو قومه يقول : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ [المؤمنون : ٣٢] ، ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل : ٣٦] ..)).[٤]

وهكذا فإنك ترى أقوال أئمة أهل العلم مجتمعة على صحة هذا الأصل ، الذي إن دلّ فإنما يدلّ على أهمية توحيد العبادة ، ولكن هل تقبّل هولاء المنحرفون دعوة الأنبياء إلى هذا التوحيد ؟ ، ولماذا لم يركّز الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ على توحيد الربوبية في دعوة أقوامهم ؟ ، هذا ما سنتعرّض له في المطلب التالي بإذن الله ، والله تعالى أعلم .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص/٧٤) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص/٣٤) .

(٣) تطهير الاعتقاد (ص/٣١) .

(٤) مجموعة مؤلفات السعدي (عقيدة/٣/٢٦٨) .

المطلب الثاني
بيان أن توحيد الألوهية هو الذي أنكره المشركون

عُلِمَ مما سبق من بيان في المباحث الماضية من كون الله تعالى فطر عباده على الإقرار به ، والاعتراف بوجوده ، وأنه رب العالمين ، وهو الخالق لهذا الكون بكل ما فيه لا تخرج عن ملكه ذرة ، وأن كل من جحد هذه الحقيقة وأنكرها كان من المعاندين كفرعون لعنه الله ، مع أنه كان مقراً بهذه الحقيقة في قرارة نفسه ، ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾[النمل : ١٤] .

ولهذا عندما بعث الله رسله إلى أقوامهم ، لم يكونوا في حاجة إلى دعوتهم لهذا التوحيد ، وإنما جاءت الرسل مذكرة بتوحيد الربوبية ، داعية إلى توحيد الألوهية ، ولهذا كما سبق فإن الرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا يقررون المشركين بتوحيد الربوبية حتى يلزموهم بتوحيد الألوهية .

ولذلك يقول حبر الأمة **عبد الله بن عباس** ﷺ في قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ٢٢] : « أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر ، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه ».[١]

فبين ﷺ أن المشركين كانوا يعترفون بتوحيد الربوبية ، وإنما الذي أنكروه هو توحيد الألوهية .

وجاء عن **قتادة** ــ رحمه الله تعالى ــ في هذه الآية : « أي تعلمون أن الله خلقكم وخلق السموات والأرض ، ثم تجعلون له أنداداً ».[٢]

---

(١) جامع البيان (١/١٦٤) .

(٢) المصدر السابق (١/١٦٤) .

يقول الإمام ابن جرير الطبري في تفسير مجاهد لهذه الآية بأنها نزلت في أهل الكتاب ولم تنزل في مشركي العرب . فقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((وأحسب أن الذي دعا مجاهداً إلى هذا التأويل ، وإضافة ذلك إلى أنه خطاب لأهل التوراة والإنجيل دون غيرهم ، الظن منه بالعرب أنها لم تكن تعلم أن الله خالقها ورازقها بجحودها وحدانية ربها وإشراكها معه في العبادة غيره ، وإن ذلك لقول ، **ولكن الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها أنها كانت تقر بوحدانيته غير أنها كانت تشرك في عبادته ما كانت تشرك فيها** فقال جل ثناؤه ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾[الزخرف:٨٧] ، وقال ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾[يونس:٣١] ، فالذي هو أولى بتأويل قوله وأنتم تعلمون إذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانية الله وأنه مبدع الخلق وخالقهم ورازقهم نظير الذي كان من ذلك عند أهل الكتابين ، ولم يكن في الآية دلالة على أن الله جل ثناؤه عنى بقوله وأنتم تعلمون أحد الحزبين ، بل مخرج الخطاب بذلك عام للناس كافة لهم ؛ لأنه تحدى الناس كلهم بقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم ، أن يكون تأويله ما قاله ابن عباس وقتادة ، من أنه يعني بذلك كل مكلف عالم بوحدانية الله ، وأنه لا شريك له في خلقه يشرك معه في عبادته غيره كائنا من كان من الناس عربيا كان أو أعجميا كاتبا أو أميا ...)).[1]

ويقول الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ في قوله جل وعز :﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾[يوسف : ١٠٦] ، قال : ((نزلت في قوم أقروا بالله خالقهم وخالق الأشياء كلها ، وهم يعبدون الأوثان . قاله الحسن ومجاهد وعامر والشعبي وأكثر المفسرين ... وقال **ابن عباس** رضي الله عنه : نزلت في تلبية مشركي العرب لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ...)).[2]

---

(١) جامع البيان (١/١٦٤ ـــ ١٣/٧٨،٧٩ ـــ ٢١/١٠١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٩/٢٧٢) .

ويقول الإمام **الشوكاني** ــ رحمه الله تعالى ــ في هذه الآية : ((وما يؤمن أكثرهم بالله أي وما يصدق ويقر أكثر الناس بالله ؛ من كونه الخالق الرزاق المحيي المميت ، إلا وهم مشركون بالله يعبدون معه غيره ، كما كانت تفعله الجاهلية ، فإنهم مقرون بالله سبحانه وبأنه الخالق لهم)).[١]

ويقول الإمام **ابن كثير** ــ رحمه الله تعالى ــ في قوله تعالى :﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾[الزمر : ٣٨] ، قال : ((يعني المشركين ، كانوا يعترفون بأن الله عز وجل هو الخالق للأشياء كلها ، ومع هذا يعبدون معه غيره ، مما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً)).[٢]

فهذه بعض أقوال علماء التفسير تثبت أن المشركين كانوا يعترفون ويقرون بتوحيد الربوبية ، وإنما الذي أنكروه هو توحيد الألوهية ، وهكذا الناظر في كلام علماء أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً يجد تقرير هذه الحقيقة من الكثرة بحيث لا يمكن حصره ولا رصده .

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فإن هؤلاء المشركين لما أنكروا ما بعثت به الرسل من الأمر و النهي، وأنكروا التوحيد الذي هو عبادة الله و حده لا شريك له، وهم يقرون بتوحيد الربوبية وأن الله خالق كل شيء)).[٣]

ويقول العلامة **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((.. ولاعتراف أهل الأرض بتوحيد الربوبية ، وكذلك كان عباد الأصنام يقرون به ، وينكرون توحيد الإلهية)).[٤]

ويقول الإمام **الصنعاني** ــ رحمه الله تعالى ــ مقرراً مكرراً هذه الحقيقة : ((.. فلم ينكروا إلا طلب الرسل منهم إفراد العبادة لله ، و لم ينكروا الله تعالى ، ولا قالوا : إنه لا يعبد ، وأنكروا كونه يفرد بالعبادة ، فعبدوا مع الله غيره ، وأشركوا معه سواه ، واتخذوا معه أنداداً)).[٥]

---

[١] فتح القدير (٣/٥٩ ــ ٤/٤٦٥) . وانظر للمزيد : زاد المسير (٦/٢٨٣) ، روح المعاني (١٨/٤٤) .

[٢] تفسير القرآن العظيم (٤/٥٥،١٣٧) .

[٣] الفتاوى (٨/٣٥٣) .

[٤] طريق الهجرتين (ص/٨٠) ، عدة الصابرين (ص/٣٥) ، بدائع الفوائد (٢/٤٧٢) .

[٥] تطهير الاعتقاد (ص/٤٩) .

ولكن مع كونهم أنكروا توحيد العبادة الذي دعتهم إليه الرسل ، إلا أنه كانت لهم عبادات يفعلونها لله تعالى ولكنهم يشركون معه غيره ، وهذا ما يشعر به لفظ الشرك ، وذلك أنهم كانوا يحجون البيت ويطوفون به ، وكانوا يقولون في تلبيتهم : ((لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك)) ، وكانوا يتصدقون بالمال على المحتاجين ، وكانوا يخلصون لله الدعاء في حالة الشدة والبلاء ، ويشركون به في حال الخير والرخاء ، كما قال تعالى :﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾[العنكبوت:٦٥] .

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فأما المؤمن فيوحده في الشدة و الرخاء ، وأما الكافر فيوحده في الشدة و البلاء دون النعمة والرخاء ، بيانه في قوله ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين)).(1)

ويقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((.. وأنتم لما عبدتم غيره فلستم من عابديه وإن عبدوه في بعض الأحيان ، فإن المشرك يعبد الله ويعبد معه غيره كما قال أهل الكهف ﴿ وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله ﴾ [الكهف :١٦] ، أي اعتزلتم معبودهم إلا الله فإنكم لم تعتزلوه ، وكذا قال المشركون عن معبودهم ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [الزمر :٣] ، فهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره فلم ينتف عنهم الفعل لوقوعه منهم ، ونفي الوصف لأن من عبد غير الله لم يكن ثابتا على عبادة الله موصوفا بها فتأمل هذه النكتة البديعة ، كيف تجد في طيها أنه لا يوصف بأنه عابد الله وعبده المستقيم على عبادته إلا من انقطع إليه بكليته ، وتبتل إليه تبتيلا ، لم يلتفت إلى غيره ، ولم يشرك به أحدا في عبادته ، وأنه وإن عبده وأشرك به غيره فليس عابداً لله ولا عبداً له)).(2)

---

(1) الفتاوى (٨/٥٠) .

(2) بدائع الفوائد (١/١٤٤-١٤٥) .

المطلب الثالث
بيان أن توحيد الألوهية هو معنى لا إله إلا الله

من المعلوم أن التوحيد الذي جاءت به جميع الرسل ، هو بعينه معنى كلمة لا إله إلا الله ؛ لأن توحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة ، وعدم عبادة ما سواه ، فلا يصح من أحد هذا التوحيد حتى يثبت العبادة لله وحده ، وينفيها عن كل ما سواه ، وهكذا كلمة لا إله إلا الله ، فإنها تتضمن نفي الإلهية عن كل ما سوى الله جل وعز ، وإثباتها لله وحده .

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : « وهذه أعظم كلمة تضمنت بالوضع نفي الإلهية عما سوى الله ، وإثباتها له بوصف الاختصاص ، فدلالتها على الإثبات أعظم من دلالة قولنا الله إله ، ولا يستريب أحد في هذا البتة ».[1]

وكما علم سابقاً أن جميع الأنبياء دعوا أقوامهم إلى هذا التوحيد ، توحيد العبادة ، ولذلك قال نبينا ﷺ لقومه قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، كلمة تدين لكم بها العرب ، وتذل لكم بها العجم ، وقالها لعمه عبد المطلب وهو في فراش الموت .

ولهذا عندما بعث ﷺ معاذاً إلى اليمن ، قال له : ((فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله)).[2]، والمقصود بالتوحيد هو توحيد العبادة، وهو مضمون معنى لا إله إلا الله .

يقول **ابن تيمية** ــ رحمه الله ــ : « وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك إذ هذا تحقيق قولنا لا إله إلا الله ، فإن الإله هو الذي تأله القلوب لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف ».[3]

---

(١) بدائع الفوائد (٣/٥٦٥) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/٥٢٩) برقم (١٣٨٩) ، وفي (٦/٢٦٨٥) برقم (٦٩٣٧) ، ومسلم في الصحيح (١/٥١) برقم (١٩) ، كلاهما عن ابن عباس ﷺ .

(٣) الفتاوى (١/١٣٦) .

ويقول **شيخ الإسلام** ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((.. أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً وعلى أن نعبده بما شرع ، لا بالحوادث والبدع ، وهو حقيقة قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإن الإله هو الذي تأله القلوب عبادة واستعانة و محبة وتعظيماً وخوفاً ورجاء ، وإجلالاً وإكراماً ، وهو سبحانه له حق لا يشركه فيه غيره)).(١)

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ كذلك : ((فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم ، عبادة الله وحده ، وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله)).(٢)

ويقول العلامة **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((ويتضمن إفراده بالألوهية وإفراده بالتعظيم وهذا معنى لا إله إلا الله)).(٣)

ويقول الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره ، وباطنه وظاهره ، وهو أول دعوة الرسل وآخرها ، وهو معنى قول لا إله إلا الله، فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة، والخشية، والإجلال، والتعظيم، وجميع أنواع العبادة)).(٤)

ولهذا بوَّب الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ في كتابه التوحيد ((باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله)).(٥)

يقول الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله تعالى ــ معلّقاً على هذا التبويب : ((هما بمعنى واحد ، فهو من باب عطف المترادفين)).(٦)

ويقول الشيخ **العثيمين** ــ رحمه الله ــ شارحاً لتبويب الشيخ محمد بن عبد الوهاب : ((... والعطف هنا من باب عطف المترادفين؛ لأن التوحيد حقيقة هو شهادة أن لا إله إلا الله)) .(٧)

---

(١) كتاب تلخيص الاستغاثة (١٤١/١) .

(٢) الجواب الصحيح (٢٩/٦) .

(٣) أحكام أهل الذمة (٤١٤/١) .

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص/٢٠) .

(٥) القول المفيد (١٤٣/١) .

(٦) مجموعة مؤلفات السعدي (عقيدة/٣/١٦) .

(٧) القول المفيد (١٤٣/١) .

المطلب الرابع
بيان أن توحيد الألوهية هو حقيقة دين الإسلام

اعلم رحمك الله ، أن الله تعالى لا يقبل من أحد ــ مهما كان ــ ديناً يدين به غير الإسلام ، قال الله تعالى :﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾[آل عمران:١٩] ، وقال عز وجل :﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾[آل عمران:٨٥] ، وهذا الإسلام هو إفراد الله بالعبادة ، والبراءة من الشرك وأهله ، فمن لم يأت الله تعالى يوم القيامة بهذا الإسلام فهو من الخاسرين ، وهو الإسلام العام الذي أوجبه الله على جميع الأمم ، ولا يقبل الله ديناً سواه ، كما قال تعالى :﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[البقرة ١٣٠،١٣١،١٣٢] ، فالإسلام في هذه الآية هو الإسلام العام ، أما الخاص فهو الدين الذي جاء به النبي ﷺ ، وهو المقصود عند الإطلاق ، فالعام هو توحيد الله في العبادة ، والخاص أصله وأساسه هو توحيد العبادة ،...

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : « فأكمل الخلق وأفضلهم وأعلاهم وأقربهم إلى الله وأقواهم وأهداهم ، أتمهم عبودية لله من هذا الوجه ، وهذا هو حقيقة دين الإسلام الذي أرسل به رسله ، وأنزل به كتبه ، وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره ، فالمستسلم له ولغيره مشرك ، والممتنع عن الاستسلام له مستكبر ».[1]

ويقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : « وقد دل قوله ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾[آل عمران:١٩] ، على أنه دين جميع أنبيائه ورسله وأتباعهم من أولهم إلى آخرهم، وأنه لم يكن لله قط ولا يكون له دين سواه ، قال أول الرسل نوح : ﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾[يونس :٧٢] ، وقال

[1] الفتاوى (١/٧١ ، ٢/٤٤٢ ، ١٠/١٩٥ ، ١١/٢١٩) .

إبراهيم وإسماعيل : ﴿ ... ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾[البقرة:١٢٨] ، ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[البقرة:١٣٢] ، وقال يعقوب لبنيه عند الموت ﴿ ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك ... إلى قوله ... ونحن له مسلمون ﴾[البقرة:١٣٣] ، وقال موسى لقومه ﴿ إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾[يونس:٨٤] ، وقال تعالى : ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾[آل عمران:٥٢] ، وقالت ملكة سبأ ﴿ رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾[النمل:٤٤] ، فالإسلام دين أهل السموات ، ودين أهل التوحيد من أهل الأرض ، لا يقبل الله من أحد دينا سواه)).[1]

ويقول الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((وهذا حقيقة دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه ، كما قال النبي ﷺ :((بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت)).[2] رواه البخاري ومسلم ، فأخبر أن دين الإسلام مبني على هذه الأركان الخمسة وهي الأعمال ، فدل على أن الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له بفعل المأمور وترك المحظور، والإخلاص في ذلك لله)).[3]

---

(١) مدارج السالكين (٣/٤٧٦) .

(٢) رواه البخاري في الصحيح (١/١٢) برقم (٨) ، ومسلم في صحيحه (١/٤٥) برقم (١٦) ، كلاهما من رواية ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص/٢٣) .

الفصل الثالث
موقف خصوم أهل السنة
من
توحيد الألوهية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : موقف أهل الكلام من توحيد الألوهية .

المبحث الثاني : موقف أهل التصوف من توحيد الألوهية .

المبحث الأول

مــوقف أهل الكــلام
من
تــوحيد الألــوهية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بالمتكلمين .

المطلب الثاني : موقفهم من توحيد الألوهية .

المطلب الأول
التعريف بالمتكلمين

لكي نصل إلى تعريفٍ دقيقٍ للمقصود بالمتكلمين ، لا بد أن نتعرَّف أولاً على علم الكلام المنسوب إليهم ، ما هو ؟ وما المقصود به ؟ ، وما هو مضمونه الذي يحتوي عليه ، ويقوم به ، ولو نظرنا نظرةً في كتب أهل الكلام ، نجدهم قد اهتموا بتعريف هذا العلم ، وذكر حدوده ، وبيان موضوعه ، وتعديد فوائده ، وفيما يلي أنقل لك أخي القارئ بعض هذه التعريفات من كتب أهلها لتقف على حقيقة مقصدهم بهذا العلم .

عرَّفه **الإيجي** بقوله : « علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية ، بإيراد الحجج ودفع الشبه ».[١]

وعرَّفه **التفتازاني** : « أنه العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية ، المكتسبة من أدلتها اليقينية ».[٢]

وعرَّفه **التهانوي** بقوله : « علم الكلام علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه ».[٣]

وعرَّفه **ابن خلدون** ــ رحمه الله ــ بقوله : « علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في : الاعتقادات عن مذاهب السلف ، وأهل السنة ».[٤]

وعرَّفه **القنوجي** ــ رحمه الله ــ بقوله : « هو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع ، من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية ؛ فترفع البدع وتزول الشكوك والشبه عن تلك العقائد ».[٥]

---

(١) شرح المواقف في عسم الكلام (ص/٧) .

(٢) شرح المقاصد (١/١٦٥) .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون (١/٢٠) .

(٤) مقدمة ابن خلدون (ص/٤٥٨) .

(٥) أبجد العلوم (٢/٤٥٢) .

هذا بعض ما وقفت عليه من تعريفات لعلم الكلام ، وبعد التأمل فيها فإني أوجه نظر القارئ إلى الملاحظ التالية :-

أولاً : كونهم عبروا بالعلم ، يدل على اختصاصه بجانب النظر ، فهو يتعلق بالأمور العقلية والاعتقادية ، ولا علاقة له بجانب الإرادة والعمل .

يقول الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً أن علم الكلام مبناه على العلم والنظر فقال : ((فأهل الكلام أصل أمرهم هو النظر في العلم ودليله ، فيعظمون العلم وطريقه ، وهو الدليل والسلوك في طريقه وهو النظر ، وأهل الزهد يعظمون الإرادة والمريد وطريق أهل الإرادة، فهؤلاء يبنون أمرهم على الإرادة، وأولئك يبنون أمرهم على النظر ، وهذه هي القوة العلمية ، ولابد لأهل الصراط المستقيم من هذا وهذا ، ولابد أن يكون هذا وهذا موافقا لما جاء به الرسول ، فالإيمان قول وعمل وموافقة السنة ، وأولئك عظموا النظر وأعرضوا عن الإرادة وعظموا جنس النظر ولم يلتزموا النظر الشرعي ، فغلطوا من جهة كون جانب الإرادة لم يعظموه ، وان كانوا يوجبون الأعمال الظاهرة فهم لا يعرفون أعمال القلوب وحقائقها ، ومن جهة أن النظر لم يميزوا فيه بين النظر الشرعي الحق الذي أمر به الشارع وأخبر به وبين النظر البدعي الباطل المنهي عنه ..)).[1] إلى آخر كلامه ــ رحمه الله تعالى ــ .

فبيّن ــ رحمه الله تعالى ــ قصور المتكلمين بأمرين :

الأول : إهمالهم لجانب العمل والإرادة ، خاصة فيما يتعلق بأعمال القلوب وحقائقها .

الثاني : أنهم لم يلتزموا في جانب النظر بالشرع ، فما أبعد عقولهم وأفكارهم عن الاستنارة بوحي السماء .

ثانياً : أن الغرض منه ــ حسب زعمهم ــ الدفاع عن العقيدة ، وحمايتها من شبه أعداء الإسلام .

---

[1] الفتاوى (١٣/١٠٠-١٠١) .

ومن خلال ما سبق يمكن أن نعرّف المتكلمين بأنهم :-

((**كل من انتسب إلى الكلام المذموم باعتقاده ، والمجادلة عنه ، وتبنّى تلك القواعد الكلامية ، والأقيسة الفلسفية ، والمقدمات المنطقية ، كمنهج في الاستدلال على مسائل الاعتقاد ، والتكلم في الله بما يخالف الكتاب والسنة**)).[1]

ولذا ذمّهم السلف أشد الذم ؛ لما اشتملت عليه طريقتهم من مخالفة الشرع ، وكثرة الكلام والجدال في العقائد ، وحشد التقريرات بل الظنون العقلية ، وطرح الاحتمالات العقلية بعيداً عن النصوص ، في أمورٍ التسليم فيها من أوجب الواجبات .

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((فالكلام الذي ذمه السلف يذم ؛ لأنه باطل ، ولأنه يخالف الشرع)).[2]

ويقول ـ رحمه الله تعالى ـ أيضاً : ((والسلف لم يذموا جنس الكلام ، فإن كل آدمي يتكلم ، ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به رسوله ، والاستدلال بما بينه الله ورسوله ، ولا ذموا كلاماً هو حق ، بل ذموا الكلام الباطل المخالف للكتاب والسنة، وهو المخالف للعقل أيضاً ، وهو الباطل ، فالكلام الذي ذمّه السلف هو الباطل ، وهو المخالف للشرع والعقل)).[3]

ومع أنهم بنوا أصول دينهم على العقل ، إلا أنهم خالفوا العقل الصحيح والحس في غالب تقريراتهم ، ومباحثهم العقلية ،...

يقول الإمام **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((وأما أصحاب الكلام والمقال البهتاني، فإنهم بنوا أصولهم العقلية وأصول دينهم الذي ابتدعوه على مخالفة الحس والعقل ، فأهل الكلام أصل كلامهم في الجواهر والأعراض ، مبني على مخالفة الحس والعقل)).[4]

ويقول ـ رحمه الله تعالى ـ أيضاً : ((لكن أهل الكلام كثيرو الاحتجاج من المعقول والمنقول بالحجج الداحضة ، ولهذا كثر ذم السلف لهم)).[5]

---

(١) ينظر : موقف المتكلمين (١/٢٨) ، منهج السلف والمتكلمين (١/٤٩) .

(٢) النبوات (ص/١٥٦) .

(٣) الفتاوى (١٣/١٤٧) .

(٤) النبوات (ص/٣٠٤) . ينظر : منهاج السنة (١/٣٠١) .

(٥) الفتاوى الكبرى (٥/٢٦٥) .

ويبيّن الإمام **ابن تيمية** ـ رحمه الله ـ أنهم حتى في تقريراتهم العقلية مختلفون ، ومتناقضون ، وذلك لبعدهم عن الوحي واهتمامهم بالعقل ، فيقول : « يقولون إن علم الكلام المحض ، هو ما أمكن علمه بالعقل المجرد بدون السمع ؛ كمسألة الرؤية والكلام وخلق الأفعال ، وهذا هو الذي يجعلونه قطعيا ويؤثمون المخالف فيه ، وكل من طائفتي النفي والإثبات فيهم من الذكاء والعقل والمعرفة ما هم متميزون به على كثير من الناس ، وهذا يقول إن العقل الصريح دل على النفي ، والآخر يقول العقل الصريح دل على الإثبات ».[1]

ولذا كان نهاية مطافهم الشك والحيرة ، لأنهم حرموا من الهداية والتوفيق ، فلم يستنيروا بنور الوحي ، بل فضلوا عقولهم عليه ، وعظموها أكثر من تعظيمهم له.

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ : « وهؤلاء كما ذكرت انقسموا إلى أصحاب نظر وفكر وبحث واستدلال ، وأصحاب إرادة وعبادة وتأله وزهد ، فكان منتهى أولئك الشك ، ومنتهى هؤلاء الشطح ، فأولئك يشكون في ثبوت واجب الوجود ، أو يعجزون عن إقامة الدلالة عليه ، وإذا لم يكن في الوجود واجب لم يوجد شيء ، فتكون الموجودات كلها معدومات ، فيفضي بهم سوء النظر إلى جعل الموجودات معدومات أو تجويز كونها معدومات.. ».[2]

---

(١) درء التعارض (١/١٥٦) .

(٢) المصدر السابق (٣/٢٦٤) .

المطلب الثاني
موقف المتكلمين من توحيد الألوهية

لم يكن موقف المتكلمين من توحيد الألوهية موقفاً شرعياً إيجابياً ، فلم يعظموا ما عظّمه الله ورسوله ، ولا تجد لهذا التوحيد ذكراً في كتبهم إلا في أقل من النادر [1]، يعلم هذه الحقيقة من كان مطلعاً على كتب القوم ، فهم يقسمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام ،

يقول **الشهرستاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « وأما التوحيد فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية أن الله تعالى ، واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له ، وواحد في أفعاله لا شريك له ».[2]

كما ينقل الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ عن أهل الكلام قولهم في التوحيد فيقول : « وجماع قولهم أن التوحيد ثلاث معان؛ أنه واحد في نفسه لا صفة له ولا قدر ، فليس بمركب ولا محدود ولا موصوف بصفة تقوم به ، وهو أيضا واحد لا شبيه له ، فهذان نفي التجسيم والتشبيه ، والثالث أنه واحد في أفعاله لا شريك له ، فهذا الثالث هو متفق عليه بين المسلمين ، لكن الناس يقولون هذا التوحيد لا يتم للقدرية الذين يجعلون بعض العالم مفعولا لغير الله ، ويجعلون من يفعل كفعل الله ، فإن هذا إثبات شريك له في الملك ».[3]

وأشهر هذه الأنواع عندهم هو الأخير ، أي توحيد الله في أفعاله ، وهو توحيد الربوبية ، وهو أحسن ما تمسكوا واعتصموا به .

---

(1) ومن ذلك النادر ما ذكره الباقلاني في تعريفه للتوحيد ، حيث يقول : ((والتوحيد له هو : الإقرار بأنه ثابت موجود وإله واحد فرد معبود ليس كمثله شيء)) [**الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**(ص٣٤) ، ومع ذلك فلا أثر لهذا التعريف في منهجهم بالنسبة لدعوة الناس لهذا التوحيد وتحذيرهم من ضدّه وهو الشرك . ينظر : **منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى** ـــ خالد محمد نور (١/١٤٥-١٤٦) .

(2) الملل والنحل (ص/٤٢) .

(3) بيان تلبيس الجهمية (١/٤٦٦) .

يقول الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((والمعنى الثالث من معاني التوحيد عند هؤلاء ... هو أنه سبحانه لا شريك له في الملك بل هو رب كل شيء ، وهذا معنى صحيح ، وهو حق ، وهو أجود ما اعتصموا به من الإسلام في أصولهم ، حيث اعترفوا فيها بأن الله خالق كل شيء ومربيه ومدبره ....)).[١]

وكما تلاحظ ـــ من خلال كلام **الشهرستاني** ـــ أن هذا النوع العظيم من أنواع التوحيد في غيابة الجب عندهم ؛ فهم لا يتكلمون عن إفراد الله تعالى بالعبادة ، وأنه هو المستحق بأن يعبد وحده دون ما سواه ، وأن من صرف شيئاً من العبادة لغيره فقد أشرك مع الله غيره ، وأنه لا يغفر هذا الشرك أبداً ، وصاحبه من المخلدين في نار جهنم ، كل هذه الحقائق التي امتلأ بها القرآن ، وكثر ذكرها في السنة ، هي نسياً منسيّاً في كتبهم وعقولهم ، ولهذا وقعوا بسبب جهلهم بهذا النوع من أنواع التوحيد في أمور عظيمة تنبئ عن عظيم جهلهم، وضحالة تفكيرهم ، وخفة عقولهم ؛ مع أنهم كانوا من أذكياء الناس ، لكنهم حرموا زكاة النفوس ، ومن تلك العظائم التي وقعوا فيها ما يلي :-

أولاً : زعموا أن الرسل جميعاً أرسلوا بدعوة الناس إلى إثبات وجود الله تعالى ، ودعوتهم إلى توحيد الربوبية .

ثانياً : أخطئوا في تفسير أعظم كلمة يحبها الله تعالى ، ويدخل بها الإنسان في الإسلام وجاءت بها الرسل جميعاً ، وهي لا إله إلا الله ، فقالوا معناها لا خالق إلا الله ، وقالوا الألوهية هي القدرة على الاختراع ، وجعلوا هذا أخص وصف الإله .[٢]

أما زعمهم بأن الرسل جاءوا بتوحيد الربوبية فهذا ما بينا خطأه ، وأثبتنا خلافه في الفصل السابق بشيء من التفصيل ، فلنجتزئ بما سبق مخافة التطويل [٣]

وأما خطأهم في تفسير كلمة لا إله إلا الله فإنه مبني على تفسيرهم لمعنى الإله فقالوا هو بمعنى الرب ، وأن الإله بمعنى الآله والفاعل ، وأن الإلهية هي القدرة والربوبية ، فجعلوا العباد مألوهين كما أنهم مربوبون .

---

(١) الفتاوى الكبرى (٥/٢٤٨) .

(٢) الملل والنحل (١/١٠٠) .

(٣) انظر (ص/١٠٨) من الرسالة .

يقول الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((ولكن أهل الكلام الذين ظنوا أن التوحيد هو مجرد توحيد الربوبية ، وهو التصديق بأن الله وحده خالق الأشياء ، اعتقدوا أن الإله بمعنى الآله اسم فاعل ، وأن الإلهية هي القدرة على الاختراع ، كما يقوله الأشعري وغيره ممن يجعلون أخص وصف الإله القدرة على الاختراع)).(١)

وهذا تفسير باطل ، متوغل في الضلالة ، ينمّ عن جهل عريض ، وعدم معرفة للغة العرب التي نزل بها القرآن :

أما لغة العرب فأطبقت معاجم اللغة على أن الإله هو المعبود المألوه ، ولم يذكروا قط عن أحد من أهل اللغة أنه فسّر الإله بمعنى الرب أو الخالق ، أو من له قدرة على الاختراع ،...

يقول الإمام **الجوهري** في كتابه الصحاح : ((أَلَه بالفتح إلاهة ، أي عبد عبادة .. ومنه قولنا (الله) ، وأصله إلاهٌ على فِعَال ، بمعنى مفعول ، لأنه مألوه أي معبود)).(٢)

وهكذا من نظر في كلام السلف من لدن عصر الصحابة فما بعدهم ، فإنه لا يجد تفسير الإله إلا بالمعبود المألوه ، فقد ثبت ذلك عن ابن عباس وغيره ، وجاء ذلك عن ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ ، وغيره ، وإني أحيل القارئ ـــ فراراً من التطويل والتكرير ـــ إلى كلامنا في بيان معنى الإله لغةً وشرعاً في مكانه من الرسالة ، ليطلع على مزيدٍ من التفصيل .(٣)

ثم وقعوا في عظيمة ثالثة ، تولّدت مما سبق من عظائم ، وهي :

ثالثاً : وهي الطامة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، التي يخسرون بها الدنيا والآخرة ، ألا وهي وقوعهم في الشرك بالله العظيم ، وعبادة غيره تعالى ، فما أقبحها من جهالة ، وأعماها من ضلالة .

---

(١) درء التعارض (٣٧٧/٩) ، وينظر : كذلك (٢٢٥/٢-٢٢٦) ، الفتاوى (٢٠٣/١٣-٢٠٤) .

(٢) الصحاح (٢٢٢٣/٦) .

(٣) ينظر : مصطلح الإله ضمن مصطلح توحيد الألوهية من هذه الرسالة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ : ((ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها كما يدعو الله تعالى ويصوم لها وينسك لها ويتقرب إليها ، ثم يقول إن هذا ليس بشرك وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً ، ومن المعلوم من دين الإسلام أن هذا شرك فهذا ونحوه من التوحيد الذي بعث الله به رسله وهم لا يدخلونه في مسمى التوحيد الذي اصطلحوا عليه ..)).[1]

وهذا هو المتوقع ممن جهل توحيد المرسلين ، أن يكون من إخوان الشياطين ، الذين يعبدون غير رب السماوات والأرضين ، فيا له من جهل مركب وعماية مطبقة .

هذا ما تيسّر ذكره فيما يتعلق بموقف المتكلمين من هذا التوحيد ، والله أعلم .

---

(١) درء التعارض (١/٢٢٧-٢٢٨) .

المبحث الثاني
موقف أهل التصوف
من
توحيد الألوهية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بالتصوف .

المطلب الثاني : موقفهم من توحيد الألوهية .

المطلب الأول
التعريف بالتصوف

قبل الدخول في بيان معنى التصوف عند أصحابه ، لا بد من التعريج أولاً باختصار على أصل اشتقاق هذه الكلمة عندهم ، وذلك ليتسنى لنا تصور هذه الطائفة ، ولكن هل اتفقت أقوال أهل العلم على أصل يرجعون إليه كلمة التصوف ، أقول لم تتفق كلمتهم على شيء من هذا البتة ، وإنما كثرت أقوالهم في ذلك واختلفوا اختلافاً كبيراً ، وفيما يلي أذكر بعضاً منها :-

فمنهم من أرجع التصوف إلى أهل الصفة ، وهم جماعة من المهاجرين من أصحاب النبي ﷺ ، كانوا مقيمين في فناء مسجده ﷺ ، وهم فقراء لا مال لهم ، ولا مأوى ، ...

يقول الإمام ابن **الجوزي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ مبيناً بعضاً من صفات أهل الصفة : ((فإن أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله وما لهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة في مسجد رسول الله)).[1]

ويقول الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله ـــ : ((أما الصفة التي ينسب إليها أهل الصفة من أصحاب النبي ، فكانت في مؤخر مسجد النبي ، في شمالي المسجد بالمدينة النبوية ، كان يأوي إليها من فقراء المسلمين من ليس له أهل ولا مكان يأوي إليه)).[2]

ولعل السبب الذي دعاهم لهذا التعليل الخاطئ ، مبنيٌ على خطإٍ آخر وقعوا فيه ، وهو ادعاؤهم أن أهل الصفة كانوا منقطعين إلى الله تعالى ، وملازمين للعبادة ، والفقر ، ولكن ما مدى صحة هذا الادعاء ؟ .

نقول لا صحة لهذا الادعاء ، وإنما هو تلبيس منهم ، وذلك حتى يغرروا من لا علم له بحقيقة الأمر ، فيظن أن التصوف قديم بقدم الدعوة الإسلامية ، وأنه نشأ تحت مرأى ومسمع من النبي ﷺ ، وأن المؤسسين له كانوا صحابة النبي ﷺ ، وكل هذا من تلبيسات

---

(١) تلبيس إبليس (ص/٢٠١) .

(٢) الفتاوى (٣٨/١١) .

إبليس على هؤلاء ، فإن جلوس هؤلاء الصحابة في فناء المسجد لم يكن عن منهج اتبعوه ، ولا عن دين التزموه ، بل لم يكن هذا الجلوس عن رضا واختيار ، وإنما كان من باب الضرورة والاضطرار كما ذكرنا ذلك عن حالهم ، ولا شك أنَّ الصحابة كانوا متفاوتين في الطاعة والعبادة ، ولم يتميّز أهل الصفة عن بقية الصحابة ، إلا بما ذكرناه من ملازمتهم لصفة المسجد ، كمأوى لهم يأوون إليه عند الضرورة ، فمتى ما تيسَّر أمرهم ، وأغناهم الله تعالى خرجوا منها ، وهكذا ، وعموماً فليس لفعلهم هذا أي ارتباط ولا دلالة ، ولا أثر لما عليه المتصوفة في حاضر تأريخهم وغابره .

يقول الإمام **ابن الجوزي** ــ رحمه الله تعالى ــ : « وهؤلاء القوم إنما قعدوا في المسجد ضرورةً ، وإنما أكلوا من الصدقة ضرورةً ، فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال ، وخرجوا ».[1]

أضف إلى ذلك أنه لو كانت نسبة التصوف إلى أهل الصفة صحيحة ، لقيل في النسبة الصُّفِّية والصفي فدل على عدم صحة ذلك .[2]

ومنهم من قال هو نسبة إلى **صوفة** بن مراد بن أد بن طابخة قبيلة من العرب في الجاهلية كانوا يجاورون الكعبة ، وانقطعوا إلى الله تعالى ،...

ورجح هذه النسبة الإمام **ابن الجوزي** ــ رحمه الله تعالى ــ [3] وهي وإن كانت صحيحة من ناحية اللغة ، إلا أنها ليست مقنعة ،...

يقول الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ في رده لهذا التعليل : « وهذا وإن كان موافقاً للنسب من جهة اللفظ ، فإنه ضعيف أيضاً ؛ لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك ، ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ، ولأن غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام ».[4]

---

(١) تلبيس إبليس (ص/٢٠١) .

(٢) المصدر السابق (ص/٢٠١) ، الفتاوى (٦/١١) .

(٣) تلبيس إبليس (ص/٢٠١) .

(٤) الفتاوى (٦/١١) .

ومنهم من قال هو نسبة إلى الصفاء ، وهذا ما يحلو لكثير من المتصوفة ، لما يدعونه من صفاء قلوبهم ، ونقاء سرائرهم ، ولكن لا تساعدهم اللغة على هذه النسبة، إذ لو كانت صحيحة لقيل صفائي أو صفاوي ، أو صفوي في حالة القصر .

ومنهم من جعل نسبتهم إلى الصف الأول ، كأنهم في مقدمة هذه الأمة ، والناس خلفهم لا يدركهم إلا من عمل مثل عملهم : من صفاء القلوب ونقاء السرائر ، وقربهم من الله تعالى ، ولكنه تعليل غير سديد من جهة اللفظ ، إذ لو كان صحيحاً وجب أن تكون النسبة إليه صفي وليس صوفي .[١]

ومنهم من قال هو نسبة إلى الصوف ، إذ كانوا أول ما ظهروا بصورة الزهد والفقر ، فكانوا يلبسون الصوف ، وهذا القول ارتضاه كثير من أهل التصوف [٢] ، ورجحه الإمام ابن تيمية .

وهذه النسبة من جهة اللفظ صحيحة لا غبار عليها .

يقول **الكلاباذي** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وإن جعل مأخذه من الصوف استقام اللفظ وصحت العبارة من حيث اللغة)).[٣]

ويقول الإمام **ابن الجوزي** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وقال آخرون بل هو منسوب إلى الصوف وهذا يحتمل)).[٤]

ويقول الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((واسم الصوفية هو نسبة إلى لباس الصوف هذا هو الصحيح)).[٥]

ومن ارتضى هذه النسبة منهم ؛ فما ذلك إلا لأنها تشير إلى زهدهم وفقرهم ، وورعهم ، وبعدهم عن الدنيا ، وتعذيبهم لأنفسهم إلى درجة الهلاك .

---

(١) الفتاوى (٦/١١) .

(٢) ينظر : تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٣٧/١) .

(٣) التعرف على مذهب أهل التصوف (ص/٢٥) .

(٤) تلبيس إبليس (ص/٢٠١) .

(٥) الفتاوى (١٩٥/١١) .

يقول **الكلاباذي** : « وأما من نسبهم إلى الصفة والصوف ، فإنه عبر عن ظاهر أحوالهم ، وذلك أنهم قوم قد تركوا الدنيا ؛ فخرجوا عن الأوطان ، وهجروا الأخدان ، وساحوا في البلاد ، وأجاعوا الأكباد ، وأعروا الأجساد ، لم يأخذوا من الدنيا إلا ما لا يجوز تركه من ستر عورة وسد جوعة ».[1]

تلك كانت أهم الأقوال الواردة عن الصوفية في بيان أصل واشتقاق كلمة التصوف، وبينا ما هو الصحيح في ذلك .[2]

---

(١) التعرف على مذهب أهل التصوف (ص/٢١) .

(٢) ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب تقديس الأشخاص (١/٣٤-٣٨) .

معنى التصوف
في الاصطلاح

وبعد أن عرفنا أصل مرجع كلمة التصوف ، وأنها ترجع إلى لبس الصوف على الصحيح ، نأتي لبيان معنى التصوف في الاصطلاح ، ومن نظر في كتب الصوفية وجد الاختلاف الكبير والتباين الشاسع في تعريفهم للتصوف والصوفي ، فكل منهم يعرفه بما يحلو له ، ويروق عنده ، مع خلو هذه التعريفات من الدقة والشمول .

يقول **السهروردي** صاحب عوارف المعارف : ((وأقوال المشايخ تتنوع معانيها ؛ لأنهم أشاروا فيها إلى أحوال في أوقات دون أوقات ، وتحتاج في تفصيل بعضها عن البعض إلى الضوابط ، فقد تذكر أشياء في معنى التصوف ذكر مثلها في معنى الفقر، وتذكر أشياء في معنى الفقر ذكر مثلها في معنى التصوف ، وحيث وقع الاشتباه فلا بد من بيان فاصل ، فقد تشتبه الإشارات في الفقر بمعاني الزهد تارة ، وبمعاني التصوف تارة ، ولا يتبين للمسترشد بعضها من بعض)).[١]

ولعلي أشير إشارة إلى بعض هذه التعريفات :-

عرَّفه **بشر الحافي** بقوله : ((الصوفي من صفا قلبه لله)).[٢]

ويعرفه **أبو الحسين** النوري بقوله : ((التصوف ترك كل حظ النفس)).[٣]

ويقول **الجنيد** عن التصوف : ((أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة)).[٤]

ويقول **رويم** : ((التصوف مبني على ثلاث خصال : التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقق بالبذل والإيثار ، وترك التعرض والاختيار)).[٥]

---

(١) عوارف المعارف ، ملحق بآخر إحياء علوم الدين (٥/٦٥) .

(٢) التعرف (ص/٢١) .

(٣) طبقات الصوفية (ص/٣٨) .

(٤) الرسالة القشيرية (ص/٢٨٠) .

(٥) عوارف المعارف ملحق بآخر الإحياء للغزالي (٥/٦٥) .

ويقول **معروف الكرخي** : « التصوف الأخذ بالحقائق ، واليأس مما في أيدي الخلائق ، فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف ».(١)

ويعرّف **السهروردي** الصوفي فيقول : « الصوفي هو الذي يكون دائم التصفية لا يزال يصفي الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ، ويعينه على كل هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه ، فبدوام الافتقار ينقى من الكدر ... ولا بد للصوفي من دوام الحركة بدوام الافتقار ، ودوام الفرار وحسن التفقد لمواقع إصابات النفس ، ومن وقف على هذا المعنى يجد في معنى الصوفي جميع المتفرق في الإشارات ».(٢)

ويذكر الإمام **ابن الجوزي** ــ رحمه الله تعالى ــ معنى التصوف عند أهله فيقول : « وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة ، وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة ، وحمله على الأخلاق الجميلة ؛ من الزهد ، والحلم ، والصبر ، والإخلاص ، والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى ».(٣)

ثم بيّن ــ رحمه الله ــ أن هذه الصفات معدومة ولا تكاد توجد في متأخريهم ، وإنما كانت في المتقدمين منهم ، ...

فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ : « وعلى هذا كان أوائل القوم ، فلبس إبليس عليهم في أشياء ، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم ، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني ، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن ».(٤)

وكل هذه التعاريف للتصوف وغيرها من التي لم نذكرها لا تخلو من باطل ، ولو بطريق خفي يظهر عند التأمل ، فأقوالهم منمّقة لا يفهم مغزاهم منها إلا من هو خبير بأساليبهم فبعضها يدعو إلى الفقر وترك الدنيا مطلقاً ، وهذا هو الزهد البدعي ، وبعضها يدعو إلى عبادة الله لا طمعاً في جنته ، ولا خوفاً من ناره ، إلى غير ذلك ، وقل ما يسلم منها تعريف .

---

(١) المصدر السابق (٥/٦٥) .

(٢) المصدر السابق (٥/٦٧) .

(٣) تلبيس إبليس (ص/٢٠٢) .

(٤) المصدر السابق (ص/٢٠٢) .

وكما ذكرنا من قبل فإن أقوالهم في بيان معنى التصوف لا تكاد تحصر ، بل قيل إنها تصل إلى ألف قول ، وهي في غاية الاضطراب والتضارب ، لا تكاد توصل إلى حقيقة [1].

وهكذا يحلو لكل من تكلم في التصوف وهو من أهله ، أن يخرجه في أبهى حلله ، وجميل رونقه ، ولكن هل هذه الحلل مطابقة لما هم عليه في الواقع أم هي مجرد ادعاء ومبالغة !!!.

والذي يظهر أن التصوف أول ما نشأ كان مقبولاً ، حيث كان أصحابه يعظمون العلم ، ويدعون إلى السنة ، ويحاربون الآراء والأذواق المخالفة للشرع ، ثم عمل فيهم إبليس عمله ، فآل بهم الأمر أن خرجوا من الدين ، وتنكروا للشرع .

فهذه لمحة عابرة في بيان معنى التصوف وأصله باختصار ، والله أعلم .

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر (ص/٣٩) .

المطلب الثاني
موقف المتصوفة من توحيد الألوهية

لن نفرح كثيراً بموقف المتصوفة من توحيد الألوهية ، فهو لا يختلف عن موقف إخوانهم المتكلمين كثيراً ، إن لم يكن فاقهم بمراحل ، فإن المنبع واحد والمشرب مشترك ، وهو البعد عن الكتاب والسنة، والاستنارة بنورهما ، ومن نظر في كلام أهل التصوف فيما يتعلق بتوحيد الله تعالى، فإنه يجد عجباً، ويرى شططاً ، ويقرأ ما يندى له الجبين ، ويتفطر منه القلب، ويطلع على التخبيط والتخليط ، وما ذاك إلا لبعدهم عن الوحي الصافي والمنبع المعصوم، وقديماً قيل من ركب متن عمياء أوشك أن يخبط خَبْط عشواء. [1]

وعلى ضوء هذه النظرة ، يمكننا أن نصنّف أقوال المتصوفة تجاه توحيد الله عموماً وتوحيد الألوهية خصوصاً إلى الآتي :-

الموقف الأول : وهو موقف عام من جميع أنواع التوحيد ، وليس مختصاً بتوحيد الألوهية ، وهو قولهم : بأن توحيد الله تعالى لا تصح العبارة عنه ، ولا يمكن ذلك ، ومن تجرأ وعبَّر عنه فهو ملحد وعابد وثن وغافل ضال .

يقول **الشبلي** وهو من أقطابهم : « من اطلع على ذرة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقة لثقل ما حمله ».[2]

ويقول أيضاً : « .. ويحك من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ، ومن أشار إليه فهو ثنوي ، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن ، ومن نطق به فهو غافل ، ومن سكت عنه فهو جاهل ..» .[3] إلى آخر ما تفوَّه به من ضلال .

ويقول أيضاً : « ما شمَّ روائح التوحيد ، من تصور عنده التوحيد ».[4]

---

(١) ينظر معجم الأمثال العربية (١٧/٢) .

(٢) الرسالة القشيرية (ص /٣٠١) .

(٣) المصدر السابق (ص/٣٠١) .

(٤) المصدر السابق (ص/٣٠٢) .

وهذه مقالة شنيعة ، بلغت من الكفر مبلغاً عظيماً ، وهذه من تلبيساتهم العظيمة التي صدُّوا بها عوام المسلمين عن معرفة هذا الأمر الجلل ، الذي لا يقبل الله ممن جهله صرفاً ولا عدلاً ، وهذه والله هي الحرب الحقيقة على الإسلام والمسلمين ، التي اجتاحت دينهم، ومسخت فطرهم ، ونزعت الحنيفية السمحاء من سويداء قلوبهم .

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((وقوله إنه لا تصح العبارة عن التوحيد ، كفر بإجماع المسلمين ؛ فإن الله قد عبر عن توحيده ، ورسوله عبَّر عن توحيده ، والقرآن مملوء من ذكر التوحيد ، بل إنما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب بالتوحيد ، وقد قال تعالى ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ [الزخرف ٤٥] ، وقال تعالى ﴿ وما أرسلناك من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، ولو لم يكن يصح عنه عبارة لما نطق به أحد ، وأفضل ما نطق به الناطقون هو التوحيد ، كما قال النبي : ((أفضل الذكر لا اله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله)) [١] وقال : ((من كان آخر كلامه لا اله إلا الله دخل الجنة)) [٢]...)).[٣]

الموقف الثاني : موقف الغلاة من المتصوفة ، وهؤلاء على قسمين :-

الأول : أصحاب وحدة الوجود، والاتحاد ، وهم أصحاب الفناء عن وجود السوي .

---

(١) رواه الإمام الترمذي في سننه (٤٦٢/٥) برقم (٣٣٨٣) ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وابن ماجة في السنن (١٢٤٩/٢) برقم (٣٨٠٠) ، ورواه الحاكم في المستدرك (٦٧٦/١) برقم (١٨٣٤) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٨/٦) برقم (١٠٦٦٧) ، كلهم من حديث جابر ﷺ .

(٢) رواه أبو داود في السنن (١٩٠/٣) برقم (٣١١٦) . والحاكم في المستدرك (٥٠٣/١) برقم (١٢٩٩) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٣) الفتاوى (٣٥١/٢) .

الثاني : أرباب السلوك من المتأخرين . وهم أصحاب الفناء [1] عن شهود السوي .

ثم هم يقولون بتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام ، وهو الفناء الذي يشار إليه على ألسنة السالكين:-

الأول : الفناء عن عبادة السوي .

الثاني : الفناء عن شهود السوي .

الثالث : الفناء عن وجود السوي .

ويفسّرون النوع الأول ، وهو الفناء عن عبادة السوي بتوحيد الألوهية ، فيفنى عن عبادة غيره بعبادته ، وعن طاعة غيره بطاعته وطاعة رسوله ، وعن التوكل على غيره بالتوكل عليه ، وعن محبة ما سواه بمحبته ومحبة رسوله ، وعن خوف غيره بخوفه ، وهذا هو توحيد الأنبياء والمرسلين قاطبة ، ولكن للأسف وقفوا منه موقفاً عدائياً ، فلم يُعْظِمُوا له قدراً ، ولم يرفعوا به ذكراً ، بل جعلوه مختصاً بعوامهم ، أما خواصهم فإنهم يترفعون عنه إلى ما هو أسمى منه مكانة وأعلى منه فضلاً ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم !! ، فتوحيد الرسل عندهم هو توحيد العوام ، أما النوعان الآخران من أنواع التوحيد ، فقد كانت من نصيبهم ، فأصحاب وحدة الوجود غاية توحيدهم : هو الفناء عن وجود السوي ، وأما الطائفة الأخرى فغاية التوحيد عندهم هو التوحيد عن شهود السوي ، ...

ويقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((قوله وهذا توحيد العامة الذي يصح بالشواهد قد تبين أن هذا توحيد خاصة الخاصة الذي لا شيء فوقه ولا أخص منه ، وأن الخليلين أكمل الناس فيه توحيداً)).[2]

---

[1] يقول الكلاباذي في تعريف الفناء : ((فالفناء : هو أن يُفْنِي عنه الحظوظ، فلا يكون له في شيء من ذلك حظ ، ويسقط عنه التمييز فناء عن الأشياء كلها شغلاً بما فني به))[التعرف لمذهب أهل التصوف (ص/١٢٣)] .
وعرَّفه القشيري بقوله : ((أشار قوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف الذميمة))[الرسالة القشيرية (ص/٦٧)] .
ويعرّفه الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فاعلم أن الفناء مصدر فني فناء إذا اضمحل وتلاشى وعدم وقد يطلق على ما تلاشت قواه وأوصافه مع بقاء عينه ... ، ولكن القوم اصطلحوا على وضع هذه اللفظة لتجريد شهود الحقيقة الكونية والغيبة عن شهود الكائنات))[مدارج السالكين (١/١٥٤)] .

[2] مدارج السالكين (٣/٤٨٥) .

ويقول الحافظ **ابن حجر** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((المراد بتوحيد الله تعالى : الشهادة بأنه إله واحد ، وهذا الذي يسميه بعض غلاة الصوفية توحيد العامة ، وقد ادعى طائفتان في تفسير التوحيد أمرين اخترعوهما : أحدهما تفسير المعتزلة كما تقدم . ثانيهما غلاة الصوفية فإن أكابرهم لما تكلموا في مسألة المحو والفناء ، وكان مرادهم بذلك المبالغة في الرضا والتسليم وتفويض الأمر ....)).[1] إلى آخر كلامه ـــ رحمه الله تعالى ـــ .

وهكذا يبين الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله ـــ توحيد أصحاب وحدة الوجود ، وهو الفناء عن وجود السوي فيقول : ((فأما الفناء عن وجود السوي فهو فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود ، وأنه ما ثم غير ، وأن غاية العارفين والسالكين الفناء في الوحدة المطلقة ، ونفي التكثر والتعدد عن الوجود بكل اعتبار ، فلا يشهد غيراً أصلاً ، بل يشهد وجود العبد عين وجود الرب ، بل ليس عندهم في الحقيقة رب وعبد ... ، ولا يفرقون بين كون وجود المخلوقات بالله وبين كون وجودها هو عين وجوده ، وليس عندهم فرقان بين العالمين ورب العالمين ، ويجعلون الأمر والنهي للمحجوبين عن شهودهم وفنائهم ... فإذا ارتفعت درجته شهد أفعاله كلها طاعات لا معصية فيها ، لشهوده الحقيقة الكونية الشاملة لكل موجود ، فإذا ارتفعت درجته عندهم فلا طاعة ولا معصية ، بل ارتفعت الطاعات والمعاصي ؛ لأنها تستلزم اثنينيةً وتعدداً ، وتستلزم مطيعاً ومطاعاً وعاصياً ومعصياً ، وهذا عندهم محض الشرك ، والتوحيد المحض يأباه ، فهذا فناء هذه الطائفة)).[2]

فانظر رحمك الله إلى هذا الضلال العظيم ، والكفر المبين ، الذي يستلزم جحد الصانع وإنكار ربوبيته وخلقه وشرعه ، وهو غاية الإلحاد والزندقة ، ويسمونه التحقيق ، فدرجات السالك عندهم ثلاث :

الأولى : أن يشهد طاعة ومعصية ، وهذا فرق عندهم .

الثانية : أن يشهد الأفعال كلها طاعة لا معصية فيها ، وهو شهود الحكم والقدر ، وهو ناقص ، لما فيه من الفرق .

---

(١) فتح الباري (١٣/٣٤٨) .

(٢) مدارج السالكين (١/١٥٤) .

الثالثة : أن لا يشهد لا طاعة ولا معصية ؛ لأنها لا تقع إلا من الغير ، وما ثم غير ، وهذا هو غاية التحقيق عندهم ، ومن لم يصل إليه فهو من المحجوبين .[1]

فالحاصل أنهم يعتبرون توحيد الأنبياء والمرسلين هو توحيد العامة ، وأن من لم يوحّد توحيدهم الذي ذكرناه فهو مشرك معدد .

وأما أرباب السلوك الذين غاية التوحيد عندهم هو الفناء عن شهود السوي ، وهو الفناء في توحيد الربوبية ، فهؤلاء كذلك يعتبرون توحيد الألوهية هو توحيد العوام ، وهو توحيد ناقص ، وإنما الكمال في الفناء عن شهود السوي ، والبعض منهم يعتبر هذا الفناء من لوازم الطريق ، ...

يقول الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : « وأما الفناء الثاني وهو الذي يذكره بعض الصوفية ، وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى ، فيفنى بمعبوده عن عبادته ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن معرفته ، بحيث قد يغيب عن شهود نفسه لما سوى الله تعالى ، فهذا حال ناقص قد يعرض لبعض السالكين وليس هو من لوازم طريق الله ، ولهذا لم يعرف مثل هذا للنبي وللسابقين الأولين ، ومن جعل هذا نهاية السالكين فهو ضال ضلالاً مبيناً ، وكذلك من جعله من لوازم طريق الله فهو مخطئ ، بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس دون بعض ليس هو من اللوازم التي تحصل لكل سالك ».[2]

وهم مع ذلك يعتبرون هذا الفناء هو ذروة التوحيد ، وأن ما دونه ناقص ، ولو كان هو توحيد الأنبياء والمرسلين .

الموقف الثالث : وهم الذين ينكرون توحيد الألوهية ، ويعتبرون أن التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما هو توحيد الربوبية ، ولذلك عندما يتكلمون في التوحيد في كتب العقائد ، فإنهم لا يشيرون إلى توحيد الألوهية أبداً ، بل يفسّرون كل آية في توحيد العبادة على أنها في توحيد الربوبية ، والإله عندهم بمعنى الرب لا فرق ،...

---

(١) طريق الهجرتين (ص/٣٩٢)

(٢) الفتاوى (٣/١١٨-١١٩) .

ومن نظر في كتب هؤلاء علم هذه الحقيقة ، وأنها خواء من توحيد الأنبياء [١] ، بل على العكس فإنه يوجد فيها الدعوة إلى الشرك الصراح ، والوثنية الجاهلية ، إضافة إلى الهجمات الشرسة على أهل هذا التوحيد ، لاسيما عند المتأخرين منهم ، وفاقد الشيء لا يعطيه ؛ فهم واقعون في نقيض توحيد الألوهية ، فهل ينتظر بعد ذلك منهم نصرة لهذا التوحيد [٢].

وإذا ما نظرنا في ماهية الأسباب التي جعلت أهل التصوف يقفون هذا الموقف نجدها مشابهة إلى حدٍّ كبير للأسباب التي دعت المتكلمين إلى هذا الموقف ؛ وذلك لما هو موجود من الصلة القوية ، والعلاقة الوثيقة منذ أزمان بعيدة بين المتصوفة والمتكلمين خاصة الأشاعرة منهم .[٣]

وهؤلاء المتصوفة وإن كان منهجهم مبنياً على جانب الإرادة والعمل ، ولهم من العبادات الشيء الكثير ، سواء كانت قلبية أو بدنية ، إلا أن هذه الأعمال والإرادات لم تكن مبنية على إرادة عبادة الله وحده ، ...

---

(١) وانظر على سبيل المثال لا الحصر كتاب : التعرف لمذهب أهل التصوف ــ الكلاباذي (ص/٣٣،١٣٤) ، حيث تكلم وشرح قول الصوفية في التوحيد بتوسع ، ولم يتعب نفسه في التعرّض لتوحيد الأنبياء والمرسلين !!! ، وغيره كثير وكثير .

(٢) انظر على سبيل المثال ممن نذر نفسه لمحاربة هذا التوحيد والدفاع عن الشرك :-

السبكي في كتابه شفاء السقام في زيارة خير الأنام ؛ رد فيه على الإمام ابن تيمية في مسألة شد الرحال .

وأحمد دحلان في كتابه ((الدرر السنية في الرد على الوهابية)) ، ذكر فيه أموراً عظيمة تهدم توحيد الألوهية ، [الدرر السنية (ص /١٤، ١٧، ٣٥،)] .

النبهاني في كتابه ((شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق)) ، حيث عقد باباً في مشروعية الاستغاثة به ﷺ (ص/٧١) .

فهذا نذر يسير من أقوال تلك الفئة الآثمة الباغية ، ومن أراد مزيداً فليراجع : منهج أهل السنة والجماعة ...)) د . خالد محمد نور [(١/١٦٥-١٦٩)] .

(٣) انظر لبيان هذه الصلة بين الصوفية والأشاعرة : [منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ــ د . خالد محمد نور (١/١٦٢-١٦٩)] .

يقول الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « والصوفية بنوا أمرهم علــى الإرادة ولا بد منها ، لكن بشرط أن تكون إرادة عبادة الله وحده بما أمر ».[1]

ثم إنهم أهملوا العلم ، وزهدوا فيه ، فأوردهم الجهل المهالك ، ...

يقول الإمام **ابن الجوزي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « وكان أصل تلبيسه عليهم أنــــه صدهم عن العلم ، وأراهم أن المقصود العمل ، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطــوا في الظلمات ».[2]

ومما سبق يظهر لنا بجلاء موقف المتصوفة ، على اختلاف فئاتهم من هــــذا النــــوع العظيم من أنواع التوحيد ، توحيد العبادة ، وأنه موقف مخزي وعدائي .

هذا ما وقفت عليه فيما يتعلق بموقف المتصوفة من توحيد الألوهية، والله تعالى أعلم.

---

(١) الفتاوى (١٩/١٧٢) .

(٢) تلبيس إبليس (ص/٢٠٢) .

الباب الثاني

المصطلحات الشرعية المستعملة في توحيد الألوهية

ويشتمل على مدخل وستة فصول :

الفصل الأول : المصطلحات المتعلِّقَة بالعبادات القلبية .

الفصل الثاني : المصطلحات المتعلِّقَة بالعبادات القولية .

الفصل الثالث : المصطلحات المتعلِّقَة بالعبادات العملية .

الفصل الرابع : المصطلحات المتعلِّقَة بالعبادات المشتركة .

الفصل الخامس : المصطلحات العامة .

الفصل السادس : المصطلحات المتعلِّقَة بما يُضاد توحيد الألوهية .

الفصل الأول

المصطلحات المتعلِّقَة بالعبادات القلبية

ويشتمل على اثنتين وعشرين مبحثاً :-

المبحث الأول : الإخبات .

المبحث الثاني : الإخلاص .

المبحث الثالث : الاستكانة .

المبحث الرابع : الإشفاق

المبحث الخامس : الاعتصام .

المبحث السادس : التفويض .

المبحث السابع : التوكل .

المبحث الثامن : الحياء .

المبحث التاسع : الخشوع .

المبحث العاشر : الخشية .

المبحث الحادي عشر : الخوف .

المبحث الثاني عشر : الرجاء .

المبحث الثالث عشر : الرضا .

المبحث الرابع عشر : الرغبة .

المبحث الخامس عشر : الرهبة .

المبحث الأول
الإخبات

وفيه مطلبان :-

المطلب الأول : الإخبات لغةً .

المطلب الثاني : الإخبات شرعاً .

المطلب الأول
الإخبات لغةً

أصل الكلمة : الإخبات مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (خَبَتَ).[1]

تصريفها : الإِخْبَات على وزن (إفْعَال) ، وهو مصدر قياسي من الفعل الرباعي (أخْبَتَ) ، تقول (أخْبَت يُخْبِتُ إخْبَاتاً) ، والأصل الثلاثي من ذلك (خَبَتَ) ومضارعه (يَخْبُتُ) ، والمصدر القياسي (خَبْتًا) .[2]

معناها لغةً : معاني مادة خَبَتَ اللغوية :-

١. ما اطمأنَّ من الأرض واتسع ، يقال له الخَبْت ، يقال أخبت إذا نزل.
٢. الخفاء ، يقال : خَبَتَ ذكره ، إذا خفي ، ومنه المُخْبِتُ من الناس .
٣. الاطمئنان ، وبه فُسّر قوله ﷻ :﴿ وبَشِّر المخبتين﴾[الحج : ٣٤] .
٤. التواضع ، وبه فُسِّر قوله ﷻ :﴿ وأخبتوا إلى ربهم﴾ [هود : ٢٣] .
٥. الخشوع ، يقال : أخبت لله ، أي خَشَعَ .[3]

فكل هذه المعاني ترجع في الأصل إلى المعنى الأول وهو المنخفض من الأرض ، ويرجع ابن فارس الأصل (خبت) إلى الخشوع فيقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « الخاء والباء والتاء أصل واحد يدلُّ على خشوع ».[4]

ومن المعلوم أن الخشوع يتضمَّن معنى الذلة والتواضع .

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٢٣٨) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥٩) .

(٣) ينظر هذه المعاني في : الصحاح (١/٢٤٧) ، لسان العرب (٤/٩) .

(٤) مقاييس اللغة (٢/٢٣٨) .

المطلب الثاني
الإخبات شرعاً

الإخبات من أعمال القلوب العظيمة التي مدح الله أصحابها في كتابه الكريم فقال تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج:٥٤] .

وقد ذكر سبحانه وتعالى ما لهم من الجزاء ، والثواب ، والنعيم في الدار الآخرة فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [هود:٢٣] .

يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ : « وقد بين سبحانه الإخبات ووصف المخبتين في قوله قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج:٣٤-٣٥]

فذكر للمخبتين أربع علامات ؛ وجل قلوبهم عند ذكره ــ والوجل خوف مقرون بهيبة ومحبة ــ وصبرهم على أقداره ، وإتيانهم بالصلاة قائمة الأركان ظاهراً وباطناً ، وإحسانهم إلى عباده بالإنفاق مما آتاهم ، وهذا إنما يتأتى للقلب المخبت ».[1]

ومما سبق من آيات يتبين لنا أن الإخبات من العبادات القلبية العظيمة التي يحبها الله ويحب أهلها .

وفيما يلي أسوق ما وقفت عليه من أقوال العلماء في تفسيرهم لمعنى الإخبات الشرعي :

---

[1] شفاء العليل (ص/١٠٦) .

عرّفه **ابن عباس** رضي الله عنه بقوله : « الإخبات : الإنابة ».[1]

وعرّفه **مجاهد** ــ رحمه الله ــ بالطمأنينة فقال : «.. وأخبتوا إلى ربهم : اطمأنوا ».[2]

وعرّفه **قتادة** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الإخبات : التخشُّع والتواضع ».[3]

وعلّق الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ على ما سبق بقوله : « وهذه الأقوال متقاربة المعاني ، وإن اختلفت ألفاظها ؛ لأن الإنابة إلى الله من خوف الله ، ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة ، والطمأنينة إليه من الخشوع له ، غير أنّ نفس الإخبات عند العرب : الخشوع والتواضع ».[4]

فهو ــ رحمه الله تعالى ــ يُرجع قول ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد إلى قول قتادة بأن الإخبات هو التخشّع والتواضع ، وأن الإنابة لا تكون إلا عن خوف من الله ، وهذا الخوف متضمنٌ للتواضع والذلة لله تعالى ، وكذا الطمأنينة متضمنة للخشوع .

وعرّف **إبراهيم النخعي** ــ رحمه الله ــ المخبتين بقوله : « المصلون المخلصون ».[5]

وذلك أنَّ الصلاة بقلبٍ مخلصٍ لله تعالى تثمر خشوع القلب وسكونه وطمأنينته ، وهذا ما يتضمنه الإخبات الشرعي .

وعرّفه **الحسن البصري** ــ رحمه الله ــ بقوله : « الإخبات : الخشوع للمخافة الثابتة في القلب ».[6]

وعرّفه **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله: « فالإخبات : الخشوع والاطمئنان ، أو الإنابة إلى الله عز وجل المستمرة ».[7]

---

(١) جامع البيان (١٢/٢٤) ، وروى الإمام ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى :﴿ وأخبتوا إلى ربهم ﴾ [هود : ٢٣] قال: خافوا . [المصدر السابق] .

(٢) المصدر السابق (١٢/٢٤) .

(٣) المصدر السابق (١٢/٢٤) .

(٤) المصدر السابق (١٢/٢٤) .

(٥) مدارج السالكين (٢/٣) .

(٦) تفسير القرطبي (٩/٢١) .

(٧) تفسير القرطبي (٩/٢١) .

وعرَّفه **الراغب** بقوله : « ثم استعمل الإخبات استعمال اللّين والتواضع ».[١]

وعرَّفه **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « فالإخبات : سكون الجوارح على وجه التواضع والخشوع لله ».[٢]

ولكن هذا السكون الظاهر على الجوارح هو من آثار خشوع القلب الذي يتضمنه الإخبات الشرعي .

وعرَّفه **المناوي** ــ رحمه الله ــ بقوله : « الإخبات : الخضوع لله ، وحضور القلب له ».[٣]

ويقول الألوسي ــ رحمه الله ــ : «.. وأصل الإخبات نزول الخبت ، وهو المنخفض من الأرض ، **ثم أطلق على اطمئنان النفس ، والخشوع** تشبيهاً للمعقول بالمحسوس ثم صار حقيقة فيه ».[٤]

وعرَّفه الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله ــ بقوله : «... الإخبات : سكون القلب وخضوعه لله ، وخصوصاً وقت تلبُّس العبد بعبودية الله ».[٥]

وبعد هذا العرض لعبارات السلف في معنى هذه العبادة العظيمة ، تُدْرِك الصلة المشتركة بين الإخبات والخشوع والتواضع ، وبينه وبين الإنابة والسكون والطمأنينة .

وقد ذكر الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ أنَّ الإخبات ضُمِّن معنى الإنابة والطمأنينة والتوبة ، ولذلك عُدِّيَ بإلى في قوله ﷻ :﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾[هود : ٢٣] ، وهذا بخلاف الخشوع والتواضع فإنهما لم يُعَدَّا بإلى ، فدلَّ على زيادة معنى في الإخبات ، ولذلك جاءت عبارات السلف كما مرَّ معنا ، فيها ذكر الإنابة ــ وهي متضمنة للتوبة ــ ، والطمأنينة .[٦]

---

(١) المفردات (ص/١٤١) .

(٢) شفعاء العليل (ص/١٠٦) .

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (ص/٤١) .

(٤) روح المعاني (١٢/٣٤) .

(٥) المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي (٥/٥٣٠) .

(٦) ينظر : شفاء العليل (ص/١٠٦) .

ويقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله ــ بعد ذكره لجملةٍ من أقوال العلماء : « وهـــذه الأقوال تدور على معنيين : التواضع والسكون إلى الله عز وجل ولذلك عُدِّي بإلى تضمينـــاً لمعنى الطمأنينة والإنابة والسكون إلى الله تعالى ».[1]

وكذا يشير ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ إلى أنَّ الإخبات الشرعي جامع لمعنى المحبـــة والذل فيقول : « والإخبات له ــ أي لله تعالى ــ جامع لمقام المحبة والـــذل والخضـــوع لا يكمل أحدها بدون الآخر ».[2]

والحاصل أنَّ الإخبات يتعدَّى باللام فيتضمن معنى الخشوع والتواضع والخضوع ، كما أنه يتعدَّى بإلى ليتضمن معنى الإنابة والطمأنينة والسكون إلى الله تعالى ، فهو خشوع القلب وخضوعه لله تعالى ، وإنابته وسكونه وطمأنينته إلى الله عز وجل . والله أعلم .

---

(١) مدارج السالكين (٣/٢) .

(٢) مدارج السالكين (١٣٦/١) .

المبحث الثاني
الإخلاص

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الإخلاص لغةً .

المطلب الثاني : الإخلاص شرعاً .

المطلب الأول
الإخلاص لغةً

أصل الكلمة : الإخلاص مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (خَلَصَ).[١]

تصريفها : الإخْلاَصُ على وزن (إفْعَال) ، وهو مصدر قياسي من الفعل الرباعي (أخْلَصَ) ، يقال : (أخْلَصَ يُخْلِص إخْلاَصاً) ، والأصل الثلاثي يقال : (خَلَصَ يَخْلُصُ خُلُوصاً وخَلاَصاً) من باب (دَخَلَ يَدْخُلُ) ، وقيل تأتي من باب كرُم يكرُم .[٢]

معناها لغةً : لمادة خلص عدد من المعاني فمنها :

١. التصفية والتنقية : والخالص ما زال عنه شوبه بعد ما كان فيه.
٢. الوصول : يقال خَلَصَ إليه أي وَصَلَ .
٣. الاختيار : يقال وأخلص الشيء : اختاره .
٤. التنجية : يقال وخلَّصته من كذا تخليصاً ، أي نجيتُه فتخلص.[٣]

فهذه بعض المعاني لهذه المادة وغالبها مدارها على الصفاء والتمييز والتنقية ، ولذا يقول ابن فارس ــ رحمه الله تعالى ــ : ((الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد ، وهو تنقية الشيء وتهذيبه)).[٤]

---

[١] مقاييس اللغة (٢/٢٠٨)

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (٣/ ١٠٣٧) ، تاج العروس (١٧/ ٥٥٧-٥٥٨) ، تصريف الأسماء (ص/٥٩) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٧٣ ، ٤٤٣) .

[٣] ينظر لهذه المعاني وغيرها في : الصحاح (٣/١٠٣٧) ، لسان العرب (٤/١٧٣-١٧٥) .

[٤] مقاييس اللغة (٢/٢٠٨) .

المطلب الثاني
الإخلاص شرعاً

الإخلاص من أعظم أعمال القلوب [١] المفروضة على العباد ، ولا يصح عمل ، ولا تقبل طاعة ، ولا يستقيم دين إلا بالإخلاص ، ولذا أوجبه الله تعالى على عباده وأمرهم به حيث يقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر:٢-٣] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الزمر:١١] .

وقال تعالى آمراً عباده بالإخلاص : ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [غافر:١٤]

وقد سمى الله تعالى سورةً في القرآن بسورة ((الإخلاص)) .

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((... ثلاثٌ لا يغل عليهن صدر مسلم **إخلاص** العمل لله عز وجل ، ومناصحة أولي الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوهم تحيط من ورائهم)).[٢]

---

[١] يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : ((والإخلاص قائم في القلب)). إعلام الموقعين (١/١٧٤) .

[٢] رواه أحمد في مسنده (٣/٢٢٥) برقم (١٣٣٧٤) .

ويظهر مما سبق مكانة الإخلاص من هذا الدين ، بل لا نجاة للعبد في الدنيا ولا في الآخرة إلا بتحقيق هذا الإخلاص ، يقول الله تعالى عن يوسف عليه السلام :﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف:٢٤] ، وكذا قول عكرمة رضي الله عنه في قصة ركوبه للسفينة ، وهي مروية من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : ((... وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم عاصف ، فقال أصحاب السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً ههنا ، فقال عكرمة : والله لئن لم ينجني من البحر إلا **الإخلاص** لا ينجيني في البر غيره . اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً ﷺ حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفواً كريماً ، فجاء فأسلم)).[1]

وفيما يلي أذكر ما وقفت عليه من أقوال العلماء في بيانه وتوضيحه :

عرَّفه الإمام **الطبري** ــ رحمه الله ــ : بتوحيد العبادة ، فقال في قوله تعالى ﴿ ونحن له مخلصون ﴾ [البقرة : ١٣٩] : ((فإنه يعني : ونحن لله مخلصو العبادة والطاعة لا نشرك به شيئاً ، ولا نعبد غيره أحداً)).[2]

ففسَّر ــ رحمه الله تعالى ــ الإخلاص : بتوحيد الله ، وإخلاص العبادة له .

والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن غالب المواطن التي يذكر فيها الإخلاص مقرونة بالأمر بالعبادة ، أو بالدعاء ، أو بلفظ ((العباد)) ؛ مما يدلُّ على أن المقصود بالإخلاص فيها هو إفراد الله تعالى بالعبادة .

وعرَّفه **الراغب** ــ رحمه الله تعالى ــ **بقوله** : ((فحقيقة الإخلاص : التبري عن كل ما دون الله تعالى)).[3]

أي من المعبودات الباطلة ، فيتبرأ من كل معبود سوى الله تعالى ، وهذه البراءة من الكفر بالطاغوت الذي أمر الله تعالى به ، وهي شرط في صحة التوحيد .

---

(١) رواه النسائي (١٠٦/٧) برقم (٤٠٦٧) ، وأبو داود (٥٩/٣) برقم (٢٦٨٣) .

(٢) جامع البيان (٥٧٢/١) .

(٣) المفردات (ص/١٥٥) .

ويعرِّفه ابن القيم ــ رحمه الله ــ بقوله : ((فإن الإخلاص هو إفراد المعبود عن غيره)).[١]

ويقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ في الكافية الشافية :

وحقيقة الإخلاص توحيد المراد *** فلا يزاحمه مراد ثان [٢]

وعرَّفه **بعضهم** بصلاح القصد والنية في أداء العبادة ، ...

فعرَّفه الإمام **ابن عبد البر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والإخلاص : النية في التقرب إليه والقصد بأداء ما افترض على المؤمن)).[٣]

وقيل : ((هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة)).[٤]

ويقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فإن الإخلاص هو تجريد القصد طاعة للمعبود)).[٥]

وعرَّفه **آخرون** بعدم ملاحظة الخلق، أو الأعمال، والالتفات إلى الله تعالى وحده .

يقول الإمام ابن رجب الحنبلي ــ رحمه الله تعالى ــ : ((مقام الإخلاص : وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه وقربه منه)).[٦]

وعرَّفه الإمام القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والإخلاص حقيقته تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين)).[٧]

---

(١) مدارج السالكين (١/١١٠) .

(٢) الكافية الشافية (ص/٢٥٦) .

(٣) التمهيد (٢٢/١٠٠) .

(٤) مدارج السالكين (٢/٩١) .

(٥) إعلام الموقعين (٢/١٨٢) .

(٦) جامع العلوم والحكم (ص/٣٧) ، ثم قال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى ؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل)).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (٢/١٤٦) .

ولذلك يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((المخلص : هو الـــذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الناس ؛ من أجل صلاح قلبه مع الله عز وجل ، ولا يحـــب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله)).[1]

وعرَّفه الشيخ **السعدي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الإخلاص أن يقصد العبد بعملـــه رضا ربه وثوابه ، لا غرضاً آخر من رئاسة أو مالٍ أو غيرها)).[2]

ومنهم من عرَّفه بتصفية القلوب و الأعمال من الشوائب التي تفسد الأعمال ؛...

فيعرّفه الإمام **الهروي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الإخلاص : تصفية العمل من كـــل شوب)).[3]

ويقول الإمام **ابن القيم** ـــ شارحاً لهذا التعريف ـــ : ((أي لا يمازج عمله ما يشوبه مـــن شوائب إرادات النفس : إما طلب التـــزين في قلوب الخلق ، وإما طلب مدحهم ، والهرب مـــن ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم، أو خدمتهم ومحبتهم ، وقضائهم حوائجه ، أو غـــير ذلك من العلل والشوائب، التي عَقْدُ متفرقاتها : هو إرادة ما سوى الله بعمله، كائناً ما كان)).[4]

والناظر فيما سبق من المعاني يجدها قد تعددت وتنوعت ؛ وذلك لاختلاف الاعتبـــارات التي فُسِّرت بها ؛ فبعضهم نظر إلى المعنى الغالب في القرآن وهو توحيد العبادة ، وآخر نظـــر إلى أصل الإخلاص ، وأساسه ، ومنبعه باعتبار أنه من أعمال القلوب ؛ فذكر القصد والنية ، ونظـــر آخرون إلى المعنى اللغوي ؛ فنصوا على تصفية العمل ، وتنقيته من مفسداته .

فيتحصل من ذلك أن الإخلاص هو : إفراد الله تعالى بالعبادة، والقصد في جميع الأقوال، والأعمال الظاهرة ، والباطنة، بعيداً عن حظوظ النفس ، أو إرادة ما سوى الله ، والله أعلم .

---

(١) الفتاوى (٢٦٠/١٨) .

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (ثقافة/٥٣٢/١) .

(٣) مدارج السالكين (٩٢/٢) .

(٤) المصدر السابق .

المبحث الثالث
الاستكانة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الاستكانة لغةً .

المطلب الثاني : الاستكانة شرعاً .

المطلب الأول
الاستكانة لغةً

أصل الكلمة : الاستكانة مشتقة من أصل لغوي ثلاثيّ هو (كَوَنَ).[١]

تصريفها : الاستكانة على وزن (اسْتِفَالَة)، وقيل (اسْتِفَعْلَة) ، من (إستكَانَ يَسْتَكِينُ) ، وهي من (إكَانَة) ، مزيدة بالسين والتاء ، وأصلها (إكْوَان) ، على وزن (إفْعَال) ، وهي مصدر قياسي من الفعل الرباعي (أكان يُكِينُ) ، ففي (إكْوَان) نقلت حركة الواو إلى الصحيح قبلها، ثم تحرَّكت العين بحسب الأصل، وانفتح ما قبلها بحسب الآن ، فقلبت ألفاً ، فالتقى ساكنان (ألفان) ؛ المنقلبة عن العين والزائدة ، وعلى ذلك وقع الخلاف في الوزن ، والأصل الثلاثي من ذلك (كَوَنَ يَكُونُ) ، والمصدر القياسي من ذلك (كَوْنٌ) ، ومن المصادر (كَيْنُونَة وكياناً) ، وقيل الاستكانة مشتقة من السُّكون ، يقال : سَكَن واسْتَكَنَ ، فأشبعت الفتحة فنشأت الألف ، وفي هذا نظر لأن الكلمة في جميع تصاريفها ثبتت عينها تقول : استكان يستكين استكانة فهو مستكين ومستكان له والإشباع لا يكون على هذا الحد .[٢]

معناها لغةً : بعض معاني مادة كون اللغوية :-

١. الكَوْنُ : الحدث ، وكَوَّنَه فتكَوَّن : أحدثه فحدث ، والكَوْنُ : واحد الأكوان .
٢. الكِيَانَة : الكفالة .
٣. المكانة : المنـزلة .
٤. والاستكانة : الخضوع ، والمعنى الأخير هو الأقرب إلى المعنى الشرعي ، والله أعلم .

---

[١] مقاييس اللغة (١٤٨/٥) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١، ٥٩، ٦٠، ٧٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٣٦٩) ، التبيان في إعراب القرآن (١٥٣/١) .

المطلب الثاني
الاستكانة شرعاً

الاستكانة حالة قلبية تحصل للعبد وقت نزول البلاء ، وحصول الشِّدّة ، والله تعالى يُحِبُّ من عباده أن يستكينوا له في تلك الحال ، ولذا عاب سبحانه وتعالى علي من خلا قلبه من تلك الاستكانة فقال ﷻ : قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المؤمنون:٧٦].

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : ((وقد ذم سبحانه من لم يتضرع إليه ولم يستكن له وقت البلاء كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المؤمنون:٧٦] ، والعبد أضعف من أن يتجلد على ربه، والرب تعالى لم يرد من عبده أن يتجلد عليه ، بل أراد منه أن يستكين له ، ويتضرع إليه)).[1]

ولقد ذكر الله ﷻ الاستكانة في موضعين من كتابه الكريم [2] ، وكلاهما منفيٌ ، ففي موضع نفاها الله عن أهل الإيمان عند قتالهم لأهل الكفر والطغيان ، كما نفاها الله تعالى في موضع آخر عن الكفار حين نزل بهم عذاب الله تعالى ، وضاق

---

(١) عدة الصابرين (ص/٢٦) . وروي عن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ أن كان يقول : ((إن الحجاج عذاب الله ، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم ، ولكن عليكم بالاستكانة ، والتضرع فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المؤمنون:٧٦] وهذا الأثر ذكره بهذا اللفظ شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٥٢٩/٤) ، ووجدت الأثر في الطبقات الكبرى لابن سعد (١٦٤/٧) ، ولفظه : ((... يا أيها الناس إنه والله ما سلط الله الحجاج عليكم إلا عقوبة ، فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف ولكن عليكم السكينة والتضرع)). ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١٤٢/٥) .

(٢) الأول في قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٦] ، والثاني قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المؤمنون:٧٦].

عليهم الأمر ، واشتدَّ بهم البلاء ، ففي آية ((آل عمران)) مدح الله المؤمنين بعدم استكانتهم للكافرين، فدلَّ على أنهم أخلصوا الاستكانة لله وحده، وفي آية ((المؤمنون)) ذمَّ الله تعالى الكافرين لعدم استكانتهم وتضرعهم لله رب العالمين .

وفيما يلي أنقل بعض الأقوال الواردة في تفسير الاستكانة المنفية في قوله سبحانه تعالى : ((.. وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٦] ، وقوله ﷻ : ﴿ ... فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ [المؤمنون :٧٦] ، ونستطيع من خلال هذه الأقوال التعرف على بعض ما تتضمنه الاستكانة الشرعية :

يقول **عبد الله بن عباس** ـــ رضي الله عنه ـــ : ((وما استكانوا : تخشعوا)).(١)

ويقول **عبد الرحمن بن زيد بن أسلم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((وما استكانوا : وما ذلُّوا لعدوهم)).(٢)

ويقول **مقاتل** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((وما استكانوا : وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم)).(٣)

ويقول **السدي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((وما استكانوا : وما ذلوا)).(٤)

ويقول الإمام الطبري ـــ رحمه الله تعالى ـــ مفسِّراً الاستكانة ((بالذلة والتخشع)) : ((... ﴿ وما استكانوا ..﴾ : يعني وما ذلوا ، فيتخشعوا لعدوهم بالدخول في دينهم ، ومداهنتهم فيه خيفة منهم ، ولكن مضوا قدماً على بصائرهم ، ومنهاج نبيهم ، صبراً على أمر الله ، وأمر نبيهم ، وطاعة الله ، واتباعاً لتنزيله ووحيه)).(٥)

ويقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ معرِّفاً للاستكانة بالخضوع المقارن للانقياد والإنابة فقال : ((﴿ فما استكانوا لربهم ﴾ يقول : فما خضعوا لربهم فينقادوا لأمره ونهيه ، وينيبوا إلى طاعته)).(٦)

---

(١) جامع البيان (١٢٠/٤) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤١١/١) .

(٣) معالم التنزيل (٣٦٠/١) .

(٤) المصدر السابق (٣٦٠/١) .

(٥) جامع البيان (١١٩/٤) .

(٦) جامع البيان (٤٤/١٨) .

ويقول الحافظ **ابن كثير** ـــ رحمه الله ـــ : ((وما استكانوا : أي ما خشعوا)).[١]

هذه بعض الأقوال ، وقد تضمّنت عدداً من المعاني فمنها التخشّع والذلّة والخضوع والاستسلام والانقياد والإنابة ، فكل هذه المعاني داخلة في مفهوم الاستكانة الشرعي ، والمعنى أن أهل الإيمان لم يصرفوا هذه المعاني لعدوهم ، كما أن أهل الشرك والكفران لم يخلصوا فيها فيصرفوها لله وحده .

يقول الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ: ((والكون[٢] : الحالة التي فيها إنابة ، وذل ، وخضوع ، وهذا يحمد إذا كان لله ، ويُذَم إذا كان لغيره)).[٣]

وفيما يلي بعض ما وقفت عليه من أقوال العلماء في بيان معنى الاستكانة ـــ وهي تتفق تماماً مع ما سبق من الأقوال ـــ :

فعرَّفها الإمام ابن قتيبة ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والاستكانة الخشوع والذل)).[٤]

وعرَّفها **القرطبي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والاستكانة : الذلة والخضوع)).[٥]

وعرَّفها الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((وأما الاستكانة : فهي أيضاً من لوازم الحب وأحكامه ، لا من أسمائه المختصة به ، وأصلها : الخضوع)).[٦]

وعرَّفها الإمام **الشوكاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والاستكانة : الذلة والخضوع)).[٧]

وعرَّفها **الألوسي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بالانقياد فقال : ((.. المراد بالاستكانة له تعالى ما علمت آنفاً من الانقياد لأمره عز وجلَّ)).[٨]

---

[١] تفسير القرآن العظيم (٢٥٢/٣) .

[٢] يرى الإمام ابن القيم أن الاستكانة مشتقة من الفعل (كون) وليس من (سكن) .

[٣] روضة المحبين (٤١/١) .

[٤] زاد المسير (٤٧٢/١) .

[٥] الجامع لأحكام القرآن (٢٣٠/٤) .

[٦] روضة المحبين (٤٠/١-٤١) .

[٧] فتح القدير (٣٨٦/١) .

[٨] روح المعاني (٥٦/١٣)، ويقول ـــ رحمه الله ـــ : ((واستكان : استفعل من الكون ، وأصل معناه : انتقل من كون إلى كون ، كاستحجر ، ثم غلب العرف على استعماله في الانتقال من كون الكبر إلى كون الخضوع)). [روح المعاني (٥٦/١٨)] .

هذا ما تيسَّر ذكره وبيانه ، والذي يظهر من خلال هذه التعريفات ، **أن الاستكانة التي هي عبادة لله تعالى : هي ما تضمنت معنى الخضوع والذلة لله تعالى ، مع الانقياد للأمر ، والإنابة إليه سبحانه وتعالى في كل حال** . والله أعلم .

المبحث الرابع
الإشفاق

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الإشفاق لغةً .

المطلب الثاني : الإشفاق شرعاً .

المطلب الأول
الإشفاق لغةً

أصل الكلمة : الإشفاق مشتق من أصل لغويّ ثلاثي هو (شَفِقَ) .[1]

تصريفها : الإشفاق على وزن (إفْعَال) ، وهو مصدر قياسي للفعل الرباعي (أشفق) (يُشْفِقُ) ، والأصل الثلاثي من ذلك (شَفِقَ) على وزن فَعِلَ ، مضارعه (يَشْفَقُ) من باب (عَلِمَ يَعْلَم) ، والمصدر القياسي منه (شَفَقاً) .[2]

معناها لغةً : بعض معاني مادة شَفِقَ في معاجم اللغة :

١. الخوف ، يقال أنا مشفق من هذا الأمر : أي خائف خوفاً يُرِق القلب ويبلغ منه .

٢. الحذر ، تقول أشفقتُ منه ، أي حذِرتُه .[3]

وهذه المعاني تتضمن معنى الرِّقَّة في الشيء ؛ فالمقصود هو رِقَّة الخوف ، ورِقَّة الحذر ، وهكذا ،...

ولذا يقول ابن فارس ــ رحمه الله تعالى ــ : ((الشين والفاء والقاف أصل واحد يدلُّ على رِقَّة في الشيء ثم يُشْتَق منه)).[4]

---

(١) مقاييس اللغة (٣/١٩٧) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٨١) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في :تصريف الأسماء (ص/٥١) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٥٣) ؛ معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٧٣) .

(٣) ينظر لهذه المعاني وغيرها في : الصحاح (٤/١٥٠١،١٥٠٢)؛ النهاية ــ ابن الأثير (٢/٤٨٧) ، لسان العرب (٧/١٥٤،١٥٥) ؛ معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٨١) .

(٤) مقاييس اللغة (٣/١٩٧) .

المطلب الثاني
الإشفاق شرعاً

الإشفاق من عذاب الله من أعمال القلوب التي يحبها الله تعالى ، ويحب من عباده أن يتعبدوه به ، ولذا مدح الله تعالى من اتصف به فقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأنبياء : ٤٩].

وقال تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الطور:٢٥-٢٦] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١] .

فجعل الله تعالى أصحاب هذه الصفات ـــ ومن ضمنها الإشفاق ـــ ممن سارع في الطاعات واجتهد في القربات .

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « وقوله ﴿ أولئك يسارعون في الخيرات ﴾ [المؤمنون : ٦١] : يقول ـــ تعالى ذكره ـــ هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم يبادرون في الأعمال الصالحة ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته ».[1]

ويقول الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « ... ومنها أن لله عز وجل على القلوب أنواعاً من العبودية ؛ من الخشية ، والخوف ، والإشفاق ، وتوابعها ؛ من المحبة ، والإنابة ، وابتغاء الوسيلة إليه وتوابعها ، وهذه العبوديات لها أسباب تهيجها ، وتبعث عليها ».[2]

---

(١) جامع البيان (٣٤/١٨) .

(٢) مفتاح دار السعادة (٢٩٣/١) .

وبذلك يتبيّن أن الإشفاق من خشية الله ، ومن عذابه نوعٌ من أنواع العبودية التي يحبها الله ويرضاها من عباده .

ولكن الله تعالى وصف الكافرين يوم القيامة بالإشفاق من العذاب عندما يـــرون أعمالهم السيئة ، وما كسبوه في هذه الدنيا ، فقــــال تعــالى : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف : ٤٩] ،

وقـــال ﷻ : ﴿ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الشورى : ٢٢] .

فكيف يكون ــ هذا الإشفاق ــ مما يحبه الله تعالى ثم يصف به هؤلاء الكـــافرين الذين حقَّ عليهم العذاب ، واستحقوا غضب الله ولعنته . والجواب أن يقال : هـــــذا الإشفاق الواقع منهم ليس هو مما يحبه الله تعالى ويرضاه ، إذ أن الإشفاق الذي مدح الله تعالى أهله هو واقعٌ منهم في الدنيا ثم هو ما كان مقروناً بالطمأنينة، والسكينة، والمحبة ، والرجاء ، وحلاوة الأنس بالله تعالى ، بخلاف إشفاق هؤلاء المجرمين يوم القيامة فـــهو إشفاق وحشةٍ ونفرةٍ ، ليس معه محبة ، ولا طمأنينة ، ولا رجاء .

يقول الإمام ــ رحمه الله تعالى ــ : ((.. إن استشهاده بقوله : ﴿ ترى الظـــالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم ﴾ ، ليس استشهاداً صحيحاً ، فإن هذا وصف لحالهم في الآخرة عند معاينة العذاب ، أو عند الموت فهذا الإشفاق مقرون بالاستيحاش ؛ لأنه قد علم أنه صائر إليه ؛ كمن قدم إلى العقوبة ورأى أسبابها فهو مشفق منها إذا رآهـــا لعلمه بأنه صائر إليها ، فليست الآية من الخوف المأمور به في شيء)).[1]

---

(١) طريق الهجرتين (ص/٤٢٦) .

ويقول أيضاً : ((... عند ذكره ﴿ ترى الظالمين مشفقين ﴾ ، فهذا إنما هو وحشة ونفار وهو غير الخوف ؛ فإن الوحشة إنما تنشأ من عدم الخوف ، وأما الخوف فإنه يوجب هروباً إلى الله وجميعةً عليه وسكوناً إليه ، فهي مخافة مقرونة بحلاوة ، وطمأنينة وسكينة ، ومحبة بخلاف خوف المسيء الهارب من الله، فإنه خوف مقرون بوحشة ونفرة ، فخوف الهارب إليه سبحانه محشو بالحلاوة ، والسكينة، والأنس لا وحشة معه ..)).[1]

وبعد هذا البيان أنقل ما وقفت عليه من أقوال العلماء في بيان معنى الإشفاق ، والناظر في كلام علماء التفسير يجدهم قد اتفقوا في الغالب على تفسير معنى الإشفاق بالخوف والوجل ، وإليك بعض أقوالهم :

يقول الإمام الطبري ــ رحمه الله تعالى ــ : ((.. قوله تعالى : ﴿ قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ﴾ ، يقول تعالى ذكره : قال بعضهم لبعض : إنا أيها القوم كنا في أهلنا في الدنيا مشفقين خائفين من عذاب الله ، وجلين أن يعذبنا ربنا)).[2]

ويقول القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ : ((... ﴿ قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ﴾ : أي قال كل مسئول منهم لسائله : إنا كنا قبل أي في الدنيا خائفين وجلين من عذاب الله ، فمن الله علينا بالجنة والمغفرة)).[3]

ويقول الألوسي ــ رحمه الله تعالى ــ : ((﴿ إنا كنا قبل ﴾ : أي قبل هذا الحال ﴿ في أهلنا مشفقين ﴾ : أرقاء القلوب، خائفين من عصيان الله عز وجل، معتنين بطاعته سبحانه، أو وجلين من العاقبة)).[4]

---

(١) طريق الهجرتين (ص/٤٢٥-٤٢٦) .

(٢) جامع البيان (٢٧/٣٠) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٧٠) ، وينظر : معالم التنزيل (٤/٢٤٠) ، تفسير القرآن العظيم (٤/٢٤٤) ، فتح القدير (٥/٩٨) .

(٤) روح المعاني (٢٧/٣٥) .

فهكذا نرى جملةً من العلماء يفسّرون الإشفاق بالخوف والوجل ، ولكن هذا الخوف والوجل مقرون بالحذر والرحمة والعناية ، وهذا ما صرَّح به جمعٌ من العلماء ، وفيما يلي أذكر بعضها :

عرَّفه **الهروي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((الإشفاق : دوام الحذر مقروناً بالترحم)).[١]

فهذا هو الإشفاق من عذاب الله ، فحذر العبد ناتج من شدة الخوف والخشية من الله تعالى ، وهذه الرحمة هي لنفسه التي يخاف عليها من العذاب .

وعرَّفه **الراغب** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والإشفاق : عنايةٌ مُخْتَلِطَةٌ بخوف ، لأنّ المُشْفِقَ يُحِبُّ المُشْفَقَ عليه ويَخَاف ما يلحَقُهُ)).[٢]

وهنا نصّ الراغب على العناية التي تتضمن المحبة والرحمة .

والحاصل أن الإشفاق الشرعي يقع مركباً ، من شيءٍ وعلى شيءٍ ، فيشفق العبدُ من عذاب الله على نفسه أو على غيره ، فالإشفاق من عذاب الله يكون معنى الخوف والوجل والحذر فيه أظهر ، بخلاف الإشفاق على النفس أو الغير فيكون معنى الرحمة والاعتناء فيه أظهر ، ...

يقول **البيضاوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ معرّفاً له : ((والإشفاق : خوف مع اعتناء، فإن عدي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر ، وإن عدي بعلى فبالعكس)).[٣]

وعرَّفه **ابن عطية** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والإشفاق : أبلغ التوقّع والخوف)).[٤]

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((الإشفاق : رقة الخوف ، وهو خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه)).[٥]

فيخاف من عذاب الله وعقابه أن يصل ويلحق بنفسه التي يرحمها ويحبها .

---

[١] مدارج السالكين (١/٥١٨) .

[٢] المفردات (ص/٢٦٣) .

[٣] تفسير البيضاوي (٤/٩٠) .

[٤] تفسير ابن عطية (١١/٢٣٨) .

[٥] مدارج السالكين (١/٥١٨) .

وعرَّفه الإمام **الشوكاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « والإشفاق : الخوف مع التوقع والحذر ».[1]

وعرَّفه **الألوسي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « والإشفاق وهو توقّع مخوف ممكن ».[2]

فالعبد المؤمن خائف من عذاب الله أن يناله ، ومن الساعة وأهوالها ، متوقعٌ وحـــذرٌ وموقنٌ بكل ذلك .

والحاصل أنّ كلام العلماء في بيان معنى الإشفاق ، ارتكز على أُمورٍ ثلاثـــة ، هـــي الخوف ، والحذر ، والعناية المشوبة بالخوف والرحمة ، فإذا عُدِّيَ الفعل منه بِمِـــنْ فمعـــنى الخوف والحذر فيه أظهر ، وإذا عُدِّيَ بعلى فينصرف إلى العناية المتضمنة للرحمة والمحبة .

ويمكن تلخيص ما سبق من أقوال فيقال :

الإشفاق : هو حالة فزع وخوف قلبي ، مقرونة بحذر ، متضمّنة للرحمة من الخـلئف لمن يخاف عليه [3] ، تُثْمِرُها خشية الله تعالى ، تستلزم فعل طاعتـــه ، وتـــرك معصيتـــه ، والسعيَ والجِدَّ في طلب مرضاته . والله أعلم .

---

(١) فتح القدير (٣/٤٠٥) .

(٢) روح المعاني (١/١٨٥) .

(٣) وقد يشفق الإنسان على نفسه من عذاب الله ، بمعنى أنه يخاف من عذاب الله على نفسه خوفاً مقروناً بالرحمة والحذر .

المبحث الخامس
الاعتصام

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الاعتصام لغةً .

المطلب الثاني : الاعتصام شرعاً .

المطلب الأول
الاعتصام لغةً

أصل الكلمة : الاعتصام مشتق من أصل لغويٍّ ثلاثيٍّ هو (عَصَمَ) .[١]

تصريفها : الاعْتِصَام على وزن (افْتِعَال) ، وهو مصدر قياسي من الفعل الخماسي (اعْتَصَمَ يَعْتَصِمُ) ، مزيد بحرفين ؛ همزة الوصل والتاء ، وفي الأصل الثلاثي من ذلك تقول : عَصَمَ يَعْصِمُ عَصْمَاً ، من باب ضَرَبَ .[٢]

معناها لغةً : معاني مادة عصم في كتب اللغة :-

١. المنع من الشيء والوقاية منه ، يقال : عصمه الطعام أي منعه من الجوع ، والعِصْمَةُ : المنع ، واعتصمت بالله : امتنعت بلطفه من المعصية ، واعتصم به واستعصم : امتنع وأبى ، والعصمة : المَنَعَة .

٢. الحفظ ، يقال : عصمته فانعصم ، والعِصْمَة : الحفظ .

٣. اللجوء إلى الشيء ولزومه والتمسُّك به، وأَعْصَمَ الرجل بصاحبه إعصاماً : إذا لزمه ولجأ إليه، وقيل : أصل العِصْمَةِ الحَبْلُ، وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه، والاعتصام : الامتساك بالشيء ، افتعالٌ منه ، والمِعْصَمُ : موضع السِوار من الساعد .[٣]

هذه بعض المعاني، وقد جعل ابن فارس الأصل في ذلك الوقاية والملازمة فقال : ((العين والصاد والميم أَصل واحد صحيح يدلُّ على إمساك ومنع وملازمة)).[٤] ولمعنى الاعتصام الشرعي علاقة بغالب هذه المعاني ، ففيه الوقاية والمنعة من المهالك والشرور ، وفيه معنى الملازمة والتمسُّك واللجوء ، وفيما يلي كلام العلماء في بيان معنى الاعتصام الشرعي .

---

[١] مقاييس اللغة (٣٣١/٤) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص ٦٥-٦٦) ، الصحاح (١٩٨٦/٥) .

[٣] ينظر إلى هذه مع بقية المعاني في : الصحاح (١٩٨٦/٥-١٩٨٧) ، لسان العرب (٢٤٤/١٠-٢٤٨) .

[٤] مقاييس اللغة (٣٣١/٤) .

المطلب الثاني
الاعتصام شرعاً

المتأمل في النصوص الشرعية التي أشارت إلى هذه العبادة العظيمة يجد أن الاعتصام الشرعي الذي أمر الله تعالى به يتضمن نوعين، أحدهما : اعتصام بالله تعالى، وبذاته المقدسة ، والثاني : اعتصام بحبله سبحانه وتعالى ، وهذا الحبل عامٌ يشمل عدة أمور كما سيعلم ذلك في موضعه ، وتعريفات العلماء ترتكز وتنبني على هذين النوعين من أنواع الاعتصام ، وقد مدح الله تعالى من اعتصم به وبحبله ، فجعل الاعتصام به من صفات أهل الإيمان ،...

قال تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ [النساء : ١٤٦] .

كما تكفَّل سبحانه وتعالى لمن اعتصم به بالرحمة والهداية في الدنيا والآخرة ، كما قال ﷻ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [النساء:١٧٥] .

ويقول جل وعز : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران:١٠١] .

بل أمر سبحانه وتعالى عباده بالاعتصام به واللجوء إليه ، ورتَّب على ذلك النُّصرة والكفاية فقال سبحانه : ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة **واعتصموا بالله** هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ [الحج : ٧٨] .

كما أمر الله عباده بالاعتصام بحبله، وعدم التفرق وذلك في قوله : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران:١٠٣] .

ويقول ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً ؛ فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، **وأن تعتصموا بحبل الله** جميعاً ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال)).[(١)]

فهذه النصوص القرآنية والنبوية فيها ذكر النوعين الذين أشرنا لهما من قبل ، وهما الاعتصام بالله ، والاعتصام بحبله تبارك وتعالى ،...

يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ : ((... **فالاعتصام به نوعان اعتصامُ توكل** ، واستعانة ، وتفويض، ولجإ ، وعياذ ، وإسلام النفس إليه ، والاستسلام له سبحانه . **والثاني** : **اعتصامٌ بوحيه** ، وهو تحكيمه دون آراء الرجال ، ومقاييسهم ومعقولاتهم ، وأذواقهم ، وكشوفاتهم ، ومواجيدهم فمن لم يكن كذلك فهو منسل من هذا الاعتصام ، فالدين كله في الاعتصام به ، وبحبله ، علماً ، وعملاً ، وإخلاصاً ، واستعانةً ، ومتابعةً ، واستمراراً على ذلك إلى يوم القيامة)).[(٢)]

وفيما يلي تعريفات العلماء في بيان معنى الاعتصام بالله تعالى :-

عرَّفه **أبو العالية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الاعتصام بالله : الثقة به)).[(٣)]

وعرَّفه الإمام **الطبري** بقوله : ((... **الاعتصام** : التمسُّك والتعلُّق ، فالاعتصام بالله : التمسُّك بعهده ، وميثاقه الذي عهد في كتابه إلى خلقه من طاعته وترك معصيته)).[(٤)]

---

(١) مسلم (٣/١٣٤٠) برقم (١٧١٥) .

(٢) مدارج السالكين (٣/٣٢٣) ، وقد بيَّن ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ ثمرة هذا الاعتصام فقال : ((ثم ينزل القلب منزل الاعتصام ، وهو نوعان : اعتصام بالله ، واعتصام بحبل الله ... فأما الاعتصام بحبله ، فإنه يعصم من الضلالة ، والاعتصام به يعصم من الهلكة ، فإن السائر إلى الله كالسائر على طريق نحو مقصده ، فهو محتاج إلى هداية الطريق والسلامة فيها ...)). [مدارج السالكين (١/٤٦٠)] .

(٣) الدر المنثور (٢/٢٨١) ، ابن أبي حاتم (../...) .

(٤) جامع البيان (٥/٣٣٩) .

وعرَّفه **الثعالبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((.. ثم أمر سبحانه بالاعتصام به أي بالتعلق به ، والخلوص له ، وطلب النجاة منه ، ورفض التوكل على سواه)).[1]

وعرَّفه **البغوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وقيل : الاعتصام بالله هو التمسُّك بالكتاب والسنة)).[2]

وهذا التعريف أليق بمعنى الاعتصام بحبل الله تعالى .

وقريباً منه قول **المناوي** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((والاعتصام به : التمسُّك بآياته ، والمحافظة على العمل بها)).[3]

وعرَّفه **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((وأما الاعتصام به : فهو التوكل عليه ، والامتناع به ، والاحتماء به ، وسؤاله أن يحمي العبد ويمنعه ويعصمه ويدفع عنه)).[4] وفي هذا التعريف زيادة سؤال العبد لربه أن يعصمه ويدفع عنه .

وعرَّفه الإمام **الشوكاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((ومعنى الاعتصام بالله : التمسُّك بدينه وطاعته ، وقيل بالقرآن ..)).[5]

وقال أيضاً ((والاعتصام بالله : التمسُّك به ، والوثوق بوعده)).[6]

وعرَّفه **الألوسي** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((وحقيقة الاعتصام عند بعضهم : انجذاب القلب عن الأسباب التي هي الأصنام المعنوية ، والتبري إلى الله تعالى من الحول والقوة)).[7]

---

(1) تفسير الثعالبي (٩٠/٣) .

(2) معالم التنـزيل (٣٠١/٣) .

(3) فيض القدير (٣٠٢/٢) .

(4) مدارج السالكين (٤٦٢/١) . وقال ــ رحمه الله تعالى ــ :((فإن ثمرة الاعتصام به : هو الدفع عن العبد والله يدافع عن الذين آمنوا ، فيدفع عن عبده المؤمن إذا اعتصم به كل سبب يفضي به إلى العطب ويحميه منه ، فيدفع عنه الشبهات والشهوات ، وكيد عدوّه الظاهر والباطن ، وشر نفسه ...)) [المصدر السابق].

(5) فتح القدير (٣٦٧/١) .

(6) المصدر السابق (٥٣٠/١) .

(7) روح المعاني (٣٢/٤) .

وهذا هو التوكل .

ولعل تعريف الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ يعتبر من أشمل تلك التعريفات وأفضلها ، ويمكن تعريفه أيضاً من خلال كلامه فنقول : ((**الاعتصام بالله : هو تمسُّك العبد بربه واحتماؤه به، فيعتمد بقلبه عليه، مفوضاً له أمره ، مستعيناً به ، مستسلماً له ، ملتجأً إليه في كل حال**)) ، والله تعالى أعلم .

وأما الاعتصام بحبل الله تعالى ، فالمقصود به التمسُّك بهذا الحبل والاهتداء به ، ولكن اختلفت وتنوَّعت عبارات العلماء في تفسيره ، عند قوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ﴾[آل عمران :١٠٣].

فقال **عبد الله بن مسعود** ﷺ : ((هو الجماعة)) .[١]

وقال الإمامان **مجاهد وعطاء** ـــ رحمهما الله تعالى ـــ : ((بعهد الله)) .[٢]

وقال الإمامان **قتادة والسدي** ـــ رحمهما الله تعالى ـــ وكثير من أهل التفسير : ((هو القرآن)) .[٣]

ويقول **أبو العالية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((اعتصموا بالإخلاص لله وحده)).[٤]

أي إخلاص التوحيد ، وإفراده تعالى بالعبادة دون ما سواه .

ويقول **عبد الرحمن بن زيد** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((الحبل : الإسلام)).[٥]

فهذا بعض كلام السلف في بيان معنى الحبل الذي أوجب الله تعالى الاعتصام بـه ، وفيما يلي نزيد الأمر وضوحاً بنقل تعاريف العلماء في بيان المعنى الشرعي للاعتصام بحبل الله :

---

(١) جامع البيان (٤/٣٠) .

(٢) جامع البيان (٤/٣١) .

(٣) جامع البيان (٤/٣١) .

(٤) جامع البيان (٤/٣١) ، ابن أبي حاتم (../...) .

(٥) جامع البيان (٤/٣٢) .

عرَّفه **الهروي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله :((الاعتصام بحبل الله : هو المحافظة على طاعته ، مراقباً لأمره)).[١]

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((.. ويريد بمراقبة الأمر : القيام بالطاعة لأجل أنَّ الله أمر بها ، وأحبها ، لا لمجرد العادة ، أو لعلة باعثة سوى امتثال الأمر...)).[٢]

وعرَّفه الإمام **أبو عبيد** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الاعتصام بحبل الله : اتباع القرآن ، وترك الفرقة ...)).[٣]

وعرَّفه الإمام **النووي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وأما الاعتصام بحبل الله : فهو التمسُّك بعهده ، وهو اتباع كتابه العزيز ، وحدوده ، والتأدب بأدبه)).[٤]

وعرَّفه الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((... الاعتصام بحبل الله : وهو اتباع الكتاب والسنة)).[٥]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((فالاعتصام بحبل الله يكون بالاعتصام بالقرآن والإسلام ..)).[٦]

هذا ما وقفت عليه من أقوالٍ في بيان معنى الاعتصام بحبل الله ، وغالبها يدور حول التمسك بالقرآن والوحي ، والله أعلم .

---

(١) المصدر السابق (٤٦١/١) .

(٢) المصدر السابق (٤٦٢/١) .

(٣) شرح السنة (١٨٩/١) .

(٤) شرح مسلم ــ النووي (١١/١٢) .

(٥) منهاج السنة (٣٦٤/٦) .

(٦) النبوات (ص٢٣٥) .

المبحث السادس
التفويض

فيه مطلبان :-

المطلب الأول : التفويض لغةً

المطلب الثاني : التفويض شرعاً

المطلب الأول
التفويض لغةً

أصل الكلمة : التفويض مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو (فوض).[1]

تصريفها : التَّفْويض على وزن (تَفْعِيل) ، وهو مصدر قياسي من الفعل الرباعي (فَوَّض) ، على وزن (فَعَّلَ) ، يقال : (فَوَّضَ يُفَوّض تَفْويضاً) ، والأصل الثلاثي من ذلك (فاض) معتل العين .[2]

معناها لغةً : من معاني مادة (فوض) اللغوية :-

١. فوَّض إليه الأمر : صيّره إليه وجعله الحاكم فيه .[3]

وهكذا معنى التفويض في الشرع ، فالعبد يسلّم أمره ويصيّره لله تعالى وحده ليحكم له فيه ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٤/٤٦٠) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٦٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٥٠٣) .

(٣) ينظر لهذه المعاني في : الصحاح (٣/١٠٩٩) ، لسان العرب (١٠/٣٤٨-٣٤٩) .

المطلب الثاني
التفويض شرعاً

التفويض عبادة قلبية [١] ورد ذكرها في القرآن على لسان مؤمن آل فرعون ، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ فستذكرون ما أقول لكم وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾ [غافر :٤٤] . ثم بيّن تعالى جزاء هذا التفويض ، فقال ﷻ بعد ذلك : ﴿ فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوءُ العذاب ﴾ [غافر : ٤٥] .

وكذا جاء ذكر هذه العبادة في كلامه ﷺ كما في حديث البراء بن عازب ﷺ قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم أسلمت وجهي إليك ، **وفوضت أمري إليك**، وألجأت ظهري إليك ، رغبةً ورهبةً إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تتكلم به)).[٢]

---

[١] الفتاوى (٧٣/١) .

[٢] البخاري (٩٧/١) برقم (٢٤٤) ، مسلم (٢٠٨١/٤) برقم (٢٧١٠) . وبذلك يتبيّن خطأ بعض أهل السلوك الذين فضلوا التفويض على التوكل ، والحق أن التوكل أفضل وأكمل وأشمل ، بيان ذلك أن التفويض لم يذكر في القرآن إلا في سياق قصة مؤمن آل فرعون ، بخلاف التوكل ، فالقرآن مملوءٌ بذكره أمراً وحضاً وترغيباً ؛ فوصف الله به أنبياءه ورسله وأولياءه المتقين ، ... يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ : ((... بل لو قال قائل : التوكل فوق التفويض ، وأجل منه ، وأرفع ، لكان مصيباً ، ولهذا كان القرآنُ مملوءاً به ، أمراً وإخباراً عن خاصة الله وأوليائه وصفوة المؤمنين بأن حالهم التوكل ، وأمر الله به رسوله في أربعة مواضع من كتابه ، وسماه المتوكل ، كما في صحيح البخاري [التخريج] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : ((قرأت في التوراة صفة النبي محمد رسول الله ، سميته المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق)). ، وأخبر

يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ : ((والتفويض من أشرف مقامات العبودية ، ولا علة فيه ، وهو من مقامات الخاصة خلافاً لزاعمي خلاف ذلك)).(١)

التفويض الشرعي لا يكاد ينفصم عن التوكل، فهو جزء معناه ، بل التوكل لا يصح ، ولا يحصل ، إذا فُقد منه التفويض ، فهو أصله وفصله ، وروحه ، وحقيقته ، كما أن التفويض لا يعتبر تفويضاً شرعيّاً يحبّه الله تبارك وتعالى ما لم يكن مستلزماً لأعمال قلبية تؤدي بمجموعها إلى التوكل ، ولذلك فإن كثيراً من العلماء يعرّفون التفويض بالتوكل على الله ، وتسليم الأمور إليه سبحانه ،...

وهذا ما يظهر جليّاً في كلام بعض المفسرين عند قوله تعالى : ﴿ وأفوّض أمري إلى الله ﴾ [غافر : ٤٤] :

يقول الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ في بيان معنى التفويض : ((﴿ وأفوض أمري إلى الله ﴾ ، يقول : وأسلم أمري إلى الله ، وأجعله إليه ، وأتوكل عليه ، فإنه الكافي من توكل عليه)).(٢)

ويقول **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((﴿ وأفوض أمري إلى الله ﴾ : أي أتوكل عليه ، وأسلم أمري إليه)).(٣)

ويقول الحافظ **ابن كثير** ــ رحمه الله ــ : ((﴿ وأفوض أمري إلى الله ﴾ : أي وأتوكل على الله ، وأستعينه)).(٤)

عن رسله بأن حالهم كان التوكل ، وبه انتصروا على قومهم ، وأخبر النبي عن السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم أهل مقام التوكل ، ولم يجيء التفويض في القرآن إلا فيما حكاه عن مؤمن آل فرعون ...)). [مدارج السالكين (٢/١٣٨-١٣٩)] .

(١) زاد المعاد (٤/٢٤٤-٢٤٥) .

(٢) جامع البيان (٢٤/٧٠) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٣١٨) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/٨٢) .

ويقول الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ في بيان قوله ﷺ : « وفوضت أمري إليك » : أي توكلت عليكم في أمري كله ».[١]

وهكذا نرى أقوال جملة من العلماء تتضافر في تفسير التفويض الشرعي بأنه التوكل على الله ، وتسليم الأمر إليه ،...

ولذا يعرِّفه الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « التفويض : وهو روح التوكل ، ولبه ، وحقيقته ، وهو إلقاء أموره كلها إلى الله ، وإنزالها به ؛ طلباً واختياراً، لا كرهاً واضطراراً ».[٢]

ويقول ــ رحمه الله ــ أيضاً : « وتفويض الأمر إليه : رده إلى الله سبحانه، وذلك يوجب سكون القلب ، وطمأنينته ، والرضى بما يقضيه ويختاره له مما يحبه ويرضاه ».[٣]

فهذا الرد والتسليم إلى الله هو معنى التفويض ، ثم مجموع هذه الأمور من ردّ وتسليم ، وطمأنينة ، وسكون ، ورضى هو معنى التوكل ، فالتوكل تفويض وزيادة .

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : « فالذي نذهب إليه : أن التوكل أوسع من التفويض ، وأعلى ، وأرفع ».[٤]

والخلاصة أن التوكل لا يتم إلا بالتفويض ، فالتوكل تفويض وزيادة كما مر من قبل ، وعليه يكون معنى التفويض : هو البراءة من الحول والقوة ، وتسليم الأمر لله وحده ،...

ولذا يقول الإمام الهروي : « فالتفويض : براءة وخروج من الحول والقوة ، وتسليم الأمر كله إلى مالكه ».[٥]

ويقول **المناوي** ــ رحمه الله تعالى ــ : « التفويض : ردّ الأمر إلى الله ، والتبرؤ من الحول والقوة ».[٦]

---

[١] فتح الباري (١١/١١٠) .

[٢] مدارج السالكين (٢/١٢٢) .

[٣] زاد المعاد (٤/٢٤٤) .

[٤] مدارج السالكين (٢/١٣٩) .

[٥] مدارج السالكين (٢/١٣٨) .

[٦] التوقيف (ص/١٩٥) .

ويقول الشيخ **المباركفوري** ــ رحمه الله تعالى ــ : « التفويض : وهو تسليم الأمر إلى الله تعالى ».[1]

فإذا حصلت تلك البراءة ، وحصل ذاك التسليم ، جاءت بعد ذلك ــ ولا بد ــ طمأنينة القلب ، وسكونه ، واعتماده على مولاه اعتماداً كاملاً ، والرضي بكل ما يقضيه ويقدّره ، وبذلك تكتمل صورة التوكل على الله تعالى ،...

يقول **الإمام ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : « فإن المتوكل مفوض وزيادة ، فلا يستقيم مقام التوكل إلا بالتفويض ، فإنه إذا فوض أمره إليه ، اعتمد بقلبه كله عليه بعد تفويضه ، ونظير هذا : أن من فوَّض أمره إلى رجل ، وجعله إليه ، فإنه يجد من نفسه بعد تفويضه اعتماداً خاصاً ، وسكوناً ، وطمأنينة إلى المفوَّض إليه أكثر مما كان قبل التفويض ، وهذا هو حقيقة التوكل ».[2]

وعليه فمن فسَّر من العلماء التفويض بالتوكل ، فاعتبار ما يؤول إليه الأمر ، فإنه متى حصل التفويض الشرعي النافع ، حصل بعده التوكل حتماً ولا بد ، والله أعلم .

---

(١) تحفة الأحوذي (١٠/١٩) . وينظر : عون المعبود (١٣/٢٦٥) .

(٢) مدارج السالكين (٢/١٤٠) .

المبحث السابع
التوكل

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التوكل لغةً .

المطلب الثاني : التوكل شرعاً .

المطلب الأول
التوكل لغةً

أصل الكلمة : التوكل مشتق من أصل لغوي ثلاثي وهو (وكل).[1]

تصريفها : (التَّوكُّل) على وزن (التَّفَعُّل) وهو مصدر قياسي للفعل (تَوَكَّل) على وزن (تَفَعَّل) مزيد بحرفين ، التاء في أوله وتضعيف الكاف (عين الكلمة) ، مثل تَوَقَّف تَوَقُّفاً وتَوَسَّع تَوَسُّعاً ، و الأصل الثلاثي من هذا الفعل يأتي على أحد وزنين (فَعَلَ) ، أو (فَعِلَ) ، فيقال وَكَلَ أو وَكِلَ ، وعلى كلٍ فقياس مصدرهما إمَّا فَعْل ، إن كانا متعديين ، فيقال وَكْل ، وإن كانا لازمين ، فقياس مصدر الأول (فُعُول) فيقال (وُكُول) ، وقياس مصدر الثاني (فَعَل) فيقال ، (وَكَل) .[2]

معناها لغةً : لمادة وكل عدد من المعاني من أهمها :

١. الاستسلام والاعتماد وتفويض الأمر إلى الغير ثقةً به ، يقال وكل يَكِل وَكْلاً بالله : استسلم إليه ، ووَكَلَ إليه الأمر وَكْلاً ووُكُولاً : فوَّضَهُ إليه واعتمد عليه.

٢. العجز والضعف ، يقال فلان وَكَلٌ بالتحريك ووُكَلَةٌ تُكَلَةٌ ومُواكِل : أي عاجز و ضعيف يتَّكل على غيره ، ويكل أمره على غيره .

هذه بعض معاني مادة وَكَلَ ، ومعنى التوكل الشرعي مأخوذ منها ، حيث عرفه بعضهم بقوله : التوكل : إظهار العجز والاعتماد على غيرك ، والاسم التُكْلانُ.[3]

---

[1] معجم مقاييس اللغة (٦ / ١٣٦) .

[2] راجع تصريف الأسماء (ص/٥١-٥٢) .

[3] ينظر لهذه المعاني : الصحاح (٥/١٨٤٥) ، أساس البلاغة (ص/٤٩٢) ، لسان العرب (١٥/٣٨٧-٣٨٨) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/٤٤٠) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٤٨١) .

المطلب الثاني
التوكل شرعاً

التوكل عبادة قلبية عظيمة يحبها الله تبارك وتعالى ، ولذا أوجبه على عباده ، بل جعله ــ سبحانه وتعالى ــ من لوازم الإيمان ومقتضياته ، وتكفّل بمن توكل عليه أن يكون حسيبه وكافيه ، ولقد كثر ذكره في النصوص الشرعية أمراً وترغيباً وحضاً وتبشيراً ،... ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ [المائدة : ٢٣] ،...

وقال تعالى : ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ [إبراهيم : ١١] ،...

وقال : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ [الطلاق : ٣] ،...

وقال سبحانه على لسان أوليائه : ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ [الممتحنة : ٤] ،

وقال ﷻ آمراً رسوله ﷺ به : ﴿ فتوكل على الله إنك على الحق المبين ﴾ [النمل : ٧٩].

وقال تعالى : ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾ [النساء : ٨١] ،

وقال : ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده ﴾ [الفرقان : ٥٨] ،

وقال ﷻ لنبيّه ﷺ : ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقال تعالى عن أنبيائه ورسله : ﴿ وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ﴾ [إبراهيم : ١٢] ،

وفي الصحيحين في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب قال : ((هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون)).[1]

---

(١) صحيح البخاري (٥/٢١٥٧) برقم (٥٣٧٨) ، صحيح مسلم (١/١٩٨) برقم (٢١٨) .

وقوله ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله كان يقول : ((اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني ، أنت الحي الذي لا يموت ، والجن ، والإنس يموتون)).[١]

وما ذُكر سابقاً من نصوص في التوكل لا يقارن بما لم يُذكر ، فالقرآن مملوءٌ بذكره ، وكذا السنة ، وهذا يكفي في تعظيم شأنه ، ورفعة مكانته .

ثم اعلم أن التوكل الشرعي يتنوع إلى قسمين ، كلاهما محبوبٌ لله تبارك وتعالى ، مثابٌ ومأجورٌ من أتى بهما ، أو بأحدهما ، على اختلاف بينهما في الفضل والمكانة ، . . .

فالنوع الأول : توكل العبد على ربه في جلب محبوبات العبد ، ودفع مكروهاته الدنيوية .

والثاني : توكل العبد على ربه في تحقيق محبوبات الرب تبارك وتعالى .

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : ((التوكل على الله نوعان ، **أحدهما** : توكل عليه في جلب حوائج العبد، وحظوظه الدنيوية، أو دفع مكروهاته ، ومصائبه الدنيوية، **والثاني** : التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه؛ من الإيمان ، واليقين ، والجهاد ، والدعوة إليه ، وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله ، فمتى توكل عليه العبد في **النوع الثاني** حق توكله ، كفاه النوع الأول تمام الكفاية ، ومتى توكل عليه في **النوع الأول** دون **الثاني** كفاه أيضاً ، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه ، فاعظم التوكل عليه التوكل في الهداية ، وتجريد التوحيد ، ومتابعة الرسول ، وجهاد أهل الباطل ، فهذا توكل الرسل وخاصة اتباعهم)).[٢]

---

[١] صحيح البخاري (٣٧٧/١) برقم (١٠٦٩) ، صحيح مسلم (٢٠٨٦/٤) برقم (٢٧١٧) ، وهذا لفظ مسلم .

[٢] الفوائد (ص/٨٦) .

وقد تعددت تعريفات العلماء للتوكل ، فمنهم من جعله من عمل القلب [١] فأشار فيه إلى الثقة ، والطمأنينة ، والاعتماد على الله تعالى ، وسكون القلب ، واستسلامه ، وتفويض الأمور ، وتسليمها إلى الله ﷻ ، والرضا بالمقدور ، كما أن بعضهم جعله من باب المعلومات والمعارف فهو بذلك يعتبر من علم القلب ، وفيما يلي أذكر ما وقفت عليه من أقوال في بيان معنى التوكل :

فقيل : ((هو علم القلب بكفاية الرب للعبد)). [٢] ، فجعله من باب المعارف والعلوم، وهذا هو جزء معناه .

وقيل : ((هو المعرفة بالله)).[٣] وهذه يتضمنها التوكل ولا بد ، فمن توكل على الله حقاً ، لا بد وأن يكون عارفاً بالله ، وصفاته : من قدرته ، وكفايته ، وقيّوميته ، ومشيئته ، وشُمول علمه ، ومعرفته بأسمائه وصفاته .

وعرَّفه **ابن عباس** ـــ رضي الله عنه ـــ بقوله : ((هو الثقة بالله)).[٤]

وقيل هو : ((هو الثقة بما عند الله ، واليأس عما في أيدي الناس)).[٥]

وعرفه **الحسن** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الرضا عن الله عز وجلَّ)).[٦]

وقيل : ((هو الرضا بالمقدور)).[٧] قال ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ : ((وهي ـــ أي الرضا ـــ ثمرة التوكل . ومن فسَّر التوكل بها ، فإنما فسَّره بأجلّ ثمراته ، وأعظم فوائده ، فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله)).[٨]

---

(١) يقول **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((ومعنى ذلك : أنه عمل قلبي ، ليس بقول اللسان ، ولا عمل الجوارح ، ولا هو من باب العلوم والإدراكات)). [مدارج السالكين (٢/١١٤)].

(٢) مدارج السالكين (٢/١١٤) .

(٣) المصدر السابق (٢/١٢٥) .

(٤) زاد المسير (١/٤٥٠)

(٥) التعريفات (ص/٩٧) .

(٦) شعب الإيمان ـــ البيهقي (٢ / ٩٨) .

(٧) مدارج السالكين ـــ (٢/١١٥) .

(٨) المصدر السابق (٢/١٢٢) .

وعرَّفه الإمام **أحمد بن حنبل** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((التوكل : طمأنينة القلب ، وسكونه إلى موعود الله تعالى)).[١]

وعرَّفه الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وقيل : هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب)).[٢] والمقصود قطع الاعتماد على الأسباب ، وعدم الاطمئنان إليها ، أو الركون لها ، ومن المعلوم أن هذا لا ينافي العمل بها ، ...

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فالتوكل لا ينافي تعاطي الأسباب ؛ لأن التوكل عمل القلب ، وهي عمل البدن)).[٣]

وقيل : ((التوكل : قطع علائق القلب بغير الله)).[٤]

وكذا عرَّفه الإمام **أحمد بن حنبل** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((قطع الاستشراف بالإياس من الخلق)).[٥]

وعرفه الإمام **الهروي** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((التوكل : كِلَة الأمر إلى مالكه ، والتعويل على وكالته)).[٦]

وعرفه الإمام **ابن رجب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجلّ في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة)).[٧]

---

(١) الأربعون الصغرى ــ البيهقي ــ (ص/١١١) .

(٢) فتح الباري (٣/٤٤٩) . يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ : ((التوكل تارة يكون توكل اضطرار والجاء ، بحيث لا يجد العبد ملجأً ولا وزراً إلا التوكل ، كما إذا ضاقت عليه الأسباب، وضاقت عليه نفسه، وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، وهذا لا يتخلف عنه الفرج والتيسير البتة ، وتارة يكون توكل اختيار ؛ وذلك التوكل مع وجود السبب المفضي إلى المراد ، فإن كان السبب مأموراً به ذم على تركه، وإن [أ]قام السبب ، وترك التوكل ذم على تركه أيضاً ، فإنه واجب باتفاق الأمة ، ونص القرآن ، والواجب القيام بهما والجمع بينهما)). [الفوائد (ص/٨٦)] .

(٣) فتح الباري (٦/٨٢) .

(٤) مدارج السالكين (٢/١١٦) .

(٥) الفتاوى (١٠/٢٥٩) ، تاريخ دمشق (٥/٣٠٨) .

(٦) مدارج السالكين (٢/١٢٦) ، قال ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ عَقِبَه : ((أي تسليمه إلى من هو بيده ... والاعتماد على قيامه بالأمر ، والاستغناء بفعله عن فعلك ، وبإرادته عن إرادتك)).

(٧) جامع العلوم والحكم (ص/٤٣٦) .

وهذا فيه ذكر نوعي التوكل المشار إليهم آنفاً .

وعرَّفه الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « ... هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله ، والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير ، والضر والنفع ، والعطاء والمنع ، وأنه ما شاء كـــان وإن لم يشأ الناس ، وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس، فيوجب له هذا اعتماداً عليه ، وتفويضاً إليـــه ، وطمأنينة به ، وثقة به ، ويقيناً بكفايته ... ».[(١)]

وعرَّفته **اللجنة الدائمة للبحوث العلمية** ـــ حفظها الله تعالى ـــ بقولها : « حقيقة التوكل : هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمـــور الدنيـا والآخرة ».[(٢)]

وهو بعينه تعريف الإمام ابن رجب ـــ رحمه الله تعالى ـــ .

وبعد سرد كل ما سبق من تعريفات ، يتبين لنا ، أن التوكل : « حال مركبة من مجمـــوع أمور ، لا تتم حقيقة التوكل إلا بها ، وكلٌّ منهم أشار إلى واحد من هذه الأمور ، أو اثنـــين ، أو أكثر ».[(٣)]

وبالجملة فالتوكل الشرعي يتضمن علماً للقلب، وعملاً له ، فلا يصح أصله وأساســه ، ولا يستقيم عموده وفسطاطه بدون هذين الأصلين العظيمين ، ...

يقول الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ : « فإن التوكل يجمع أصلين ، علم القلب ، وعمله ، أما علمه فيقينه بكفاية وكيله ، وكمال قيامه بما وكله إليه ، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك ، وأما عمله فسكونه إلى وكيله ، وطمأنينته إليه ، وتفويضه وتسليمه أمره إليه ، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك ، ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه ، فبهذين الأصلين يتحقق التوكل ، وهمـا جماعه ، وإن كان التوكل دخل في عمل القلب من علمه ، كما قال الإمام أحمد : التوكل عمـل القلب [(٤)] ، ولكن لا بد فيه من العلم ، وهو إما شرط فيه ، وإما جزء من ماهيته ».[(٥)]

---

(١) مدارج السالكين (٨٢/١) .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٣٨٠/١) .

(٣) مدارج السالكين (١١٧/٢) .

(٤) لم أجده بهذا اللفظ المذكور ، وجاء في الأربعين الصغرى (ص/١١١) بلفظ : « التوكل : طمأنينة القلب ، وسكونه إلى موعـود الله تعالى ».

(٥) طريق الهجرتين (ص/٣٨٩) .

ومما سبق يترجّح تعريف الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ حيث اجتمع فيه هذان الأصلان ، وهما علم القلب ، وعمل القلب وبهما يكتمل مفهوم التوكل الشرعي ، ولـــذا يؤكد الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ هذا المفهوم الشرعي ، فيقول في موضع آخـر : ((... التوكل عمل القلب ، وعبوديته ، اعتماداً على الله ، وثقةً به ، والتجاءً إليه وتفويضـاً إليه ، ورضاً بما يقضيه له ، لعلمه بكفايته سبحانه ، وحسن اختياره لعبده إذا فوض إليـه ، مع قيامه بالأسباب المأمور بها ، واجتهاده في تحصيلها)).[1]

ويمكن تعريفه من خلال كلام الإمام ابن القيم فنقول : ((**التوكل هو حال للقلـب ينشأ عن معرفة العبد بربه وصفاته المستلزمة لإفراده بالعبادة ، وحسن الظـن بربـه ، فيوجب له اعتماداً على الله ، وتفويضاً إليه ، وطمأنينة وثقةً بـه ، ويقينـاً بكفايتـه ، واستسلاماً لأمره ، والرضى بما يفعل ، مع ملاحظة الأسباب إثباتاً وعملاً**)) . والله تعـالى أعلم .

---

[1] الروح (ص/٢٥٤) .

المبحث الثامن
الحياء

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الحياء لغةً .

المطلب الثاني : الحياء شرعاً .

المطلب الأول
الحياء لغةً

أصل الكلمة : الحَيَاءُ مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (حَيَا).[١]

تصريفها : الحَيَاءُ على وزن (فَعَال) وهو اسم ممدود على غير القياس ، كما أنه مصدر سماعي للفعل الثلاثي (حَيِيَ) ، يقال : (حَيِيتُ أحْيَا حَيَاءً)، وقيل أصله الثلاثي من حَيَوَ ، ويقال استحيت بياء واحدة ، وأصله استحييت بياءين ، فأعلوا الياء الأولى وألقوا حركتها على الحاء ، فقالوا استحيت لما كثر في كلامهم .[٢]

معناها لغةً : بعض معاني مادة حَيَا اللغوية :-

١. الحياة : ضدُّ الموت ، والحَيُّ : ضدُّ الميت ، والحَيَوَانُ : خلاف المَوَتَانِ .

٢. والحياءُ ممدود : الاستِحْيَاء ، واستَحيَاه واستَحْيَا منه بمعنى .

هذه بعض معاني مادة حَيَا ، ولعل المعنى الثاني مشتق من الأول ؛ فإن الحياء هو مادة الحياة للقلب ، فإنه أصل كل خير ، وذهابه ذهاب كل خير بأجمعه ، فالعادم له كالميت الذي فقد الحياة ، ولذا يقول **ابن فارس** : ((الحاء والياء والحرف المعتل أصلان : أحدهما : خلاف الموت ، والآخر الاستحياء الذي هو ضدُّ الوقاحة)).[٣]

---

[١] مقاييس اللغة (٢/١٢٢) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (٦/٢٣٢٣-٢٣٢٤) ؛ مختار الصحاح (ص/٦٩) ؛ تصريف الأسماء (ص/١٧٢) ؛ معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٣١) .

[٣] مقاييس اللغة (٢/١٢٢) . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فإن الحي يدفع ما يؤذيه ، بخلاف الميت الذي لا حياة فيه فانه يسمى وقحاً ، **والوقاحة الصلابة وهو اليبس المخالف لرطوبة الحياة ، فإذا كان وقحاً يابساً صليب الوجه لم يكن في قلبه حياة توجب حياءه ، وامتناعه من القبح** ، كالأرض اليابسة لا يؤثر فيها وطء الأقدام ، بخلاف الأرض الخضرة ، ولهذا كان الحي يظهر عليه التأثر بالقبح ، وله إرادة تمنعه عن فعل القبح ، بخلاف الوقح الذي ليس بحي فلا حياء معه ولا يمان يزجره عن ذلك ...)).[الفتاوى (١٠/١٠٩-١١٠)].

المطلب الثاني
الحياء شرعاً

الحياء شعبة من شعب الإيمان ، فهو خلقٌ كريم يحبه الله تعالى [١] ، وهو من ضمن الأعمال القلبية الباطنة ؛ كالتوكل والخوف وغيرها ، .. يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ : ((والأعمال الباطنة ؛ كالحياء ، والتوكل ، والخشية من الله ، والإنابة إليه ...)).[٢]

وقد جاء ذكر الحياء في نصوص كثيرة ، ومما جاء في ذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله مر برجل وهو يعظ أخاه في الحياء فقال : ((**دعه فإن الحياء من الإيمان**)).[٣]

وفي الصحيحين من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله : ((**الحياء لا يأتي إلا بخير**)).[٤]

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي أنه قال : ((الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، **والحياء شعبة من الإيمان**)).[٥]

---

[١] كما أنه يعتبر وسطاً بين الجرأة والوقاحة من جانب ، وبين الضعف والمهانة من جانب آخر ، ... يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وإذا انحرفت عن خلق الحياء انحرفت ؛ إما إلى قحة ، وجرأة ، وإما إلى عجز ، وخور ، ومهانة بحيث يطمع في نفسه عدوه ، ويفوته كثير من مصالحه ، ويزعم أن الحامل له على ذلك الحياء ، وإنما هو المهانة ، والعجز ، وموت النفس)).[مدارج السالكين (٢/٣٠٩-٣١٠)]

[٢] الصلاة وحكم تاركها (ص/٧٠) .

[٣] البخاري (١/١٧) برقم (٢٤) .

[٤] البخاري (٥/٢٢٦٧) برقم (٥٧٦٦) ، ومسلم (١/٦٤) برقم (٣٧) .

[٥] البخاري (١/١٢) برقم (٩) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : ((كان رسول الله أشد **حياءً من العذراء في خدرها** ، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه)).[1]

ولذا وصفه الله تعالى بالحياء من المؤمنين ، فقال ﷻ : ﴿ ... إن ذلكم كان يؤذي النبي **فيستحي منكم** والله لا يستحي من الحق ..﴾ [الأحزاب :٥٣]

وفي الصحيح عنه : ((إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ، **إذا لم تستح فاصنع ما شئت**)).[2]

ثم اعلم رحمك الله أن الحَيَاء نوعان : أحدهما : ما كان خِلْقَةً وفطرةً وجبلَّةً في طبيعة الإنسان ، والثاني : ما كان مكتسباً ، يكتسبه الإنسان ، ويعمل على تحصيله ،...

يقول الإمام **ابن رجب** ــ رحمه الله تعالى ــ مبيّناً هذين النوعين : ((واعلم أن الحياء نوعان [3] ، **أحدهما** : ما كان خلقاً وجبلةً غير مكتسب ، وهو من أجل الأخلاق التي يمنحها الله العبد ، ويجبله عليها ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : ((**الحياء لا يأتي إلا بخير**)).[4] ، فإنه يكف عن ارتكاب القبائح ، ودناءة الأخلاق ، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها ، فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار ، ......

---

(١) البخاري (١٣٠٦/٣) برقم (٣٣٦٩) .

(٢) البخاري (١٢٨٤/٣) برقم (٣٢٩٦) .

(٣) هذا التقسيم للحياء باعتبار وجوده، ولقد قسَّمَه الإمام المروزي ــ رحمه الله تعالى ــ إلى قسمين ــ باعتبار من يُسْتَحَى منه ، فقال : ((والحياء حياءان ؛ حياء من الله ، وحياء من الناس ، والذي هو أولى بالعبد الحياء من الله عز وجل ، ولولا أن الله تعالى جعل الحياء من خلقه خلقاً كريماً لما كان أحد غير الله يستوجب أن يستحيي منه ؛ إذ لا مالك لنفع ، ولا ضرٌ غيره ، ولكنه أحب أن يستحي خلقه بعضهم من بعض ؛ فيستروا عيوبهم منهم ، فلا يفتضح بعضهم عند بعض ..))[تعظيم قدر الصلاة (٨٢٥/٢)] . وقد أوضح الإمام المروزي بعض أنواع وأسباب الحياء من الله ، فقال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فمن الحياء من الله ما هو فرض ، ومنه فضيلة ونافلة ، وهو هائج عن المعرفة بعظمة الله وجلاله وقدرته ؛ لأنه إذا ثبت تعظيم الله في قلب العبد أورثه الحياء من الله ، والهيبة له ، فغلب على قلبه ذكر اطلاع الله العظيم ونظره بعظمته وجلاله إلى ما في قلبه وجوارحه ...)). تعظيم قدر الصلاة [(٨٢٥/٢-٨٢٦)] .

(٤) رواه البخاري (٢٢٦٧/٥) برقم (٥٧٦٦) ،

النوع الثاني : ما كان مكتسباً ؛ من معرفة الله، ومعرفة عظمته، وقربه من عبـــاده ، واطلاعه عليهم ، وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فهذا من أعلى خصال الإيمـــان ، بل هو من أعلى درجات الإحسان)).[١]

وعرَّفه **الحليمي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((حقيقة : الحياء خوف الذم بنسبه الشر إليه)).[٢]

وقيل : ((الحياء رؤية الآلاء، ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء)).[٣]

وعرَّفه **البيضاوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والحياء : انقباض النفس عن القبيـح مخافة الذم ، وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح ، وعدم المبـــالاة بهـــا ، والخجل [٤] الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقاً ...)).[٥]

وقال الإمام **الهروي** ـــ رحمه الله ـــ : ((الحياء .. يتولد من تعظيم منوط بود)).[٦]

وهذا من الأسباب الموجبة للحياء ، والداعية إليه ، ولذا علّق الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ فقال : ((يعني أن الحياء : حالة حاصلة من امتزاج التعظيم بالمودة ، فإذا اقترنـــا تولد بينهما الحياء ، ... ومنهم من يقول : تولده من شعور القلب بما يستحيي منه فيتولـــد من هذا الشعور ، والنفرة حالة تسمى الحياء ، ولا تنافي بين هذه الأقوال فإن للحياء عـــدة أسباب قد تقدم ذكرها فكل أشار إلى بعضها والله أعلم)).[٧]

وعرَّفه **الراغب** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والحياء : انقباض النَّفس عـــن القبـــائح ، وتركه لذلك)).[٨]

---

(١) جامع العلوم (ص/٢٠٠-٢٠١) .

(٢) فتح الباري (١/٧٥) .

(٣) مدارج السالكين (٢/٢٥٩) .

(٤) يقول المناوي ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((وأما الخجل : فحيرة النفس لفرط الحياء ، ويحمد في النساء والصبيان ، ويذم باتفـــاق في الرجال ..))[فيض القدير (٣/٤٢٦)] .

(٥) تفسير البيضاوي (١/٢٥٤-٢٥٥) .

(٦) مدارج السالكين (٢/٢٦٤) .

(٧) المصدر السابق (٢/٢٦٤) .

(٨) المفردات (ص/١٤٠) .

وعرَّفه الإمام **ابن الصلاح** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وإنما حقيقة الحياء : خلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ، ونحو هذا ».(١)

وعرَّفه الإمام **ابن الجوزي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والحياء بالمد : الانقباض والاحتشام ».(٢)

وعرَّفه الإمام **ابن رجب الحنبلي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « فإن الحياء الممدوح في كلام النبي ﷺ إنما يريد به : **الخلق الذي يحث عل فعل الجميل ، وترك القبيح** ، فأما الضعف والعجز الذي يوجب التقصير في شيء من حقوق الله ، أو حقوق عباده فليس هو من الحياء ، فإنما هو ضعف ، وخور ، وعجز ، ومهانة والله أعلم ».(٣)

وعرَّفه الإمام **أحمد بن عمر القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وأصل الحياء : انقباض واحتشام يجده الإنسان عندما يطلع منه على مستقبح ».(٤)

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وحقيقته : خلق يبعث على ترك القبائح ، ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق ».(٥)

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ : « وأما حياء العبودية : فهو حياء ممتزج من محبة وخوف ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده ، وأن قدره أعلى وأجل منها ، فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة ».(٦)

وعرَّفه الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ».(٧)

---

(١) شرح صحيح مسلم ــ النووي (٢/٦) .

(٢) زاد المسير (١/٥٤) .

(٣) جامع العلوم والحكم (ص/٢٠١) .

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/٥٦٨-٥٦٩) .

(٥) مدارج السالكين (٢/٢٥٩) .

(٦) المصدر السابق (٢/٢٦٣) .

(٧) فتح الباري (١/٥٢) .

وعرَّفه الشيخ **العظيم أبادي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « وفي الشرع : خلق يبعث على اجتناب القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ».(١)

وقيل : « هو انقباض النفس خشية ارتكاب ما يكره ، أعم من أن يكون شرعياً ، أو عقلياً ، أو عرفياً ، ومقابل الأول فاسق ، والثاني مجنون ، والثالث أبله ».(٢)

وعرَّفه **المناوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « الحياء : انقباض النَّفسِ عن عادة انبساطِها في ظاهر البدن ، لمواجهة ما تراه نقصاً ، حيث يتعذّر عليها الفرار بالبدن ».(٣)

وعرَّفه أيضاً بقوله : « والحياء : انقباض يجده الإنسان في نفسه ، يحمله على عدم ملابسة ما يعاب به ، ويستقبح منه ».(٤)

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ في معنى الحياء من الله : « والحياء مراتب أعلاها الاستحياء من الله تعالى ظاهراً وباطناً ، وهو مقام المراقبة ».(٥)

فعرَّف ـــ رحمه الله تعالى ـــ الحياء بالمراقبة .

وقيل **الحياء** : « انقباض النفس من شيء حذراً من الملام ، وهو نوعان : نفسانيٌّ : وهو المخلوق في النفوس كلّها كالحياء عن كشف العورة والجماع بين الناس ، وإيمانيٌّ : وهو أن يمتنع المسلم عن فعل المحَرَّمِ خَوفاً من الله ».(٦)

هذا ما تيسَّر من أقوال العلماء في بيان معنى الحياء ، وهي متقاربة إلى حدٍّ كبير في المعنى مع اختلاف في التعبير ، وخلاصة ما سبق أن للحياء معنيين ؛ أحدهما : عام يقع على الحياء الفطري الجبلي ، وهو من أعظم نِعَمِ الله ﷻ على عباده ، والثاني : خاص يقع على حياء العبودية ، وهو الحياء الذي يكتسبه الإنسان بإيمانه بالله تعالى ، ومعرفته بعظمته

---

(١) عون المعبود (٢٨٣/١٢) .

(٢) المصدر السابق (٧٤/١-٧٥) .

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (ص/٣٠٢) .

(٤) فيض القدير (٤٣/١) .

(٥) فتح القدير (٤٨٨/١) .

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف (ص/٣٠٢) .

وكبريائه ، وإحاطته الشاملة لكل شيء ، ثم علمه بنعم الله ﷻ عليه التي لا تعد ولا تحصى ، فيورث له ذلك محبةً لله تعالى وخوفاً من عقابه ، وتعظيماً لأمره ونهيه ، فيجد في نفسه انقباضاً واحتشاماً من التفريط في حقه سبحانه وتعالى ، وكلاهما مما يحبه الله تعالى ، ويرضى به عن عباده ، والله أعلم .

المبحث التاسع
الخشوع

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الخشوع لغةً .

المطلب الثاني : الخشوع شرعاً .

المطلب الأول
الخشوع لغةً

أصل الكلمة : الخشوع مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (خَشَعَ) .[١]

تصريفها : الخشوع على وزن (فُعُول)، مصدر قياسي للفعل الثلاثي الآزم (خَشَعَ) ، ومضارعه (يَخْشَعُ) ، من باب فَتَحَ يَفْتَحُ .[٢]

معناها لغةً : من معاني مادة خَشَعَ في معاجم اللغة :-

١. الانكسار وغضُّ الطرف ، يقال : خَشَعَ بصرُه : إذا انكسر ، ويقال : خَشَعَ فلان : إذا غضَّ بصرَه ورمى به نحو الأرض .

٢. الخفض والسكون في الصوت ، ومنه قوله ﷻ : ﴿ وخَشَعتِ الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً ﴾[طه : ١٠٨].

٣. التواضع ، يقال : واختشع إذا طأطأ رأسه وتواضع .

٤. الخضوع ، وقيل : الخشوع في الصوت والبصر ، والخضوع في البدن .[٣]

وهذه المعاني المتباينة في الألفاظ ترجع إلى أصل واحد هو التطامن ، ولذا يقول ابن فارس ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((الخاء والشين والعين أصل واحد ، يدلُّ على التطامن)).[٤]

---

[١] مقاييس اللغة (٢/١٨٢) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : اللسان (٤/١٠٠) ، تصريف الأسماء (ص/٥٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٧٢) .

[٣] ينظر إلى هذه المعاني : الصحاح (٣/١٢٠٤) ، لسان العرب (٤/١٠٠ـــ١٠١) ، أساس البلاغة (ص/١٠٩) .

[٤] مقاييس اللغة (٢/١٨٢) .

المطلب الثاني
الخشوع شرعاً

الخشوع من أعمال القلوب ، بمعنى أنَّ أصله في القلب ، ثم يفيض بعد ذلك على الجوارح ، قال الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ : « وأجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب ، وثمرته على الجوارح وهي تظهره ».(١)

يقول الله تعالى : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ﴾ [الحديد :١٦] .

ويقول الله ﷻ : ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ [المؤمنون :٢].

وقال سبحانه واصفاً أنبياءه بالخشوع : ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ [الأنبياء :٩٠].

وقال ﷻ في شأن الذين أوتوا العلم : ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً ﴾[الإسراء :١٠٩].

ويقول جل وعز : ﴿ يومئذٍ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً ﴾[طه :١٠٨].

وفيما يلي نتعرَّف على أقوال العلماء في بيان هذا المقام الجليل ، الذي هو من سيماء الأنبياء والمرسلين ، وعلامة من علامات الصادقين المخلصين.

عرَّفه **الحسن البصري** بقوله : « الخشوع : الخوف الدائم في القلب ».(٢)

وعرَّفه **ابن زيد** بقوله : « الخشوع : الخوف والخشية لله ».(١)

---

(١) مدارج السالكين (٥٢١/١) .

(٢) الدر المنثور (٦٧٠/٥) .

وعرّفه **قتادة** بقوله : ((الخشوع في القلب : هو الخوف وغضُّ البصر في الصلاة)).[٢]

وعرّفه **الضحّاك** بقوله : ((الخشوع : الرهبة لله)).[٣]

وعرّفه **الإمام الطبري** بقوله : ((وأصل الخشوع : التواضع والتذلل والاستكانة)).[٤]

ولذا فسَّر ـ رحمه الله تعالى ـ قوله ﷻ : ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ [المؤمنون :٢] ، بقوله : ((متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته ، وإذا تذلل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه ، وشغله بفرضه ، وتركه ما أمر بتركه فيها)).[٥]

وعرّفه **الإمام الهروي** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((خمود النفس وهمود الطباع لمتعاظم أو مفزع)).[٦]

وعرّفه **القرطبي** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((الخاشعون : جمع خاشع ، وهو المتواضع ، والخشوع : هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع)).[٧]

وعرّفه شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـ رحمه الله ـ بقوله : ((والخشوع : الخضوع لله تعالى ، والسكون والطمأنينة إليه بالقلب والجوارح)).[٨]

---

(١) جامع البيان (٢٦١/١) .

(٢) الدر المنثور (٨٤/٦) ، القواعد النورانية (ص/٤٤) .

(٣) القواعد النورانية (ص/٤٤) .

(٤) جامع البيان (٢٦١/١) .

(٥) جامع البيان (٣/١٨) .

(٦) مدارج السالكين (٥٢٢/١) ، والهمود والخمود بمعنى الخشوع ؛ ولذلك قال الله ﷻ ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت... ﴾ [الحج : ٥] ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :((ومنه خشوع الأرض ، وهو سكونها وانخفاضها ، فإذا أُنزل عليها الماء اهتزت بدل السكون ، وربت بدل الانخفاض)). [تفسير آيات أشكلت ـ ابن تيمية (٤٢٧/١) .

(٧) تفسير القرطبي (٣٧٤/١) .

(٨) الفتاوى (٣١/٢٨) .

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ بقوله : « والخشوع قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل والجمعية عليه ».[١]

وعرَّفه الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ بقوله : «الخشوع : السكون ، والطمأنينة والتؤدة ، والوقار ، والتواضع ، والحامل عليه الخوف من الله تعالى ، ومراقبته ».[٢]

وقيل : « الخشوع : الانقياد للحق ». قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: « وهذا من موجبات الخشوع فمن علاماته : أن العبد إذا خولف ورد عليه بالحق استقبل ذلك بالقبول والانقياد ».[٣]

وعرَّفه **الألوسي** بقوله : « والخشوع : التذلل مع خوف وسكون للجوارح .... وقال أيضاً : وأصل الخشوع : الإخبات ».[٤]

وعرَّفه الشيخ **السعدي** بقوله : « الخشوع : سكون القلب وخضوعه لله ، وخصوصاً وقت تلَبُّس العبد بعبودية الله ».[٥]

وقال ـ رحمه الله ـ أيضاً : « فالخشوع : انكسار القلب وذُلُّه بين يدي ربه ».[٦]

وقيل كذلك : « هو معنى يقوم بالنفس ، يظهر عنه سكون في الأطراف ، يلائم مقصود العبادة ».[٧]

وعرَّفه الشيخ **ابن عثيمين** ـ رحمه الله ـ بقوله : « الخشوع : الذل والتطامن لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي ».[٨]

---

(١) مدارج السالكين (١/٥٢٢) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٨٩) .

(٣) المصدر السابق (١/٥٢١) .

(٤) روح المعاني (١/ ٢٤٩ ، ١٨/ ٣) .

(٥) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (٥/٥٣٠) .

(٦) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (٥/٩٠) .

(٧) فتح الباري (٢/٢٢٥) .

(٨) شرح ثلاثة الأصول ـ ابن عثيمين (ص/٥٥) .

هذا ما وقفت عليه ؛ فبعضهم نظر إلى معاني الخشوع اللغوية فعرَّفه بها ، والبعض عرَّفه بما يقوم بالقلب فقط، وآخر بما يقوم بالقلب والجوارح، ومنهم من عرَّفه بأسبابه وموجباته ؛ من خوف ، وخشية ، ورهبة ، فلا خشوع من غير خوف وخشية من الله تعالى ، فإن كان فهو خشوع المنافقين .

يقول الإمام **القرطبي** ـ رحمه الله ـ : ((قلت : هذا الخشوع المحمود ؛ لأنَّ الخوف إذا سكن القلب أوجب خشوع الظاهر فلا يملك صاحبه دفعه ، فتراه مطرقاً ، متأدّباً ، متذلّلاً)).[١]

والحاصل أن الخشوع محلّه القلب ، فإذا خَشَعَ خَشَعَت الجوارح لخشوعه ، إذ هو ملكها ، وهي تابعة له .

كما أنّ الخشوع الشرعي الذي يحبُّه الله ، لا بد أن يتضمّن أُموراً ؛ هي :-

الأول : الذُّل والخضوعُ والانكسار والتواضع .

الثاني : السكون والطمأنينة والثبات .

الثالث : التعظيم والمحبة والخشية والخوف .

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((..فإنَّ الخشوع يجمع معنيين : أحدهما : الذل والخضوع والتواضع ، والثاني : السكون والثبات)).[٢]

ويقول الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ : ((..والحق أنَّ الخشوع معنى يلتئم من التعظيم والمحبة ، والذُّل والانكسار)).[٣]

وعلى ضوء ما سبق نقول في تعريفه :

هو أثر خشية الله ومحبَّته وتعظيمه على القلب ، فتثمر فيه ذُلاًّ ، وخضوعاً ، وانكساراً ، وسكوناً ، وطمأنينة ، وتتبعه الجوارح في كل ذلك)).[٤]

---

[١] تفسير القرطبي (١/٣٧٥) .

[٢] تفسير آيات أشكلت (١/٤٢٦) ، الفتاوى (٢٨/٧) ، القواعد النورانية (ص/٣٢) .

[٣] مدارج السالكين (١/٥٢٢) .

[٤] ينظر تفسير المنار (٤/٣١٧) .

المبحث العاشر
الخشية

فيه مطلبان :

المطلب الأول : الخشية لغةً .

المطلب الثاني : الخشية شرعاً .

المطلب الأول
الخشية لغةً

أصل الكلمة : الخشية مشتقة من أصل لغويَ ثلاثيَ هو (خَشِيَ) .[١]

تصريفها : الخَشْيَةُ على وزن (فَعْلَةُ) ، اسم مرة من الفعل الثلاثي الناقص (خَشِـــيَ) ، على وزن (فَعِلَ) ، من باب (عَلِمَ) ، ومضارعه يَخْشَى .[٢]

معناها لغةً : بعض ما ورد من المعاني لمادة خشي :

- **الخوف** ، يقال خشي الرجل يخشى خَشْية أي خاف .
- **العلم** ، كقول الشاعر :
- ولقد خشيت بأنّ من تبع الهدى
- سكن الجنان مع النبي محمد .
- **الرجاء** ، فحكي : فعلت ذلك خَشَاةَ أن يكون كذا ، أي رجاء أن يكون كذا .
- هذا بعض ما ورد في كتب المعاجم ، والمعنى الأول هو أقربها إلى المعنى الشرعي .[٣]

---

[١] مقاييس اللغة (١٨٤/٢) ، لسان العرب (١٠٥/٤) ، أساس البلاغة (ص١٠٩) .

[٢] لسان العرب (١٠٥/٤) ، تصريف الأسماء (ص٧٩) ، تصريف الأفعال (ص١٨٨) ، المغني في تصريف الأفعال (ص١٨٩) .

[٣] الصحاح (٢٣٢٧/٦) ، لسان العرب (١٠٥/٤) ، النهاية (٣٥/٢)

المطلب الثاني
الخشية شرعاً

من العبادات العظيمة المتعلقة بالقلب خشية الله تعالى ، هي خلاصة الإيمان والعلم، وقرينة التقوى والإنابة ، وأهلها هم أهل الذكرى والعبرة ، وهم الهداة الآمنون حقاً يوم العرض على الله ﷻ ، وهي من الأمور الواجبة المفروضة على كل مسلم ، حيث أمر بها سبحانه في قوله تعالى : ﴿ فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ﴾ [البقرة :١٥٠] ،

وقال ﷻ : ﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ﴾ [المائدة :٣].

وهي من أخص صفات العلماء ، وأبرز سماهم ، حيث يقول ﷻ : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر :٢٨] ، فالعلم الحقيقي هو خشية الله تعالى ، كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ : « كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالاغترار به جهلاً ».[١]

يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ : «وقوله : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر :٢٨] ، يقتضي الحصر من الطرفين ، أن لا يخشاه إلا العلماء ، ولا يكون عالماً إلا من يخشاه ، فلا يخشاه إلا عالم ، وما من عالم إلا وهو يخشاه ، فإذا انتفى العلم انتفت الخشية ، وإذا انتفت الخشية دلت على انتفاء العلم ».[٢]

كما أن الخشية صفة رسولنا ﷺ ، بل هو أخشى عباد الله ﷻ على الإطلاق ، يقول ﷺ : جامعاً بين العلم والخشية « ... والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله ، وأعلمكم بما أتقي ».[٣]

---

[١] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٤/٧) برقم (٣٤٥٣٢) ، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٨٩) برقم (٨٩٢٧) .

[٢] شفاء العليل (ص/١٧٢) .

[٣] رواه مسلم (٧٨١/٢) برقم (١١١٠) ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

وقال ﷺ : ((... فوالله لأنا أعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية)).[١]

والناظر في النصوص القرآنية التي ذكرت فيها الخشية ، يجدها ؛ إما مطلقة تتناول خشية الله وخشية عذابه في الدنيا والآخرة : وقد تأتي مقيدة بخشية الله ، أو خشية اليوم الآخر ، أو العذاب ، أو غير ذلك ، وهي قريبةً من معنى الخوف والرهبة ، ومن استقرأ كلام العلماء في شواهد الخشية في القرآن ، يجدهم قد فسَّروها بالخوف أو بالرهبة ، أو بخوف مخصوص ، وإليك أقوالهم في ذلك :

يقول الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ في قوله تعالى : ﴿ وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ [البقرة : ٧٤] : ((وإن من الحجارة لما يهبط : أي يتردى من رأس الجبل إلى الأرض والسفح من خوف الله وخشيته)).[٢]

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((وقد دللنا فيما مضى على معنى الخشية وأنَّها : الرهبة والمخافة)).[٣]

وعرَّفها الإمام القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ فلا تخشوهم واخشوني ..﴾ بقوله : ((الخشية : أصلها طمأنينة في القلب تبعث على التوقي)).[٤]

وذلك لكون خشية الله تعالى تتضمن رجاءه ، والطمع في رحمته ، فتقود العبد لأن ينيب إلى الله بالطاعة ، والمحبة ، والاستكانة ، فيؤثر ذلك في قلبه طمأنينةً وسكوناً .

وعرَّفها **الألوسي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والخشية : الخوف)).[٥]

وعرَّفها أيضاً بأنَّها : ((خوف مشوب بتعظيم ومهابة ؛ ولذلك خص به العلماء ..)).[٦]

وعرَّفها **الراغب** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((الخشية : خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه)).[٧]

---

(١) رواه مسلم (١٣٢/١) برقم (٢٣٥٦) ؛ من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) جامع البيان (٣٦٤/١) .

(٣) المصدر السابق (٣٦٥/١) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٧٠/٢) .

(٥) روح المعاني (٢٩٧/١) .

(٦) المصدر السابق (٣٣/١٧) .

(٧) المفردات (ص/١٤٩) .

ولقد عقَّب الشيخ **محمد رشيد رضا** ــ رحمه الله ــ على تعريف الراغب بقوله : ((وأقول إن القيد الذي ذكره لا يظهر في كل الشواهد التي وردت من هذا الحرف في القرآن وكلام العرب ... فإن كان بين الخوف والخشية فرق فالأقرب عندي أن تكون الخشية هي الخوف في محل الأمل . ومن دقّق النظر في الآيات التي ورد فيها حرف الخشية يجد هذا المعنى فيها)).[1]

وعرَّفها **الجرجاني** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((الخشية تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل ، يكون تارة بكثرة الجناية من العبد ، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته ، وخشية الأنبياء من هذا القبيل)).[2]

وعرَّفه **المناوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الخشية : وجل نفس العالم مما يستعظمه)).[3]

فالحاصل أنّ الخشية تتضمن معنى الخوف والرجاء من قلبٍ امتلأ علماً ، ومعرفةً بالله ﷻ ، وكلما زاد العلم في قلب الإنسان زادت خشيته لربه تبارك وتعالى ، وإذا قلّت الخشية دلَّ ذلك على نقصان العلم ، وإذا انتفى أحدهما دلَّ على انتفاء الآخر ، ...

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ : ((والخشية أبداً متضمنة للرجاء ، ولولا ذلك لكانت قنوطاً ، كما أن الرجاء يستلزم الخوف ، ولولا ذلك لكان أمناً ، فأهل الخوف لله ، والرجاء له ، هم أهل العلم الذين مدحهم الله)).[4]

---

(١) تفسير المنار (٣٩٣/٤) .

(٢) التعريفات (ص/١٣٣) ، التوقيف ــ المناوي (ص/٣١٤) ، معجم لغة الفقهاء (ص/١٩٦) .

(٣) التوقيف ــ المناوي (ص/٣١٤) .

(٤) الفتاوى (٢١/٧) . ويقول أيضاً : ((والخشية لا تكون ممن قطع بأنه معذب ، فإن هذا قطع بالعذاب يكون معه القنوط ، واليأس ، والإبلاس ، ليس هذا خشية وخوفاً ، وإنما يكون الخشية والخوف مع رجاء السلامة ، ولهذا قال : ﴿ ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا و هو واقع بهم ﴾ ، فصاحب الخشية لله ينيب إلى الله كما قال : ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد * هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ * من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب * ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ﴾ ، و هذا يكون

ومما سبق يمكن القول بأن الخشية الشرعية هي **خوف العالم المعظّم لربه خوفاً متضمناً للرجاء والطمع فيما عنده ، فيستلزم ذلك إنابة ، ومحبة ، واستكانة** . والله تعالى أعلم .

مع تمام الخشية والخوف)).[الفتاوى (١٦/١٧٦)].

المبحث الحادي عشر
الخوف

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الخوف لغةً .

المطلب الثاني : الخوف شرعاً .

المطلب الأول
الخوف لغة [١]

أصل الكلمة :الخوف مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (خَوِفَ) .[٢]

تصريفها : الخَوْفُ على وزن (الفَعْل) ، وهو مصدر قياسي للفعل الثلاثي (خَافَ) ، من (خَوِفَ) على وزن (فَعِل) ، ومضارعه (يَخَاف) ، وأصله (يَخْوَف) على وزن (يَفْعَل) ، فنقلت حركة العين إلى الساكن قبلها ، ثم قلبت الواو ألفاً لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها الآن ، ومن مصادره خِيفَة وإخَافَة ومَخَافَة .[٣]

---

(١) من الفروق التي ذكرت بين الخوف والخشية ما ذكره الإمام الزركشي ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فمن ذلك الخوف والخشية لا يكاد اللغوي يفرق بينهما ، ولا شك أن الخشية أعلى من الخوف ، وهي أشد الخوف فإنها مأخوذة من قولهم شجرة خشية إذا كانت يابسة ، وذلك فوات بالكلية ، والخوف من قولهم ناقة خوفاء إذا كان بها داء ، وذلك نقص وليس بفوات ، ومن ثمة خصت الخشية بالله تعالى في قوله سبحانه : ﴿ ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴾ ، وفرق بينهما أيضاً بأن الخشية تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قوياً ، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً ، ويدل على ذلك أن الخاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة ؛ قالوا : شيخ للسيد الكبير ، والخيش لما عظم من الكتان ، والخاء والواو والفاء في تقاليبها تدل على الضعف ، وانظر إلى الخوف لما فيه من ضعف القوة ، وقال تعالى : ﴿ ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴾ ، فإن الخوف من الله لعظمته يخشاه كل أحد كيف كانت حاله ، وسوء الحساب ربما لا يخافه من كان عالماً بالحساب وحاسب نفسه قبل أن يحاسب)).[البرهان في علوم القرآن (٤/٧٨)].

يقول الشيخ الألوسي معلقاً على هذه الفروق : ((والحق أن مثل هذه الفروق أغلبي لا كلي وضعي ، ولذا لم يفرق كثير بينهما)). [روح المعاني (١٣/١٤١)].

(٢) مقاييس اللغة (٢/٢٣٠) ، الصحاح (٤/١٣٥٨) ، اللسان (٤/٢٤٨).

(٣) ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (٤/١٣٥٨) ، اللسان (٤/٢٤٨) ، أساس البلاغة (ص/١١٩) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٢٤) .

معناها لغةً : لمادة خوف عدد من المعاني منها :

❖ **الفزع** .

❖ **الظنُّ** ، قال **الفرّاء** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « والخوف والظن متقاربان في كلام العرب ، من ذلك أنّ الرجل يقول : قد خرج عبدك بغير إذنك ، فتقول أنت : قد ظننتُ ذاك ، وخِفْتُ ذلك ، والمعنى واحد ».[١]

هذه من أهم المعاني تحت مادة خوف ، ولعلَّ أقربها إلى المعنى الشرعي هو الأول ؛ لأنه من أعمال القلوب .[٢]

---

[١] معاني القرآن ـــ للفرّاء (١٤٦/١) ، تفسير الطبري ـــ محمود شاكر (٥٥٠/٤) .

[٢] ينظر معاني مادة خوف في : الصحاح (١٣٥٨/٤) ، اللسان (٢٤٨/٤) ، أساس البلاغة (ص/١١٩) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/٩٣) ، غراس الأساس (ص/ ١٣١) .

المطلب الثاني
الخوف شرعاً

الخوف عبادة قلبية أمر بها الله تعالى ، وندب إليها ، فهو دليل الإيمان ، وقرين الخشية، ودأب أهل الإيمان والصلاح، يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله ــ : ((فالخوف عبودية القلب، فلا تصلح إلا لله؛ كالذل، والمحبة، والإنابة ، والتوكل ، والرجاء ، وغيرها من عبودية القلب)).[1]

ولقد كثر ذكر الخوف في القرآن أمراً وحثّاً وترغيباً ، ومن ذلك :

قول الله تعالى : ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ [آل عمران :١٧٥] .

وقوله : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [النحل :٥٠] .

وقوله : ﴿ يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ [الإسراء :٥٧] .

وقوله ﷻ : ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً .﴾ [لأعراف :٥٦] .

ويقول ﷻ : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً ﴾ [الإنسان :٧] .

وهذا الخوف الشرعي الوارد في النصوص ربما أطلق كثيراً فيشمل الخوف من الله والخوف من عذابه ، وقد يقيّد بالخوف من الله ، أو بالخوف من عذابه وعقابه ، أو باليوم الآخر ، ولا شكّ أنه داخل ضمن الخوف من الله تعالى .

ثم من المعلوم أن الخوف منه ما هو عبادة وطاعة لله تبارك وتعالى ، ومنه ما هو طبيعي جبلّي، وذلك بحسب اختلاف الأسباب والمتعلقات ، فإن كان خوفاً يدعو إلى عبادة باطنة ، وطاعة خفيّة ، وزجرٍ عن المخالفة ، كان خوف تأله وتعبد وتعظيم ، وهذا لا ينبغي إلا لله

---

[1] طريق الهجرتين (ص/٤٣٧) .

تعالى، وصرفه لغير الله شرك به سبحانه ، وأما الخوف الطبيعي؛ من عدو ، أو سبع ، أو غير ذلك ، مما يخاف ضرره الظاهري المحسوس فلا يدخل في العبادة ، وقد يقع ويحصل من غالب أهل الإسلام ، وهو لا ينافي الإيمان ، هذا إن كان حقيقياً ، وله من الأسباب الظاهرة والقوية فلا يذم صاحبه [١] ، وإن كان وهمياً وظنيّاً لا حقيقة له ، وإنما أصله ومآله إلى خطرات النفس ، ووساوس الشيطان ، فهذا يعتبر مذموماً يُدخِل صاحبه في وصف الجبناء ، وقد تعوَّذ ﷺ من الجبن [٢] ، ويذهبه قوة الإيمان واليقين ، والتوكل على الله تعالى [٣].

وأذكر فيما يلي ما وقفت عليه من أقوال العلماء في بيان المعنى الشرعي للخوف :

عرَّف عبد الله بن عباس ــ رضي الله عنه ــ الخائف بقوله : ((والخائف من ركب طاعة الله ، وترك معصيته)).[٤]

فالخوف عنده هو فعل الطاعة وترك المعصية .

---

(١) ولذا وقع مثل هذا الخوف من خير خلق الله تعالى ، وهم رسله وأنبياؤه ، يقول الإمام القرطبي ــ رحمه الله ــ : ((قال العلماء لما لحقهما ــ أي موسى وهارون ــ ما يلحق البشر من الخوف على أنفسهما ، عرفهما الله سبحانه أن فرعون لا يصل إليهما ولا قومه ، وهذه الآية ترد على من قال إنه لا يخاف ، والخوف من الأعداء سنة الله في أنبيائه وأوليائه ، مع معرفتهم به وثقتهم ، ولقد أحسن البصري رحمه الله حين قال للمخبر عن عامر بن عبد الله : أنه نزل مع أصحابه في طريق الشام على ماء فحال الأسد بينهم وبين الماء ، فجاء عامر إلى الماء فأخذ منه حاجته ، فقيل له : فقد خاطرت بنفسك ، فقال : لأن تختلف الأسنة في جوفي أحب إلي من أن يعلم الله إني أخاف شيئاً سواه . قد خاف من كان خيراً من عامر ، موسى صلى الله عليه وسلم حين قال له : ﴿ إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ﴾ ، وقال : ﴿ فأصبح في المدينة خائفاً يترقب .. ﴾ ، وقال حين ألقى السحرة حبالهم وعصيهم : ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾)).[الجامع لأحكام القرآن (٢٠٢/١١)].

(٢) أخرجه البخاري من حديث سعد وأنس ، ينظر : صحيح البخاري (١٠٣٨/٣) برقم (٢٦٦٧) ، وكذا (٢٣٤٢/٥) برقم (٦٠٠٨) .

(٣) انظر مجموعة مؤلفات السعدي ــ (عقيدة/٣/٣٥) .

(٤) جامع البيان (١٤٥/٢٧) .

وقيل : ((الخوف : اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف)).[١]

وقيل : ((الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام)).[٢] **قال ابن القيم** ـ رحمه الله ـ معلّقاً عليه بعد نقله له بقوله : ((وهذا سببه لا أنه نفسه)).

وقيل : ((الخوف : هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره)).[٣]

وعرَّفه الإمام **الهروي** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((الخوف : هو الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر)).[٤]

وقيل : ((صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً)).[٥]

فلا يكفي ما يوجد في القلب من الاضطراب والألم ، حتى يقارنه العمل ، من فعل الطاعات وترك المنكرات ، فلا يُعدّ خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً .

وعرَّفه الإمام **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((حد الخوف ما حجزك عن معاصي الله ، فما زاد على ذلك فهو غير محتاج إليه)).[٦]

وعرَّف الإمام **القرطبي** ـ رحمه الله تعالى ـ الخائف بقوله : ((فالخائف من الله تعالى هو أن يخاف أن يعاقبه إما في الدنيا ، وإما في الآخرة ، ولهذا قيل : ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه بل الخائف الذي يترك ما يخاف أن يعذب عليه)).[٧]

وقيل : ((والخوف العدل[٨] : هو الذي يرد عن محارم الله فقط ، وإن زدت على هذا فإنه يوصلك إلى اليأس من روح الله)).[٩]

---

(١) مدارج السالكين (١/٥١٢) .

(٢) المصدر السابق (١/٥١٢) .

(٣) مدارج السالكين (١/٥١٢) .

(٤) المصدر السابق (١/٥١٢) .

(٥) الرسالة القشيرية (ص/١٢٧) .

(٦) مدارج السالكين (٢/٣٩٤) ، ولذا يقول الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : ((ومن خاف الله خوفاً مقتصداً يدعوه إلى فعل ما يحبه الله ، وترك ما يكرهه الله من غير هذه الزيادة فحاله أكمل وأفضل)).[الفتاوى (١١/١٣)].

(٧) الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٨٣) .

(٨) لعل المقصود الخوف الوسط الذي هو بين القنوط ، وسعة الرجاء .

(٩) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/١٦٦) .

ويقول ابن القيم ــ رحمه الله ــ : ((الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط)).(١)

وعرَّفه الجرجاني ــ رحمه الله ــ بقوله : ((الخوف توقع مكروه ، أو فوات محبوب)).(٢)

وقريباً منه : ((الخوف : اضطراب في النفس لتوقع نزول مكروه ، أو فوات محبوب)).(٣)

وعرَّفه الراغب ــ رحمه الله ــ بقوله : ((الخوف توقُّع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة ... والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب ؛ كاستشعار الخوف من الأسد (٤)، بل إنما يراد به الكفُّ عن المعاصي ، واختيار الطاعات ، ولذلك قيل : لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً ، والتخويف من الله هو الحثُّ على التحرُّز)).(٥)

وقيل : ((حذر النفس من أُمور ظاهرها يضُرُّه)).(٦) وهذا من آثاره وثمراته .

وقيل : ((غمٌّ يلحق الإنسان مما يتوقَّعه من السوء)).(٧) وهو من آثاره .

---

(١) مدارج السالكين (١/٥١٤) .

(٢) التعريفات (ص/١٣٧) .

(٣) معجم لغة الفقهاء (ص/٢٠١) .

(٤) فإن الخوف الشرعي يوجب في القلب طمأنينة وسكينة، وذلك لكونه مستلزماً لفعل الطاعات ، وتجنّب المعاصي والمنكرات ، يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فإن الوحشة إنما تنشأ من عدم الخوف ، وأما الخوف فإنه يوجب هروباً إلى الله ، وجميعة عليه وسكوناً إليه ، فهي مخافة مقرونة بحلاوة ، وطمأنينة ، وسكينة ، ومحبة ، بخلاف خوف المسيء الهارب من الله فإنه خوف مقرون بوحشة ، ونفرة ، فخوف الهارب إليه سبحانه محشو بالحلاوة ، والسكينة ، والأنس لا وحشة معه)). [طريق الهجرتين (ص/٤٢٦)].

(٥) المفردات (ص/١٦١) .

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف (ص/٣٢٨) .

(٧) المصدر السابق (ص/٣٢٨) .

وعرّفه الشيخ **العثيمين** ــ حفظه الله ــ بقوله : ((.. وهو الخوف من الله تعالى ، وهو الحالة النفسية التي تجعل المؤمن يقدر ربه حق قدره ، ويعرفه معرفة تحول بينه وبين ارتكاب المعاصي أو التمادي في ارتكابها ، وتحول بينه وبين التقصير في الطاعات ، أو التمادي في التقصير فيها)).[1]

هذا ما وقفت عليه من كلام العلماء في بيان هذا الواجب القلبي العظيم ، ويظهر لنا من خلال عرضها أن بعضهم عرّفه بلازمه . وآخر بآثاره وثمراته ، وثالث بأسبابه ، ومنهم من نظر إلى الأصل اللغوي ، ويمكن أن نجمل القول فيه فيقال :

((**هو حالة نفسانية ، تتضمن اضطراباً وحذراً ، مقرونة بالتعظيم والمهابة ، تدعو صاحبها إلى طاعةٍ باطنةٍ ، تحجبه عن المخالفة والتقصير ، وتحثُّه على القيام بالحقوق ، مع ملازمة نيّة التقرب والتعبد**)).[2] والله أعلم .

---

[1] شرح ثلاثة الأصول ــ ابن عثيمين (ص/٥٢) .

[2] انظر مجموعة الشيخ السعدي (٣٤/٣) .

المبحث الثاني عشر
الرجاء

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الرجاء لغةً .

المطلب الثاني : الرجاء شرعاً .

المطلب الأول
الرجاء لغة

أصل الكلمة : الرجاء مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (رجو) .[1]

تصريفها : الرَّجَاء على وزن (فَعَال) ، ممدودٌ، وهمزته منقلبة عن واو ، بدليل التصريف ، تقول : رَجَاه يَرْجُوه رَجْواً ، ورَجَاوَة ، من باب (نَصَرَ يَنْصُرُ) ، ومصدره القياسي (رَجْواً) .[2]

معناها لغةً : معاني مادة رجو اللغوية :

❖ **التوقع والأمل** ، أي نقيض اليأس ، رجاه يرجوه إذا توقَّعه ، وأمّل فيه .

❖ **الخوف** ، وذلك إذا قُرِنَ الرَّجاء بالجحد والنفي ، ومنه قوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾[نوح : ١٣] .

هذه بعض معاني مادة (رجو) ، والمقصود هنا هو المعنى الأول ، وأما الثاني فهو من باب اللزوم ، لأنّ الرَّجاء الشرعي يلزم منه الخوف ، والعكس صحيح ، كما سيعلم ذلك في المطلب التالي .[3]

---

(١) مقاييس اللغة (٤٩٤/٢) ، غراس الأساس (ص/١٧٠) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (٢٣٥٢/٦) ، تصريف الأسماء (ص/١٦٦) ، تصريف الأفعال (ص/١٥١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٤٨٩) .

(٣) ينظر معنى الكلمة في : الصحاح (٢٣٥٢/٦) ، لسان العرب (١٦٣/٥) ، النهاية ــ ابن الأثير (٢٠٦/٢، ٢٠٧) .

المطلب الثاني
الرجاء شرعاً

قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء:٥٧]

وقال تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١]

وقال تعالى في شأن الكافرين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [يونس:٧]

وقال تعالى : ﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ [الممتحنة:٦]

لقد تضافرت تعاريف العلماء للرجاء ، واختلفت تعابيرهم ، كعادتهم في بيان أعمال القلوب وأحوالها ، وفيما يلي جملة من أقوالهم تُجَلّي هذا المقام :

عرَّفه **الراغب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والرَّجاءُ : ظَنٌّ يقتضي حُصول ما فيه مَسَرَّةٌ ».[1]

وقيل : « هو الثقة بجود الرّب تعالى ».[2]

---

(١) المفردات (ص١٩٠) .

(٢) مدارج السالكين (٣٥/٢) .

وقيل : ((هو النظر إلى سعة رحمة الله)).[١]

وقريباً منه : ((هو الاستبشار بجود وفضل الرَّب تبارك وتعالى ، والارتيـاح لمطالعة كرمه سبحانه)).[٢]

وقيل : ((هو سرور الفؤاد بحسن المعاد)).[٣]

والحاصل أن ارتياح القلب بحصول المرجو ووقوعه يعد ثمرة للرجاء ، بخلاف الارتياح والانبساط الحاصل قبل حصول المرجو ، فهذا هو الرجاء نفسه .

وعرَّفه **الجرجاني** ـــ رحمه الله ـــ بقوله: ((الرّجاء : تعلّق القلب بحصول محبـوب في المستقبل)).[٤]

وعرَّفه الإمام **القصري ـــ رحمه الله ـــ بقوله** : ((.. الرجاء هو الطمـع في المرجـو ، وتأمّل القلب لما يحصل منه في المستقبل)).[٥]

وقيل : ((ترقّب الانتفاع بما تقدم له سبب ما)).[٦]

وعرَّفه الشيخ **محمد رشيد رضا** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والرَّجاء هو توقّع المنفعة من أسبابها)).[٧]

وقيل : ((هو تأميل الخير ، وقرب وقوعه)).[٨]

وعرَّفه **الألوسي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله في الترجّي : ((وهو الطمع في حصـول أمـر محبوب ممكن الوقوع .... **وعرَّفه** ـــ رحمه الله ـــ أيضاً بقوله : الرجاء : طمع حصول مـا فيه مسرَّة في المستقبل)).[٩]

---

(١) المصدر السابق (٢/٣٦) .

(٢) مدارج السالكين (٢/٣٥) .

(٣) الرسالة القشيرية (ص/١٣٢) .

(٤) التعريفات (ص/١٤٦) ، التوقيف على مهمات التعاريف (ص/٣٥٦) .

(٥) شعب الإيمان ـــ القصري (ص/٤٢٩) .

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف (ص/٣٥٦) .

(٧) تفسير المنار (٢/٣٢٠) .

(٨) فيض القدير (٤/٤٩٠) .

(٩) روح المعاني (١/١٨٥ ، ١٦/ ٥٣) .

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الرّجاء : حادٍ يحدو القلـــوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة)).[1] وهذا من ثمرات الرَّجاء ، لأنَّ من عظُم رجاؤهُ في الله ، اجتهد في طاعة الله ، وصبر عليها ، ولازمها حتى يلقى الله والدار الآخرة .

وعرَّفه الشيخ **محمد بن عثيمين** ـــ حفظه الله ـــ بقوله : ((الرَّجاء : طمع الإنســـان في أمر قريب المنال ، وقد يكون في بعيد المنال تنـــزيلاً له منزلة القريب)).[2]

هذا ما تيسَّر جمعه من كلام العلماء ، وكلٌ أشار إلى جانب من جوانبه ، على تفاوتٍ بينهم، ولعلّي أحاول مما سبق وضع تعريف ، مع إضافة بعض القيود الهامّة للرَّجاء الشرعي ، لعلّه يفِي بالمقصود ، ويحقق المأمول ، والنقص من طبع البشر ، فيقال :

هو الطمع في نيل أمرٍ محبوب ، غير مُحال ، ولا مقطوع بوقوعه ، مع شعور القلب بالذلة والخضوع لله تعالى ، وبذل الجهد في تحقيقه . والله أعلم .

---

(1) مدارج السالكين (٢/٣٥) .

(2) شرح ثلاثة الأصول ـــ ابن عثيمين (ص/٥٣) .

المبحث الثالث عشر
الرضا

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الرضا لغةً .

المطلب الثاني : الرضا شرعاً .

المطلب الأول
الرضا لغةً

أصل الكلمة : **الرضا** مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ وهو (رَضِيَ) .[(١)]

تصريفها : الرضا على وزن (فِعَلْ) ، وهو مصدر سماعي للفعل (رَضِيَ) ، ومضارعه (يَرْضَى) من باب فرِح يفْرَح ، وقيل : أصل الفعل بالواو (رَضُوَ) ، وإنما قالوا (رَضِيَ) لمكان الكسر .[(٢)]

معناها لغة : معاني مادة رضي في معاجم اللغة :-

١. **ضدُّ السخط** ، تقول رضيت عن زيدٍ وعليه ، أي قنعت ضد سخطت .
٢. **الاختيار** ، تقول : رضيت الشيء ورضيت به ، اخترته .
٣. رآه **أهلاً للأمر** ، يقال رضيه للأمر .[(٣)]

والمعنى الأول أقرب إلى المعنى الشرعي ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٠٢) ، أساس البلاغة (ص/١٦٢) .

(٢) تصريف الأسماء (ص/٥٦) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٥٤) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٤٩٠) .

(٣) اللسان (٥/٢٣٥) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٢٩) .

المطلب الثاني
الرضا شرعاً

قال تعالى : ﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾ [الفجر:٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ [طه:١٣٠] .

قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

وقال ﷺ : ((ذاق طعم الإيمان : من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً)).[١]

من المعلوم أن الرضا من أعمال القلوب العظيمة ، يقول الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((.. الرضا : وهو فعل اختياري من أفعال القلوب ..)).[٢]

ثم الناظر فيما يتعلق بالرضا المذكور في النصوص الشرعية ، يمكنه تقسيمه إلى قسمين :- الأول : الرضا بالمشروع ، والثاني : الرضا بالمقدور ، وهو على ضربين : أحدهما : ما قدَّره على عباده من المصائب والآلام والأحزان ، والثاني : ما خلقه الله تعالى مما هو داخل في مفعولاته ؛ من الشر والكفر والفسوق والعصيان ،...

---

[١] مسلم (٦٢/١) برقم (٣٤) .

[٢] شفاء العليل (ص/١١٠) . اعلم أن الرضا منه ما هو متفق على وجوبه وكونه من أصول الإيمان ؛ وهو الرضا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، ومنه ما هو مختلف في وجوبه ؛ وهو الرضا بقضاء الله تعالى وأقداره على خلقه ، يقول الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ مرجحاً عدم وجوبه : ((ولهذا لم يجيء في القرآن إلا مدح الراضين لا إيجاب ذلك ؛ وهذا في الرضا فيما يفعله الرب بعبده من المصائب كالمرض والفقر والزلزال ... وأما الرضا بما أمر الله به فأصله واجب وهو من الإيمان ... وأما الرضا بالمنهيات من الكفر والفسوق والعصيان ، فأكثر العلماء يقولون لا يشرع الرضا بها كما لا تشرع محبتها ..))[الفتاوى (٤٠/١٠-٤٢)].

فالرضا بالمشروع وكذا بالمقدور ؛ من المصائب والمحن مما تعبَّد الله به عباده ، فالرضا بالمشروع هو الرضا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ ﷺ رسولاً ونبياً ، وهذا النوع من أوجب واجبات هذا الدين ، بل لا يصح إيمان العبد بغير ذلك ، وأما الرضا بالآلام والأحزان ، فهو الرضا بأقدار الله على خلقه ، وقضائه في عباده ، وهذا النوع داخل ضمن المستحبات والمندوبات، التي يحبها الله تبارك وتعالى، فهو من سعادة ابن آدم ، والسخط من ذلك علامة شقاوته .

والضرب الثاني من المقدور الداخل في مفعولاته تعالى ، فالرضا به محرم ، ومنه ما يكون كفراً ، أو فسقاً ، أو معصية ، على حسب نوع المرضيّ به .

وكلام العلماء في هذا المقام لا يكاد يخرج عن النوعين المشروعين ،

وفيما يلي أسوق ما وقفت عليه من أقوال العلماء في بيان هذا المقام العظيم :-

لقد عرَّف الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله ـــ الرضا بالمشروع بقوله : ((فالرضا به ـــ أي بالله رباً ـــ يتضمن شهادة : أن لا إله إلا الله ، والرضى بمحمدٍ رسولا : يتضمن شهادة أن محمداً رسول الله ، والرضى بالإسلام ديناً : يتضمن التزام عبوديته وطاعته ، وطاعة رسوله ، فجمعت هذه الثلاثة الدين كله)).[1]

وعرَّف **الراغب** ـــ رحمه الله ـــ الرضا بالمقدور بقوله : ((ورضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤهُ)).[2]

وعرَّفه **عبد الله بن خفيف** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((الرضا : سكون القلب إلى أحكامه ، وموافقة القلب بما رضي الله تعالى به واختاره)).[3]

---

(١) مدارج السالكين (١٨٥/٢) .

(٢) المفردات (ص/١٩٧) . وفي التعريف نظر ، فإن كراهية العبد للمقدور وتألّمه بالمقضي لا ينافي رضاه بذلك ، يقول الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((وقد أشكل على بعض الناس اجتماع الرضا مع التألم ، وظن أنهما متباينان وليس كما ظنه ، فالمريض الشارب للدواء الكريه ، متألم به راضٍ به ، والصائم في شهر رمضان في شدة الحر متألم بصومه ، راضٍ به ، والبخيل متألم بإخراج زكاة ماله ، راضٍ بها ، فالتألم كما لا ينافي الصبر ، لا ينافي الرضا به ، وهذا الخلاف بينهم إنما هو في الرضا بقضائه الكوني ، وأما الرضا به رباً وإلهاً ، والرضا بأمره الديني فمتفق على فرضيته ، بل لا يصير العبد مسلماً إلا بهذا الرضا ..))[مدارج السالكين (١١٢/١)].

(٣) المصدر السابق (ص/١٩٥) .

وهذا التعريف يجمع الرضا بالمشروع المأمور به ، والرضا بالمقدور .

وعرَّفه ابن عطاء ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد ، وهو ترك التسخط)).[١]

وقيل : ((الرضا : استقبال الأحكام بالفرح)).[٢]

وعرَّفه **الجرجاني** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((الرضا : سرور القلب بمرِّ القضاء)).[٣]

وعرَّف الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ الرضا بالمقدور ، والرضا بالمأمور فقال : ((والرضا جنة الدنيا ، ومستراح العارفين ، فإنه : طيب النفس بما يجري عليه من المقادير التي هي عين اختيار الله له ، وطمأنينتها إلى أحكامه الدينية ، وهذا هو الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ رسولاً ..)).[٤]

وقال ـــ رحمه الله ـــ أيضاً : ((الرضا : سكون القلب تحت مجاري الأحكام)).[٥]

هذا ما وقفت عليه من أقوال العلماء ، والحاصل أن الرضا يتضمن سكون القلب ، وطمأنينة النفس بأحكام الله القدرية، والشرعية ، مع ملازمة حال الفرح والسرور ، والمحبة . والله أعلم .

---

(١) المصدر السابق (ص/١٩٦) .

(٢) المصدر السابق (ص/١٩٦) .

(٣) التعريفات (ص/١٤٨) ؛ الرسالة القشيرية (ص/١٩٦) .

(٤) الفوائد (ص/٩٣) .

(٥) المصدر السابق (ص/٩٩) .

المبحث الرابع عشر
الرغبة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الرغبة لغةً .

المطلب الثاني : الرغبة شرعاً .

المطلب الأول
الرغبة لغةً

أصل الكلمة : الرغبة مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (رَغِبَ) .[١]

تصريفها : الرَّغْبَةُ على وزن (الفَعْلَةُ) ، وهي مصدر قياسي للفعل المتعدي (رَغِبَ) ، ومضارعه (يَرْغَب) ، وسُمِع من المصادر رَغَباً بفتح الغين كما قال تعالى : ﴿ إنهم كانوا يُسارعون في الخيرات ويدعوننا رَغَباً ورَهَباً﴾[الأنبياء٩٠] .[٢]

معناها لغةً :من معاني مادة رَغِبَ في معاجم اللغة :

- ❖ **الضَّراعة والمسألة** ، يقال : رَغِبَ إليه رَغْبَة ، أي ابْتَهَلَ وضَرَعَ لَهُ وسَأَلَهُ ، وفي حديث الدُّعاء ، قوله ﷺ :((رَغْبَةً ورَهْبَةً إليك)).[٣]
- ❖ **الطمع والحِرْص** ، يقال : رَغِبَ الشيءَ ورَغِبَ فيه يَرْغَب رَغْبَة إذا حَرَصَ على الشيء ، وطَمِعَ فيه .
- ❖ **ترك الشيء والزهد فيه** ، يقال : ورَغِبَ عنه لم يُرِدْهُ وزَهِدَ فيه .

وقد أَرجع ابن فارس ــ رحمه الله تعالى ــ غالب هذه المعاني إلى المسألة والسعة فقال : ((الراء والغين والباء أصلان : أحدهما : طلب لشيء ، والآخر : سَعَةٌ في شيء)).[٤]

ومن خلال عرض هذه المعاني ، نرى أقربها للمعنى الشرعي هو الأول والثاني ، إذ أن الرغبة تتضمن الطلب والطمع والحرص . والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٤١٥) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٠٧) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/٩٧) برقم (٢٤٤) ، ومسلم في الصحيح (٤/٢٠٨١) برقم (٢٧١٠) . كلاهما عن البراء بن عازب ﷺ .

(٤) مقاييس اللغة (٢/٤١٥) .

المطلب الثاني
الرغبة شرعاً

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝ ﴾ [الشرح:٧-٨]

قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ۝ ﴾ [الأنبياء : ٩٠].

كنت قد تناولت في مبحث سابق بيان معنى الرجاء الشرعي ، وهنا نتعرض لبيان عبادة أخرى شديدة الصلة به ، وهي الرغبة ، وعلاقة الرغبة بالرَّجاء ، أن الرجاء طمع ، والرغبة طلب ، وهو يأتي بعد الطمع ، فتكون الرغبة ثمرةً للرجاء . وعلى ضوء هذا :

عرَّفها الإمام **الهروي** ــ رحمه الله ــ بقوله : « الرغبة : هي الرّجاء بالحقيقة . لأن الرَّجاء طمع يحتاج إلى تحقيق ، والرغبة سلوك على التحقيق ».[١]

وعرَّفها الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « فإن الرغبة أيضاً : طلب مغيب هو على شك من حصوله ، فإن المؤمن يرغب في الجنة وليس بجازم بدخولها ، فالفرق الصحيح أن الرجاء طمع ، والرغبة طلب ، فإذا قوي الطمع صار طلباً ».

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : «... الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه ».[٢]

وقيل : « الرغبة : إرادة الشيء بالحرص عليه ».[٣]

---

[١] مدارج السالكين (٢/٥٦) .

[٢] المصدر السابق (١/٥١٢) .

[٣] الكليات (ص/٤٨٢) .

وعرَّفها الشيخ **محمد بن عثيمين** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « الرغبة محبة الوصول إلى الشيء المحبوب ».[١]

والحاصل أن الرغبة تتضمن المحبة والطمع والحرص ، إضافة إلى الطلب والسؤال والتضرع . والله أعلم .

ومما يقارب معنى الرغبة الابتغاء ، فهو شديد الصلة بالرغبة :

عرَّفه الإمام **الراغب** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « وأمّا الابتغاء فقد خُصَّ بالاجتهاد في الطلب ، فمتى كان الطلب لشيء محمود فالابتغاء فيه محمود ».[٢]

وقيل : « هو الاشتداد في طلب شيءٍ ما . وأصله مطلق الطلب والإرادة ».[٣]

وبالموازنة بين تعريف كل من الرغبة والابتغاء يتضح أنهما متقاربان جداً ، بَيْدَ أنه لوحظ في الرغبة معنى الحرص ، وفي الابتغاء معنى الشدة والاجتهاد ، وكلاهما قد يستعمل مكان الآخر على حسب السياق.[٤]

---

[١] شرح ثلاثة الأصول ـــ ابن عثيمين (ص/٥٥) .

[٢] المفردات (ص/٥٩) .

[٣] التوقيف على مهمات التعاريف (ص/٢٨) .

[٤] نضرة النعيم (٦/٢١٢٦) .

المبحث الخامس عشر
الرهبة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الرهبة لغةً .

المطلب الثاني : الرهبة شرعاً .

المطلب الأول
الرهبة لغةً

أصل الكلمة : الرهبة مشتقة من أصل لغويّ ثلاثي هو (رَهِبَ) .[١]

تصريفها :الرهبة على وزن (الفَعْلَة) ، وهي مصدر قياسي للفعل الثلاثي (رَهِبَ) ، على وزن (فَعِلَ) ، من باب فرِحَ وعَلِمَ ، يقال رَهِبَ يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً ورَهَباً .[٢]

معناها لغةً : من معاني مادة رَهِبَ في كتب اللغة :

- **الخوف** ، يقال رَهِبَ الشيءَ رَهَباً ورَهْبةً : إذا خافه .
- **التعبّد** ، يقال ترَهَّب أي تعَبَّد ، ومنه الراهِب : المتعبِّد في الصومعة من النصارى .

هذه بعض المعاني ، ويلاحظ أن أنسبها للمعنى الشرعي هو الأول كما سيأتي بعد إن شاء الله .

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٤٧) .

(٢) الصحاح (١/١٤٠) ، لسان العرب (٥/٣٣٧) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٤٠) ، تصريف الأسماء (ص/٥١) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٥٣) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٠٨ ، ٤٩١) .

المطلب الثاني
الرهبة شرعاً

قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [البقرة : ٤٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [النحل : ٥١] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

الكلام في الرهبة الشرعية قريب من كلامنا عن الخوف والخشية والوجل ، فهي كلمات مترادفة ، ويمكن أن تفسَّر كل واحدة بالأخرى ، ومع التدقيق في معاني هذه الألفاظ يمكن أن نلمح فروقاً يسيرة في المعنى ، وفيما يلي كلام بعض العلماء عن الرهبة :

عرَّفها الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله ـــ بالخشية فقال : « وقد دللنا فيما مضى على معنى الخشية ، وأنها الرهبة والمخافة ».[1]

وقال ـــ رحمه الله ـــ في قوله تعالى ﴿ وإيّاي فارهبون﴾ [البقرة : ٤٠] : « وإيّاي فاخشوا ...... ».[2]

وعرَّفها **الراغب** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « مخافة مع تحرُّز واضطراب ».[3]

---

(١) جامع البيان (٣٦٥/١) .

(٢) جامع البيان (٢٥١/١) ، وممن قال بذلك أبو العالية والسدي رحمهما الله ، ينظر تفسير الطبري (٢٥١/١) .

(٣) المفردات (ص/٢٠٤) .

وعرَّفها **الألوسي** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((الرهبة الخوف مطلقاً ، وقيل مع تحــرز ــ **وقال** ــ رحمه الله ــ : والرهبة نفس الخوف)).[1]

وقال الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله تعالى ــ في قوله تعالى : ﴿ .. للذين هم لربهــم يرهبون﴾ [الأعراف : ١٥٤] : ((أي يخافون منه ويخشونه)).[2]

وعرَّفها الشيخ **محمد بن عثيمين** ــ يحفظه الله ــ بقوله : ((الرهبة : الخوف المثمــر للهرب من المخوف ، فهي خوف مقرون بعمل)).[3]

هذا ما وقفت عليه من كلام العلماء في معنى الرهبة ، ومن خلاله يمكننا أن نقول :

الرهبة : هي حالة خوفٌ واضطراب قلبي مقرون بذلةٍ ، وحذر ، يوجب علـــى من تحققت فيه امتثال أمره تعالى ، واجتناب نهيه . والله أعلم .

---

(1) روح المعاني (٢٤٣/١) .

(2) تيسير الكريم الرحمن ــ السعدي (٩٦/٣) .

(3) شرح ثلاثة الأصول ــ ابن عثيمين (ص/٥٥) .

المبحث السادس عشر
المحبة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : المحبة لغة .

المطلب الثاني : المحبة شرعا .

المطلب الأول
المحبة لغة

أصل الكلمة : المَحَبَةُ مشتقة من أصل لغويٍّ ثلاثيٍّ وهو (حَبَبَ).[١]

تصريفها : المَحَبَةُ على وزن (المَفْعَلَةُ)، وهي اسم للحُبِّ ، من (حَبَبَ يَحْبِبُ) ، فنقلت حركة الباء إلى الساكن قبلها ، ثم أُدغمت الباء في الباء ، فصارت (يَحِبُّ) بكسر العين ، وهذا شاذٌ ، لأنه لا يأتي في المضاعف المتعدي (يَفْعِلُ) بالكسر ، إلا ويَشْرَكُهُ (يَفْعُلُ) بالضم ، ما خلا هذا الحرف ، وهي لغة نادرة ، والكثير فيها أحبَّه يُحِبُّه ، ومن هذه صِيغ المُحِبُّ اسم فاعل كثيراً ، وقلَّ منها (المُحَبُّ) اسم المفعول ، واللغة القليلة على العكس ، فقد كثر منها المحبوب اسم مفعول ، وقلَّ حابّ اسم فاعل.

و (أحبَّ) الشيء ، و (حبَّه) بمعنى ، إلا أنهم اختاروا أن بنوا الفاعل من لفظة (أحبَّ) ، والمفعول من لفظة (حبَّ) ، فقالوا للفاعل (مُحِبّ) ، وللمفعول (محبوب) ليعادلوا بين اللفظين في الاشتقاق ، على أنه قد سُمع في المفعول (مُحَبّ) كما سبق .

كما ذُكر في المصدر : (حُبّاً وحِبّاً وحُبَاباً ومَحَبَةً) ، وكلها على غير القياس ؛ لأن (حَبَبَ) على وزن (فَعَل) ، وهو متعدي فقياسه يأتي على وزن (فَعْل).[٢]

معناها لغةً : لمادة حبب عدد من المعاني نذكر منها :

١. **اللزوم والثبات** : ومنه الحُبُّ والمَحَبَةُ ، وذلك أنَّ المُحِبّ يلازم محبوبه. [٣]

هذا هو ألصق المعاني اللغوية بمعنى المحبة الشرعي . والله تعالى أعلم .

---

[١] لسان العرب (٧/٣) ، المقاييس (٢٦/٢) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (١/١٠٥ـ١٠٦) ، لسان العرب (٧/٣) ، تصريف الأفعال (ص/١٥١) ، تصريف الأسماء (ص/٥١) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٥) ، تاج العروس (٢١٤/٢) .

[٣] الصحاح (١/١٠٥،١٠٦) ، لسان العرب (٣/٧ـ١١) ، المفردات (ص/١٠٥) .

المطلب الثاني
المحبة شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [البقرة:١٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ [محمد:٩] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة:٥٤] .

المحبة من أعظم أعمال القلب وأشرفها ، وعلى كثرة أقوال العلماء في بيانها وشرحها ، إلا أنَّ أقوالهم قد خرجت في الغالب عن بيان المضمون والحقيقة إلى أمور أخرى تتعلق بها من ؛ أسباب ، وموجبات ، وعلامات ، وثمرات ، وأحكام .

ويمكنك أخي القارئ ، وبعد النظر فيما يأتي من تعريفات للمحبة ، أنَّ تكوِّن تصوّراً عن حقيقتها وماهيَّتها ومضمونها .

لكن يجب أنَّ تعلم أننا في هذا المطلب لا نتكلم عن المحبةِ عموماً ، وإنما عن محبةٍ مخصوصةٍ تتعلق بالرب تبارك وتعالى ، ولذلك ،...

يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ : « وأما المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وحده ومتى أحب العبد بها غيره كان شركاً لا يغفره الله ، فهي محبة العبودية المستلزمة للذُّل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره ، فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلاً » .[1]

---

[1] طريق الهجرتين (ص/٤٤٢).

وفيما يلي أذكر ما وقفت عليه من تعريفات :

فقيل : ((المحبة : الميل الدائم بالقلب الهائم)) .(١) ، وهذا عامٌ لا يختصُ بالله ، كما أنه لم يقتصر على المحبة الصادقة الصحيحة .

وقيل : ((إيثار المحبوب على جميع المصحوب)).(٢) وهذا من آثارها .

وقيل : ((موافقة الحبيب في المشهد والمغيب)).(٣) وهذا ما تقتضيه المحبة الصحيحة.

وقريباً منه : ((مواطأة القلب لمرادات المحبوب)) .(٤) والمواطأة هي الموافقة .

وقيل: ((استقلال الكثير من نفسك ، واستكثار القليل من حبيبك)).(٥) وهو من موجباتها وأحكامها .

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ ((والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيى منه ، ولو ناله من محبوبه أيسر شيء لاستكثره واستعظمه)).(٦)

وقريباً منه : ((استكثار القليل من جنايتك ، واستقلال الكثير من طاعتك)).(٧) ، لكنَّه خاصٌ بما يقع من المُحِبِ ، من الطاعات والمعاصي .

وعرَّفها **سهل بن عبد الله التستري** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((معانقة الطاعة ، ومباينة المخالفة)) .(٨) وهو من موجبات ولوازم المحبة .

وقيل : ((أن تهب كُلَّك لمن أحببت ، فلا يبقى لك منك شيء)) .(٩) وهو من مقتضيات المحبة .

---

(١) مدارج السالكين (١١/٣) ، روضة المحبين (ص/١٩) .

(٢) روضة المحبين (ص/١٩) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) مدارج السالكين (١٢/٣) .

(٥) المصدر السابق (١٢/٣) .

(٦) المصدر السابق (١٢/٣) .

(٧) المصدر السابق ((١٢/٣) .

(٨) المصدر السابق ((١٢/٣) .

(٩) المصدر السابق ((١٢/٣) .

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ « والمراد أن تهب إرادتك وعزمك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه ، وتجعلها حبساً في مرضاته ومحابه ».[١]

وعرَّفها **ابن عطاء بقوله** : « إقامة العتاب على الدوام » .[٢] ، فلا ترضى عن عملك ولا حالك .

وقيل : « توحيد المحبوب بخالص الإرادة وصدق الطلب » .[٣] أي توحيده بالإخلاص والصدق ، وهو من شروطها .

وقيل : « سقوط كل محبة من القلب ، إلا محبة الحبيب » .[٤] ، والمراد توحيده بالمحبة .

وعرَّفها **الحارث المحاسبي بقوله** : « ميلك للشيء بكليتك ، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سراً وجهراً ، ثم علمك بتقصيرك في حبه ».[٥] ويلاحظ أنَّه جمع كثيراً من التعاريف السابقة .

وقيل : « المحبة نار في القلب ، تحرق ما سوى مراد المحبوب ».[٦] أي مراد المحبوب الديني الشرعي ، فكأنه قال تحرق من القلب ما سوى المحبوب لله ، وهذا من لوازم المحبة الصادقة .

وقيل أيضاً : « المحبة بذل المجهود ، وترك الاعتراض على المحبوب ».[٧] وهذا من موجباتها ولوازمها .

---

[١] المصدر السابق (١٢/٣) .

[٢] المصدر السابق ((١٣/٣) .

[٣] مدارج السالكين (١٣/٣) .

[٤] المصدر السابق ((١٣/٣) .

[٥] المصدر السابق ((١٤/٣) .

[٦] الفتاوى (١٠/٢١٠،٢١١) ، مدارج السالكين (١٤/٣) .

[٧] المصدر السابق ((١٥/٣) .

وقيل : ((المحبة سفر القلب في طلب المحبوب، ولهج اللسان بذكره على الدوام)).[١]

وهذا من ثمراتها وعلاماتها .

وقيل : ((المحبة : إرادة لا تنقص بالجفاء ، ولا تزيد بالبر)) .[٢]

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ ((وفي ذلك ما فيه ، فإنَّ المحبة الذاتية تزيد بالبر ، ولا تُنقصها زيادتها بالبر ، وليس ذلك بعلة ، ولكن مراد يحيى[٣] : أنَّ القلب قد امتلأ بالمحبة الذاتية ، فإذا جاء البر من محبوبه لم يجد في القلب مكاناً خالياً من حبه يشغله محبة البر . بل تلك المحبة قد استحقت عليه بالذات بلا سبب ، ومع هذا فلا يزيل الوهم . فإنَّ المحبة لا نهاية لها . وكلما قويت المعرفة والبر قويت المحبة)).[٤]

وقيل : ((هي وجود تعظيم في القلب يمنع الانقياد لغير محبوبه)) .[٥]

يقول الإمام **ابن القيم ــ رحمه الله ــ** : ((هذا التعظيم المانع من الانقياد لغير المحبوب هو أثر من آثار المحبة ، وموجب من موجباتها ، لا أنه نفس المحبة ، فإنَّ المحبة إذا كانت صادقةً أوجبت للمحبِ تعظيماً لمحبوبهِ يمنعهُ من انقيادهِ إلى غيرهِ ، وليس مجرَّد التعظيمِ هو المانع له من الانقياد إلى غيره ، بل التعظيم المقارن للحب هو الذي يمنع من الانقياد إلى غير المحبوب . فإنَّ التعظيم إذا كان مجرَّداً عن الحب لم يمنع انقياد القلب إلى غير المعظَّم . وكذلك إذا كان الحب خالياً عن التعظيم لم يمنع المُحِب أن ينقاد إلى غير محبوبه فإذا اقترن الحب بالتعظيم وامتلأ القلب بهما ، امتنع انقياده إلى غير المحبوب)).[٦]

---

(١) المصدر السابق ((٣/١٥) .

(٢) المصدر السابق ((٣/١٥) ، طريق الهجرتين (ص/٤٦٠) .

(٣) هو يحيى بن معاذ الرازي ، قال عنه الذهبي : ((يحيى بن معاذ الرازي الواعظ ، من كبار المشايخ له كلام جيد ومواعظ مشهورة)). ، توفي سنة ٢٥٨ هـ . [سير أعلام النبلاء (١٣/١٥) ؛ تذكرة الحفاظ (٢/٥٣٢)].

(٤) مدارج السالكين (٣/١٦) .

(٥) طريق الهجرتين(ص/٤٤٠).

(٦) المصدر السابق (ص/٤٤٠) .

وقيل : « المحبة علم المحب بجمال المحبوب ومحاسنه » .[١]

يقول الإمام **ابن القيم ــ رحمه الله ــ** : « وهذا حدٌّ قاصر ، فإنَّ العلم بجماله ومحاسنه هو السبب الداعي إلى محبته ، فعبَّر عن المحبة بسببها » .[٢]

وعرَّفها الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله ــ بقوله : « ومعنى المحبَّة : تعلّق القلب بالمحبوب ، ولزوم الحب للقلب ، فلا تنفك عنه ، تقتضي من صاحبها الانكفاف عمَّا يكره الحبيب ، والمبادرة إلى ما يرضيه ، بقلب منشرح وصدر رحيب ، فإن تكلم تكلم بالله ، وإن سكت سكت لله ، وإن تحرّك فللَّه ، وإن سكن فله ».[٣]

فهذه جملة من أقوال العلماء في تفسير المحبة ، وقد ظهر لك اختلافها وتباينها ، وعلى كثرتها وتنوعها ، فإنَّ **الإمام ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ يرى أنها لم تُصِب ماهية المحبة وحقيقتها ، بل ما ذُكر له تعلق بالمحبة فقط ، ويرى ــ رحمه الله ــ أنها لا تُحد بحدٍ أوضح ولا أقرب إلى الفهم من لفظها ، حيث ؛ **قال** ــ رحمه الله تعالى ــ : « الشيء إذا كان في الأمور الوجدانية الذوقية التي إنما تعلم بآثارها وعلاماتها ، وكان مما يقع فيه التفاوت بالشدة والضعف ، وكان له لوازم وآثار وعلامات متعددة ، اختلفت العبارات عنه بحسب اختلاف هذه الأشياء ، وهذا شأن المحبة ، فإنها ليست بحقيقة ، معانيها ترى بالأبصار فيشترك الواصفون لها في الصفة .... ولا توصف المحبة ولا تحد بحد أوضح من المحبة ، ولا أقرب إلى الفهم من لفظها ، وأمّا ذكر الحدود والتعريفات فإنما يكون عند حصول الإشكال والاستعجام على الفهم فإذا زال الإشكال وعدم الاستعجام فلا حاجة إلى ذكر الحدود والتعريفات ، كما قال بعض العارفين : إنَّ كل لفظ يعبّر به عن الشيء فلا بد أن يكون ألطف وأرق منه . والمحبة ألطف وأرق من كل ما يعبر به عنها » .[٤]

---

(١) المصدر السابق (ص/٤٥٩) .

(٢) المصدر السابق (ص/٤٥٩) .

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (١٧٢/١/٤) .

(٤) طريق الهجرتين(ص/٤٤٠ ، ٤٦١) .

يقول الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ : « وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تُحد ، وإنما يعرفها من قامت به وجداناً لا يمكن التعبير عنه » .[1]

هذا ما وقفت عليه ، والله أعلم .

---

(1) فتح الباري (١٠/٤٦٢ ــ ٤٦٣) .

المبحث السابع عشر
المراقبة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : المراقبة لغة .

المطلب الثاني : المراقبة شرعا .

المطلب الأول
المراقبة لغة

أصل الكلمة : المراقبة مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (رَقَبَ) .[١]

تصريفها : المُراقَبَة على وزن (مُفَاعَلة) ، وهي مصدر من (رَاقَب) على وزن (فَاعَلْ) ، تقول : (رَاقَبْتُه مُرَاقَبَة) ، والأصل الثلاثي من ذلك هو (رَقَبَ) ، ومضارعه (يَرْقُبُ) من باب (نَصَرَ يَنْصُرُ) ، والمصدر (رُقُوب) وهو مصدر غير قياسي .[٢]

معناها لغةً :بعض معاني مادة رقب اللغوية :-

١- **الحفظ** ، ومنه قوله ﷺ :((ارْقُبُوا محمَّداً في أهل بيته)).[٣] أي احفظوه فيهم ، والرَّقيب : الحفيظ ، والرَّقيب من أسمائه تعالى .

٢- **الانتظار والرصد** ، يقال : رَقَبه يَرْقُبُه وتَرقَّبه ، انتظره ورصده .

٣- **العلو والإشراف** ، يقال : ارتقبَ المكانُ ، علا وأشرف ، والمَرْقَب والمَرْقَبة : الموضع المشرف .

٤- **الحِراسَة** ، تقول : رَقَبَ الشيءَ يَرْقُبُه ، وراقَبَه مُراقَبَة : حَرَسَه ، ورقيب القومِ : حارسهم .

٥- **أَخْذُ الحذر والاحتراز** ، يقال : رَقَبَه وراقَبَه : حاذره ، ولذا يقال : راقب الله في أمره إذا خافه ؛ لأنَّ الخائف يرقب العقاب ويتوقعه .[٤]

والناظر في كل هذه التعاريف السابقة يجدها متداخلة ، ولكل معنىً منـــــها صلـــة بالآخر ، والله تعالى أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٢٧) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٣٣) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : أساس البلاغة (ص/١٦٨) . لسان العرب (٥/٢٧٩) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٣٣) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٤٩٠) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/١٣٦١) برقم (٣٥٠٩) .

(٤) ينظر معاني مادة رقب في : الصحاح (١/١٣٧) ، أساس البلاغة (ص/١٦٨) ، اللسان (٥/٢٧٩) .

المطلب الثاني
المراقبة شرعاً

المراقبة لم يَرِد لفظها في الكتاب ، ولا في السنة ــ على حسب علمي ، حضّاً وترغيباً ، وإنما ورد معناها بألفاظ أُخرى ؛ كعلم العبد ويقينه بعلم الله تعالى التام ، واطلاعه الشامل على ظاهره وباطنه ، وكالإحسان ، الذي هو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك ، ولذلك يقول **الإمام ابن القيم** ــ رحمه الله ــ : « والمراقبة : هي التعبُّد باسمه ؛ الرقيب ، الحفيظ ، العليم ، السميع ، البصير ، فمن عَقِل هذه الأسماء ، وتعبَّد بمقتضاها ، حصلت له المراقبة..».[1]

لكن ورد لفظها في كلام علماء الملة ، حيث بيَّنوا حقيقتها بما تضمَّنته من المعاني كما سترى ذلك .

عرَّفها الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ بقوله : « المراقبة : دوام علم العبد ، وتيقّنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه ، فاستدامته لهذا العلم واليقين : هي المراقبة ، وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه ، رقيب عليه ، ناظر إليه ، سامع لقوله وهو مطلع على عمله كل وقت ، وكل لحظة ، وكل نفس ، وكل طرفة عين ..».[2]

وقيل : « المراقبة : مراعاة القلب لملاحظة الحق مع كل خطرة وخطوة ».[3]

وقيل : « المراقبة : خُلُوصُ السّر والعلانية لله عز وجل ».[4] وهذا من آثارها .

وعرَّفها الإمام **الهروي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « المراقبة : دوام ملاحظة المقصود ».[5]

---

(١) مدارج السالكين (٢/٦٦) .

(٢) المصدر السابق (٢/٦٥) .

(٣) المصدر السابق (٢/٦٦) .

(٤) المصدر السابق (٢/٦٦) .

(٥) المصدر السابق (٢/٦٦) .

يقول الإمام ابن القيم معلّقاً على كلام الإمام الهروي : ((أي دوام حضور القلب معه)).[١]

وقيل أيضاً : ((علامة المراقبة : إيثار ما أنزل الله ، وتعظيم ما عظَّم الله ، وتصغير ما صغَّر الله)).[٢]

وقيل : ((..حقيقة المراقبة : هي ملاحظة الرقيب ، وانصراف الهمّ إليه)).[٣]

وقيل : ((..المراقبة : حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة [٤] ، وتثمر تلك الحالة أعمالاً في الجوارح وفي القلب)).[٥]

وقيل : ((....هي مراعاة القلب للرقيب ، واشتغاله به ، والتفاته إليه ، وملاحظته إيّاه ، وانصرافه إليه)).[٦]

وعرَّفها **الجرجاني** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله)).[٧]

وقيل : ((حقيقة المراقبة : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)).[٨] وهذا بعينه معنى الإحسان .

وعرَّفها **المحاسبي** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((المراقبة : دوام علم القلب بعلم الله ﷻ في سكونك وحركتك ، علماً لازما للقلب...وقال ــ رحمه الله ــ : أمّا أول المراقبة : فهو علم القلب بقرب الرَّب عز وجل)).[٩]

---

[١] مدارج السالكين (٢/٦٦) .

[٢] المصدر السابق (٢/٦٥) .

[٣] الإحياء (٤/٣٦٦) .

[٤] كعلم العبد بأنّ الله مطلع على قلبه ، عالم بسريرته ، رقيب على أعماله .

[٥] الإحياء (٤/٣٦٦) .

[٦] المصدر السابق (٤/٣٦٦) .

[٧] التعريفات (ص ٢٦٦) .

[٨] معجم المصطلحات الصوفية (ص/١٦٠) .

[٩] الوصايا (ص/٣١٣) .

وقيل : ((المراقبة : أن تعلم أنَّ الله تعالى على كل شيءٍ قدير)).[١]

هذا ما وقفت عليه ، والحاصل أنَّ المراقبة معنى يلتئم من علم القلب ، وعمل القلب ولذا يمكن أن يقال في تعريفها :-

((المراقبة : هي دوام علم العبد ويقينه باطلاع الله عليه ، وعلمه بسرّه ونجواه ، فيثمر له هذا العلم حالةَ انصراف قلبه وهمّه إلى الله ، والتفاته إليه بكلّيته ، فتثمر له تلك الحالة ، إخلاصاً في الطاعات ، وبعداً وإقلاعاً وتوبة عن المعاصي والمنكرات ، وشكراً على النّعم والسرّاء ، وصبراً على النّقم والضرّاء)).[٢]

---

[١] معجم المصطلحات الصوفية (ص/١٦٠) .

[٢] مختصر منهاج القاصدين (ص/٣٧٣) .

المبحث الثامن عشر
الوجل

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الوجل لغة .

المطلب الثاني : الوجل شرعا .

المطلب الأول
الوجل لغةً

أصل الكلمة : الوَجَلُ مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (وَجِلَ) . [١]

تصريفها : الوَجَلُ على وزن (الفَعَل) ، وهو مصدر قياسي للفعل (وَجِلَ) ، ومضارعه سُمِعَت فيه أربع لغات : يَوْجَل على القياس ، من باب (عَلِمَ يَعْلَم) ، ويَاجَل بقلب الواو ألفاً ، ويِيجَل بكسر الياء ، ويَيْجَل بفتح الياء ، والأمر منه إِيْجَلْ .[٢]

معناها لغةً :

لم يذكر علماء اللغة ــ فيما وقفت عليه من كتبهم ــ معنىً للوجل غير الخوف والفزع ، وكما مرَّ معنا أنّه من مرادفات الخوف .[٣]

---

[١] معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٥١٥) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٢٣) .

[٣] ينظر لهذا المعنى : لسان العرب (١٥/٢٢٣) .

المطلب الثاني
الوجل شرعاً

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال:٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون:٦٠] .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج:٣٥] .

لا نجد فارقاً كبيراً بين معنى الوجل في اللغة والشرع ، إذ كلاهما فُسِّر بالخوف ، لكن قد يتضمن الوجل الشرعي أُموراً تقيّد معناه في اللغة ، وفيما يلي كلام علماء الشرع فيه .

عرَّفه الإمام **القرطبي** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : « والوجل : الفزع من عذاب الله ».(١)

وقال ـ رحمه الله ـ : « والوجل : نحو الإشفاق والخوف ».(٢)

وعرَّفه **الراغب** ـ رحمه الله ـ بقوله : « الوجل استشعار الخوف ».(٣)

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ بقوله : « وأما الوجل : فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته ، أو لرؤيته ».(٤)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٦٦/٧) .

(٢) المصدر السابق (١٣٣/١٢) .

(٣) المفردات (ص/٥١٣) .

(٤) مدارج السالكين (٥١٣/١) .

وعرَّفه ـــ رحمه الله ـــ أيضاً بقوله : « والوجل : خوف مقرون بهيبة ومحبَّة ».[1]

وعرَّفه الشيخ **محمد رشيد رضا** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « ويتفق معنى الوجل فيها بأنه الفزع وشعور الخوف يُلِمُّ بالقلب ، وقد يكون هذا الخوف من العاقبة المجهولة ، وقد يكون من الإجلال والمهابة ».[2]

والحاصل أنّ الوجل هو شعور القلب بالألم والفزع ، لا مجرّد توقع أمر مؤلم في المستقبل ، وعليه فالوجل أخص من الخوف .

ونستطيع أنّ نعرِّفه بقولنا :

هو حالة شعور القلب بالفزع والاضطراب ، والتصدع ، مع الخضوع التام والانقياد للأمر .

---

(١) شفاء العليل (ص/١٠٦) .

(٢) تفسير المنار (٩/٥٨٩) .

المبحث التاسع عشر
اليقين

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : اليقين لغةً .

المطلب الثاني : اليقين شرعاً .

المطلب الأول
اليقين لغةً

أصل الكلمة : اليقين مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ وهو (يَقِنَ).[1]

تصريفها : اليَقِين على وزن (فَعِيل) ، من الفعل (يَقِنَ) ، والمصدر القياسي من الفعل الثلاثي هو :

(يَقْنٌ) ، تقول : (يَقِنَ يَيْقَنُ يَقْنَاً ويَقِينَاً) .[2]

معناها لغةً : لمادة (يقن) عدد من المعاني وردت في كتب اللغة وهي متعددة ، وبعضها عبارة عن إطلاقات لليقين وهي كما يلي :

١- العلم وزوال الشكِّ وتحقيق الأمر .

٢- نقيض الشكِّ .

٣- الظنُّ .

٤- سكون الفهم مع ثبات الحكم .

٥- الاعتقاد الجازم المطابق للواقع .

٦- الموت .[3]

هذه بعض المعاني ، وغالبها له علاقة بمعنى اليقين الشرعي ، كما سيتبين ذلك في المطلب التالي :-

---

(١) مقاييس اللغة (٦/١٥٧) .

(٢) ينظر تصريفها في : لسان العرب (يقن/١٥/٤٥٤) ، تصريف الأفعال (ص/١٥٧) ، تصريف الأسماء (ص/٥١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٢٢ ، ٥١٧) .

(٣) ينظر المعنى في مادة في : الصحاح (٦/٢٢١٩) ، لسان العرب (١٥/٤٥٤) ، المفردات (ص/٥٥٢) ، الكليات (ص/٩٧٩).

المطلب الثاني
اليقين شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ ﴾ [الحاقة:٥١] .

وقال تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾ [التكاثر:٥-٧]

مما لا شكَّ فيه أنَّ اليقين من أعظم أعمال القلوب لقوله ﷺ ((فمن لقيتَ من وراءِ هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشِّره بالجنة)).[١] فنسب اليقين إلى القلب ، وبشَّر أهله بالجنة.

أمّا بالنسبة لكلام العلماء ، فمنهم من عرفه بجزء معناه ، وبعضهم بثمرته ، ويتبين ذلك من خلال عرضها فنقول :

عرّفه بعضهم بقوله : ((هو العلم المستودع في القلوب)).[٢] وفي هذا إشارة إلى أنه لا دخل للإنسان فيه ، أي أنه غير مكتسب ، والعلم هو أحد أركان اليقين .

وقريباً منه تعريف **الجنيد** حيث قال : ((هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يتحول ، ولا يتغير في القلب)).[٣]

وعرفه الهروي بقوله : ((اليقين : مركب الآخذ في هذا الطريق)) .[٤]

وفي تعريف الهروي بيان ثمرة اليقين ، وكونه وسيلة لمن أراد الوصول إلى الله .

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فإنه لولا اليقين ما سار ركب إلى الله ، ولا ثبت لأحد قدم في السلوك إلاَّ به)).[٥]

---

[١] رواه مسلم في صحيحه (٥٩/١-٦٠) برقم (٣١) .

[٢] مدارج السالكين (٣٩٨/٢) .

[٣] المصدر السابق (٣٩٨/٢) .

[٤] المصدر السابق (٤٠١/٢) .

[٥] المصدر السابق (٤٠١/٢) .

وعرَّفه الإمام **البيضاوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((واليقين : إتقان العلم بنفي الشَّك والشبهة عنه نظراً واستدلالاً)).[١]

وهذا يتعلق بجانب اليقين العلمي .

وعرفه **الجرجاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((هو طمأنينة القلب على حقيقة الشيء)).[٢] والطمأنينة ركن في اليقين .

وقيل : ((اليقين : سكونك عند جولان الموارد في صدرك ، لتيقنك أنَّ حركتك فيها لا تنفعك، ولا ترد عنك مقضياً)).[٣] وهذا يشتمل على الطمأنينة ، والعلم .

وعرفه شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((وأمّا اليقين : فهو طمأنينة القلب واستقرار العلم فيه)).[٤]

وعرَّفه الشيخ **السعدي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((..اليقين هو العلم الذي يحمل صاحبه على الطمأنينة بخبر الله ، والطمأنينة بذكر الله ، والصبر على المكاره ، والقوة في أمر الله ، والشجاعة القولية والفعلية)).[٥]

ويعتبر تعريف شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ وما قاربه ، من أفضل التعريفات وأشملها ، حيث تضمّن أركان اليقين ، وهي :

أولاً : الطمأنينة ، وهي عمل القلب .

ثانياً : استقرار العلم ، وهو علم القلب .والله أعلم .

---

(١) تفسير البيضاوي (١/٢٠) .

(٢) التعريفات (ص/٢٥٩) .

(٣) مدارج السالكين (٢/٣٩٩) .

(٤) الفتاوى (٣/٣٢٩) و قال ـــ رحمه الله ـــ : ((ثمّ اليقين ينتظم منه أمران : علم القلب ، وعمل القلب ، فإن العبد قد يعلم علماً جازماً بأمر ، ومع هذا فيكون في قلبه حركة واختلاج من العمل الذي يقتضيه ذلك العلم ، كعلم العبد أنَّ الله رب كلّ شيء ومليكه ، ولا خالق غيره ، وأنّه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فهذا قد تصحبه الطمأنينة إلى الله والتوكل عليه ، وقد لا يصحبه العمل بذلك ؛ إمّا لغفلة القلب عن هذا العلم ، والغفلة هي ضد العلم التام وإن لم تكن ضداً لأصل العلم ، وإمّا للخواطر التي تسنح في القلب من الالتفات إلى الأسباب ، وإمّا لغير ذلك .

(٥) المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي (تفسير/٨/٤٨٨) .

الفصل الثاني

المصطلحات المتعلّقة بالعبادات القولية

وفيه إحدى عشر مبحثاً :

المبحث الأول : الاستعاذة .

المبحث الثاني : الاستغاثة .

المبحث الثالث : الاستغفار .

المبحث الرابع : التوسل والوسيلة .

المبحث الخامس : الدعاء .

المبحث السادس : الذكر .

المبحث السابع : الرقية .

المبحث الثامن : النذر .

المبحث الأول
الاستعاذة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الاستعاذة لغةً .

المطلب الثاني : الاستعاذة شرعاً .

المطلب الأول
الاستعاذة لغةً

أصل الكلمة : الاستعاذة مشتقة من أصل لغويّ هو (عَوَذَ) .[١]

تصريفها : الاستعاذة إما إلى وزن (استِفَالة أو اسْتِفَعْلة) ؛ لأنها من (إعاذة) التي أصلها (إعْوَاذ) ، والأصل الثلاثي هو (عاذ) وأصله من (عَوَذَ) ، ومضارعه (يَعُوذ) على وزن (يَفْعُل) من العَوذ ، كان أصله (يَعْوُذ) على وزن (يَفْعُل) ، فقلبوا حركة الواو على الغين فصارت (يَعُوذ)، والاستعاذة من الفعل الثلاثي المزيد (استعاذ)، على وزن (استَفْعَلَ)، والمصدر من (عاذ) (يَعُوذ) هو (عَوْذاً وعِياذاً) ، ومصدر أعاذ يُعِيذ هو (إعاذة) ، والمصدر الميمي (مَعاذاً) .[٢]

معناها لغةً : من معاني مادة عوذ اللغوية :-

١. الاعتصام والالتجاء ، يقال : عاذ به يعوذ عوذاً ، إذا لجأ إليه واعتصم ولاذ به .
٢. ما لصق من اللحم بالعظم ولزمه فلم يتخلص منه ، يقال له : العُوَّذ .

هذه بعض المعاني لهذه المادة ، وقد تجتمع هذه المعاني في معنى الالتجاء إلى الشيء وملازمته ، ولذا يقول ابن فارس : « العين والواو والذال أصلٌ صحيح يدلُّ على معنى واحد وهو الالتجاء إلى الشيء ، ثم يحمل عليه كلُّ شيء لصق بشيءٍ أو لازمه ».[٣] .

وهذه المعاني لها علاقة وارتباط بالمعنى الشرعي؛ فإن العائذ معتصم وملتجئ بغيره ، وأما معنى اللصوق والملازمة ؛ فإن العائذ قد استمسك بالمستعاذ به واعتصم به ولزمه ، فصار كالملاصق له .

---

(١) مقاييس اللغة (١٨٣/٤) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١، ٥٩، ٦٠) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٢) معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٣٦٨) .

(٣) مقاييس اللغة (١٨٣/٤) .

المطلب الثاني
الاستعاذة شرعاً

قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل:٩٨]

وقال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ [المؤمنون:٩٧]

وقال تعالى : ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المؤمنون:٩٨]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ ﴾ [الفلق:١]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ ﴾ [الناس:١]

وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ [الجن:٦]

وقال تعالى : ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران:٣٦]

وقال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٠]

عرَّفها الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وأما الاستعاذة : فإنها الاستجارة ».[1]

---

(١) جامع البيان (٣/١٩) .

وهذا هو مضمون « الاستعاذة الشرعية » ، فإن المسلم يستجير بربه ، ويكون في جانبه ، موافقاً له في مراضيه ومساخطه ، ممتنعاً به عن حصول المكروه .

وعرَّفها الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « وحقيقة معناها : الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه ».(١)

وقال ـــ رحمه الله ـــ : « وبعد فمعنى الاستعاذة القائم بقلبه، وراء هذه العبارات ، وإنما هي تمثيل ، وإشارة ، وتفهيم، وإلا فما يقوم بالقلب حينئذ من الالتجاء، والاعتصام ، والانطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه ، والتذلل بين يديه ، أمر لا تحيط به العبارة ».(٢)

وعرَّفها الإمام **ابن كثير** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « والاستعاذة : هي الالتجاء إلى الله تعالى ، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر ، والعياذة تكون لدفع الشر ، واللياذ يكون لطلب جلب الخير ».(٣)

وعرَّفه **المناوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : «.. معنى الاستعاذة : وهو الالتجاء إلى الله تعالى والاعتصام به ».(٤)

وعرَّفها الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله :

« الاستعاذة : الالتجاء ، والاعتصام ، والتحرز ، وحقيقتها الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه ؛ ولهذا يسمى المستعاذ به معاذاً وملجأً ..».(٥)

والحاصل أن الاستعاذة تحصل بفعل اللسان ، بأن يتلفظ المسلم بها ؛ ولكنها لا تكون نافعة ما لم يقارنها عمل القلب، من الافتقار إليه سبحانه، والاعتصام به ، واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل ، صغير أو كبير ، بشر أو غير بشر(٦)،

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٢٦) .

(٢) المصدر السابق (٢/٤٢٧) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/١٦) .

(٤) فيض القدير (١/٤٠٨) .

(٥) تيسير العزيز الحميد (ص/١٧٤-١٧٥) .

(٦) شرح ثلاثة الأصول (ص/٥٩) .

فهي عبادة لسانية تكتمل بالحالة القلبية التي يكون عليها قلب الإنسان ، ولذا يقول المناوي ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وليستعذ بالله : بجمْعِ همة ، وحضور قلب ، وصفاء باطن ، وصحة توجه ، فلا يكفي إمرار الاستعاذة باللسان كما أشار إليه بعض الأعيان)).[1]

هذا ما وقفت عليه من أقوال ، والله تعالى أعلم .

---

(١) فيض القدير (٣٤٩/١) .

المبحث الثاني
الاستغاثة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الاستغاثة لغةً .

المطلب الثاني : الاستغاثة شرعاً .

المطلب الأول
الاستغاثة لغةً

أصل الكلمة :الاستغاثة مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (غَوَثَ) [١]

تصريفها : الاستغاثة إمّا على وزن (اسْتِفَالَة أو استِفَعْلة) ؛ لأنها من إغاثة التي أصلها إغْوَاث ، ثم تحركت العين بحسب الأصل وانفتح ما قبلها بحسب الآن فقلبت ألفاً ، فالتقى ساكنان (ألفان) المنقلبة عن العين ، والزائدة ، فمن حذف الأولى صار وزنها (استفالة) ، ومن حذف الثانية أصبح وزنها (استِفَعْلة). والاستغاثة من الفعل (اسْتَغَاثَ) على وزن (اسْتَفْعَلَ) ، أصله (غاث) معتل العين . والأصل الثلاثي هو (غاث) وأصله من (غَوَثَ) ، ومضارعه (يَغُوث) على وزن (يَفْعُل) من الغَوث ، كان أصله (يَغْوُث) على وزن (يَفْعُل) ، فقلبوا حركة الواو على الغين فصارت (يَغُوث) ، لكنهم استعملوا مصدره وتركوا تصريفه .وقيل : مضارعه (يَغِيث) ، و لم يسمع يَغُوثُ والمصدر من (غاث) (يَغُوث أو يغيث) هو (غَوْثاً وغِياثاً) ، ومصدر أغاث يُغِيث هو (إغاثة) ويجوز (غَوْث) .[٢]

معناها لغةً : لمادة غَوَثَ عدد من المعاني وهي :

- **النصرة والإعانة** ، يقال : واستغثته طلبت الغَوْثَ فأغاثني يُغِيثُني .
- **المطر** ، يقال : واستغثته طلبت الغَيْث فغاثني يَغِيثُني .

والمعنى الأول هو الأقرب ، وعلى هذا فمعنى الاستغاثة طلب النصرة والإعانة ؛ لأنّ السين والتاء للطلب .[٣]

---

[١] مقاييس اللغة (٤/٤٠٠) ، لسان العرب (١٠/ ١٣٩) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١، ٥٩، ٦٠) ، لسان العرب (١٣٩/١٠) ، الاشتقاق (ص/٩٦، ١٥٣) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٣٨ ، ٣٦٨) .

[٣] ينظر معناها في : الصحاح (٢٨٩/١) ، لسان العرب (١٣٩/١٠) ، المفردات (ص/٣٦٧) ، النهاية (٣٩٢/٣) .

المطلب الثاني
الاستغاثة شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف:٢٩]

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف:١٧]

قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنفال:٩]

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [القصص:١٥]

لا تكاد تفسيرات العلماء للاستغاثة تخرج عن المعنى اللغوي لها ، مع بعض التقيد في بيان معناها وإليك بعض كلامهم في ذلك :

عرّفها شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والاستغاثة طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة ».[1]

وعرّفها ــ رحمه الله تعالى ــ **أيضاً** بقوله : « والاستغاثة : طلب الإغاثة والتخلص من الكربة والشدة ».[2]

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠٣/١) .

(٢) كتاب تلخيص الاستغاثة (١٩٦/١) .

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فلفظ الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب إنما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به)).[١]

وعرّفها الشيخ **محمد رشيد رضا** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والاستغاثة طلب الغوث والإنقاذ من الهلكة)).[٢]

وعرّفها **الألوسي** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((والاستغاثة كما قال غير واحد : طلب الغوث ــ وهو التخلص من الشدة والنقمة ــ والعون)).[٣]

وعرّفها الشيخ **أحمد بن يحيى النجمي**[٤] بقوله : ((أما الاستغاثة فهي دعاء المكروب الملهوف المضطر لمن يظن أنه يقدر على إغاثته وكشف كربته وإزالة ما يحيط به)).[٥]

وعرَّفه الشيخ **سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الاستغاثة الكلية : هي سؤال المستغاث به على اعتقاد أنه قادر بقدرة مؤثرة على جلب نفع له ، أو دفع مضرة عنه)).[٦]

---

(١) المصدر السابق (١/١٨٥).

(٢) تفسير المنار (٩/٦٠٧).

(٣) روح المعاني (٩/١٧٢).

(٤) هو الشيخ العلامة الفقيه مفتي منطقة جازان حالياً وحامل راية السنة والحديث فيها أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي وهو من إحدى القبائل المشهورة بمنطقة جازان ، ولد في الثاني والعشرين من شهر شوال عام ستة وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة ، من مشايخه : الشيخ حافظ الحكمي ــ رحمه الله ــ والشيخ عبد الله القرعاوي والشيخ إبراهيم بن محمد العمودي ، ومفتي الديار السعودية الأسبق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ــ رحمه الله ــ ، ومن تلاميذه : الشيخ ربيع المدخلي والشيخ زيد المدخلي ، والشيخ علي بن ناصر الفقيهي ، من مؤلفاته : أوضح الإشارة في الرد على من أباح الممنوع من الزيارة ، تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة ، رسالة الإرشاد إلى بيان الحق في حكم الجهاد ، المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال . [انظر : ترجمة لأحد تلامذته في مقدمة كتاب : المورد العذب الزلال ــ دار سبيل المؤمنين ، ط ١ ، ١٤١٨هـ] .

(٥) أوضح الإشارة (ص/٤٤٠).

(٦) التوضيح عن توحيد الخلاّق (ص/٢-٣) .

قال الشيخ **شمس الدين الأفغاني**[١] ــ رحمه الله تعالى ــ : « يظهر من موارد لفظة الاستغاثة أنها أخص من الاستمداد والاستنصار والاستعانة ؛ لأنّ الاستغاثة تكون عند مس الحاجات ، ونزول الملمات ، وحدوث الكربات ، فالنصر ، والمدد ، والعون الذي يطلبه المضطر والمكروب عند الكربة ، والشدة : هو الغوث ، وفعل ذلك المضطر وطلب ذلك المكروب يسمى استغاثة ».[٢]

هذه بعض أقوالهم فيها ، والحاصل أنّ الاستغاثة الشرعية التي لا تصح إلاّ لله تتضمن طلباً ونداءً ، وحالةً قلبيةً ونفسيةً للمستغيث ، وبناءً على هذا يمكننا أن نقول في تعريفها :

« هي طلب العبد من ربه النصرة والعون في كشف الضُرّ ، وإزالة الكَرْبِ مع التجائه واضطراره وتوجه قلبه لربه ، وملازمته لحالي الإنابة والتوكل ».

---

(١) الشيخ الدكتور شمس الدين الأفغاني ــ رحمه الله ــ صاحب كتاب جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية . وهي رسالة دكتوراة تحصل عليها من الجامعة الإسلامية .

(٢) جهود علماء الحنفية (١٣٩٤/٣).

المبحث الثالث
الاستغفار

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الاستغفار لغةً .

المطلب الثاني : الاستغفار شرعاً .

المطلب الأول
الاستغفار لغةً

أصل الكلمة : الاستغفار مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ وهو (غَفَرَ).[1]

تصريفها : الاسْتِغْفَار على وزن (اسْتِفْعَال) ، وهو مصدر قياسي للفعل الثلاثي المزيد (اسْتَغْفَرَ) على وزن (اسْتَفْعَلَ) ، مزيد بثلاثة أحرف ، همزة الوصل والسين والتاء ، كاستشفع استشفاعاً ، والأصل الثلاثي من هذا الفعل يأتي على وزن (فَعَلَ) ومضارعه على وزن (يَفْعِلُ) من باب (ضرب يضرب) ومصدره القياسي على وزن (فَعْل) ؛ لأنه من (فَعَلَ) المتعدى ، يقال (غَفَرَ يَغْفِر غَفْرًا).[2]

معناها لغة : لمادة (غَفَرَ) عدد من المعاني منها :

١. الستر والتغطية ، يقال غفر الله ذنوبه ، أي سترها ، والغَفْرُ : التغطية ، وغَفَرت المتاع : جعلته في الوعاء ، والغُفْرَةُ ما يغطى به الشيء .
٢. أصلح الأمر بما ينبغي أن يصلح به ، يقال وغفر الأمر بغُفْرَتِه .
٣. ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه ، يقال له : المِغْفَر .

والمعنيان الثاني والثالث قد يرجعان إلى الأول ؛ ذلك أن إصلاح الشيء ذهاب فساده فكأنه ستره ، كما أن الدرع الملبوس على الرأس يسترها ، وعلاقة الأول بالمعنى الشرعي ظاهرة ، فالاستغفار حقيقتة وقاية شر الذنب ، والستر لازم لهذا المعنى .[3]

---

(١) مقاييس اللغة (٤/٣٨٥) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : لسان العرب (١٠/٩١) ، تصريف الأسماء (ص/٥١،٦٨) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٨) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٣٦٠) .

(٣) ينظر معناها مع بقية المعاني في : مقاييس اللغة (٤/٣٨٥) ، الصحاح (٢/٧٧٠ـ٧٧٢) ؛ لسان العرب (١٠/٩١ـ٩٢) .

المطلب الثاني
الاستغفار شرعاً

قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة:٧٤]

وقال تعالى : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ...قال تعالى : ﴾ [هود:٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات:١٨]

وقال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾ [نوح:١٠] .

وقال تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر : ٣] .

يقول الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « الاستغفار نوعان : مفرد ومقرون بالتوبة :

فالمفرد : كقوله تعالى : ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا﴾ [نوح :١١] .

والمقرون كقوله تعالى : ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ، ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ [هود : ٣] .

فالاستغفار المفرد كالتوبة ، بل هو التوبة بعينها ، مع تضمنه طلب المغفرة من الله ، وهو محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره ، وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله تعالى :﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾[الأنفال : ٣٣] ، فإن الله لا يعذب مستغفراً،

وأما من أصر على الذنب وطلب من الله مغفرته فهذا ليس باستغفار مطلق ولهذا لا يمنع العذاب ، فالاستغفار يتضمن التوبة ، والتوبة تتضمن الاستغفار ، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق ، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار : طلب وقاية شر ما مضى والتوبة : الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله ».[1]

يقول الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله ــ : « الاستغفار المطلوب : هو الذي يحل عقد الإصرار ، ويثبت معناه في الجنان ، لا التلفظ باللسان ، فأما من قال بلسانه : استغفر الله وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار، وصغيرته لاحقة بالكبائر ».[2]

ولذا يلاحظ تقسيم الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ للاستغفار إلى قسمين :

الأول : استغفار مفردٌ مطلقٌ ، وعرَّفه ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الاستغفار المفرد كالتوبة ، بل هو التوبة بعينها ، مع تضمنه طلب المغفرة من الله ، وهو محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره ».[3]

الثاني : استغفار مقرون بالتوبة ، وعرَّفه ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : «..وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى ، فالاستغفار : طلب وقاية شر ما مضى ».[4]

وفيما يلي أقوال العلماء مبنية على هذا التقسيم :-

عرَّفه الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وقد دللنا على أن معنى الاستغفار مسألة العبد ربه غفر الذنوب ».[5]

---

(١) مدارج السالكين (٣٠٨/١) بتصرف .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢١٠/٤) .

(٣) مدارج السالكين (٣٠٨/١) . ويقول **الفراء** ــ رحمه الله تعالى ــ في قوله ﷻ ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ [هود : ٣] : « ثم هنا بمعنى الواو ، أي وتوبوا إليه ؛ لأن الاستغفار هو التوبة ، والتوبة هي الاستغفار ». [الجامع لأحكام القرآن (٣/٩) .

(٤) مدارج السالكين (٣٠٨/١ــ٣٠٩) .

(٥) جامع البيان (٤٤/١١) .

وعرَّفه الإمام **الراغب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الغُفْرانُ والمَغْفِرة من الله هـو أن يصونَ العبدَ من أن يمسَّهُ العذابُ . والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفعال ».[1]

وعرَّفه الإمام **الجرجاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « استقلال الصالحات والإقبال عليها ، واستكبار الفاسدات والإعراض عنها ».[2]

وقيل : « الاستغفار : طلب المغْفِرة بعد رُؤية قُبح المعصية ، والإعراض عنها ».[3]

وقيل : « الاستغفار : استصلاح الأمر الفاسد قولاً وفعلاً ».[4]

وعرَّفه الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : «... الاستغفار هـو طلـب المغفرة ، وهو من جنس الدعاء والسؤال ، وهو مقرون بالتوبة في الغالب ومأمور به ».[5]

وعرَّفه الإمام **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : «... أصل معـنى الاسـتغفار طلب الغَفْر أي الستر ، ومعنى التوبة الرجوع ، ويطلق الأول على طلب ستر الذنب مـن الله تعالى والعفو عنه ».[6]

ومما سبق يمكن أن نخلص إلى أن :

الاستغفار هو طلب المغفرة من الله تعالى فيصون عبده من أثر الذنـوب ومـس العذاب ، وكماله بمقارنة التوبة له ظاهراً وباطناً ، والله تعالى أعلم .

---

(١) المفردات (ص/٣٦٢) .

(٢) التعريفات (ص/٣٦) .

(٣) المصدر السابق (ص/٣٦) .

(٤) المصدر السابق (ص/٣٦) .

(٥) منهاج السنة (٦/٢١٠) .

(٦) روح المعاني (١١/٢٠٧) .

المبحث الرابع
التوسل والوسيلة

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : التوسُّل لغةً .

المطلب الثاني : معنى الوسيلة لغة .

المطلب الثالث : الوسيلة شرعاً .

المطلب الرابع : التوسُّل شرعاً .

المطلب الأول
التوسُّل لغةً

أصل الكلمة : التوسل مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ وهو (وَسَلَ) .[١]

تصريفها : التوسُّل على وزن (التفعُّل) ، وهو مصدر قياسي للفعل (توسَّل) على وزن (تفعَّل) ، مزيد بحرفين ، التاء في أوله وتضعيف السين (العين) ، مثل توكَّل توكُّلا ، توسَّع توسُّعا ، والأصل الثلاثي (وَسَلَ) معتل الفاء ، على وزن (فَعَلَ) ومضارعه على وزن (يَفْعِلُ) من باب (ضرب يضرب) ومصدره القياسي على وزن (فَعْل) ؛ لأنه من (فَعَلَ) المتعدى ، يقال (وَسَلَ ، ويَسِلُ ، وَسْلاً)، وأصل المضارع (يَوْسِلُ) فحذفت الواو استثقالا فقيل (يَسِلُ) كـ (وعد ، يعد) .[٢]

معناها لغة : لمادة (وسل) عدد من المعاني منها :

١. **التقرب إلى الشيء بشيء** ، يقال : توسل إليه بوسيلة : إذا تقرب إليه بعمل .

٢. **الرغبة** ، يقال (وسل) إذا رغب ، والواسل الراغب إلي الله عز وجل .

٣. **الطلب** .

هذه بعض معاني مادة (وسل) ، ولعلها تتفق في أنها وصول إلى المطلوب بسبب، [٣]

والخلاصة أن التوسل مصدر من باب التفعيل وباب التفعيل له عدة معان ، منها الاتخاذ نحو : تردى الثواب ، وتوسد الحجر ، أي اتخذ الثوب رداء ، والحجر وسادة ، فمعناه اتخاذ الوسيلة إلى الشخص لحصول المطلوب منه .

وقبل أن نبدأ ببيان معنى التوسل ومفهومه الشرعي ، يحسن بنا أن نتطرق بشيء من التفصيل لمعنى الوسيلة في اللغة والشرع ، ليكتمل بعد ذلك معنى التوسل ويتضح مفهومه :

---

(١) مقاييس اللغة (٦/١١٠) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأفعال (ص/١٥٣) ، تصريف الأسماء (ص/٥١) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٨، ١٧٨) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٩٥) .

(٣) ينظر إلى معنى مادة (وسل) اللغوي في : مقاييس اللغة (٦/١١٠) ، الصحاح (٥/١٨٤١) ، لسان العرب (١٥/٣٠١) .

المطلب الثاني
الوسيلة لغة

ذكر أهل اللغة عدة معانٍ للوسيلة ومنها:

١. التوصل إلى الشيء برغبة ، وهي أخص من الوصلة لتضمنها لمعي الرغبة [١]

٢. هي ما يتقرب به إلى الغير .

٣. المترلة عند الملك .

٤. الدرجة .

٥. القربى .

٦. الوصلة . [٢]

هذا ما ذكرته كتب اللغة عن معني الوسيلة ، ويظهر أنها لا تخرج عن ثلاثة معان : الرغبة ، والقربى ، والتوصل ، وعلى هذا أن نقول :

((هي قربة موصلة لأمر مرغوب فيه)). [٣]

---

(١) هذا التعريف ذكره الراغب (ص/٥٢٤) ؛ وهو أليق بأن يكون تعريفاً (للتوسل) من كونه تعريفاً للوسيلة ، ولو قال " ما يتوصل به إلى الشيء برغبة " ، لكان أجود ؛ لأنَّ الوسيلة فَعِيلَة بمعنى مفعولة .

(٢) ينظر المعنى اللغوي في : الصحاح (٥/١٨٤١) ، المفردات (ص/٥٢٤) ، لسان العرب (١٥/٣٠١) .

(٣) ينظر المفردات (ص/٥٢٣ـ٥٢٤) ، التعريفات (ص/٢٥٢) .

المطلب الثالث
الوسيلة شرعا

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [المائدة : ٣٥]

وقال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝ ﴾ [الإسراء:٥٧]

أقوال العلماء في معنى الوسيلة الشرعية متوافقة إلى حد كبير في المضمون والمعنى ، وإن اختلف في ألفاظها ، وهي كما يلي :

١. القربة .
٢. الطاعة والعمل بما يرضي الله .
٣. الحاجة .
٤. القرب من الله .
٥. الشفاعة .
٦. أعلى درجة في الجنة [١]. وقد ورد ذكرها في الحديث حيث قال ﷺ ((.... ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ....)) .[٢]

وكل هذه التفاسير ، عدا الأخير منها متواردة على معنى واحد وهو القربة ، وذلك لان طاعة الله تعالى ، والعمل بما يرضية قربة ، والقرب منه من آثار القربات ،

---

(١) ينظر لهذه المعاني في : النهاية (١٨٥/٥) ، المفردات (ص/٥٢٤) ، تفسير القرآن العظيم (٥٠/٢) ، أضواء البيان (٩٧/٢) .

(٢) رواه مسلم (٢٨٨/١) برقم (٣٨٤) .

والحاجة والافتقار إلى الله من أجل القربات ، وأعظمها، والشفاعة الحسنة من سبل الخير والقربات ، والحاصل أن جميع المعاني غير الأخير منها ، ترجع إلى معنى القربة إلى الله بكل أنواع القرب التي شرعها الله تبارك وتعالى ، واليكم أقوال العلماء التي تؤيد ما ذكرناه .

عرَّفها حبر الأمة **عبد الله بن عباس** ﷺ بقوله : ((الوسيلة .. أي القربة)).[١]

وعرَّفها **أبو وائل** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((... الوسيلة : قال القربة في الأعمال)).[٢]

وعرَّفها **عطاء** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((... الوسيلة : قال القربة)).[٣]

وعن **قتادة** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وابتغوا إليه الوسيلة : أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه)).[٤]

وعن **السدي** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وابتغوا إليه الوسيلة : قال : هي المسألة والقربة)).[٥]

وعن **مجاهد** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وابتغوا إليه الوسيلة : القربة إلى الله)).[٦]

وعن **الحسن البصري** ــ رحمه الله ــ : ((وابتغوا إليه الوسيلة : قال : القربة)).[٧]

وعن **عبد الرحمن بن زيد بن أسلم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وابتغوا إليه الوسيلة : قال : المحبة ، تحببوا إلى الله)).[٨]

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٥٣) .

(٢) جامع البيان (٦/٢٢٦) .

(٣) المصدر السابق (٦/٢٢٦) .

(٤) المصدر السابق (٦/٢٢٦) .

(٥) المصدر السابق (٦/٢٢٦) .

(٦) المصدر السابق (٦/٢٢٦) .

(٧) المصدر السابق (٦/٢٢٦) .

(٨) المصدر السابق (٦/٢٢٧) .

وعرَّفها الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله في تفسير قولــه تعــالى : ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ [المائدة : ٣٥] : «... واطلبوا القربة إليه بالعمل بمــا يرضيــه ، والوسيلة هي الفعيلة من قول القائل توسلت إلى فلان بكذا بمعنى : تقرّبت إليه ».[١]

وعرَّفها **البيضاوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وابتغوا إليه الوسيلة : أي مـا تتوسلون به إلى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي ».[٢]

عرفها الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والوسيلة القربى التي ينبغي أن يطلب بها » .[٣]

وعرفها **الراغب** ــ رحمه الله ــ بقوله : « وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى : مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة » .[٤]

وعرفها شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه ، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه : هي ما يتقرب بها إليه من

الواجبات ، والمستحبات ، فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها ، تتنــاول كل واجب ومستحب ، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك ، سواء كان محرم أو مكروهاً أو مباحاً ».[٥]

وعرَّفه الإمام **ابن كثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والوسيلة : هــي الــتي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود ، والوسيلة أيضاً عَلَمٌ على أعلى منــزلة في الجنة ، وهي منــزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة ، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش ».[٦]

---

(١) المصدر السابق (٦/٢٢٦) .

(٢) تفسير البيضاوي (٢/٣٢١) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٦/١٥٩) .

(٤) المفردات (ص/٥٢٤) .

(٥) قاعدة جليلة في التوسل (ص/٧٩) ــ تحقيق الشيخ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي .

(٦) تفسير القرآن العظيم (٢/٥٤) .

يقول الإمام **ابن كثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بعد أن نقل تفسير الوسيلة بالقربة عن جمع ؛ منهم ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وأبو وائل ، والحسن ، وقتادة ، وعبد الله بن كثير ، والسدي ، وابن زيد ، وغيرهم ، قال بعد ذلك : ((... وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه)).[١]

وعرَّفها **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الوسيلة : هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب إلى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي)).[٢]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((والوسيلة في الأصل : الواسطة التي يتوسل ويتقرب بها إلى الشيء ، وهي هنا الطاعة ..)).[٣]

وعرفها الشيخ **الشنقيطي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((التحقيق في معنى الوسيلة هو ما ذهب إليه عامة العلماء من أنها التقرب إلى الله تعالى بالإخلاص له في العبادة ، على وفق ما جاء به الرسول ﷺ ...)) .[٤]

وعرفها الشيخ **أحمد بن يحيى النجمي** بقوله : ((ومعنى الوسيلة في الشرع : القربة التي تكون سببا في الوصل إلى مرضاة الله وجنته ، وهي تكون بفعل أوامر الله واجتناب نواهيه)) .[٥]

وعرفها الشيخ **مبارك الميلي** [٦] ــ بقوله ــ : ((وإذا استعنا بالمعنى اللغوي لتحديد المعنى الشرعي ، كان معناها في الشرع : قربة مشروعة توصل إلى مرغوب فيه)) .[٧]

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٥٣) .

(٢) روح المعاني (٦/١٢٤) .

(٣) روح المعاني (١٥/١٢٦) .

(٤) أضواء البيان (٢/٩٨) .

(٥) أوضح الإشارة (ص/٢٧٤) .

(٦) هو الأستاذ المحقق مؤرخ الجزائر الشيخ مبارك الميلي ، أمين مال ((جمعية العلماء)) ، صاحب رسالة ((رسالة الشرك ومظاهره)) [انظر هذه الكلمات في مقدمة هذه الرسالة] .

(٧) الشرك ومظاهره (ص/٢٠٢) .

وهكذا نلاحظ التشابه والتقارب الشديد بين ما سبق من أقوال العلماء في بيان معنى الوسيلة ، ولعل التعريف الأخير هو المتميّز بقصره وشموله ، والله تعالى أعلم .

المطلب الرابع
التوسل شرعاً

كما سبق معنا أن التوسل من باب التفعل بمعنى الاتخاذ ، أي اتخاذ الوسيلة التي توصل إلى مرغوب فيه ، فهو توصل بشيء ، فمن توسل بطاعة الله وطاعة رسوله إلى مرغوب فقد اتخذ هذه الطاعة وسيلة إلى ذلك المرغوب ، وكما مر معنا أن الوسيلة هي قربة مشروعة توصل إلى مرغوب فيه ، وعلى ضوء هذا عرّفه العلماء :

فعرّفه الشيخ **محمد الحجي** ـــ حفظه الله تعالى ـــ بقوله : « التوسل : هو طلب القرب والوصول إلى المقصود ».[1]

وقيل : « هو التقرب إلى الله عز وجل بفعل الطاعات وترك المنكرات ».[2]

ويمكن أن نعرّفه بما يلي :-

« هو اتخاذ القُرَبِ الشرعية سواءً كانت بالقلب أو اللسان أو الجوارح ، لتحقيق أمر ديني أو دنيوي ».

ولا شك أنّ التقرب إلى الله تعالى بطاعة رسوله والإيمان به داخل في تعريف التوسّل الشرعي، كما أنّ دعاءه ﷺ لمن دعا له من القربات العظيمة، التي يتوسّل بها إلى الله تعالى ، ولذا أشار شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ إلى هذا المعنى بقوله : « ولفظ التوسل يراد به ثلاثة أمور ، يراد به أمران متفق عليها بين المسلمين :

أحدها : هو أصل الإيمان والإسلام ، وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته .

والثاني : دعاؤه وشفاعته ، وهذا أيضاً نافع يتوسل به من دعا له وشفع فيه باتفاق المسلمين ».[3]

---

[1] إلفات النظر (ص/٣٦) .

[2] جهود علماء الحنفية (١٤٤٧/٣) .

[3] الفتاوى (١٥٣/١) . قاعدة جليلة في التوسل ـــ تحقيق الشيخ الدكتور ربيع المدخلي (ص/٨١) .

المبحث الخامس
الدعاء

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الدعاء لغةً .

المطلب الثاني : الدعاء شرعاً .

المطلب الثالث : معنى دعاء العبادة .

المطلب الرابع : معنى دعاء المسألة .

المطلب الخامس : معنى دعاء الثناء .

المطلب السادس : العلاقة بين هذه الأنواع الثلاثة .

المطلب الأول
الدعاء لغة

أصل الكلمة : الدعاء مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (دَعَوَ).[1]

تصريفها : الدُّعَاء على وزن (فُعَال) ، وهو مصدر سماعي للفعل دعا يدعو ، من باب نصر ، أُبدلت فيه الواو همزة، وأصه (دعاو)، فتطرّفت الواو بعد ألف ساكنة فقلبت همزة ، وهكذا شأنها ، ومن المصادر دَعْوٌ ودِعَايَة ودِعَاوَة.[2]

معناها في اللغة:- لكلمة الدعاء عدة معانٍ في لغة العرب أذكر منها الآتي:-

١. الطلب والسؤال ، يقال : دعا له ، طلب له الخير .
٢. النداء والصياح ، يقال : دعا بفلان ، ناداه وصاح به .
٣. الاستغاثة، كقول الرجل ، إذا لقيت العدو خالياً فادْعُ المسلمين ، أي استغث بهم .
٤. الحث على الشيء والحض عليه والسوق إليه ، دعا إلى الشيء ، أي رغَّب فيه .

هذه أهم المعاني في اللغة العربية لكلمة الدعاء . والمتأمل فيها يجد أن غالبها يرجع إلى معنىً واحد ومفهوم مشترك وهو أن تلفظ بكلام ترجو بعده استجابة ممن قصدتَه به ؛ ولذلك يقول ابن فارس — رحمه الله تعالى — في معناه: ((وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك)).[3]

---

(١) معجم مقاييس اللغة: (٢/٢٧٩ــ٢٨٠)

(٢) تصريف الأسماء (ص/٥٦) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٠٠) . المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٤١) .

(٣) ينظر معنى الكلمة في : الصحاح (٦/٢٣٣٦ــ٢٣٣٨) ، لسان العرب (٤/٣٥٩ــ٣٦٣) ، معجم مقاييس اللغة : (٢/٢٧٩ــ٢٨٠) . معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٠٠ــ١٠١) .

المطلب الثاني
الدعاء شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأحقاف:٥] .

وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف:٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

وقال تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة:١٦] .

عرَّفه الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « فيكون معنى الدعاء مسألة العبد ربه ما وعد أولياءه على طاعتهم بعملهم بطاعته ».[1]

وعرَّفه الإمام **الخطابي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « ومعنى الدعاء : استدعاء العبد ربه العناية، واستمداده إيّاه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة ».[2]

---

(١) جامع البيان (٢/١٦٠) .

(٢) شأن الدعاء (ص/٤) .

وقد جمع **الخطابي** بين تلفظ الداعي بالسؤال ، وبين الحالة القلبية التي يجب أن يكون عليها الداعي .[1]

وعرَّفه الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((وهو الطلب بياء النداء ، لأنه ينادى به القريب والبعيد ، وقد يستعمل في الاستغاثة أو بأحد أخواتها)).[2]

وقصد الشيخ بالطلب ـــ أي يا الله ـــ لأن الدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحوُ يافلان بخلاف النداء فإنه يقال[بيا أو أيا] ونحو ذلك من غير أن يُضمَّ إليه الاسم.[3]

ويلاحظ أن الإمام محمد بن عبد الوهاب ـــ رحمه الله تعالى ـــ لم يتعرض للحالة القلبية للداعي بل اكتفى بما يلفظ ويقال .

وعرَّفه الشيخ **حسين بن مهدي النعمي** [4] ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((فالمعنى الذي هو راجع وضعاً لا قصداً إلى القوي القادر، بحيث لا يصلح إلا له، ولا يتحصل إلا به أو عنه ، اسم طلبه والتماسه ، واللفظ الذي يكون له هو الدعاء وضعاً وشرعاً ، والدعاء في لسان أنبياء الله ورسله وكتابه ـــ اسم لطلب ذلك المعنى)).[5]

---

(١) وفي ذلك ردٌ على بعض المتصوفة ؛ حيث يرون أن معرفة الله بحال العبد تغني عن سؤاله وطلبه . وهم في ذلك المقولة المشهورة [علمه بحالي يغني عن سؤالي] وجهلوا أن ذلك من أعظم العبادات والمحبوبات لله تعالى .

(٢) الرسائل الشخصية من مؤلفاته (ص/٤) .

(٣) المفردات (ص/١٦٩ـــ١٧٠) .

(٤) هو حسين بن مهدي بن عزّ الدين بن علي بن الحسين النعمي من أعلام القرن الثاني عشر ، تتلمذ على محمد بن إسماعيل الصنعاني ، وبرع في علوم عدة ، من تصانيفه ((معارج الألباب في مناهج الحق والصواب)) ، ولد سنة ١١٣٩ هـ بصبيا . وتوفي بصنعاء سنة ١١٨٧هـ . انظر : نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف لمحمد بن محمد بن يحيى . مركز الدراسات والبحوث اليمني ، طبعة دار العودة ، بيروت .

(٥) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (ص/١٩٦ـــ ٢١٨) .

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : « إن الدعاء عند المتشرعة والإسلاميين طبع وهيئة لازمة طلب العاجز للقادر وسؤاله منه ».[1]

ويظهر مما سبق من تعاريف أن الدعاء الشرعي هو:-

التوجه إلى الله تعالى وقصده والرغبة إليه بالسؤال في فعل خير أو دفع شر وإظهار الافتقار والخضوع والتذلل إليه يصاحب كل ذلك الحب والرجاء والخوف والطمع .

والناظر في أدلة الشرع المتعلقة بشأن الدعاء ــ بعين التأمُّل ، يجد أنّ الدعاء الشرعي يتنوّع إلى أقسام ثلاثة ؛ دعاء العبادة ، ودعاء المسألة ، ودعاء الثناء ، يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله ــ : « ومن الاعتداء أن تعبده بما لم يشرعه ، وتثني عليه بما لم يثن به على نفسه ، ولا أذن فيه فإن هذا اعتداء في دعاء الثناء والعبادة وهو نظير الاعتداء في دعاء المسألة والطلب ».[2] ، وفيما يلي نتناول هذه الأنواع ، واحداً واحد ، مستعرضين كلام أهل العلم في بيانه .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) بدائع الفوائد (٣/٥٢٤).

المطلب الثالث
دعاء العبادة

وهو طلب العبد من ربه ، بامتثال أمره واجتناب نهيه.

وعرَّفه شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((... ويراد بالعابد ـــ أي في دعاء العبادة ـــ من يطلب ذلك بامتثال الأمر ، وإن لم يكن في ذلك صيغ سؤال . والعابد الذي يريد وجه الله والنظر إليه هو أيضاً راجٍ خائف راغب راهب)).[١]

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً : ((فدعاء العبادة : يكون الله هو المراد به ، فيكون الله هو المراد)).[٢]

وعرفه الشيخ **السعدي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والعابد يطلب من ربه القبول والثواب ، ومغفرة ذنوبه بلسان الحال)).[٣]

والحاصل أن من عبد الله بأي عبادة كانت ـــ ابتغاء وجه الله ـــ وعظّم الله وأثنى عليه فقد تلبس بدعاء العبادة ، وعلى ذلك فمصطلح دعاء العبادة ومصطلح العبادة شيء واحد فهما اسمان لمعنىً واحد.[٤]

---

(١) الفتاوى (١٠/٢٤٠) .

(٢) النبوات (ص/١٣٦) .

(٣) القواعد الحسان (ص/١٢٧) .

(٤) ينظر : جهود علماء الحنفية (٣/ ١٣٩٨) .

المطلب الرابع
دعاء المسألة

عرَّفه شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه ».[1] وهذا بعينه ذكره ابن القيم.[2]

وقال شيخ الإسلام ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : « فإنه يراد بالسائل ــ أي في دعاء المسألة ــ الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ».[3] وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : « ودعاء المسألة يكون المراد منه ».[4] أي من الله تعالى .

ويقول الشيخ **محمود شكري الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ : « وهو طلب العبد من ربه بالصيغة القولية ».[5]

وعرَّفه الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وذلك لأن الداعي دعاء المسألة يطلب سؤله بلسان المقال ».[6]

والمقصود أن يقول العبد، يا الله أعطني كذا من الخير، واصرف عني كذا من الشر، ويطلب من الله المعونة في أمور دينه ودنياه .

---

(١) الفتاوى (١٥/١٠) .

(٢) ينظر بدائع الفوائد (٣/٥١٣) .

(٣) الفتاوى (١٠/٢٤٠) .

(٤) النبوات (ص/١٣٦) .

(٥) غاية الأماني (٢/٣٣٢،٣٣٥،٣٣٧) .

(٦) القواعد الحسان (ص/١٢٧) .

المطلب الرابع
دعاء الثناء

وهو أن يعظّم العبد ربه، ويحمده، ويمجّده، وينــزهه، ويثني عليه الخير كله ؛ ابتغاء جلب المنفعة، ودفع المضرة وكشفها في الدنيا والآخرة .

يقول الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله ـــ : ((إن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه ، متضمن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه وأوصافه ، فهو ذكر وزيادة، كما أن الذكر سمي دعاء لتضمنه الطلب، كما قال النبي ﷺ : ((أفضل الدعاء : الحمد لله)) [١] ، فسمى الحمد لله دعاء وهو ثناء محض ؛ لأن الحمد يتضمن الحب والثناء ، والحب أعلى أنواع الطلب للمحبوب ، فالحامد طالب لمحبوبه ، فهو أحق أن يسمى داعياً من السائل الطالب من ربه حاجة ما)).[٢]

---

(١) رواه ابن حبان (٣/١٢٦) برقم (٨٤٦) .

(٢) بدائع الفوائد (٣/٥٢١) .

المطلب الخامس
العلاقة بين دعاء العبادة والثناء والمسألة

هذه الأنواع الثلاثة من أنواع الدعاء كلها متداخلة، والعلاقة بينها علاقة تضمن والتزام، وعموم وخصوص فكل دعاء عبادة وثناء يستلزم دعاء المسألة ويشمله ، وكل دعاء مسألة يتضمن دعاء العبادة والثناء ويدخل فيهما [١].

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((... فهو يدعى للنفع والضر دعاء المسألة ، ويدعى خوفاً ورجآءً دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة...)).[٢]

ويقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول، وكل عابد له فهو أيضاً راغب وراهب، يرجو رحمته ويخاف عذابه ، فكل عابد سائل ، وكل سائل عابد . فأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه... ولا يتصور أن يخلو داعٍ لله ــ دعاء عبادة أو دعاء مسألة ــ من الرغب والرهب ومن الخوف والطمع)).[٣]

وكما أنه تبين لنا مما سبق أن مصطلح العبادة يرادف مصطلح دعاء العبادة، والعبادة أمر كلي شامل لعدد من الجزئيات ، ومنها دعاء المسألة ، فدعاء العبادة بهذا الاعتبار أعم وأشمل من دعاء المسألة ، ودعاء المسألة أخص . [٤]

---

(١) كما أنه يمكن اعتبار دعاء العبادة متضمناً وشاملاً لدعاء المسألة باعتبار لسان الحال ، فالذي يعبد الله تبارك وتعالى هو سائل له بلسان الحال أن يُثيبه ويرحمه .

(٢) بدائع الفوائد (٣/٥١٣-٥١٤) .

(٣) الفتاوى (١٠/٢٣٩،٢٤٠) .

(٤) أُنظر جهود علماء الحنفية (٣/١٣٩٩ــ١٤٠٠) .

المبحث السادس
الذكر

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الذكر لغةً .

المطلب الثاني : الذكر شرعاً .

المطلب الأول
الذكر لغةً

أصل الكلمة : الذكر مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ وهو (ذَكَرَ) .[1]

تصريفها : الذِّكْرُ على وزن (فِعْل) ، وهو مصدر سماعي للفعل الثلاثي (ذَكَرَ) ومضارعه (يَذْكُرُ) ، من باب (نَصَرَ يَنْصُرُ) ، كما سُمع من مصادره (ذُكْر) ، وهو مصدر غير قياسي للفعل ذَكَرَ المتعدي .[2]

معناها لغة : من معاني مادة ذكر اللغوية :-

١. الحِفْظُ للشيء تذكره ، أو نقيض النسيان ، يقال : ذَكَرَ الشيءَ وتَذَكَّرَهُ ، إذا حفظه فلم ينْسَهُ ، ومن ذلك الذِّكر والذِّكرى ، وقيل : هو هيئة للنفس بها يمكن الإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة .

٢. والتذكير خلاف التأنيث ، والذَّكَرُ خلاف الأُنثى .

٣. الصيتُ والثناء ، يقال : لفلانٍ ذِكْرٌ أي ثناءٌ حسنٌ بين الناس وشرف .

٤. جري الشيء على اللسان ، يقال : له الذِّكْرُ .[3]

والمعنى الأخير هو أقربها إلى المعنى الشرعي كما سيأتي ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٣٥٨) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٢٥) .

(٣) ينظر المعنى في : الصحاح (٢/٦٦٤ـ٦٦٥) ، لسان العرب (٥/٤٨-٥٠) ، المفردات (ص/١٧٩) .

المطلب الثاني
الذِّكر شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل:٨]

وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الكهف:٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [البقرة:٢٠٠] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٣٩] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء:١٠٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٤] .

لفظة الذِّكْرِ وردت في الشرع بمعانٍ عديدة ، قريبة من العشرين معناً [١] ؛ منها القرآن ، ومنها التوراة ، واللوح المحفوظ والرسول ، والعلم ، وغير ذلك من المعاني ، وما يتعلق بموضوعنا هو ذِكْرُ الله تعالى ، ومنه ذِكْرٌ عامٌ ، وذِكْرٌ خاصٌ ، وفيما يلي أقوال العلماء التي تبين حقيقة ذِكْرِ الله تعالى :

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٣/١٣ـ١٤) .

عرَّفه الإمام **الراغب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وتارة يقال : لحضور الشيء في القلب أو القول ، ولذلك قيل الذِّكْر ذِكْران : ذِكْرٌ بالقلب ، وذِكْرٌ باللسان ، وكل واحدٍ منهما ضربان ، ذِكْرٌ عن نسيان ، وذِكْرٌ لا عن نسيان ، بل عن إدامة الحفظ)).[١]

وعرَّفه الإمام **الهروي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان)).[٢] وهذا التخلص من آثار ذكر الله تعالى .

وعرَّفه الإمام **ابن الأثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((ويراد به تمجيد الله تعالى ، وتقديسه ، وتسبيحه وتهليله ، والثناء عليه بجميع محامده)).[٣]

وقيل : ((الذِّكر : الثناء على الله تعالى وترداد اسمه على سبيل العبادة)).[٤]

وعرَّفه الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((..كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرّب إلى الله من تعلم علم وتعليمه ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله)).[٥]

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فذكره : جميع أنواع طاعته فكل من كان في طاعته فهو ذاكر له وإن لم يتحرك لسانه بالذكر)).[٦] ، وهذا تفسير منه ــ رحمه الله تعالى ــ للذكر بالمعنى العام .

وقد فَصَّل الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ هذا الإجمال في موضع آخر ، فقال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وهو أنواع :-

ذِكْرُهُ بأسمائِهِ وصفاتِهِ والثناءُ عليهِ بِهَا .

الثاني : تسبيحهُ ، وتحميدهُ ، وتكبيرهُ ، وتهليلهُ ، وتمجيدهُ ، والغالبُ من استعمالِ

---

(١) المفردات (ص/١٧٩) .

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٣٤) .

(٣) النهاية في غريب الحديث (٢/١٦٣) .

(٤) معجم لغة الفقهاء (ص/٢١٤) .

(٥) الفتاوى (١٠/٦٦١) .

(٦) إغاثة اللهفان (١/٤٠) .

لفظِ الذِّكْر عند المتأخرين هذا .

الثالث : ذِكْرُهُ بأحكامه ، وأوامره ، ونواهيه ، وهو ذِكْرُ العَالِم ، بل الأنواع الثلاثة هي ذكرهم لربهم .

ومن افضل ذكره ذكره بكلامه .(١)

ومن ذِكْرِهِ سبحانه : دعاؤهُ ، واستغفارهُ ، والتضرعُ إليه ، فهذه خمسة أنواع من الذكر)).(٢)

وعرَّفه الشيخ **السعدي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الذكر لله .. يطلق على جميع الطاعات الظاهرة والباطنة ، القولية والفعلية ؛ فكل ما تصوره القلب ، أو أراده ، أو فعله العبد ، أو تكلَّم به مما يقرّب إلى الله فهو ذكر الله ،.. ويطلق على ذكر الله باللسان ؛ بذكر أوصافه وأفعاله ، والثناء عليه بنعمه ، وتسبيحه وتكبيره وتحميده ، والتهليل ، والصلاة على النبي ﷺ ..)).(٣)

---

(١) أي بقراءة القرآن الكريم ، ولعلّ هذا هو النوع الرابع من أنواع الذكر ، التي عدَّدها الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ .

(٢) جلاء الأفهام (ص/٤٥١) ، وقد ذكر ـــ رحمه الله تعالى ـــ هذه الأنواع ـــ مع اختلاف يسير ـــ في كتابه : الوابل الصيِّب ، ولما فيها من الفائدة فإليكها مختصرة . قال الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ :((الذكر نوعان :-

(أحدهما) ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته والثناء عليه بهما ، وتنـزيهه عما لا يليق به تبارك وتعالى وهذا أيضاً نوعان :- [أحدهما] إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر ، نحو سبحان الله والحمد لله والله أكبر .

[الثاني] الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته ، نحو قولك : عزّ وجلّ يسمع أصوات عباده ويرى حركاتهم ، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمّهاتهم ، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته .

وهذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع :- حمدٌ وثناءٌ و [مجد] ؛ فالحمد لله الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى مع محبته والرضاء به ، فإن كرر المحامد شيئاً بعد الشيء كانت ثناءً ، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان ممجّداً .

(النوع الثاني من الذكر) ، ذكر أمره ونهيه وأحكامه وهو أيضاً نوعان :-

[أحدهما] ذكره بذلك إخباراً عنه ؛ أمر بكذا ونهى عن كذا ، وأوجب كذا ، وسخط كذا ورضي كذا .

[الثاني] ذكره عند أمره فيبادر إليه ، وعن نهيه فيهرب منه .

ومن ذكره سبحانه وتعالى ؛ ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه ، وأياديه ومواقع فضله على عبيده ، فهذه خمسة أنواع وهي تكون بالقلب واللسان تارة ، وذلك أفضل الذكر ، وبالقلب وحده تارة ، وهي الدرجة الثانية ، وباللسان وحده تارة ، وهي الدرجة الثالثة)).[الوابل الصيّب (ص/١١٨ـــ١٢٠)]

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي (تفسير/٨/٤٩١) ، وراجع : (تفسير/٥/٦١٩) ، والمجموعة الكاملة (ثقافة/٥/١/٥٣٢) .

وعرَّفه الشيخ **محمد رشيد رضا** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فالذكر يطلق في الأصل على إخطار معنى الشيء ، أو خطوره في الذهن ، ويسمى ذكر القلب ، وعلى النطق باللفظ الدال عليه ، ويسمى ذكر اللسان)).[١]

هذا ما وقفت عليه من أقوال العلماء ، في بيان معنى ذِكْرِ الله تعالى .

أما مصطلح التذكر ، فهو من المصطلحات القلبية التي لا تتعلّق باللسان ، وفيما يلي أقوال العلماء في بيانه :-

عرَّفه الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والتذكر : تفعُّل من الذكر وهو ضدّ النسيان وهو حضور صورة المذكور العلمية في القلب ، واختير له بناء التفعُّل لحصوله بعد مهلة وتدرج ، كالتبصُّر والتفهّم...)).[٢]

وقال الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((التذكر : مقدمة المعرفة ، ومنه يُدخل إلى مقام الإيمان والإحسان...)).[٣]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((فالتذكر : يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه ليرسخ فيه ويثبت ولا ينمحي فيذهب أثره من القلب جملة)).[٤] وهذا من ثمرات التذكر .

وعرَّفه الإمام **محمد رشيد رضا** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وأما التذكر فمعناه تكلف ذكر الشيء في القلب أو التدرج فيه بفعله المرة بعد المرة)).[٥]

هذا ما تيسَّر ذكره ، والله تعالى أعلم .

---

(١) تفسير المنار (١٩٣/٨) .

(٢) مدارج السالكين (٤٤١/١) .

(٣) مدارج السالكين (٨٩/٣) .

(٤) مفتاح دار السعادة (١٨٣/١) .

(٥) تفسير المنار (١٩٣/٨) .

المبحث السابع
الرقية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الرقية لغةً .

المطلب الثاني : الرقية شرعاً .

المطلب الأول
الرقية لغةً

أصل الكلمة : الرُّقْيَةُ مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو (رَقَى).(١)

تصريفها : الرُّقْيَةُ على وزن (فُعْلَة) ، وهي اسم من الفعل الثلاثي الناقص (رَقَى يَرْقِي) ، معتل اللام ، كـ (رَمَى يَرْمِي) ، قلبت الياء ألفاً لوقوعها متحرّكة بعد فتحة ، والمصدر القياسي (رَقْيٌ) ، واسم الفاعل (رَاقٍ) ، والجمع (رُقَى) على وزن (فُعَل).(٢)

معناها لغةً : معاني مادة رقى اللغوية :-

١. الرُّقِيّ : الصعود، يقال : رَقِيَ يَرْقَى رُقِيٌّ، وارتقى يرتقي وترقّى : إذا صعد وارتفع . والمرقاة : الدرجة ، واحدة مراقي الدَّرَج .
٢. الرُّقْيَةُ : العُوَذَةُ .(٣)

هذه أهم معاني مادة رقى ، والمعنى الثاني هو الألصق بالمعنى الشرعي ، كما أن هناك مناسبة بين المعنى الشرعي ، والمعنى اللغوي الأول ، إذ أن قراءة الراقي كأنها تصعد وترتفع من صدره إلى فَمِهِ ، ثم يتبعها بالنفث .

يقول ابن فارس ــ رحمه الله تعالى ــ : « الراء والقاف والحرف المعتل أصول ثلاثة متباينة : أحدها : الصعود، والآخر عُوَذَةٌ يتعوَّذ بها ، والثالث بقعة من الأرض ».(٤) ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٢٦) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٦١) .

(٣) ينظر لهذه المعاني وغيرها في : الصحاح (٦/٢٣٦١) ، لسان العرب (٥/٢٩٣) .

(٤) مقاييس اللغة (٢/٤٢٦) .

المطلب الثاني
الرُّقيَة شرعاً

ذكر الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه « باب استحباب رقية المريض » وروى تحته حديث عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى منا إنسانٌ مسحه بيمينه ، ثم قال : أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً ، فلما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع ، فانتزع يده من يدي ثم قال : اللهم اغفر لي واجعلني مع الرفيق الأعلى . قالت فذهبت أنظر فإذا هو قد قضى » .(١)

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال : كنا نرقي في الجاهلية فقلنا : يا رسول الله كيف ترى في ذلك ، فقال : « اعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك » .(٢)

وعن أبي سعيد الخدري : « أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في سفر فمروا بحي من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فقالوا لهم : راق فإن سيد الحي لديغ أو مصاب ، فقال رجل منهم نعم فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ الرجل فأعطي قطيعا من غنم ... فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال يا رسول الله : والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب . فتبسم وقال : وما أدراك أنها رقية ، ثم قال خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم » .(٣)

---

(١) صحيح مسلم (١٧٢١/٤) برقم (٢١٩١) .

(٢) مسلم (١٧٢٧/٤) برقم (٢٢٠٠) .

(٣) صحيح البخاري (٧٩٥/٢) برقم (٢١٥٦) ، مسلم (١٧٢٧/٤) برقم (٢٢٠١) .

عرَّفها الإمام **ابن الأثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والرُّقْيَةُ : العُوَذَةُ التي يرقى بها صاحب الآفة ؛ كالحمى ، والصرع ، وغير ذلك من الآفات)).[1]

وعرَّفها **الطيبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((... ما يُرْقَى به من الدعاء لطلب الشفاء)).[2]

وعرَّفها الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((واسترقى : طلب الرقية .. وهو بمعنى التعويذ بالذال المعجمة)).[3]

وعرَّفها **الزرقاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((.. الرُّقْيَةُ : وهي العوذة بضم العين ما يرقى به من الدعاء لطلب الشفاء)).[4]

وعرَّفها **المناوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((رقية : وهي العُوَذَة التي يرقي بها صاحب الآفة)).[5]

وعرَّفها الإمام **الشوكاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والرُّقْيَةُ : كلام يستشفى به من كل عارض)).[6]

وعرَّفه الإمام **محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والرُّقَى : هي التي تسمَّى العزائم)).[7]

وعرَّفها **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وهي ما يستشفي به الملسوع ، والمريض من الكلام المعد لذلك ، ومنه آيات الشِّفاء)).[8]

---

(١) النهاية (٢/٢٥٤) .

(٢) فيض القدير (١/٤٩٠) .

(٣) فتح الباري (١٠/١٩٥) .

(٤) شرح الزرقاني (٤/٤١١) .

(٥) فيض القدير (٢/٥٥) .

(٦) نيل الأوطار (٦/٣٠) . وقال ــ رحمه الله تعالى ــ في الرُّقَى الباطلة : ((والرقى الباطلة المذمومة هي التي كلامها كفر ، أو التي لا يعرف معناها كالطلاسم المجهولة المعنى)) [النيل (٦/٣٢)] .

(٧) كتاب التوحيد مع شرحه القول المفيد ــ العثيمين (١/١٨٣) .

(٨) روح المعاني (٢٩/١٤٦) .

وعرَّفها الشيخ **عبد الحق الدهلوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الرُّقَى جمع رُقْيَـة : وهي العُوَذَة .. وقيل : ما يقرأ من الدعاء لطلب الشِّفَاء)).(١)

وعرَّفها الشيخ **المباركفوري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((وهي ما يقرأ لطلـب الشِّفاء ، والاسترقاء طلب الرقية)).(٢)

وقيل : ((الرُّقْيَةُ بضم الراء وسكون القاف .. العُوَذَة يتلفظ بها للمريـض ، فـإذا كتبت وعُلِّقَت عليه فهي تميمة)).(٣)

وعرَّفها الشيخ **الحجي** ـــ حفظه الله تعالى ـــ بقوله : ((الرُّقَى جمع رُقْيَة : وهـي القراءة والإعاذة على المريض ، وتسمّى العزائم ، وهي ما يعزم بها على المريض ونحوه ممـا يصاب به الإنسان ؛ من لدغ ذوات السموم ، وإصابة العائن غيره بعينه)).(٤)

ولعلَّ هذا التعريف الأخير هو أفضلها ؛ إذ أن الرُّقْيَة الشرعية تتضمّن القراءة والنَّفْثَ على المريض . والله أعلم .

---

(١) عون المعبود (١٠/٢٦٤) .

(٢) تحفة الأحوذي (٦/٣٠٠) .

(٣) معجم لغة الفقهاء (ص/٢٢٦) .

(٤) إلفات النظر (ص/٣٢١) .

المبحث الثامن
النذر

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : النذر لغةً .

المطلب الثاني : النذر شرعاً .

المطلب الأول
النذر لغةً

أصل الكلمة : النذر مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ وهو (نَذَرَ).[١]

تصريفها : النَّذْرُ على وزن (فَعْل) ، وهو مصدر قياسي للفعل (نَذَرَ) ، ومضارعه يَنْذُرُ أو يَنذِرُ من باب (نصر وضرب) ، والجمع نُذُور.[٢]

معناها لغة : من معاني مادة نذر : -

النَّحْبُ ، يقال نذر فلان على نفسه نذر ، أي جعل على نفسه نَحْباً واجباً .

التحذير والتخويف والإعلام بالأمر، يقال أنذره يُنْذِرُه إنذاراً ، إذا خَّوفه وحذّره ، وتناذر القوم ، أي خوَّف بعضهم بعضاً .[٣]

والمعنى الأول ألصق بالمعنى الشرعي ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

---

(١) مقاييس اللغة (٥/٤١٤) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٢، ١٤٨) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/٣٧٤) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٢٥، ١٤٤) .

(٣) ينظر معناها في : الصحاح (٢/٨٢٥-٨٢٦)، لسان العرب (١٤/١٠٠-١٠٢) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/٣٧٤).

المطلب الثاني
النذر شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٠] .

قال تعالى : ﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم:٢٦] .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحج:٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾ ﴾ [الإنسان:٧] .

للنَّذر في الشرع إطلاقان ، أحدهما خاص ، والآخر عام :

فالخاص : هو ما ألزم به المكلف نفسه ، من طاعة غير لازمة في الأصل ، وسيأتي كلام أهل العلم فيه .

وأما العام : فهو الذي امتدح الله تعالى أصحابه في قوله ﷻ ﴿ يوفون بالنذر ﴾ [الإنسان : ٧] ، وهو القيام بجميع العبادات الواجبة .

قال **قتادة** ــ رحمه الله تعالى ــ في الآية : ((بما فرض الله عليهم ؛ من الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج والعمرة ، وغيره من الواجبات)).[١]

قال الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((...وهذا يقوي قول قتادة ، وأن النذر يندرج فيه ما التزمه المرء بإيمانه من امتثال أمر الله ؛ قاله القشيري)).[٢]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢٧/١٩) .

(٢) المصدر السابق (١٢٨/١٩) .

قال الشيخ **العثيمين** ــ حفظه الله تعالى ــ : ((واعلم أن النذر الذي امتدح الله هؤلاء القائمين به ، هو جميع العبادات التي فرضها الله ﷻ ، فإن العبادات الواجبة إذا شرع فيها الإنسان فقد التزم بها ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق﴾[الحج : ٢٩])).(١)

كلام العلماء في النذر الخاص (٢) :-

عرَّفه الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((يعني بالنذر ما أوجبه المرء على نفسه تبرُّراً في طاعة الله ، وتقرُّباً به إليه من صدقة أو عمل خير)).(٣)

وعرَّفه الإمام **الراغب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((النذر : أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمرٍ)).(٤)

وعرَّفه الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والنذر حقيقة العبارة عنه أن تقول : هو ما أوجبه المكلّف على نفسه من العبادات ، مما لو لم يوجبه لم يلزمه)).(٥)

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((والنذر : حقيقته ما أوجبه المكلّف على نفسه من شيء يفعله . وإن شئت قلت في حدِّه ، النذر : هو إيجاب المكلّف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه)).(٦)

وعرَّفه الإمام **النووي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وهو أن يلتزمَ قربةً في مقابلةِ حدوث نعمةٍ أو اندفاع بليّةٍ)).(٧)

---

(١) شرح ثلاثة الأصول ــ العثيمين (ص/٦٣) .

(٢) وهذا النذر الخاص إذا التزم المسلم به فأوجب على نفسه عبادة ما هكذا مطلقاً بدون قيد أو شرط ، فهذا النوع من النذر إنشاؤه مستحب والوفاء به واجب ، وأما إذا نذر نذراً مشروطاً بتحقيق أمر دنيوي مثلاً كإشفاء مريض ، أو حصول خير ، أو اندفاع شر ، فهذا النذر إنشاؤه مكروه ، والوفاء به واجب ، وهو المقصود في حديث النبي ﷺ : ((النذر لا يأتي بخير ، وإنما يستخرج به من البخيل)) [الحديث رواه مسلم (١٢٦١/٣) برقم (١٦٣٩) .

(٣) جامع البيان (٩١/٣) .

(٤) المفردات (ص/٤٨٧) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٣٣٢/٣) .

(٦) المصدر السابق (١٢٧/١٩) .

(٧) روضة الطالبين (ص/٢٩٣ــ٢٩٤) ؛ المغني (٦٢٢/١٣) .

وعرَّفه الإمام **الجرجاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((النذر : إيجاب عين الفعل المباح على نفسه تعظيماً لله تعالى)).[١]

وعرَّفه الإمام **المناوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((النذر : إبرامُ العِدةِ بخيرٍ مسْتَقْبل فعله ، أو يُرْتَقَبُ له ما يُلتزمُ به ، وهو أدنى الإنفاق ؛ سيّما إذا كان على وجه الاشتراط)).[٢]

وقيل : ((النذر : التزام مسلم مكلّفٍ قربةً باللفظ منجزاً ، أو معلّقاً ، ومجازاة بما يقصد حصوله من غير واجب الأداء)).[٣]

وعرَّفه الشيخ **سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((ومعناه شرعاً : إلزام مكلفٍ مختارٍ نفسهَ عبادةَ لله تعالى غير لازمة له بأصل الشرع)).[٤]

---

(١) التعريفات (ص/٣٠٨) ، إن أراد بالمباح القربة التي ليست بواجبة ولا لازمة فصحيح ، وإن أراد المباح الذي هو قسيم الواجب والمندوب ففيه نظر ، من جهة كون النذر إنما يكون مشروعاً فيما هو قربة لله تعالى ، لا فيما هو مباح لقوله ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنه في قصة الرجل الذي نذر أن يقوم ولا يقعد ، ولا يستظل ، ولا يتكلم ، ويصوم . فقال النبي عليه السلام :((مُرْهُ فليتكلم ، وليستظل ، وليقعد ، وليتمَّ صومه)).[البخاري ٣١/٦٧٠٤/١٤٠٨] ، [قال الإمام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ:((فإذا كان النذر الذي يجب الوفاء به ، لا يجب أن يوفى به إلا ما كان طاعة باتفاق الأئمة ، فلا يجب أن يوفى منه بمباح ، كما لا يجب أن يوفى منه بمحرم ، باتفاق العلماء)). الفتاوى (٥١/٣١)] . ولا يشكل عليه قوله ﷺ للمرأة التي قالت : يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدُّف . قال : ((أوفي بنذرك)) . [أبو داود (٣٣١٢)] ، قال الإمام أبو سليمان الخطابي ــ رحمه الله تعالى ــ :((ضرب الدُّف ليس مما يعدُّ في باب الطاعات التي يتعلّق بها النذور ، وأحسن حاله أن يكون من باب المباح ، غير أنه لما اتصل بإظهار الفرح بسلامة مقدم رسول الله ﷺ حين قدم من بعض غزواته ، وكانت فيه مساءةُ الكفار ، وإرغام المنافقين ، صار فعله كبعض القرب)).[ينظر : معالم السنن بهامش سنن أبي داود (٦٠٦/٣ــ٦٠٧) ، شرح السنة (٢٥/١٠) .

(٢) التوقيف (ص/٦٩٤ــ٦٩٥) .

(٣) التوقيف على مهمّات التعاريف (ص/٦٩٥) ، وقال الشيخ الشنقيطي ــ رحمه الله تعالى ــ :((إن اشتراط الإسلام في النذر فيه نظر ، لأن ما نذره الكافر من فعل الطاعات قد ينعقد نذره له بدليل أنه يفعله إذا أسلم بعد ذلك ، ولو كان لغواً غير منعقد ، لما كان له أثرٌ بعد الإسلام)).[أضواء البيان (٦٨٠/٥)] .

(٤) التوضيح عن توحيد الخلاّق (ص/٢٨٠) .

وعرَّفه الشيخ **محمد رشيد رضا** ــ رحمه الله ــ بقوله : « إنه التزام فعـل الشـيء بلفظ يدل عليه...وينبغي أن يكون في طاعة ؛ لأنه لا يتقرّب إليه تعالى إلا بالطاعة ».[١]

وعرَّفه الإمام **الشنقيطي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وهو في اصطلاح الشـرع : التزام مكلف قربة لم تكن واجبة عليه ».[٢]

وعرَّفه الشيخ **ابن عثيمين** ــ حفظه الله تعالى ــ بقوله : « إلزام المكلف نفسـه لله شيئاً غير واجب ».[٣]

وقيل : « النذر : إيجاب الفعل المشروع على النفس بـالقول ؛ تعظيمـاً لله تعالى ».[٤]

هذا بعض ما تيَّسر الوقوف عليه من أقوال أئمة الهدى ، وأقوالهم لا تكاد تُحْصَـر ؛ لكثرة ما يتعلَّق بالنذر من أمور عقدية وفقهية ، والله تعالى أعلم .

---

(١) تفسير المنار (٣/٧٨) .

(٢) أضواء البيان (٥/٦٧٩) .

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٢٣٦) .

(٤) معجم لغة الفقهاء (ص/٤٧٧) .

الفصل الثالث

المصطلحات المتعلقة بالعبادات العملية

ويشتمل على أربعة مباحث :-

المبحث الأول : الإيثار .

المبحث الثاني : الزيارة .

المبحث الثالث : السجود .

المبحث الرابع : المجاهدة .

المبحث الأول
الإيثار

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الإيثار لغةً .

المطلب الثاني : الإيثار شرعاً .

المطلب الأول
الإيثار لغة

أصل الكلمة : الإيثار مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو (أَثَرَ).[١]

تصريفها : الإيثَار على وزن (إِفْعَال) ، وهو مصدر قياسي للفعل الرباعي (أَأْثَـــرَ) ، على وزن (أَفْعَلَ) من أَثَرَ مهموز الفاء ، يقال : (آثَرَ يؤثِرُ إيثاراً) ، وإيثار أصلها إِئْثَـــار على وزن (إِفْعَال) ، فالتقت همزتان فقلبت الثانية ياء ، والأصل الثلاثي من ذلك : أَثَرَ يأْثُرُ أو يأثِرُ أَثْرَاً ، [٢]

معناها لغةً : بعض معاني مادة أثر اللغوية :-

١. الأُثْرَة والمأثَرَة : المكرمة .

٢. والإيثار : هو تفضيل الغير على النفس ، وتقديمه عليها ، وآثَرْتُ فلاناً على نفسي : أي فضلته وقدمته عليها . وضده الاستئثار : وهو الانفراد بالشيء ، واستأثر بالشـــيء على غيره : خصَّ به نفسه واستبدّ به .

هذه أهم معاني مادة (أثر) [٣] ، والذي يتعلق بمبحثنا الشرعي هو الأخير منها .

---

[١] مقاييس اللغة (٥٣/١).

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥٩) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٧٦) .

[٣] ينظر لهذه مع بقية المعاني في : الصحاح (٥٧٤/٢-٥٧٦) ، لسان العرب (٦٩/١-٧٠) .

المطلب الثاني
الإيثار شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر:٩] .

وقال تعالى فيمن آثر الدنيا على الآخرة : قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النازعات:٣٧-٣٩] .

من المعلوم أن الإيثار بحسب متعلّقه ينقسم إلى قسمين :-

الأول : إيثار يتعلق بالخالق تبارك وتعالى .

الثاني : إيثار يتعلق بالخلق فيما بينهم .

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فالإيثار إما أن يتعلّق بالخلق ، وإما أن يتعلق بالخالق . . .)).[1]

أما إيثار الخلق [2]، فإليك أقوال العلماء في بيانه :-

---

[1] طريق الهجرتين (ص/٤٤٦) .

[2] وقد بين الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ ضوابط هذا الإيثار بقوله : ((فإن الإيثار المحمود الذي أثنى الله على فاعله ، الإيثار بالدنيا لا بالوقت ، والدين ، وما يعود بصلاح القلب ، قال الله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [الحشر : ٩] ، فأخبر أن إيثارهم إنما هو بالشيء الذي إذا وقي الرجل الشح به كان من المفلحين ، وهذا إنما هو فضول الدنيا ، لا الأوقات المصروفة في الطاعات ، فإن الفلاح كل الفلاح في الشح بها ؛ فمن لم يكن شحيحاً بوقته تركه الناس على الأرض عياناً مفلساً ، فالشح بالوقت هو عمارة القلب ، وحفظ رأس ماله ، ومما يدل على هذا أنه سبحانه أمر

عرَّفه الإمام **الهروي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((الإيثار : تخصيص واختيار)).[(١)]

يقول الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ مبيناً لهذا الكلام : ((فإن الإيثار : هو البذل ، وتخصيصك لمن تؤثره على نفسك ، وهذا لا يكون إلا اختياراً)).[(٢)]

وعرَّفه الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الإيثار : هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية ، ورغبة في الحظوظ الدينية ، وذلك ينشأ عن قوة اليقين ، وتوكيد المحبة ، والصبر على المشقة)).[(٣)]

وعرَّفه **الجرجاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الإيثار : أن يقدم غيره على نفسه في النفع له ، والدفع عنه ، وهو النهاية في الأخوة)).[(٤)]

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((.. الإيثار : فإنه تقديم وتخصيص لمن تؤثره ، بما تؤثره به على نفسك)).[(٥)]

وعرَّفه الحافظ **ابن حجر** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((..حقيقة الإيثار : إعطاء ما استحقه لغيره)).[(٦)]

وعرَّفه الإمام **الشوكاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الإيثار : تقديم الغير على النفس في حظوظ الدنيا ، رغبة في حظوظ الآخرة)).[(٧)]

بالمسابقة في أعمال البر والتنافس فيها والمبادرة إليها ، وهذا ضد الإيثار بها ، قال الله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ ... فاستبقوا الخيرات ...﴾ [البقرة : ١٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [المطففين : ٢٦] ...))[طريق الهجرتين (ص/٤٤٦)] .

(١) مدارج السالكين (٢/٢٩٦) .

(٢) المصدر السابق (٢/٢٩٧) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٦) .

(٤) التعريفات (ص/٥٩) .

(٥) طريق الهجرتين (ص/٤٤٥) .

(٦) فتح الباري (١٠/٨٧) .

(٧) فتح القدير (٥/٢٠١) .

وأما إيثار الخالق تبارك وتعالى وتقدس ، فيكون بتقديم مراضيه على مراضي الغير والنفس [١] ، . . .

ويعرِّفه الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((والإيثار : المتعلق بالخالق أجل من هذا وأفضل ، وهو إيثار رضاه على رضى غيره ، وإيثار حبه على حب غيره ، وإيثار خوفه ورجائه على خوف غيره ورجائه ، وإيثار الذل له والخضوع والاستكانة والضراعة والتملق على بذل ذلك لغيره ، وكذلك إيثار الطلب منه ، والسؤال ، وإنزال الفاقات به على تعلق ذلك بغيره ، فالأول آثر بعض العبيد على نفسه فيما هو محبوب له ، وهذا آثر الله على غيره ونفسه من أعظم الأغيار فآثر الله عليها فترك)).[٢]

هذا ما وقفت عليه من كلام العلماء ، والله أعلم .

---

(١) وقد بين العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ علامة إيثار الله تعالى بقوله : ((وعلامة هذا الإيثار شيئان : أحدهما : فعل ما يحب الله إذا كانت النفس تكرهه وتهرب منه ، الثاني ترك ما يكرهه إذا كانت النفس تحبه وتهواه ، فبهذين الأمرين يصح مقام الإيثار ، ومؤنة هذا الإيثار شديدة ، لغلبة الأغيار ، وقوة داعي العادة والطبع ، فالمحنة فيه عظيمة ، والمؤنة فيه شديدة ، والنفس عنه ضعيفة ، ولا يتم فلاح العبد وسعادته إلا به ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، فحقيق بالعبد أن يسمو إليه وإن صعب المرتقى ، وأن يشمر إليه وإن عظمت فيه المحنة))[طريق الهجرتين (ص/٤٥٠)] .

(٢) طريق الهجرتين (ص/٤٤٩) .

المبحث الثاني
الزيارة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الزيارة لغةً .

المطلب الثاني : الزيارة شرعاً .

المطلب الأول
الزيارة لغةً

أصل الكلمة : **الزيارة** مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ وهو (زَوَرَ) .[١]

تصريفها : الزِّيارة على وزن (فِعَالَة) ، وهي مصدر سماعي للفعل الثلاثي (زَوَرَ) ، ومضارعه (يَزُورُ) ، وأصله (يَزْوُرُ) ، فنقلت حركة المعتل إلى الساكن الصحيح قبله ، من باب نَصَرَ يَنْصُرُ ، والمصدر القياسي هو (زَوْرٌ) .[٢]

معناها لغة : بعض معاني مادة زور في كتب اللغة :-

- **العدول عن الشيء والميل إلى غيره** ، يقال : الازْوِرَارُ ، وقد ازْوَرَّ عنه ، أي عدل عنه وانحرف ومال إلى غيره .
- **والتزوير** : إكرام المزور للزائر ، والمزار : موضع الزيارة ، وفي الحديث : ((وإن لِزَوْرِكَ عليك حقاً ..)).[٣]
- **المعاودة** ، يقال : زاره يزوره زوْراً وزيارة وزوارة ، أي عاده ، والزَّوْرَةُ : المرة الواحدة .[٤]

هذا ما رأيته من معانٍ في كتب اللغة ، وقد جعل ابن فارس أصل مادة زور يرجع إلى الميل والعدول ، وعلاقة المعنى الشرعي بالمعنى اللغوي الأخير وهو المعاودة أقرب وألصق كما سترى ، وهذه المعاودة ترجع في الأصل إلى معنى الميل والعدول ؛ وذلك أن من عاود شخصاً وزاره فقد مال إليه وعدل عن غيره ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٣/٣٦) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : أدب الكاتب (ص/٣٦٦، ٤١٨) ، لسان العرب (٦/١١١) ، تصريف الأسماء (ص/٥١) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٣٨-١٣٩) .

(٣) رواه البخاري (٢/٦٩٧) برقم (١٨٧٤) ، ومسلم (٢/٨١٣) برقم (١١٥٩) .

(٤) ينظر معاني مادة زور في : الصحاح (٢/٦٧٢ـ٦٧٣) ، لسان العرب (٦/١١٠ـ ١١٣) .

ثم هذا المعنى للزيارة يختص في الأصل بمجيء الأحياء لبعضهم مودةً ومحبةً ، ثم استعمل في مجيء الأحياء إلى قبور الأموات ، وصار حقيقة عرفية .[1]

---

(١) ينظر الشرك ومظاهره (ص/٢٣١) .

المطلب الثاني
الزيارة شرعاً

عن محارب بن دثار ، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ...)).[١]

وعن أبي رافع ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه قال أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، قال هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : أني أحببته في الله عز وجل ، قال : فإني رسول الله إليك : بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)).[٢]

كلامنا في هذا المطلب يتعلق بالزيارة الشرعية ، وهي لفظة جاء الشرع بذكرها ، قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـ رحمه الله ـ : ((.. ثم إنهم يسمون ذلك زيارة ، وهو اسم شرعي...)).[٣]

وهذه الزيارة الشرعية في هذه الدنيا لا تخرج عن ثلاثة أنواع :-

الأول : زيارة الأحياء لبعضهم البعض .

الثاني : زيارة الأحياء لقبور أهل الإيمان .

الثالث : غير ذلك من الأماكن التي تزار للعبادة؛ كالمساجد ، وأماكن شعائر الحج .

فأما الأولى : فهي زيارة المؤمنين لبعضهم، بدافع المحبة في الله تعالى، تفقداً لأمورهم، واطمئناناً على أحوالهم ؛ فإن كانت لوجه الله تعالى ، لا لغرض غير ذلك ؛ من طلب جاهٍ أو منزلةٍ أو سمعةٍ ، أو نفع دنيويّ ، فهي من أعظم الطاعات ، وأجلّ القُرَب .

---

[١] مسلم (٢/٦٧٢) برقم (٩٧٧) .

[٢] مسلم (٤/١٩٨٨) برقم (٢٥٦٧) .

[٣] الفتاوى (٢٧/١٦٤) .

وأما الثانية : وهي زيارة المؤمنين لقبور أهل الإسلام ، فهذا هو مجال حديثنا في هـذا المطلب .

وأما الثالثة فالكلام عليها في مبحث شدِّ الرحال .

ومن المعلوم أن زيارة القبور عند العلماء أقسام ثلاثة؛ زيارة شرعية ، وزيارة بدعية ، وثالثة شركية ، والذي يخصنا في هذا المطلب هو الزيارة الشرعية .

الزيارة الشرعية للقبور :-

أمّا الزيارة الشرعية للقبور ، فهي عبادة من العبادات التي يحبها الله تبارك وتعـالى ، وحضَّ عليها الرسول الكريم ﷺ ، وفيما يلي أقوال العلماء في بيانها :-

عرَّفها شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فالزيارة الشـرعية أن يكون مقصود الزائر الدعاء للميت..)).[1]

وقال ــ رحمه الله ــ : ((فإن الزيارة الشرعية عبادة لله وطاعة لرسوله، وتوحيد لله، وإحسان إلى عباده ، وعمل صالح من الزائر يثاب عليه)).[2]

وعرَّفها الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((أما زيـارة الموحديـن ، فمقصودها ثلاثة أشياء :-

أحدها : تذكر الآخرة ، والاعتبار والاتعاظ .

الثاني : الإحسان إلى الميت ، وأن لا يطول عهده به فيهجره ، ويتناساه .

الثالث : إحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة ، ...... فيحسن إلى نفسـه ، وإلى المزور)).[3]

وعرَّفها الإمام **الصنعاني** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((فالزيارة النبوية التي كان يفعلـها ﷺ عند زيارة الصالحين ، كعمه حمزة ، وسائر الشهداء وغيره أن يقولوا ((السلام عليكم دار قوم مؤمنين ورحمة الله وبركاته ــ وفي بعضها نسأل الله لنا ولكم العافية))...)).[4]

---

(١) الفتاوى (١/١٦٥) .

(٢) الفتاوى (٦/٢٦٣) .

(٣) إغاثة اللهفان (١/٢٤٦ـــ٢٤٧) باختصار ، وينظر التوضيح عن توحيد الخلاّق (ص/٢٣٣ـــ٢٣٤) .

(٤) الإنصاف في حقيقة الأولياء (ص/١١٤) ، والحديث في مسلم (٢/٦٧١) برقم (٩٧٥) ، عن بريدة ﷺ قال

وعرَّفها الشيخ **أحمد النجمي** ــ يحفظه الله ــ بقوله : ((الزيارة الشرعية : وهي زيارة القبور من أجل تذكُّر الآخرة ، والسلام على أهلها، والدعاء لهم سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو غيرهم)).[1]

وعرَّفها الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((أما المشروع فهو ما شرعه الشارع من زيارة القبور على الوجه الشرعي من غير شدّ رحل : يزورها المسلم متبعاً للسنة فيدعو لأهلها عموماً ، ولأقاربه ومعارفه خصوصاً ، فيكون محسناً إليهم بالدعاء لهم ، وطلب العفو ، والمغفرة والرحمة لهم ، ومحسناً إلى نفسه باتباع السنة ، وتذكر الآخرة والاعتبار بها والاتعاظ)).[2]

هذا ما وقفت عليه من كلام العلماء ، وجُلُّ تعريفاتهم تضمنت فوائد الزيارة إما بالنسبة للزائر أو المزور .

كما يمكن تعريفها بما يلي :-

((هي ذهاب المسلم إلى قبور المسلمين ، بنية التقرب إلى الله تعالى ، من غير شدِّ رحل ، ولا تحديد زمان بعينه ، فيحسن إلى نفسه باتباع السنة ، ونيل المثوبة ، وأخذ العبرة ، وإلى الأموات بالسلام عليهم والاستغفار لهم)).

هذا والله تعالى أعلم .

:((كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ، أسأل الله لنا ولكم العافية)).

(١) أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة (ص/٢٩) .

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (٣/٢٧) .

المبحث الثالث
السجود

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : السجود لغةً .

المطلب الثاني : السجود شرعاً .

المطلب الأول
السجود لغةً

أصل الكلمة : السُّجُودُ مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو (سَجَدَ).[1]

تصريفها : السُّجُودُ على وزن (فُعُول)، وهو مصدر قياسي للفعل الثلاثي (سَجَدَ) ، يقال : (سَجَدَ يَسْجُدُ سُجُوداً) ، من باب قعد يقْعُدُ .[2]

معناها لغةً : معاني مادة سجد اللغوية :-

١- الخضوع ، يقال : سجَدَ : إذا خضع .

٢- والسُّجُود : هو وضع الجبهة على الأرض ، والاسم : السِّجْدَةُ بالكسر.

٣- والسَّجَّادة : الخمرة المسجود عليها ، أو أثر السجود في الوجه .

٤- والإسجاد : إدامة النظر وإمراض الأجفان .

٥- والمسجِد والمسجَد : واحد المساجد ، وهو مكان الصلاة . والمسجَد بالفتح : جبهة الرجل عليها أثر السجود . والمساجد : قيل أنها مواضع السجود من الإنسان .

هذه أهم معاني مادة سجد ، وجميعها يرجع إلى معنى التطامن ، والذل ، ولذا يقول ابن فارس ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((السين والجيم والدال أصل واحد يدلّ على تطامن وذلّ ، يقال : سجد إذا تطامن)).[3] ، والذي هو أقرب إلى مبحثنا الشرعي هو المعنى الأول ، ومنه أخذ المعنى اللغوي الثاني ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (١٣٣/٣) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٢٧) .

(٣) مقاييس اللغة (١٣٣/٣) .

المطلب الثاني
السجود شرعاً

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ [السجدة : ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ [العلق:١٩] .

وقال تعالى : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم:٥٨] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ [الرعد:١٥] .

وقال تعالى فيما حكاه الهدهد لسليمان عليه السلام عن قوم سبأ : ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النمل:٢٤-٢٥] .

وقال تعالى عن المشركين : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ ﴾ [الانشقاق:٢١] .

ذكر العلماء أن السجود قسمان :

الأول : سجود عام .

الثاني : سجود خاص .

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : «... ونظير انقسام العبودية إلى خاصة وعامة ، انقسام القنوت إلى خاص وعام ، والسجود كذلك ».[1]

فالسجود العام : هو ما يشمل جميع المخلوقات في هذا الكون ، وهو الخضوع والذل لعظمة الربوبية ، والانقهار تحت سلطانها ، وهو واقع من المؤمن والكافر ، والحي والجامد ،...

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : « وهو سجود الذل ، والقهر ، والخضوع ، فكل أحد خاضع لربوبيته ، ذليل لعزته ، مقهور تحت سلطانه تعالى ».[2]

وأما السجود الخاص ، فهو سجود العبودية والطاعة ، والخشوع والانقياد ، وهو الذي يحبه الله تعالى ، ويرضى عمن فعله وقام به ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ [الأعراف : ٢٠٦]. وهذا النوع لا يقع إلا من أهل الإيمان والطاعة .

ومن ذلك السجود الخاص ، السجود الذي هو أحد أركان الصلاة ، وهو وضع الجبهة على الأرض ، وهذا غاية الخضوع والذلة ، وأقصى نهايات التواضع والاستكانة ، والحاصل أن تعريفات العلماء للسجود لا تخرج عن هذين النوعين ، إما أن تكون متعلقة بالسجود العام ، أو الخاص ، أو بهما ، وفيما يلي أقوالهم التي وقفت عليها :

عرَّفه الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وأصل السجود : الانحناء لمن سجد له ، معظماً بذلك ، فكل منحنٍ لشيء تعظيماً له فهو ساجد ».[3]

---

(١) مدارج السالكين (١٠٦/١) .

(٢) المصدر السابق (١٠٧/١) .

(٣) جامع البيان (٣٠٠/١) .

وعليه يسمى الركوع سجوداً ، وكل انحناء رافقه التعظيم يسمى سجوداً [١]

ويقول الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : « وقد بينا أيضاً معنى الركوع والسجود بالأدلة الدالة على صحته ، وأنهما بمعنى : الخشوع لله ، والخضوع له بالطاعة ، والعبودية ».[٢]

وعرَّفه **الواحدي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « أصله في اللغة الخضوع والتذلل ، وسجود كل شيء في القرآن طاعته لما سجد له ، هذا أصله في اللغة ، ثم قيل لكل من وضع جبهته على الأرض سجد ؛ لأنه غاية الخضوع ».[٣]

فقوله "وسجود كل شيء في القرآن طاعته" يشمل نوعي السجود العام والخاص .

وعرَّفه **الراغب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : «.. عبارة عن التذلل لله وعبادته ، وهو عام في الإنسان ، والحيوانات، والجمادات ، وذلك ضربان : سجود باختيار ، وليس ذلك إلا للإنسان [٤] ، وبه يستحق الثواب ... وسجود تسخير وهو للإنسان ، والحيوانات ، والنبات ،... وخصّ السجود في الشريعة بالركن المعروف من الصلاة ، وما يجري مجرى ذلك ».[٥]

وعرَّفه الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « السجود : معناه في كلام العرب التذلل والخضوع ، وغايته وضع الوجه بالأرض ».[٦]

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : «... بوضع الجباه على الأرض ، كالسجود المعتاد في الصلاة ، لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع ».[٧]

---

(١) يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ : ((قلت : ... فانحناء المتلاقين عند السلام أحدهما لصاحبه من السجود المحرم ، وفيه نهي صريح ...))[إغاثة اللهفان (٢/٣٠٨)] .

(٢) جامع البيان (٣/٢٦٦) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٣/١٤٥) .

(٤) في هذا الحصر نظر : فإن الملائكة تسجد لله تعالى باختيارها ، فهي مختارة وليست مكرهة ، ولولا ذلك لما وجه لها الأمر بالسجود لآدم

(٥) المفردات (ص/٢٢٣-٢٢٤) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١/٢٩١) . وينظر : فتح القدير (١/٦٦) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١/٢٩٣) .

وعرَّفه الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((ولفظ السجود يراد به مطلق الخضوع والاستكانة ...، وخضوع الإنسان وخشوعه لا يتم إلا بالسجود المعروف... ، وهو المراد من السجود المضاف إلى بني آدم حيث ذكر في القرآن [1]... ، إذ هو غاية خضوع العبد ، ولكل مخلوق خضوع بحسبه هو سجوده ، وأما أن يكون سجود الإنسان لا يراد به إلا خضوع ليس فيه سجود الوجه فهذا لا يعرف)).[2]

فبين ـــ رحمه الله تعالى ـــ أن خضوع الإنسان لا يتم إلا بالسجود الذي هو وضع الجبهة على الأرض ، فهذا هو الخضوع الحقيقي المقبول عند الله تعالى .

وعرَّف ـــ رحمه الله تعالى ـــ السجود العام بقوله : ((فإن السجود الشامل لجميع المخلوقات هو المتضمن لغاية الخضوع والذل ، وكل مخلوق فقد تواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته)).[3]

وعرَّفه الإمام **الشوكاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((معناه الحقيقي ، وهو وضع الجبهة على الأرض للتعظيم ، مع الخضوع والتذلل)).[4]

وعرَّف ـــ رحمه الله تعالى ـــ السجود العام : بالانقياد ، فقال : ((.... أو يفسر السجود بالانقياد ؛ لأن الكفار وإن لم يسجدوا لله سبحانه فهم منقادون لأمره ، وحكمه فيهم بالصحة، والمرض، والحياة، والموت، والفقر، والغنى، ويدل على إرادة هذا المعنى قوله طوعاً وكرهاً ، فإن الكفار ينقادون كرهاً ، كما ينقاد المؤمنون طوعاً)).[5]

وعرَّفه **الألوسي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والسجود في الأصل : تذلل مع انخفاض بانحناء وغيره ، وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة)).[6]

---

(١) يقول الإمام ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((ولا يجب أن يكون سجود كل شيء مثل سجود الإنسان ، على سبعة أعضاء ، ووضع جبهة في رأس مدور على التراب ، فإن هذا سجود مخصوص من الإنسان ، ومن الأمم من يركع ولا يسجد ، وذلك سجودها))[رسالة في قنوت الأشياء ، ضمن جامع الرسائل (٢٧/١)] .

(٢) الفتاوى (١٥٢/٢٣) . وينظر : (١٣٧/٢٣) .

(٣) رسالة في قنوت الأشياء ـــ ضمن جامع الرسائل (٢٧/١) .

(٤) فتح القدير (٧٣/٣) .

(٥) المصدر السابق (٧٣/٣) .

(٦) روح المعاني (٢٢٨/١) .

ويقول **الألوسي** ـ رحمه الله تعالى ـ : «.. والمراد بالسجود على ما ذكره غير واحد : الانقياد ، سواء كان انقياداً لإرادته تعالى وتأثيره طبعاً ، أو انقياداً لتكليفه وأمره طوعاً ».[1]

وعرَّف **الألوسي** السجود العام بقوله : «.. والمراد بالسجود دخول الأشياء تحت تسخيره تعالى وإرادته سبحانه ، وقابليتها لما يحدث فيها عز وجل ».[2]

هذا ما تيسر ذكره من كلام العلماء في بيان ، وتوضيح معنى السجود الشرعي ، ونقول تلخيصاً لما سبق ، بأن السجود :-

منه : ما يحصل كرهاً ، وهو سجود الكافر لله تعالى ، سجود قهر وذلة ، وانقياد لأمر الله القدري وحكمه الكوني .

ومنه : ما يحصل طوعاً ، كسجود أهل الإيمان ، ومن كل من تُصُوِّر منه الطاعة لله تعالى ، والله أعلم .

---

(١) المصدر السابق (١٤/١٥٧) .

(٢) المصدر السابق (١٧/١٣٠) .

المبحث الرابع
الجهاد

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الجهاد لغةً .

المطلب الثاني : الجهاد شرعاً .

المطلب الأول
الجهاد لغةً

أصل الكلمة : الجهاد مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو (جهد).[١]

تصريفها : الجِهَاد على وزن (فِعَال) ، وهو مصدر من الفعل الرباعي (جَاهَدَ)، على وزن (فَاعَل) ، ومصدره القياسي هو (مُفَاعَلَة) ، فيقال (مُجَاهَدة) ، والأصل الثلاثي من ذلك (جَهَدَ) و (جَهِدَ) بالكسر ، يقال : (جَهَدَ يَجْهُدُ ويَجْهَدُ جَهْداً وجِهَاداً) ، من باب فتح يفتح .[٢]

معناها لغةً : بعض المعاني اللغوية لمادة جهد :-

١- الجُهْدُ : الطاقة . يقال : جُهْدُ المُقِل .

٢- الجَهْدُ : بلوغ الغاية ، وكذا : المشقة ، يقال : جَهَدَ دابته وأجهدها ، إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها .

٣- والاجتهاد : بذل الوسع والمجهود .

هذه أشهر معاني مادة (جهد) [٣] ، وما يناسب المجاهدة الشرعية من تلك المعاني : الأول والثاني ، كما سيأتي بيانه ، يقول ابن فارس ــ رحمه الله تعالى ــ : « الجيم والهاء والدال أصله المشقّة ».[٤]

---

(١) مقاييس اللغة (١/٤٨٦) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٦٤-٦٥) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٥٨) .

(٣) ينظر هذه مع بقية المعاني في : الصحاح (٢/٤٦٠-٤٦١) ، لسان العرب (٢/٣٩٥-٣٩٧) .

(٤) مقاييس اللغة (١/٤٨٦) .

المطلب الثاني
الجهاد شرعاً

قال تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة:٤١] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٩٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف:٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

الجهاد إذا أطلق في الشرع انصرف المعنى إلى قتال الكفار ، وهو المعنى العرفي لدى الفقهاء عندما يتكلمون عن الجهاد في كتب الفقه ، كما أن المجاهدة بمعنى الجهاد لا فرق بينهما في تعبيرات العلماء ، كما يطلقان معاً على مجاهدة النفس والشيطان والمنافقين والفساق وأهل البدع ،...

يقول الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : ((... وأيضاً فالجهاد جنس تحته أنواع متعددة ، ولابد أن يجب على المؤمن نوعٌ من أنواعه)).[1]

ويقول الحافظ **ابن حجر** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((... وشرعاً : بذل الجهد في قتال الكفار ، ويطلق أيضا على مجاهدة النفس ، والشيطان والفساق)).[2]

وعليه ومن خلال النظر في كلام العلماء يمكن تقسيم الجهاد إلى قسمين :

---

(١) الفتاوى (١٦/٧) .

(٢) فتح الباري (٦/٣) . ينظر : فيض القدير (٢/٣٠) .

الأول : الجهاد الظاهر .

الثاني : الجهاد الباطن .

وعلى هذين القسمين تنبني الهجرة العامة والخاصة .[1]

فالجهاد الظاهر هو جهاد الكفار والمنافقين [2] ، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن الرد على أهل البدع ، ودحض شبهاتهم ، وإلحاق العقوبة بهم من الجهاد العظيم ، يقول الإمام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فالراد على أهل البدع مجاهد حتى كان يحيى بن يحيى يقول : الذب عن السنة أفضل من الجهاد ...)).[3]

وأما الجهاد الباطن فهو جهاد النفس في ذات الله تعالى ، وكذا جهاد الشيطان ، وجهاد النفس لا يكمل إلا بمجاهدة الشيطان .

فجهاد النفس هو الأصل في جميع أنواع الجهاد ، إذ أن المجاهد للكفار لا بد له أولاً من جهاد نفسه وإلزامها بهذا الجهاد ، وكذا جهاد المنافقين وأهل البدع والفساق لا يحصل إلا إذا جاهد الإنسان نفسه [4] ، ...

---

(١) ينظر مصطلح الهجرة من هذه الرسالة .

(٢) لشيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ كلام نفيس في الفرق بين جهاد الكفار والمنافقين ، ينظر إليه في : الصارم المسلول (٣/٦٥٨-٦٦٠) .

(٣) الفتاوى (٤/١٣) .

(٤) ولعل هذا هو السبب الذي جعل جملة من العلماء يفضلون جهاد النفس على جهاد العدو ، كالإمام ابن عبد البر ــ رحمه الله تعالى ــ وغيره من العلماء [التمهيد (٦/٣٢٣) ــ فيض القدير (٢/٤٩)] ، والحاصل أن جهاد النفس جنس عام ، وتحته أنواع كثيرة من المجاهدات ، ومن أعظم تلك المجاهدات على الإطلاق هو جهاد الكفار وقتالهم ، بل هو من أعظم الطاعات ، وأجل القربات ، فلعل من قال ذاك قصد هذا ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ : ((أما الحديث الذي يرويه بعضهم أنه قال في غزوة تبوك " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر " ، فلا أصل له ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي وأفعاله ، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال ، بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان ..)) ثم ساق ــ رحمه الله تعالى ــ جملة من نصوص القرآن تبين فضل الجهاد ومكانته . .[الفتاوى (١١/١٩٧)] .

يقول الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعاً على جهاد العبد نفسه في ذات الله كما قال النبي : ((المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)).[1] ، كان جهاد النفس مقدماً على جهاد العدو في الخارج وأصلاً له ؛ فإنه ما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرت به ، وتترك ما نهيت عنه ، ويحاربها في الله ، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج ، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه ، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه ، لم يجاهده ، ولم يحاربه في الله ، بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج ..)).[2]

ويقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا ، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة ... ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطناً ، فمن نصر عليها نصر على عدوه ، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه)).[3]

وهذه الأنواع الأربعة التي ذكرها ـــ رحمه الله تعالى ـــ هي راجعة إلى النفس ، وهذا هو الجهاد الباطن ، وقتال الكفار وغيرهم ـــ من الجهاد الظاهر ، والله أعلم .

ومن العلماء من جعل جهاد العدو هو الأصل ، وجهاد النفس داخل فيه ؛ إذ أن النفس والشيطان من ألد أعداء الإنسان ، وهذا منهم مجرد خلاف في التعبير والألفاظ لا نصيب له في المفهوم والمعنى ،...

يقول الحافظ **ابن حجر** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((قال بعض الأئمة : جهاد النفس داخل في جهاد العدو ، فان الأعداء ثلاثة ؛ رأسهم الشيطان ، ثم النفس لأنها تدعو إلى اللذات المفضية بصاحبها إلى الوقوع في الحرام الذي يسخط الرب ، والشيطان هو المعين

---

[1] رواه ابن حبان في صحيحه (١١/٢٠٣ـــ٢٠٤) ، برقم (٤٨٦٢) ، باختلاف في اللفظ وفيه : ((... والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب)) ، والشطر الثاني من الحديث رواه البخاري (١/١٣) برقم (١٠) .

[2] زاد المعاد (٣/٦) .

[3] الفوائد (ص/٥٩) .

لها على ذلك ، ويزينه لها ، فمن خالف هوى نفسه قمع شيطانه ، فمجاهدته نفسه حملها على اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه ، وإذا قوى العبد على ذلك سهل عليه جهاد أعداء الدين ، فالأول الجهاد الباطن ، والثاني الجهاد الظاهر)).[١]

والحاصل أن كلام العلماء في معنى الجهاد أو المجاهدة ، قد يتناول جميعها ، أي من أنواع الجهاد الظاهر والباطن ، وقد يكون محصوراً في نوع خاصٍ منها ، وقد يعبرون بالجهاد أو بالمجاهدة ، فالأمر سيَّان ،...

وفيما يلي أنقل ما وقفت عليه من أقوال العلماء في معنى الجهاد :

يقول الإمام **ابن عطية** [٢] ــ رحمه الله ــ في قوله تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ...﴾ [العنكبوت : ٦٩] : ((... وإنما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته)).[٣]

وهذا هو المقصود بجهاد النفس ، أي أنه عام يدخل فيه كل ما هو بذل جهد في ذات الله تعالى ، وابتغاء مرضاته .

ولذلك يقول **أبو سليمان الداراني** ــ رحمه الله تعالى ــ معرِّفاً للجهاد والمجاهدة : ((ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط ، بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين ، وعُظمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر)).[٤]

---

(١) فتح الباري (١١/٣٣٨) .

(٢) هو الإمام العلامة شيخ المفسرين أبو محمد عبد الحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي ، وكان إماماً في الفقه وفي التفسير وفي العربية قوي المشاركة ذكياً فطناً مدركاً من أوعية العلم ، مولده سنة ثمانين وأربعمائة اعتنى به والده ولحق به الكبار وطلب العلم وهو مراهق وكان يتوقد ذكاء ولي قضاء المرية في سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، توفي بحصن لورقة في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة)) [سير أعلام النبلاء (١٩/٥٨٧-٥٨٨)] .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٦٤) .

(٤) المصدر السابق (١٣/٣٦٤-٣٦٥) .

وعرَّفها **أبو القاسم القشيري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « واعلم أن أصل المجاهدة وملاكها : فطم النفس عن المألوفات ، وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات ، وللنفس صفتان تمنعانها من الخير : انهماكها في الشهوات ، وامتناعها عن الطاعات ».[1]

وقيل : « حملها ــ أي النفس ــ على اتباع أوامر الله ، واجتناب نواهيه ».[2]

وعرَّف **ابن بطال** ــ رحمه الله تعالى ــ جهاد النفس بقوله : « ويقع ــ أي جهاد النفس ــ بمنع النفس عن المعاصي ، وبمنعها من الشبهات ، وبمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة ، لتتوفر لها في الآخرة ».[3]

ثم علَّق على كلامه الحافظ **ابن حجر** بقوله : « قلت : ولئلا يعتاد الإكثار فيألفه ، فيجره إلى الشبهات ، فلا يأمن أن يقع في الحرام ».[4]

وقال الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ في قوله تعالى : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾ [الحج : ٧٨] ، : « وقيل هو إشارة إلى امتثال جميع ما أمر الله به ، والانتهاء عن كل ما نهى الله عنه ، أي جاهدوا أنفسكم في طاعة الله ، وردوها عن الهوى ، وجاهدوا الشيطان في رد وسوسته ، والظلمة في رد ظلمهم ، والكافرين في رد كفرهم ».[5]

وعرَّفها الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والمراد بالمجاهدة : كف النفس عن إرادتها من الشغل بغير العبادة ».[6]

---

(١) الرسالة القشيرية (ص/٩٩) .

(٢) فتح الباري (٣٣٨/١١) .

(٣) المصدر السابق (٣٣٧/١١) .

(٤) المصدر السابق (٣٣٧/١١) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٩٩/١٢) .

(٦) فتح الباري (٣٣٧/١١-٣٣٨) .

ويرى الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ أن الجهاد من الجُهْد [(١)] وهو نهاية الطاقة والقدرة ، فيقول : ((فالجهاد في سبيل الله تعالي من الجُهْد وهي المغالبة في سبيل الله بكمال القدرة والطاقة ، فيتضمن شيئين أحدهما : استفراغ الوسع والطاقة ، والثاني أن يكون ذلك في تحصيل محبوبات الله ودفع مكروهاته)).[(٢)]

ويقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً : ((والجهاد : هو بذل الوسع ، وهو القدرة في حصول محبوب الحق ، ودفع ما يكره الحق)).[(٣)] هو الإمام العلامة شيخ المفسرين أبو محمد عبد الحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي ، وكان إماماً في الفقه وفي التفسير وفي العربية قوي المشاركة ذكياً فطناً مدركاً من أوعية العلم ، مولده سنة ثمانين وأربعمائة اعتنى به والده ولحق به الكبار وطلب العلم وهو مراهق وكان يتوقد ذكاء ولي قضاء المرية في سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، توفي بحصن لورقة في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة)) [سير أعلام النبلاء (١٩/٥٨٧-٥٨٨)] .

هذا آخر ما وقفت عليه من كلام العلماء في بيان معنى المجاهدة والجهاد ، والذي نراه راجحاً هو تعريف شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ ؛ ذلك أن الأصل في

---

(١) يقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((والجهاد من الجُهْد ، وهو الطاقة ، وهو أعظم من الجَهد الذي هو المشقة ، فإن الضم أقوي من الفتح وكلما كانت الحروف أو الحركات أقوي كان المعني أقوي ولهذا كان الجُرح أقوي من الجَرح ... فالجُهد : نهاية الطاقة والقدرة ، قال تعالي : ﴿ والذين لا يجدون إلا جُهْدَهم ﴾ [التوبة : ٧٩] ، وفي الحديث : ((أفضل الصدقة جُهْد من مقل يُسرُّه إلي فقير)) . ولهذا قال النبي : ((الجهاد سنام العمل)) ، فإنه أعلي الإرادات في نهاية القدرة ، وهذا هو أعلي ما يكون من الإيمان ، كالسنام الذي هو أعلي ما في البعير وقد يكون بمشقة وقد لا يكون ، وأما الجَهد : فهو المشقة وإن لم يكن تمام القدرة))[قاعدة في المحبة ضمن جامع الرسائل (ص/٢٨٠-٢٨١)] .

(٢) المصدر السابق (ص/٢٨١) .

(٣) الفتاوى (١٠/١٩٢-١٩٣) .

الجهاد هو جهاد النفس ، كما سبق ، وهذه النفس تجاهد في ترك المنـــــهيات ، والقيـــام بالواجبات ، وهذا ما تضمنه تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله تعـــالى ـــ ، والله تعالى أعلم .

الفصل الرابع

المصطلحات المتعلقة بالعبادات المشتركة

ويشتمل على خمسة عشر مبحثاً :

المبحث الأول : الإنابة .

المبحث الثاني : الاستجابة .

المبحث الثالث : الاستعانة .

المبحث الرابع : الاستقامة .

المبحث الخامس : الانقياد .

المبحث السادس : التبتل .

المبحث السابع : التسبيح .

المبحث الثامن : التقديس .

المبحث التاسع : التقوى .

المبحث العاشر : التوبة .

المبحث الحادي عشر : الحمد .

المبحث الثاني عشر : الزهد .

المبحث الثالث عشر : الشكر .

المبحث الرابع عشر : الصبر .

المبحث الخامس عشر : الهجرة .

المبحث الأول
الإنابة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الإنابة لغةً .

المطلب الثاني : الإنابة شرعاً .

المطلب الأول
الإنابة لغة

أصل الكلمة : الإنابة مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو (نَوَبَ).[1]

تصريفها : الإنَابَةُ على وزن (إِفَالَة) وقيل (إِفْعَلَة) ، وذلك لأنّ أصل (إِنَابَة ــ إِنْــوَاب) ، فنقلت حركة العين (الواو) إلى الصحيح قبلها ، فصارت (إِنَوْاب) ، ثم تحرّكــت العــين بحسب الأصل ، وانفتح ما قبلها بحسب الآن ، فقلبت ألفاً لمجانسة الفتحة قبلها فصــارت (إِنَااب) ، فالتقى ساكنان (ألفان) ، المنقلبة عن العين والزائدة ، فذهــب ســيبويه إلى أن المحذوفة الثانية ووزنها (إِفْعَلَة) ، ويرى الأخفش أنها المحذوفة الأولى ووزنها (إِفَالَة) .

و(إِنَابَة) ، مصدر للفعل الرباعي (أَنَابَ) ، يقال : (أَنَابَ يُنِيبُ إِنَابَة ومَنَابــاً) ، والأصل الثلاثي من ذلك (نابَ يَنُوب نوبَاً ونِيَابَة) من باب نَصَرَ ، وجاء كذلك (نــابَ يَنِيبُ) كباع يبيعُ .[2]

معناها لغةً : لمادة ناب عدد من المعاني ، وفيما يلي بعضها :-

١. الإقبال والرجوع ، يقال : ناب وأَنَابَ : إذا أَقْبَلَ ورجع .
٢. المجيء مرَّةً بعد أُخرى ، يقال فيه : نابَ فلانٌ القومَ وانتابهم : إذا أتاهم مرةً بعد أخرى .
٣. القُرْبُ : يقال : النَّوْبُ خلاف البعد .

وقد أرجع ابن فارس معاني هذه المادة إلى المعنى الأول والثاني ، فقال : « النــون والواو والباء كلمة واحدة تدلُّ على اعتياد مكان ، ورجوعٍ إليه ».[3] ، وهذان المعنيان هما الأقرب إلى المعنى الشرعي .

---

(١) مقاييس اللغة (٥/٣٦٧) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/٤٠٢) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١ ، ٥٩، ٦٠، ٧٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٣٨، ١٥٨، ٢٨٠) .

(٣) مقاييس اللغة (٥/٣٦٧) .

ولذا يقول العلامة ابن القيم ــ رحمه الله ــ : «.. وفي اللفظة معنى الإسـراع ، والرجوع ، والتقدم ».[1]

[1] مدارج السالكين (١/٤٣٤) .

المطلب الثاني
الإنابة شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر:٥٤] .

وقال تعالى : ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق:٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [الزمر:١٧] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود:٧٥] .

وقال عز وجل : ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق:٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الروم:٣١] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ [غافر:١٣] .

اعلم رحمك الله أنَّ الإنابَةَ في كلام الله تعالى تتضمن أمْرَين ، أحدهما : الإنابة إلى ربوبيته ، والثاني : الإنابة إلى ألوهيته ،...

يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ : « والإنابة إنابتان : إنابة لربوبيته ، وهي إنابة المخلوقات كلها ، يشترك فيها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، قال تعالى : ﴿ وإذا مسّ الناس ضرٌ دعوا ربهم منيبين إليه ﴾ [الروم :٣٣] ، فهذا عامٌ في حق كل داعٍ أصابه ضُرٌّ كما هو الواقع ، وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام ، بل تجامع الشرك والكفر . والإنابة الثانية إنابَة أوليائه ، وهي إنابة لإلهيته ، إنابة عبودية ومحبة ».[1]

---

(١) مدارج السالكين (٤٣٤/١) .

ويقول **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ : « إنّ الإنابة إنما هي الرجوع الاختياري بالفعل إليه سبحانه ، لا الرجوع الاضطراري للجزاء ».[١]

إذاً فالإنابَة المأمور بها ، التي هي عبادة لله تعالى : هي الإنابة الاختيارية الطوعية ، وليست إنابة الجبر والقسر، بل هي إنابة تكون في حالي العسر واليسر ، والسعة والضيق ، والشّدّة والرخاء ، ولا شكّ أن ما يتصل ببحثنا هو الإنابة إلى أُلوهيته ، وفيما يلي أقوال أهل العلم في بيان حقيقة الإنابة :

وعرَّفها الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بالرجوع إلى طاعة الله تعالى ، فقال في قوله تعالى : ﴿ إنّ إبراهيم لحليم أوّاهٌ منيب ﴾ [هود :٧٥] ، : « منيب : رجّاعٌ إلى طاعته ».[٢]

وعرَّفها الإمام **الهروي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وهي هاهنا الرجوع إلى الحق ».[٣]

وعرَّفها الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والإنابة : الرجوع إلى الله تعالى بالإخلاص ».[٤]

وقد بين الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ ما تتضمنه الإنابة بقوله : « وهي تتضمن أربعة أمور : محبة الله ، والخضوع له ، والإقبال عليه ، والإعراض عما سواه ، فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع ، وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك ».[٥]

وعرَّفها ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً حقيقة الإنابة بقوله : « وحقيقة ذلك : عكوف القلب على محبّته وذكره بالإجلال والتعظيم ، وعكوف الجوارح على طاعته ، بالإخلاص له والمتابعة لرسوله ».[٦]

---

(١) روح المعاني (١٢/١٢١) .

(٢) جامع البيان (١٢/٨٠) .

(٣) مدارج السالكين (١/٤٣٤) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٦٩) .

(٥) مدارج السالكين (١/٤٣٤) .

(٦) الفوائد (ص/١٣، ١٩٦) .

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فأصل الإنابة : محبة القلب ، وخضوعه ، وذله للمحبوب المراد ، فمن لا يُحَب لا يمكن الإنابة إليه)).[١]

وقيل : ((الإنابة : الرجوع من الغفلة إلى الذكر ، ومن الوحشة إلى الأنس)).[٢]

وقيل هي : ((إخراج القلب من ظلمات الشبهات)).[٣]

وقيل : ((وحقيقة الإنابة : الرجوع إلى الشيء بعد مفارقته وتركه)).[٤]

فالذي يفارق الطريقة الشرعية ، ويترك ما يحبُّه الله ويرضاه ، ثم يعود لذلك فهو من المنيبين الراجعين إلى الله تعالى ، ولعل هذا التعريف فيه إشارة إلى المعنى اللغوي الأول .

وقال الإمام **ابن كثير** ــ رحمه الله تعالى ــ في قوله ﷻ : ﴿ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾ [ق : ٨] ، : ((أي خاضع خائف وَجِل رجّاع إلى الله عز وجل)).[٥]

وعرَّفه **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((ومعنى وأنيبوا إلى ربكم الخ : أي ارجعوا إليه سبحانه ، بالإعراض عن معاصيه والندم عليها)).[٦]

وعرَّفها الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((منيب : أي رجّاع إل الله بمعرفته ومحبته ، والإقبال عليه ، والإعراض عمن سواه)).[٧]

ويقول ــ رحمه الله ــ أيضاً : ((فإن الإنابة : إنابة القلب ، وانجذاب دواعيه ، لمراضي الله تعالى ، ويلزم من ذلك عمل البدن بمقتضى ما في القلب ، فشمل ذلك العبادات الظاهرة والباطنة)).[٨]

---

(١) الصواعق المرسلة (١٤٣٦/٤) .

(٢) التعريفات (ص/٣٧) .

(٣) المصدر السابق (ص/٣٧) .

(٤) تفسير التحرير والتنوير (١٢٤/١٢) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢٢٣/٤) .

(٦) روح المعاني (١٦/٢٤) .

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٤٣/٣) .

(٨) المصدر السابق (١٢٦/٦-١٢٧) .

هذا ما تيسّر ذكره ، والحاصل أنّ الإنابة تتضمن علماً وعملاً ، علم القلب ، وعمل القلب والجوارح ، يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ : « إذا أُفردت الإنابة دخلت فيها أعمال الجوارح .. ».[1]

فالإنابة إذاً تقتضي معرفةً بالله تعالى ، ومحبةً ، وخضوعاً له ، ورجوعاً وإقبالاً إليه ، وإعراضاً عما سواه ، وعملاً بالطاعات ظاهراً وباطناً ، فانتظمت الإنابة أعمال الظاهر والباطن .

والناظر في كلام العلماء بجملته يراه قد تضمن الإشارة إلى تلكم الأمور الأربعة التي ذكرها الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ .

وعليه فالراجح من تلك الأقوال هو تعريف الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ حيث قال : « وحقيقة ذلك : عكوف القلب على محبّته وذكره بالإجلال والتعظيم ، وعكوف الجوارح على طاعته ، بالإخلاص له والمتابعة لرسوله » ، والله تعالى أعلم .

---

(١) المصدر السابق (٦/٤٨٤) .

المبحث الثاني
الاستجابة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الاستجابة لغةً .

المطلب الثاني : الاستجابة شرعاً .

المطلب الأول
الاستجابة لغةً

أصل الكلمة : الاسْتِجَابَة مشتقةٌ من أصل لغويٍّ ثلاثيٍّ هو (جَوَبَ) [(١)]

تصريفها : الاسْتِجَابَة على وزن (اسْتِفَالَة) ، أو (اسْتِفَعْلَة) ، من (إجَابَة) مزيدة بالسين والتاء ، على وزن (إفْعَال) ، وهي مصدر قياسي من الفعل الرباعي (أجَاب يُجِيبُ) ، وأصل إجابة (إجْوَاب) ، فنقلت حركة العين (الواو) إلى الصحيح قبلها ، ثمّ تحرّكت العين بحسب الأصل ، وانفتح ما قبلها بحسب الآن ، فقلبت ألفاً ، فالتقى ساكنان (ألفان) ؛ المنقلبة عن العين والزائدة ، وعلى ذلك وقع الخلاف في الوزن ، والأصل الثلاثي من ذلك (جَوَبَ) ، ومضارعه (يَجُوب) من باب (نَصَرَ يَنْصُرُ) ، والمصدر القياسي من ذلك (جَوْبٌ) .[(٢)]

معناها لغةً : فيما يلي بعض معاني مادة (جوب) اللغوية :-

١. رديد الكلام ورجعه، يقال: أجابه يُجِيبُه إجَابَةً وجَواباً، والاستجابة بمعنى الإجابة .
٢. والمُجَاوَبَة والتجاوب : التحاور ، تجاوب القوم : جاوب بعضهم بعضاً .(٣)

ورجوع المعنى الشرعي للمعنى الأول ظاهر كما سيأتي ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (١/٤٩١) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١، ٥٩، ٦٠، ٧٢) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٣٩ ، ٣٦٨) .

(٣) ينظر مع بقية المعاني في : الصحاح (١/١٠٤) ، النهاية (١/٣١٠-٣١١) ، لسان العرب (٢/٤٠٥-٤٠٨) .

المطلب الثاني
الاستجابة شرعاً

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢٤] .

قال تعالى : ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحقاف:٣١] .

وقال تعالى : ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الشورى:٤٧].

قال تعالى : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الشورى:٢٦] .

قال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الرعد:١٨] .

ذكر العلماء أنَّ الاستجابة نوعان [١] ؛ استجابة من الله تعالى لعباده ، وهي بمعنى العطاء والإثابة والقبول [٢] ، والنوع الثاني استجابة العبد لربه ، وهي المقصودة في هذا

---

(١) شرح السنة (١/١٥٥) .

(٢) قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ :((والاستجابة أيضاً نوعان : استجابة دعاء الطالب بإعطائه سؤاله ، واستجابة دعاء المثني بالثواب ...)) [زاد المعاد (١/٢٣٥)] .

وقال الحافظ ـ رحمه الله تعالى ـ :((والاستجابة تشمل استجابة الداعي بإعطاء سؤله ، واستجابة المثني بتعظيم

المبحث ومن المعلوم أن هذه الاستجابة من العبادات العامة التي تشمل القلب والبدن ، فللقلب منها النصيب الأعظم ؛ ذلك أن أصلها في القلب ، ثم يأتي بعد ذلك نصيب البدن .

قال الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ : « لأنَّ الاستجابة أصلها بالقلب فلا تنفع الاستجابة بالبدن دون القلب ؛ فإنَّ الله سبحانه بين العبد وبين قلبه ، فيعلم هل استجاب له قلبُهُ ، وهل أضمر ذلك أو أضمر خلافه ».[1]

وفيما يلي أذكر أقوال العلماء في بيان ذلك وبالله التوفيق .

عرَّفها الإمام **مجاهد** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله في قوله تعالى ﴿ فليستجيبوا لي ﴾ [البقرة : ١٨٦] قال : « فليطيعوا لي قال : الاستجابة : الطاعة ».[2]

وعن **عبد الله بن المبارك** ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله تعالى ﴿ فليستجيبوا لي ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، « قال : طاعة الله ».[3]

وعرَّفها الإمام **البغوي** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : «... قيل الاستجابة بمعنى الإجابة ، أي فليجيبوا إليَّ بالطاعة ، والإجابة في اللغة الطاعة وإعطاء ما سئل ، فالإجابة من الله تعالى العطاء ، ومن العبد الطاعة ».[4]

وعرَّفها الإمام **الراغب** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : « والاستجابة ؛ قيل هي الإجابة ، وحقيقتها هي التحرِّي للجواب والتهيُّؤ له ، لكن عُبِّرَ به عن الإجابة لقلة انفكاكها عنه.. ...».[5]

وعرَّفها الإمام **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : « والإجابة والاستجابة هي طاعة الأمر والنهي ، وهي العبادة التي خلق لها الثقلان كما قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] ».[6]

ثوابه ...».[فتح الباري (٢/٣٠٠)] .

(١) الفوائد (ص/٩٠) .

(٢) جامع البيان (٢/١٦٠) .

(٣) المصدر السابق (٢/١٦٠) .

(٤) شرح السنة (١/١٥٥) .

(٥) المفردات (ص/١٠٢) .

(٦) الفتاوى (٤/٢٣٥) .

وعرَّفها الإمام **الشوكاني** ــ رحمه الله ــ بقوله : « والاستجابة : الطاعة ».[1]

هذا ما تيسَّر من أقوال العلماء ، ويمكن أن نقول بأن :

« **الاستجابة : هي أن يُجيب العبد ربه بالقيام بكل ما أمره الله تعالى بــــه ، أو أمره به رسوله ﷺ ، سواء تعلّق بالقلب أو اللسان أو البدن** ». والله أعلم .

---

(١) فتح القدير (٢/٢٩٩) .

المبحث الثالث
الاستعانة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الاستعانة لغةً .

المطلب الثاني : الاستعانة شرعاً .

المطلب الأول
الاستعانة لغةً

أصل الكلمة : الاستعانة مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (عَوَنَ) .[١]

تصريفها : الاستعانة إما إلى وزن (استِفَالة أو استِفَعْلة) ؛ لأنها من (إعانة) التي أصلها (إعْوَان) ، ثم تحركت العين بحسب الأصل وانفتح ما قبلها بحسب الآن فقلبت ألفاً ، فالتقى ساكنان (ألفان) المنقلبة عن العين والزائدة ، فمن حذف الأولى صار وزنها (اسْتِفَالة) ، ومن حذف الثانية أصبح وزنها (اسْتِفَعْلة) ، والأصل الثلاثي هو (عان) وأصله من (عَوَنَ) ، ومضارعه (يَعُونُ) على وزن (يَفْعُل) ، فهو وإن لم يكن مستعملاً عند العرب ، فهو في حكم المستعمل والمنطوق به ، لاطراد الإعلال في مثل هذا الأصل ، والمصدر (العَوْنُ) .[٢]

معناها لغةً : لها عدة معان في معاجم اللغة منها :-

١- **الظَّهير على الأمر** ، يقال له : العَوْنُ ، ورجل مِعْوان : كثير المعونة للناس .

٢- **النَّصَفُ في سِنّها من كل شيء** ، يقال : بقرة عَوَانٌ ، أي لا فارض مسنَّة ، ولا بكر صغيرة.

ويظهر أن المعنى الشرعي مشتق من العَوْن ، والسين والتاء للطلب ، فالمعنى إذاً طلب ذلك العون وهو الظهير ، هذا في اللغة ، ومنه اشتق المعنى الشرعي ، وفيما يلي بيان معناه الشرعي .

---

(١) معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٣٨-١٣٩) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١، ٥٩، ٦٠) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٨) ، لسان العرب (٩/٤٨٤) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٣٨-١٣٩) .

المطلب الثاني
الاستعانة شرعاً

قال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [الفاتحة:٥] .

أي نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك ، ونخصك بالاستعانة فلا نستعين بغيرك .

قال تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾ [الأعراف:١٢٨] .

عرَّفها شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والاستعانة طلب العون ، والمخلوق يطلب منه من هذه الأمور ما يقدر عليه منها)).[1]

وعرَّفها الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والاستعانة طلب العون على العبادة)).[2]

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((فالتوكل هو الاستعانة)).[3]

وعرَّفها **البيضاوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والاستعانة : طلب المعونة وهي إما ضرورية أو غير ضرورية...)).[4]

وعرَّفها الإمام **الراغب** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والاستعانة طلب العون)).[5]

وعرَّفها الإمام **المقريزي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((فإن قيل ما حقيقة الاستعانة عملاً ؟ قلنا هي التي يعبر عنها بالتوكل ، وهي حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله تعالى وتفرده بالخلق والأمر والتدبير والضُرّ والنفع وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فتوجب اعتماداً عليه وتفويضاً إليه وثقةً به)).[6]

---

(١) الفتاوى (١/١٠٣) .

(٢) مدارج السالكين (١/٧٦) .

(٣) المصدر السابق (٢/١١٣) .

(٤) تفسير البيضاوي (١/٩ـــ١٠) .

(٥) المفردات (ص/٣٥٤) .

(٦) كتاب تجريد التوحيد المفيد (ص/٨٧) .

وعرَّفها الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله ــ بقوله : « والاستعانة هي الاعتماد على الله في جلب المنافع ، ودفع المضار ، مع الثقة به في تحصيل ذلك ».[1]

وعرَّفها الشيخ **ابن عثيمين** ــ رحمه الله ــ بقوله : « والاستعانة : طلب العون بلسان المقال كقولك : اللهم أعني ، أو لا حول ولا قوة إلا بالله عند شروعك بالفعل ، أو بلسان الحال وهي أن تشعر بقلبك أنك محتاج إلى ربك ــ ﷻ ــ أن يعينك على هذا الفعل ، وأنه إن وكلك إلى نفسك وكلك إلى ضعف وعجز وعورة ، أو طلب العون بهما جميعاً » .[2]

ويظهر مما سبق من تعريفات أن الاستعانة شرعاً : هي طلب العون من الله سبحانه وتعالى ، مع ملازمة القلب لحال التوكل على الله جلَّ وعلا ، فهي مشتملة على قول اللسان وعمل القلب ، فلا تصح الاستعانة باللسان بدون عمل القلب ، وجماع عمله التوكل على الله تعالى . والله أعلم .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/٣٦) .

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/١٣٠) ، وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((الاستعانة بالله ، وهي الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه ، وتفويض الأمر إليه ، واعتقاد كفايته ، وهذه لا تكون إلا لله تعالى))[شرح ثلاثة الأصول (ص/٥٨)] .

المبحث الرابع
الاستقامة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الاستقامة لغةً .

المطلب الثاني : الاستقامة شرعاً .

المطلب الأول
الاستقامة لغةً

أصل الكلمة : الاستقامة مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (قَوَم) .[١]

تصريفها : الاستقامة إما على وزن (اسْتِفَالة) ، أو (اسْتِفْعَلَة) ، من (إِقَامَة) ، مزيدة بالسين والتاء ،على وزن (إفْعَال) ، وهي مصدر قياسي من الفعل الرباعي (أقام) ، وأصل إقامة ، (إقْوَام) ، فنقلت حركة العين (الواو) إلى الصحيح قبلها ، ثمّ تحركت العين بحسب الأصل ، وانفتح ما قبلها بحسب الآن ، فقلبت ألفاً ، فالتقى ساكنان (ألفان) ؛ المنقلبة عن العين والزائدة ، وعلى ذلك وقع الخلاف بين النحويين في وزنها .

والأصل الثلاثي من ذلك (قَام) من (قَوَمَ) ، ومضارعه (يَقُومُ) من (يَقْوُم) ، بنقل حركة المعتل إلى الصحيح قبلها .

والمصدر القياسي من (قَام يَقُومُ) الثلاثي هو (قَوْمَاً وقِياماً) ، والمصدر الميمي (مَقَام) وسُمِعَ (مُقَام) بضم الميم .[٢]

معناها لغةً : بعض معاني مادة (قوم) اللغويّة :

❖ **نقيض الجلوس** ، وهو القيام .

❖ **العزم على الشيء** : ومنه قوله تعالى : ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾ [الجن : ١٩] .

❖ **المحافظة والإصلاح** ، ومنه قوله تعالى : ﴿الرجال قوَّامون على النساء..﴾[النساء : ٣٤] .

❖ **الوقوف والثبات** ، وبه فُسِّر قوله تعالى : ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾[البقرة : ٢٠] .

❖ **المداومة** ، قال تعالى : ﴿ويقيمون الصلاة﴾[البقرة : ٣].

❖ **اعتدال الشيء واستواؤه** ، مثاله استقام له الأمر إذا اعتدل .

---

(١) مقاييس اللغة (٤٣/٥) ، غراس الأساس (ص/٣٨١) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (٢٠١٧/٥) ، تصريف الأسماء (ص/ ٥١، ٥٩، ٦٠،٧٢) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٣٦٨) .

❖ **نظام الأمر وعِماده** ، يقال : هو قِوام أهل بيته ، أي الذي يُقيم شأنهم .[1]

والناظر فيما سبق بعين التأمّل ، تبدو له علاقة الاستقامة الشرعية ببعض هذه المعاني اللغوية ؛ إذ فيها العزم على فعل الخيرات ، وبها صلاح النفس والحفاظ عليها ، وصاحبها ثابت على الحق ، ولا بد من المداومة على ذلك ، لا إفراط ولا تفريط ، فهي أساس الملة ، وقِوام عِماد الدين ، قل آمنت بالله ثم استقم .

---

(١) ينظر معنى الكلمة في : الصحاح (٥/٢٠١٦ـ ٢٠١٨) ، اللسان (١١/٣٥٤ ـ ٣٦١) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/٣٠٦) ، النهاية ـ ابن الأثير (٤/١٢٤ ـ ١٢٦) .

المطلب الثاني
الاستقامة شرعاً

قال تعالى : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ … ﴿١٥﴾ ﴾ [الشورى:١٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود:١١٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فصلت:٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الجن:١٦] .

لقد كثُرت تعاريف العلماء للاستقامة ، منذ عهد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ إلى ما بعدهم من علماء الأمة ، وفيما يأتي جملة مما وقفت عليه من كلامهم في تفسيرها :

عرَّفها **أبو بكر الصديق** ـ رضي الله عنه ـ خليفة رسول الله ﷺ ، وأعظم الأمة استقامة بعد نبيِّها ﷺ ، بتوحيد الله وعدم الإشراك به سبحانه فقال في قوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ..﴾ قال : ((هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً)) .[1]

يقول الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((... يريد الاستقامة على محض التوحيد)).[2]

---

(١) جامع البيان (١١٥/٢٤) ، الدر المنثور (٣٢١/٧) .

(٢) المصدر السابق (١٠٤/٢) .

وجاء عن ابن عباس مجاهد وعكرمة ـــ ﴿ .. ثم استقاموا .. ﴾ : أي على شهادة أن لا إله إلا الله » .[١]

وعرَّفها **عمر بن الخطاب** ـــ ﷺ ـــ بقوله في الآية : « استقاموا والله بطاعته ، ولم يرغوا روغان الثعلب » .[٢]

ولعلَّه يُشير إلى أنّ التحايل على الشرع ، بتحليل الحرام ، وتحريم الحلال ، والتنقيب عن التأويلات الفاسدة ينافي الاستقامة .

وقال عثمان بن عفّان ـــ ﷺ ـــ : « استقاموا : أخلصوا العمل لله ».[٣]

وقال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ يقول : « على أداء فرائضه ». [٤]

يقول الإمام الطبري ـــ رحمه الله ـــ في تفسير قوله تعالى ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ..﴾ : « .. وحده لا شريك له وبرئوا من الآلهة والأنداد ثم استقاموا على توحيد الله ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى » .[٥]

وعرَّفها الإمام **ابن رجب الحنبلي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « الاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم ، وهو الدين القويم ، من غير تعويجٍ عنه يَمْنة ولا يَسْرَة ، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة ، وترك المنهيات كلها كذلك ».[٦]

وعرَّفها **الراغب** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « واستقامة الإنسان لزومه المنهج المستقيم ».[٧]

---

(١) جامع البيان (٢٤/١١٥) ، الدر المنثور (٧/٣٢١) .

(٢) جامع البيان (٢٤/١١٥) ، الدر المنثور (٧/٣٢١) .

(٣) المدارج (٢/١٠٤) .

(٤) جامع البيان (٢٤/١١٥) ، الدر المنثور (٧/٣٢١) .

(٥) جامع البيان (٢٤/١١٤) .

(٦) جامع العلوم والحكم (ص/٢٠٥) .

(٧) المفردات (ص/٤١٨) .

وعرَّفها **الجرجاني** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((هي الوفاء بالعهود كلها ، وملازمة الصِّراط المستقيم برعاية حدّ التوسط في كل الأمور)).[١]

قال الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله ــ في قوله تعالى : ﴿ إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾[فصّلت : ٣٠] ، بعد أن ذكر أقوالاً في الاستقامة : ((قلت : وهذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها : اعتدلوا على طاعة الله عقداً وقولاً وفعلاً ، وداموا على ذلك)).[٢]

وقريباً منه تعريف الإمام **الماوردي** [٣] ــ رحمه الله ــ : ((.. الاستقامة : أن يجمع بين فعل الطاعات ، واجتناب المعاصي ، لأنّ التكليف يشتمل على أمر بطاعة يبعث على الرغبة ، ونهي عن معصية يدعو إلى الرهبة)).[٤]

وعرَّفها الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((فالاستقامة كلمة جامعة ، آخذة بمجامع الدين ، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق ، والوفاء بالعهد ، والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات)).[٥]

وعرَّفها الإمام **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الاستقامة كِنايَة عن التمسُّك بأمر الله تعالى فعلاً وتركاً)).[٦]

---

(١) التعريفات (ص/٣٧) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٣٤) .

(٣) قال الذهبي : الإمام العلامة أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي صاحب التصانيف حدث عن الحسن بن علي الجبلي صاحب أبي خليفة الجمحي وعن محمد بن عدي المنقري ومحمد بن معلى وجعفر بن محمد بن الفضل حدث عنه أبو بكر الخطيب ووثقه وقال مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة وقد بلغ ستاً وثمانين سنة وولي القضاء ببلدان شتى ثم سكن بغداد)).[سير أعلام النبلاء (١٨/٦٤)] .

(٤) تفسير الماوردي (٥/١٧٩، ١٨٠) .

(٥) مدارج السالكين (٢/١١٠) .

(٦) فتح الباري (١٣/٢٧١) .

وعرَّفها **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الاستقامة : وهي لزوم المنهج المستقيم ، وهو المتوسط بين الإفراط والتفريط ، وهي كلمة جامعة لكل ما يتعلّق بالعلم ، والعمل، وسائر الأخلاق، فتشمل العقائد والأعمال المشتركة بينه ﷺ وبين سائر المؤمنين ، والأمور الخاصة به عليه الصلاة والسلام ؛ من تبليغ الأحكام والقيام بوظائف النبوة ، وتحمل أعباء الرسالة ، وغير ذلك..».[1]

وقيل : « الاستقامة حقيقتها : عدم الاعوجاج والميل ، والسين والتّاء فيها للمبالغة في التقوّم ، فحقيقة استقام : استقلَّ غير مائل ، ولا منحنٍ . وتطلق الاستقامة أيضاً على ما يجمع حسن العمل ، والسير على الحق والصدق ».[2]

وقيل : « الاستقامة ضد الاعوجاج ، وهي مرور العبد في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل ، والمداومة ».[3]

وعرَّفها الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله ــ بقوله : « الاستقامة : لزوم طاعة الله ، وطاعة رسوله على الدوام ».[4]

هذا ما تيسَّر ذكره في هذا المقام ، وهذه الأقوال وإن كانت متداخلة ، ويُعضد بعضها بعضاً ، إلاّ أن بعضها ليس بشامل، إذ عرَّفها بعضهم بالأعمال الظاهرة فحسب ولم يُشِر إلى أعمال القلوب ، وهي لُبّ الاستقامة ، وبعضهم لم ينُص في تعريفه على الاستقامة العظمى التي بها النجاة من الخلود في النار ، أعني الاستقامة على التوحيد وإخلاص العبادة لله ، وآخرون كانت تعريفاتهم على وجه العموم والإجمال .

---

(١) روح المعاني (١٢ ١٥٢) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٤/٢٨٢ــ٢٨٤) .

(٣) التعريفات (ص/٣٧) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٦١٦) .

ومن أشملها حسب نظري ، هو تعريف الإمام ابن رجب ــ رحمه الله تعالى ــ ، ففيه كفاية وغُنْيَة ، على أنه يمكننا وضعُ تعريفٍ مستخلصٍ من جملة تلكم التعاريف وهو :

الاستقامة : هي سلوك الصراط المستقيم ، الذي دلَّ عليه كتاب الله المبين ، وكلامُ سيِّد المرسلين ، أصولاً وفروعاً ، أمراً ونهياً ، ظاهراً وباطناً ، صدقاً واعتدالاً ، والمداومة على ذلك . والله أعلم .

المبحث الخامس
الانقياد

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الانقياد لغةً .

المطلب الثاني : الانقياد شرعاً .

المطلب الأول
الانقياد لغةً

أصل الكلمة : الانقياد مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (قَوَدَ) .[١]

تصريفها : الانقياد على وزن (انْفِعَال) ، وهو مصدر قياسي للفعل الخماسي (انْقَـادَ) ، وأصله (انْقَوَدَ) ، على وزن (انْفَعَلَ) ، والقاعدة للمصدر أن يكون على وزن ماضيه بعد كسر ثالثه ، وزيادة ألف قبل آخره ، فيقال (انْقِوَاد) ، فتحرّكت الواو بعد كسر فقلبت ياءً فصارت (انْقِيَاد) ، والأصل الثلاثي منه (قاد)، من (قَوَدَ) ، ومضارعه (يَقُودُ) من باب نصر .[٢]

معناها لغةً : من معاني مادة قَوَدَ في كتب اللغة :-

- نقيض السوق ، فالقَوْدُ من أمام والسَّوْقُ من خلف ، قاد البعير إذا جرَّه خلفه ،
- القَوْدُ : الخيل ، والمِقْوَد : الحبل يشدّ في الزّمام أو اللّجام تُقاد به الدابة .
- قتلُ النّفس بالنفس ، وهو القصاص ، وأقدْتُ القاتل بالقتيل أي قتلته به .
- الخضوع ، قُدْتُهُ فانقاد ، إذا أعطاك مقَادته وخضع لك .

والمعنى الأخير هو أقربها إلى معنى الانقياد الشرعي كما سيأتي .

---

(١) مقاييس اللغة (٥/٣٨) .

(٢) تصريف الأسماء (ص/٦٦)، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٢)، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٣٢٨) .

المطلب الثاني
الانقياد شرعاً

الانقياد من المصطلحات الشرعية التي لم يرد لفظها في القرآن ، ولا في السنة ــ على حسب علمي ــ ، لكن ورد فيهما ما يرادفه أو يقارب معناه كإسلام الوجه لله [١] ، وإنما استعمله علماء السلف في معرض البيان لبعض المسمَّيات الشرعية .

والانقياد الشرعي نوعان : الأول : انقياد الباطن ، أو الانقياد القلبي ، والثاني : الانقياد الظاهر ، أو انقياد الجوارح ، يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ: ((..فانقاد باطنه لأحكام المعرفة ، وظاهره لأحكام العلم)).[٢]

والانقياد يعتبر من الأعمال ، أي أعمال القلب والجوارح ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ : ((... وهذا الانقياد والاستسلام : هو من نوع الإرادة والعمل ...)).[٣]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((..والأمر يستوجب الانقياد والاستسلام ، وهو عمل في القلب جماعه الخضوع والانقياد للأمر ، وإن لم يفعل المأمور به...)).[٤]

وعرَّف الإمام **المروزي** ــ رحمه الله تعالى ــ الخضوع ، وهو الانقياد القلبي بقوله : ((... وتخضع له ولأمره ، بإعطاء العزم للأداء لما أمر ، مجانباً للاستنكاف والاستكبار والمعاندة...)).[٥]

---

(١) فقه الأدعية والأذكار (ص/١٨٤) .

(٢) مدارج السالكين (٣/١٦٦) .

(٣) الصارم المسلول (ص/٥٢٠) .

(٤) المصدر السابق (ص/٥١٩) .

(٥) تعظيم قدر الصلاة (١/٣٩٣) .

وقد ذكر الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ في كتابه ((إغاثة اللهفان)) كلاماً يتعلّق بالانقياد لغير الرسول ﷺ ، يمكن استخراج تعريف منه فقال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((..ولا يكفيه هذا حتى يَسْلَمَ من الانقياد ، والتحكيم لكل من عدا رسوله ﷺ ، فيعقد قلبه معه عقداً محكماً على الائتمام ، والاقتداء به وحده دون كل أحد ، في الأقوال والأعمال ؛ من أقوال القلب ، وهي العقائد ، وأقوال اللسان ، وهي الخبر عما في القلب ، وأعمال القلب ، وهي الإرادة ، والمحبة ، والكراهة ، وتوابعها ، وأعمال الجوارح ، فيكون الحاكم عليه في ذلك كله ، دِقّه وجلّه هو ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، فلا يتقدم بين يديه بعقيدة ولا قول ولا عمل...)).[1]

ومن خلال هذا البيان يمكننا أن نقول : ((الانقياد : هو عقد القلب عقداً محكماً ، على إقامة دين الله ، بالإيمان بالله تبارك وتعالى وحده ، والائتمام والاقتداء بالرسول الكريم ﷺ دون ما سواه ، في الأقوال والأعمال ؛ من أقوال القلب ، وهي العقائد ، وأقوال اللسان ، وهي الخبر عما في القلب ، وأعمال القلب ، وهي الإرادة ، والمحبة ، والكراهة ، وتوابعها ، وأعمال الجوارح)) ، والله أعلم .

---

(1) إغاثة اللهفان (١/٨) .

المبحث السادس
التبتل

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التبتل لغةً .

المطلب الثاني : التبتل شرعاً .

المطلب الأول
التبتل لغةً

أصل الكلمة : التَّبَتّل مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (بَتَلَ).[١]

تصريفها : التَّبَتُّل على وزن التَّفَعُّل ، وهو مصدر قياسي للفعل (تَبَتَّل) ، على وزن تَفَعَّل ، مزيد بحرفين ، التاء في أوله والتضعيف ، كتوكل توكّلاً ، وتوقّف توقُّفاً ، والأصل الثلاثي منه (بَتَلَ) ومضارعه (يَبْتِلُ) ، من باب ضَرَبَ يضْرِبُ ، والمصدر القياسي منه (بَتْـل) أو يأتي على (بَتِلَ) ، ومضارعه من ذلك (يَبْتَل) ، من باب فَرِحَ يَفْـرَحُ ، والمصـدر القياسي (بَتَل) ، ومن المصادر (تبتيل) ، قال تعالى : ﴿ واذكر اسم ربك وتبتَّل إليـه تبتيلا﴾[المزمل : ٨].[٢]

معناها لغة : من معاني مادة بتل اللغوية :-

١- القطع ، يقال بتله يبتله إذا أبانه من غيره ، ولذا يقال للنخلة التي انقطعت منـها فسيلة البتول والبتيل والمُبْتِل ، ويقال لمن انقطع عن كل شيء إلا الله تَبَتَّل ، والبتـول من النساء المنقطعة عن الرجال ، والتبَتُّل ترك النكاح والانقطاع عنه وعن الدنيا .

٢- الحقُّ ، يقال بَتْلاً أي حقاً .

٣- إيجاب الشيء ، وفي الحديث « بتل رسول الله ﷺ العُمْرَى » .[٣] ، أي أوجبها .[٤]

---

[١] مقاييس اللغة (١/١٩٥) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : لسان العرب (١/٣١١) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٣) ، تصريف الأسماء (ص/٥١ ، ٥٤) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/ ١٤٨ ، ١٥٣) .

[٣] رواه الإمام النسائي في سننه (٦/٢٧٢) برقم (٣٧٢٦) ، عن مكحول يرفعه إلى النبي ﷺ ، وهو حديث مرسل ومنقطع بهذا الإسناد . والعُمْرَى : أن يقول الرجل : أعمرتك داري هذه ، أو هي لك عمري ، أو ما عِشْتُ ، أو مدة حياتكَ ، أو ما حَيِيتَ ، أو نحو هذا ، سميت عُمْرى لتقييدها بالعمر . ينظر : المغني (٨/٢٨٢) ، تحرير التنبيه (ص/٢٦٣) .

[٤] ينظر إلى معناها في : الصحاح (٤/١٦٣٠) ، اللسان (١/٣١١ـــ٣١٢) ، معجم الأفعال المتعدية (ص/١٣) .

وبالتأمل يظهر لنا اتحاد هذه المعاني ، وأن مرجعها إلى معنى القطع ، فالحقُّ يفصل ويقطع النزاع ، ومن أوجب لأحد ملكاً فقد قطعه عن غيره ، ولذا يقول ابن فارس — رحمه الله تعالى — : « الباء والتاء واللام أصل واحد يدلُّ على إبانة الشيء من غيره ».[1]

والله تعالى أعلم .

---

[1] مقاييس اللغة (١/١٩٥) .

المطلب الثاني
التبتل شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل:٨] .

اعلم رحمك الله أنّ التبتل في الشرع له معنيان ؛ أحدهما مأمور به ورد ذكره في القرآن ، والثاني منهيّ عنه غير مأذون فيه ، وورد ذكره في السنة [1]، ولا تناقض هنا لاختلاف متعلقيهما ، وكلا المعنيين مما تحتمله لغة العرب ، والذي يتعلق ببحثنا هو المعنى الأول المأمور به ، فأمّا التبتُّل الممنوع فالمقصود به :

« هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح والترهب في الصوامع ، وقيل هو الانقطاع عن الناس والجماعات ».[2]

يقول الإمام **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ في هذا النوع الممنوع من التبتل ــ : « المراد بالتبتل هنا الانقطاع عن النكاح وما يتبعه من الملاذ إلى العبادة ».[3]

أما التبتُّل المحمود فإليك أقوال العلماء في بيانه :-

عرّفه الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « التبتُّل : الانقطاع إلى عبادة الله عز وجل ».[4]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : « فالتبتل المأمور به : الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة ».[5]

وعرّفه الإمام **الهروي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « التبتل : الانقطاع إلى الله بالكلية ».[6]

---

(١) ينظر مصطلح الرهبانية في مكانه من الرسالة .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٣٠) .

(٣) فتح الباري (٩/٢٠) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٤٤) .

(٥) المصدر السابق (١٩/٤٤) .

(٦) مدارج السالكين (٢/٢٩) .

وعرَّفه **عبد الرحمن بن زيد بن أسلم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((التبتل رفض الدنيا وما فيها ، والتماس ما عند الله تعالى)).[١]

هذا ما وقفت عليه صريحاً في تعريف التبتل ، لكن هناك جملة من أقوال السلف ذكروها تفسيراً لقوله تعالى﴿ وتبتَّل إليه تبتيلاً ﴾[المزمل ٨] ، وفيها ما يصلح تفسيراً للتبتل ، وإليك بعض هذه الأقوال :

قال **ابن عباس** ﷺ : ((أَخْلِص إليه إِخْلاصاً)).[٢]

وقال **قتادة** ــ رحمه الله ــ : ((أخلص له الدعوة والعبادة)).[٣]

وقال **سفيان** ــ رحمه الله ــ : ((توكَّل عليه توكُّلاً)).[٤]

وقال الإمام **الطبري** ــ رحمه الله ــ : ((وانقطع إليه انقطاعاً لحوائجك وعبادتك دون سائر الأشياء غيره)).[٥]

وقال **البيضاوي** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وانقطع إليه بالعبادة ، وجرّد نفسك عما سواه)).[٦]

وقريباً منه قول **الألوسي** ــ رحمه الله ــ : ((وتبتل إليه ، أي وانقطع إليه تعالى بالعبادة ، وجرّد نفسك عما سواه عز وجل ، واستغرق في مراقبته سبحانه)).[٧]

وقال الإمام **الراغب** ــ رحمه الله ــ : ((أي انقطع في العبادة وإخلاص النية)).[٨]

---

(١) معالم التنـزيل (٤/٤٠٩) .

(٢) المصدر السابق (٤/٤٠٩) .

(٣) تفسير الصنعاني (٢/٢٦١) ، قال المحقق : في نسخة (م) الدعاء والعبادة .

(٤) المصدر السابق (٤/٤٠٩) .

(٥) جامع البيان (٢٩/١٣٢) .

(٦) تفسير البيضاوي (٢/٥٣٨) .

(٧) روح المعاني (٢٩/١٠٦) .

(٨) المفردات (ص/٣٦) .

وقال الشيخ **السعدي** ـــ رحمه الله ـــ في الآية : « أي انقطع إليه ، فإن الانقطاع إلي الله والإنابة إليه ، هو الانفصال بالقلب عن الخلائق ، والاتصاف بمحبة الله ، وما يقرب إليه ، ويوفى من رضاه ».(١)

وقال الحافظ **ابن حجر** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : «... وأما المأمور به في قوله تعالى : ﴿ وتبتل إليه تبتيلاً ﴾[المزمل :٨] ، فقد فسَّره مجاهد فقال : أخلص له إخلاصاً ، وهو تفسير معنى ، وإلا فأصل التبتل الانقطاع ، والمعنى انقطع إليه انقطاعاً . لكن لما كانت حقيقة الانقطاع إلى الله إنما تقع بإخلاص العبادة له فسرها بذلك ».(٢)

ويتضح لنا مما سبق : أن التبتل محله القلب ، ولكن لا بد أن يظهر أثره على الجوارح ، وعليه نقول : التبتل الشرعي : هو انقطاع العبد بقلبه ، وجميع جوارحه إلى ما يحبه الله ويرضاه ، وبعده عما يسخط الله تعالى ، مع مراعاة الشرع والسنة . والله أعلم .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٠٠/٧) .

(٢) فتح الباري (٢٠/٩) .

المبحث السابع
التسبيح

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التسبيح لغةً .

المطلب الثاني : التسبيح شرعاً .

المطلب الأول
التسبيح لغةً

أصل الكلمة : التسبيح مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (سَبَحَ) .(١)

تصريفها : التسبيح على وزن (تَفْعِيلٌ) ، وهو مصدر قياسي للفعل الرباعي (سَبَّح) ، مزيد بالتضعيف ، والأصل الثلاثي (سَبَحَ) صحيح سالم ، يقال فيه (سَبَحَ يَسْبَحُ سَبْحاً وسِبَاحَةً) من باب فَتَحَ يَفْتَحُ .(٢)

معناها لغة : معاني مادة سبح اللغوية :-

١- التسبيح : هو التنزيه ، وسبحان الله : أي تنزيه لله ، والتنزيه هو التبعيد .

٢- والسُّبْحَةُ : التطوع من الذكر والصلاة ، وقيل : هي خَرَزَاتٌ يُسَبَّحُ بها .

٣- والسَّبْحُ : الفراغ ، ومنه السِّباحَة : وهي العوم في الماء ، لأنها تكون في فراغ ، وقيل السَّبْحُ : السكون ، وقيل : التقلُّب ، فيكون من الأضداد ، وسَبْحُ الفرس : جَرْيُه .

٤- والسَّبَّاحة والمُسَبِّحَةُ : الإصبع التي تلي الإبهام ، سميت بذلك لأنها يُشَار بها عند التسبيح.(٣)

وأقربها إلى المعنى الشرعي هو المعنى الأول ، كما ستعلم ذلك في المطلب التالي ، إن شاء الله تعالى ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (١٢٥/٣) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٦٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٧٠-٢٤٤) .

(٣) ينظر لهذه المعاني وغيرها في : الصحاح (٣٧٢/١) ، لسان العرب (١٤٣/٦-١٤٦) .

المطلب الثاني
التسبيح شرعاً

قال تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة:٩٦] .

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ [الإنسان:٢٦] .

قال تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التغابن:١] .

قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤] .

عرَّفه الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « وأصل التسبيح لله عند العرب : التنــزيه له من إضافة ما ليس من صفاته إليه ، والتبرئة له من ذلك .. ».[1]

وهذا هو معنى التسبيح الشرعي ، مع إضافة أن يكون ذلك التنــزيه على وجــه التعظيم ، والتعبّد لله تعالى ، ويحصل ذلك التنــزيه ، وتلك التبرئة بالقلب واللسان .

وعرَّفه الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « ونحن نسبّح بحمــدك : أي ننــزّهك عما لا يليق بصفاتك ، والتسبيح في كلامهم : التنــزيه من السوء على وجــه التعظيم ».[2]

وعرَّفه الإمام **ابن رجب الحنبلي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « والتسبيح هــو : تنــزيه الله عن النقائص ، والعيوب ، والآفات ».[3]

وعرَّفه **البيضاوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « والتسبيح : تبعيد الله تعالى عــن السوء ».[4]

---

(١) جامع البيان (٢١١/١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٦/١) .

(٣) جامع العلوم والحكم (ص/٢١٦) .

(٤) تفسير البيضاوي (٢٨٣/١) .

وعرَّفه **الراغب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والتسبيح : تنزيه الله تعالى ، وأصله المَرُّ السريع في عبادة الله تعالى ، وجُعِلَ ذلك في فعل الخير ... وجُعِلَ التسبيح عامًّا في العبادات ، قولاً كان ، أو فعلاً ، أو نيَّةً)).(١)

وعرَّفه الإمام **ابن حزم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فالتسبيح عندنا إنما هو : قول سبحان الله وبحمده)).(٢)

وعرَّفه الإمام **النووي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((.. معنى التسبيح : التنزيه عما لا يليق به سبحانه وتعالى ؛ من الشرك والولد والصاحبة ، والنقائص مطلقاً ، وسمات الحدوث مطلقاً)).(٣)

وعرَّفه الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((.. فإنا قد ذكرنا أنَّ التسبيح فيه نفي السوء والنقائص ، المتضمن إثبات المحاسن والكمال)).(٤)

وذلك لأنَّ النفي المحض لا يعتبر مدحاً ، حتى يتضمن إثبات الكمال .

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فإنَّ التسبيح : تنزيه الله سبحانه عن كل سوء ، قال ميمون بن مهران : سبحان الله : كلمة يعظَّم بها الرب ، ويُحاشى بها عن السوء)).(٥)

ويقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ **أيضاً** : ((والتسبيح : ثناء عليه سبحانه ، يتضمن التعظيم والتنزيه)).(٦)

---

(١) المفردات (ص/٢٢١) .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٧١/١) .

(٣) شرح صحيح مسلم ــ النووي (١٨/١٧) .

(٤) الفتاوى (٢٥١/١٠) .

(٥) شفاء العليل (ص/١٧٩) .

(٦) المنار المنيف (ص/٣٦) .

وعرَّفه الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « التسبيح : يعني قول : سبحان الله ، ومعناه تنـزيه الله عما لا يليق به من كل نقص ، فيلزم نفي الشرك ، والصاحبة ، والولد ، وجميع الرذائل ، ويطلق التسبيح ، ويراد به جميع ألفاظ الذكر ، ويطلق ويراد به صلاة النافلة ».[1]

وعرَّفه **الزرقاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والتسبيح : تقديس له عما لا يليق به ، وتنـزيه عن النقائص ».[2]

وعرَّفه الإمام **المناوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « فالتسبيح : تقديس لذاته عما لا يليق بجلاله ، وتنـزيه لصفاته عن النقائص ».[3]

وعرَّفه الإمام **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والتسبيح في الأصل مطلق التبعيد ، والمراد به تبعيد الله عن السوء ، وهو متعدٍّ بنفسه ، ويعدَّى باللام ، إشعاراً بأن إيقاع الفعل لأجل الله تعالى ، وخالصاً لوجهه سبحانه .. وقيل المراد به تسبيح خاص وهو : سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان ذي العظمة والجبروت ، سبحان الحي الذي لا يموت ».[4]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : « وأصل التسبيح : التنـزيه ، ويطلق على مطلق العبادة القولية ، والفعلية .».[5]

وعرَّفه الشيخ **العظيم أبادي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « ومعنى التسبيح تنـزيه عما لا يليق به من كل نقص ».[6]

وعرَّفه الشيخ **المباركفوري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « المراد بالتسبيح : تنـزيه الرب عن الشرك ، ونحوه من صفات النقصان والزوال ».[7]

---

(١) فتح الباري (٢٠٦/١١) .

(٢) شرح الزرقاني (٣٩/٢) .

(٣) فيض القدير (١٧٣/١) .

(٤) روح المعاني (٢٢٢/١) .

(٥) المصدر السابق (١٦٦/٢٩) .

(٦) عون المعبود (٢٨٢/١٣) .

(٧) تحفة الأحوذي (٢٢٥/٧) .

وعرَّفه الشيخ **الشنقيطي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((ومعناه في عـــرف الشـــرع : تنـــزيه الله جلَّ وعلا عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله)).[1]

فهذه جملة مما وقفت عليه من كلام العلماء في بيان هذه العبادة العظيمة ، ويظـــهر من مجموع كلام العلماء أنَّ التسبيح يتعلّق بالقلب ـــ وهو الأصل ـــ واللسان ، والجوارح كالصلاة لما اشتملت عليه من تسبيح الله تعالى ، ويشير إلى ذلك تعريف الراغب وتعريـف الألوسي الثاني ، وعليه يمكن أن نقول في تعريفه :

((**التسبيح : هو تنـــزيه الله تعالى ، بالقلب ، واللسان ، والجوارح على وجـــه التعظيم**)).[2]

---

(١) أضواء البيان (١٨٣/٣) .

(٢) يقول الشيخ المباركفوري ـــ رحمه الله ـــ : ((سبحوا بصيغة الأمر من التسبيح ، أي نزهوا الملك القدوس ، أي عما هو منـــزه عنه ، والمعنى : اعتقدوا أنه منـــزَّه عنه ، وليس المراد إنشاء تنـــزيه ؛ لأنه منـــزّه أزلاً وأبداً ، أو اذكروه بالتسبيح لقوله تعالى : ﴿ وإن من شيء إلا يسبِّح بحمده ..﴾ [الإسراء : ٤٤]))[تحفة الأحوذي (١٣/١٠)] ، فذكر تسبيح القلب واللسان . وقد يكون إطلاق التسبيح على العبادة العملية ، كالصلاة مثلاً ، لما تضمنته من تسبيح الله تعالى على وجه التعظيم ، والله تعالى أعلم .

المبحث الثامن
التقديس

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التقديس لغةً .

المطلب الثاني : التقديس شرعاً .

المطلب الأول
التقديس لغةً

أصل الكلمة : التقديس مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو (قَدُسَ).[١]

تصريفها : التَّقْدِيس على وزن (تَفْعِيل) ، وهو مصدر قياسي للفعل الرباعي (قَدَّسَ) ، مزيد بالتضعيف ، يقال : (قَدَّسَ يُقَدِّسُ تَقْدِيساً) ، والأصل الثلاثي من ذلك (قَدُسَ يَقْدُسُ) والمصدر القياسي (قَدَاسَة) على وزن (فَعَالة).[٢]

معناها لغةً : من معاني مادة قدس اللغوية ما يأتي :-

١. التقديس : التطهير والتبريك ، يقال : قدَّسَه تقديساً : إذا طهَّره ، اعتقاداً ونسبة .
٢. والقُدْسُ والقُدُسُ : الطهر ، وقيل : القُدْس : البركة .
٣. وبيت المقدس : البيت المطهر .(٣)

ويلاحظ أن جميع المعاني يرجع إلى معنى الطهر والتطهير ، ولذا يقول ابن فارس ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « القاف والدال والسين أصل صحيح ، وأظنه من الكلام الشرعي الإسلامي ، وهو يدلُّ على الطهر ».[٤] ، وهذا ما سيعلم في المطلب التالي ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) مقاييس اللغة (٦٣/٥) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأفعال (ص/٥٥ ، ٦٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٨٩) .

(٣) ينظر لهذه المعاني وغيرها في : الصحاح (٣/٩٦٠-٩٦١) ، لسان العرب (١١/٦٠-٦٢) ، تهذيب الأسماء واللغات (٣/١٠٩) ، أساس البلاغة (ص/٣٥٤) .

(٤) مقاييس اللغة (٦٣/٥) .

المطلب الثاني
التقديس شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

سبق معنا في المطلب السابق ، أن معنى التقديس في اللغة بمعنى التطهير ، وعليه جاءت تعاريف العلماء في الغالب موافقة للمعنى اللغوي ، وفيما يلي أسوق ما وقفت عليه من أقوالهم فأقول وبالله التوفيق :

عرَّفه الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والتقديس : هو التطهير ، ومنه قولهم سبوح قدوس ، يعني بقولهم سبوح تنزيه لله ، وبقولهم قدوس : طهارة له وتعظيم .. وقد قيل : إن تقديس الملائكة لربها : صلاتها له .. وقال بعضهم : ونقدِّس لك : نعظِّمك ونمجّدك .. وأما قول من قال : إن التقديس الصلاة [1] أو التعظيم ، فإن معنى ذلك راجع إلى المعنى الذي ذكرناه من التطهير؛ من أجل أن صلاتها لربها: تعظيم منها له ، وتطهير مما ينسبه إليه أهل الكفر به ..)).[2]

وقريباً من ذلك قول الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله ـــ عند قوله تعالى : ﴿ ونقدس لك ﴾ [البقرة : ٣٠] : ((أي نعظمك ونمجدك ، ونطهر ذكرك عما لا يليق بك مما نسبك إليه الملحدون)).[3]

---

(١) قال الإمام القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((وقال قوم منهم قتادة ، نقدِّسُ لك : معناه نصلي ، والتقديس الصلاة ، قال ابن عطية : وهذا ضعيف . قلت بل معناه صحيح فإن الصلاة تشتمل على التعظيم ، والتقديس ، والتسبيح ..)) [الجامع لأحكام القرآن ـــ القرطبي (٢٧٧/١)] .

(٢) جامع البيان (٢١١/١-٢١٢) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٧/١) .

وعرَّفه الإمام **ابن الأثير** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((وقد تكرر ذكر التقديس في الحديث ، والمراد به التطهير)).[١]

وعرَّفه الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والقدوس مأخوذ من التقديس وهو التطهير ، ومنه سمّي القدوس قدوساً)).[٢]

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((القدس : الطهارة ، والتقديس : التطهير والتنزيه)).[٣]

وعرَّفه **الجرجاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((التقديس : عبارة عن تبعيد الرب عمّا لا يليق بالألوهية)).[٤]

وعرَّفه **المناوي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((.. ولأنَّ التقديس من قدَّس في الأرض : إذا ذهب فيها وأبعد ، ويقال قدس إذا طهر ؛ لأنَّ مطهّر الشيء يبعده عن الأقذار)).[٥]

وعرَّفه الإمام **الشوكاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والتقديس : التطهير ، أي ونطهرك عما لا يليق بك مما نسبه إليك الملحدون ، وافتراه الجاحدون)).[٦]

وقيل : ((إن معنى التسبيح والتقديس واحد ، وهو تبعيد الله من السوء ، وأنهما من سبح في الأرض والماء ، وقدس في الأرض : إذا ذهب فيها وأبعد)).[٧]

وعرَّفه **الألوسي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والتقديس في المشهور كالتسبيح معنى .. وقيل : التسبيح تنزيهه تعالى عما لا يليق به ، والتقديس تنزيهه في ذاته عما لا يراه لائقاً بنفسه ، فهو أبلغ .. ويحتمل أن يكون بمعنى التطهير ، والمراد نسبّحك ،

---

[١] النهاية (٤/٢٣) .

[٢] بيان تلبيس الجهمية (٢/٥٣٧) .

[٣] مدارج السالكين (٣/١٩٢) .

[٤] التعريفات (ص/٨٩) .

[٥] فيض القدير (٥/٥٩) .

[٦] فتح القدير (١/٦٣) .

[٧] المصدر السابق (١/٦٣) .

ونطهر أنفسنا من الأدناس، أو أفعالنا من المعاصي، فلا نفعل فعلهم من الإفساد والسفك ، أو نطهر قلوبنا من الالتفات إلى غيرك)).[١]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((والقدس : الطهارة والبركة ، أو التقديس : ومعناه التطهير)).[٢]

وعرَّفه الشيخ **المباركفوري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والتقديس : أي قول سبحان الملك القدوس ، أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح ..)).[٣]

وعلى ضوء ما سبق يمكننا أن نقول : بأن تقديس العباد لربهم يشمل : تقديسهم له بالقلب ، واللسان ، وكذا بأعمال الجوارح ــ بما تضمّنته هذه الأعمال من تقديس القلب ، واللسان ــ ؛... فالقلب يعتقد به عظمة الله تعالى ، وبُعْدَهُ وبراءته عما نسبه إليه الجاحدون ، ويتلفظ بلسانه بكل ما يدلُّ على التنزيه ، وإبعاده تعالى عن كل سوء ، ونقص ، وعيب ، كما يُقَدَّسُ تعالى بالأعمال ؛ كالصلاة المتضمنة لتقديس القلب ، واللسان ، وكذا الحج ، ولذا كان رسول الله ــ ﷺ ــ يقول في ركوعه : ((.. سبوح قدوس رب الملائكة والروح)).[٤] ، والله أعلم .

---

(١) روح المعاني (٢٢٢/١) .

(٢) روح المعاني (٣١٧/١) .

(٣) تحفة الأحوذي (٣١/١٠) .

(٤) رواه مسلم (٣٥٣/١) برقم (٤٨٧) .

المبحث التاسع
التقوى

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التقوى لغةً .

المطلب الثاني : التقوى شرعاً .

المطلب الأول
التقوى لغةً

أصل الكلمة : التقوى مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (وَقَى) .[١]

تصريفها : التقوى على وزن (فَعْلى) ، وأصلها (وَقْوَى) فقلبت الواو تاءً ، وهي اسم من الفعل الثلاثي (تَقَى يَتْقِي) ، وأصله (وَقَى) لفيف مفروق ، قال أهل اللغة : ((وأصل الحرف وَقَى يَقِي ، ولكن التاء صارت لازمة لهذه الحروف فصارت كالأصلية)). ، ومضارعه يَقِي ، بحذف فاء الفعل على قاعدة اللفيف المفروق الذي من باب ضَرَب يَضْرِب ، والمصدر القياسي (وَقْياً).[٢]

معناها لغةً : معاني مادة (وَقَى) من خلال معاجم اللغة :

- **الحماية والصيانة والسِّتر** ، يقال: وَقَيْتُ الشيء أقيه إذا صُنْتَه وسترته عن الأذى .
- **الكلاءة والحفظ** ، ووَقَاه الله وِقاية ، أي حفظه .
- **الحذر** ، يقال : وقد تَوَقَّيْتُ واتَّقَيْتُ الشيء إذا حذرته .[٣]

والمتأمل في هذه المعاني يجدها مرتبطة ببعضها إلى حدٍ ما ومتداخلة ، ويمكن أن نقول : إنّ التقوى الشرعية مأخوذة من جميع هذه المعاني ، إذ فيها حماية للنفس وسَتْرُها وصيانتها عن المعاصي ، وحفظها من عذاب الله والنار ، ومن خاف من شيءٍ حذِرَهُ .

---

(١) مقاييس اللغة (٦/١٣١) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/٤٣٩) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : لسان العرب (١٥/٣٧٧-٣٧٩) ، تصريف الأسماء (ص/٥١) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٩٦) ؛ معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٦٥ ؛ ٥١٦) .

(٣) ينظر معنى الكلمة في : النهاية في غريب الحديث (٥/٢١٧) ، الصحاح (٦/٢٥٢٦-٢٥٢٨) ، اللسان (١٥/٣٧٧ - ٣٨٠) .

المطلب الثاني
التقوى شرعاً

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ﴾ [الحديد:٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾ [الأحزاب:١] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن:١٦] .

وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

التقوى من المصطلحات الشرعية المرعية ، التي كَثُر ذكرها في القرآن والسنة ، لما لهـا من المكانة والأهمية ، كما تضافرت تعاريفُ العلماء لها منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم ، فما بعدهم ، وجميعها وإن اختلفت أساليبهم ، فهي تَصُبُّ في نهر واحد ، وفيما يلي أستعين الله تعالى في سردِ جملةٍ منها ، تبيِّن حقيقتها ، وتُفْصِحُ عن مدلولها ، جعلنا الله جميعاً ممن رُزِقَهَا .

عرَّفها **عبد الله بن عمر** ﷺ بترك ما حاك في الصدر فقال ﷺ : « لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر ».(١)

---

(١) رواه البخاري معلقاً موقوفاً في أول كتاب الإيمان (١/١١) .

وعرَّفها **طلق بن حبيب** ــ رحمه الله ــ بقوله : «التقوى : العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء رحمة الله، والتقوى ترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله ».[١]

يقول الإمام **ابن القيم** عَقِبَ ذكر لكلام طلق : « وهذا من أحسن ما قيل في حدّ التقوى ».[٢]

وعرَّفها الإمام **النووي** ــ رحمه الله ــ بقوله :« تقوى الله تعالى : امتثال أمره واجتنابُ نهيه ».[٣]

وعرَّفها شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله ــ بقوله : « والتقوى هي الاحتماء عما يضره بفعل ما ينفعه ، فإن الاحتماء عن الضار يستلزم استعمال النافع ، وأما استعمال النافع فقد يكون معه أيضاً استعمالاً لضار ، فلا يكون صاحبه من المتقين ».[٤]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : « وكذا اسم التقوى إذا أُفرِدَ دخل فيه فعل كل مأمور به ، وترك كل محظور ».[٥]

وعرَّفها الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ بقوله : « وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله ، إيماناً واحتساباً ، أمراً ونهياً ، فيفعل ما أمر الله به ، إيماناً بالأمر وتصديقاً بوعده ، ويترك ما نهى الله عنه ، إيماناً وخوفاً من وعيده ».[٦]

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (../..) ، تفسير ابن أبي حاتم (../...) ، الدر المنثور (٦١/١) .

(٢) التبوكية (ص/١٠) ، كما علّق الإمام الذهبي ــ رحمه الله ــ على كلام طلق بن حبيب بقوله :((أبدع وأوجز فلا تقوى إلا بعمل ، ولا عمل إلاّ بتروٍ من العلم والاتباع ، ولا ينفع ذلك إلاّ بالإخلاص له ، لا ليقال : فلان تارك للمعاصي بنور الفقه ، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها ويكون الترك خوفاً من الله، لا ليمدح بتركها، فمن داوم على هذه الوصية فاز)). ينظر كلام الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦٠١/٤) .

(٣) تحرير التنبيه (ص/٩٦) .

(٤) الفتاوى (١٤٤/١٠) .

(٥) المصدر السابق (١٦٣/٧) .

(٦) الرسالة التبوكية (ص/١٠) .

وقيل : ((التقوى أن تقِي نفسك من الله ، أي من غضبه وسخطه وعقوبته ، ولا يمكن هذا إلاّ بعد معرفته ومعرفة ما يرضيه وما يسخطه)).(١)

وعرَّفها الضحاك ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((التقوى : عملٌ بطاعة الله)).(٢)

وقيل : ((التحرُّز بطاعة الله عن عقوبته ، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك)).(٣)

وقيل : ((التقوى : مجانبة ما يبعدك عن الله)).(٤)

وعرَّفها ابن عطاء ــ رحمه الله ــ بقوله : ((للتقوى ظاهرٌ وباطنٌ ، فظاهرها محافظة الحدود ، وباطنها النيّة والإخلاص)).(٥)

وعرَّفها الراغب ــ رحمه الله ــ بقوله : ((وصار التقوى في تعارف الشرع : حفظ النَّفس عمَّا يُؤْثِمُ ، وذلك بترك المحظور ، ويتمُّ ذلك بترك بعض المباحات)).(٦)

وعرَّفها الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والمراد بالتقوى : اجتناب الأعمال السيئة ؛ من شرك أو فسق أو بدعة)).(٧)

يقول الإمام الصنعاني ــ رحمه الله ــ متعقّباً لتعريف ابن حجر فقال : ((.. وقد فاته أيضاً فيه قيد لا بد منه في تفسير التقوى ، وهو الإتيان بالواجبات ، فإنه لا يكفيه اجتناب السيئة ، ولكنه كأنه لما قال : (من شرك أو فسق أو بدعة) عُلِمَ أنه لو لم يأت بالواجبات ما صدق عليه اجتناب السيئات ، وأي سيئة أعظم من ترك الواجبات)).(٨)

---

(١) تفسير المنار (٣١٩/٤) .

(٢) جامع البيان (٢٨١/٢) .

(٣) التوقيف على مهمّات التعاريف (ص/١٩٩) ، التعريفات (ص/٩٠) .

(٤) الرسالة القشيرية (ص/١٠٦) .

(٥) المصدر السابق (ص/١٠٦) .

(٦) المفردات (ص/٥٣٠ــ٥٣١) .

(٧) نزهة النظر شرح نخبة الفكر (ص/٣٨) .

(٨) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف (ص/٤٧-٤٨) .

وعرَّفها **المناوي** بقوله : ((التقوى : تَجنُّب القبيح خوفاً من الله)).[1]

وعرَّفها الشيخ **محمد عبد الظاهر** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((هي خوف من الله في قلب عبده يحمل على اتباع المأمور ، واجتناب المحظور)).[2]

وعرَّفها **الشيخ السعدي** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((اسم جامع يدخل فيه العقائد الإيمانية وأعمال القلوب ، وأعمال الجوارح ، يدخل فيه جميع المأمورات ، وترك المنهيات)).[3]

وقال ـ رحمه الله ـ أيضاً : ((والتقوى الكاملة : امتثال أمر الله ، وأمر رسوله ، واجتناب نهيهما ، وتصديق خبرهما)).[4]

وعرَّفها الشيخ **محمد رشيد رضا** ـ رحمه الله ـ بقوله : ((هي عبارة عن ترك أسباب السخط والعقوبة ، وتحصل بترك المحرّمات ، وفعل الفرائض ، من غير توسّع في نوافل الخيرات)).[5]

وعرَّفها الشيخ **الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ** بقوله : ((والتقوى في اصطلاح الشرع : هي اتخاذ الوقاية دون عذاب الله وسخطه ، وهي مركبة من أمرين : هما امتثال أمر الله واجتناب نهيه)).[6]

هذا ما وقفت عليه من كلامهم فيها، ومن خلال استعراض تلكم التعاريف السابقة ، يتبيَّن شُمول تعريف طلق بن حبيب .

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (ص/١٩٩) .

(٢) الأولياء والكرامات (ص/١٩) .

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (٥/١/٥٢٩) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥/٦١٢) .

(٥) تفسير المنار (٤/٣١٥) .

(٦) أضواء البيان (٣/١٣٢) .

يقول الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « فإنَّ كل عمل لا بد له من مبدأ وغاية ، فلا يكون طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان ، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض ، لا العادة ولا الهوى ، ولا طلب المحمدة ، والجاه ، وغير ذلك ، بل لا بد أن يكون مبدؤه محض الإيمان ، وغايته ثواب الله ، وابتغاء مرضاته ، وهو الاحتساب ».(١)

وهذا ما توفر في تعريف طلق ، وعليه فالراجح من هذه التعاريف هو تعريفه ، ومن وافقه أو قاربه ، والله أعلم .

بقي الكلام عن مصطلحٍ مقاربٍ للتقوى ، ورد ذكره في كتاب الله تعالى ، وهو مصطلح « كلمة التقوى » يقول الله تعالى مشيراً إليه : ﴿ وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ [الفتح : ٢٦] .

عرَّفها شيخ الإسلام ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « وكلمة التقوى : اسم جنس لكل كلمة يتقى الله فيها وهو الصدق والعدل ، فكل من تحرَّى الصدق في خبره ، والعدل في أمره فقد لزم كلمة التقوى ، وأصدق الكلام وأعدله قول لا إله إلا الله ، فهو أخص الكلمات بأنها كلمة التقوى ».(٢)

وقال ـــ رحمه الله ـــ : « وكلمة التقوى : مثل لا إله إلا الله ، والله أكبر ، من الكلمات التي يصدِّق المؤمنون بمضمونها إن كانت خبراً ، ويطيعونها إن كانت أمراً ».(٣)

وعرَّفها الشيخ **السعدي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « وهي لا إله إلا الله وحقوقها ، ألزمهم القيام بها ، فالتزموها ، وقاموا بها ».(٤)

هذا ما تيسَّر ذكره وبالله التوفيق .

---

(١) الرسالة التبوكية (ص١٠) .

(٢) منهاج السنة (٥/٨٠) .

(٣) المصدر السابق (٥/٨٠) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٧/١٠٨) .

المبحث العاشر
التوبة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التوبة لغةً .

المطلب الثاني : التوبة شرعاً .

المطلب الأول
التوبة لغةً

أصل الكلمة : التوبة مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (تَوَبَ).(١)

تصريفها : التوبة على وزن (فَعْلَة) بفتح فسكون ، مصدر سماعي لفعل (تاب) ، يقال : (تابَ يَتُوب) ، والمصدر القياسي (تَوْبٌ) .(٢)

معناها لغةً : مادة توب تدور في كتب اللغة على معنى واحد ، وهو الرجوع ، ولذا قال ابن فارس ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((التاء والواو والباء كلمة واحدة تدلّ على الرجوع ، يقال تاب من ذنبه أي رجع عنه ..)).(٣)

---

(١) مقاييس اللغة (٣٥٧/١) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٢، ١٨٦) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٣٨) .

(٣) مقاييس اللغة (٣٥٧/١) . وينظر لهذا المعنى في : الصحاح (٩١/١) ، لسان العرب (٦١/٢) .

المطلب الثاني
التوبة شرعاً

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [التحريم:٨] .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [التوبة:١٠٤] .

قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة:٧٤] .

اعلم وفقك الله أن العلماء قسموا التوبة إلى قسمين : توبة واجبة ، وأخرى مستحبة ،...

يقول الإمام **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ : « التوبة نوعان : واجبة ومستحبة ، فالواجبة هي التوبة من ترك مأمور ، أو فعل محظور ، وهذه واجبة على جميع المكلفين كما أمرهم الله بذلك في كتابه ، وعلى ألسنة رسله، والمستحبة هي التوبة من ترك المستحبات ، وفعل المكروهات ، فمن اقتصر على التوبة الأولى كان من الأبرار المقتصدين ، ومن تاب التوبتين كان من السابقين المقربين، ومن لم يأت بالأولى كان من الظالمين ؛ إما الكافرين ، وإما الفاسقين ».[1]

ولا شكّ أن معنى التوبة الشرعي يشمل النوعين معاً ، فكلاهما مما يحبُّه الله تعالى ، ويُطاع به ، ويُتقرّب به إليه .

ثم الناظر في تعريفات العلماء للتوبة يجدها قد تعددت وتباينت ؛ فمنهم من نظر إلى الأصل اللغوي لها ، ومنهم من نظر إلى أركانها ، وبعضهم عرَّفها بذكر شروطها وأحكامها ، وبعضهم أشار إلى أسبابها ، أو بذكر ما يجب أن يُرجع منه ، وإلى غير ذلك مما ستراه واضحاً من خلال عرضها ، وإليكم أقوالهم فيما يلي :-

---

(١) جامع الرسائل (١/٢٢٧) .

عرَّفها الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والتوبة معناها : الإنابة إلى الله ، والأوبة إلى طاعته مما يكره من معصيته ..)).(١)

وقال أيضاً : ((.. معنى التوبة من العبد إلى ربه ، إنابته إلى طاعته ، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيماً مما يكرهه ربه)).(٢)

وعرَّفها ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً بقوله : ((لأن التوبة معناها : الرجوع إلى العمل بطاعة الله)).(٣)

وعرَّفها **القشيري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فالتوبة : الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه)).(٤)

وعرَّفها **البيضاوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((التوبة : وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه)).(٥)

وعرَّفها الإمام **ابن عطية** (٦) ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((إنّ التوبة عقدٌ في ترك متوب منه ، يتقدمها علم بفساد المتوب منه ، وصلاح ما يُرجع إليه ، ويقترن بها ندمٌ على فارط المتوب منه لا ينفك منه)).(٧) والعلم بفساد المخالفة ، وصلاح الطاعة يستلزم الترك والإقلاع .

---

(١) جامع البيان (٢٤٦/١) .

(٢) المصدر السابق (٢٤٦/١) .

(٣) جامع البيان (١٨١/١١) .

(٤) الرسالة القشيرية (ص/٩١) .

(٥) تفسير البيضاوي (٣٠٤/١) .

(٦) هو الإمام العلامة شيخ المفسرين أبو محمد عبد الحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي ، وكان إماماً في الفقه وفي التفسير وفي العربية قوي المشاركة ذكياً فطناً مدركاً من أوعية العلم ، مولده سنة ثمانين وأربعمائة اعتنى به والده ولحق به الكبار وطلب العلم وهو مراهق وكان يتوقد ذكاء ولي قضاء المرية في سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، توفي بحصن لورقة في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة)) [سير أعلام النبلاء (٥٨٧/١٩-٥٨٨)] .

(٧) تفسير ابن عطية (١٦٨/٩) .

وقيل : ((التوبة : طول الندم ، ودوام الاستغفار)).[١] وهذا من آثارها .

وقيل : ((إنها محو أثر الرغبة في الذنب من لوح القلب)).[٢] وذلك لأن الإصرار على المعصية لا يكون إلا عن رغبة القلب في الذنب .

وعرَّفها **أبو حيان** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((هي الرجوع إلى طاعته تعالى ؛ لطلب ثواب ، أو خشية ، أو رفع درجات)).[٣] وهذه : هي الأسباب الدافعة لحصول التوبة .

وعرَّفها **القصري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فحدها وحقيقتها : رجوع من كفر إلى إيمان، أو من بدعة إلى سنة، ومن معصية إلى طاعة، أو من غفلة إلى يقظة)).[٤]

وعرَّفها الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والتوبة رجوع عما تاب منه إلى ما تاب إليه ، فالتوبة المشروعة هي الرجوع إلى الله ، وإلى فعل ما أمر به ، وترك ما نهى عنه)).[٥]

وعرَّفها الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فإن حقيقة التوبة : الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب ، وترك ما يكره)).[٦]

وعرَّفها أيضاً بقوله : ((والتوبة : الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله)).[٧]

وعرَّفه الإمام **ابن مفلح** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والتوبة هي الندم على ما مضى من المعاصي والذنوب ، والعزم على تركها دائماً لله عز وجل، لا لأجل نفع الدنيا ،

---

(١) شعب الإيمان ــ البيهقي (٥/٤٣٥) .

(٢) تفسير المنار (١/٣٢٠) .

(٣) البحر المحيط (١/٣٢٠) .

(٤) شعب الإيمان ــ القصري (ص/٣٣٨) .

(٥) جامع الرسائل (١/٢٢٨) .

(٦) مدارج السالكين (١/٣٠٥) .

(٧) المصدر السابق (١/٣٠٨) .

أو أذى ، وأن لا تكون عن إكراه ، أو إلجاء)).[١] وهذا التعريف اشتمل على شروط صحة التوبة ، ومنها أن لا يكون مكرهاً في ترك المعاصي وفعل الطاعات .

هذا ما يسَّره الله ، وكما سبق في بداية المطلب ، تنوع اعتبارات هذه التعريفات ، فمنهم من عرَّفها بذكر شروطها أو بعضها ، ومنهم من أشار إلى الأصل اللغوي ، وآخر أضاف إلى المعنى اللغوي ما يجب أن يُتاب ويُرجع منه ، وقبل أن نختم الكلام فيها ، لا بد من الإشارة إلى أن العزم على فعل المأمور ، أو فعل المأمور بعد تركه يُعَدُّ داخلاً في مسمّى التوبة الشرعي ،...

يبيّن هذا الأمر الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وليست التوبة من فعل السيئات فقط ، كما يظن كثير من الجهال ، لا يتصوّرون التوبة إلا عما يفعله العبد من القبائح ، كالفواحش والمظالم ، بل التوبة من ترك الحسنات المأمور بها أهم من التوبة من فعل السيئات المنهي عنها ، فأكثر الخلق يتركون كثيراً مما أمرهم الله به من أقوال القلوب ، وأعمالها ، وأقوال البدن وأعماله ، وقد لا يعلمون أن ذلك مما أمروا به ، أو يعلمون الحق ولا يتبعونه ، فيكونون إما ضالين بعدم العلم النافع ، وإما مغضوباً عليهم بمعاندة الحق بعد معرفته)).[٢]

ويقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وكثير من الناس إنما يفسّر التوبة بالعزم على أن لا يعاود الذنب ، وبالإقلاع عنه في الحال ، وبالندم عليه في الماضي ، وإن كان في حق آدمي فلا بد من أمر رابع ، وهو التحلل منه ، وهذا الذي ذكروه بعض مسمى التوبة ، بل شرطها ، وإلا فالتوبة في كلام الله ورسوله ــ كما تتضمن ذلك ــ تتضمن العزم على فعل المأمور والتزامه ، فلا يكون بمجرد الإقلاع والعزم والندم تائباً ، حتى يوجد منه العزم الجازم على فعل المأمور والإتيان به)).[٣]

---

(١) الآداب الشرعية (٨٤/١) .

(٢) جامع الرسائل (٢٢٨/١) .

(٣) مدارج السالكين (٣٠٥/١) .

وقال أيضاً : ((فإن حقيقة التوبة الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب ، وترك ما يكره، فهي رجوع من مكروه إلى محبوب ، فالرجوع إلى المحبوب جزء مسمّاها ، والرجوع عن المكروه الجزء الآخر)).[1]

والذي يترجح منها هو تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ لشموله وعمومه ، ويقاربه تعريف تلميذه ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ والله أعلم .

---

(١) المصدر السابق (١/٣٠٥) .

المبحث الحادي عشر
الحمد

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الحمد لغةً .

المطلب الثاني : الحمد شرعاً .

المطلب الأول
الحمد لغةً

أصل الكلمة : الحَمْدُ مشتق من أصل لغويٍّ ثلاثي وهو (حَمِدَ) .[١]

تصريفها : الحَمْدُ على وزن (فَعْل) ، يقال : (حَمِدَهُ) ـــ بكسر الميم ـــ (حَمْدَاً) في المصدر لأنه من (فَعِلَ) المتعدي ، و (يَفْعَل) في المضارع ، يقال (يَحْمَدُ) بفتح الميم ، كعَلِمَ يعْلَمُ ، وفَرِحَ يَفْرَحُ ، تقول : حَمِدت الرجل أَحْمَدُه حَمْداً ومَحْمَدَةً ، فهو حَمِيد ومحمود .[٢]

معناها لغةً : ذكر أهل اللغة أنَّ الحمد هو نقيض الذم ، وقال بعضهم : هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل باللسان وحده . **وقيل** : « هو الثناء بالصفات الجميلة الاختيارية ، والأفعال الحسنة المرضية ، سواء كان مقابلة نعمة أم لا ».[٣]

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ١٠٠) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة : تصريف الأسماء (ص/٥١) ، تصريف الأفعال (ص/١٥٧) ، الصحاح (٢/ ٤٦٦) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٤٨٥) .

(٣) الصحاح (٢/٤٦٦) ، مقاييس اللغة (٢/١٠٠) ، التوضيح عن توحيد الخلاّق (ص/١٧) .

المطلب الثاني
الحمد شرعاً

قال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة:٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الروم:١٨] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴿١﴾ ﴾ [فاطر:١] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص:٧٠] .

قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النمل:٥٩] .

عرفه الجرجاني ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((فعل يُشعِرُ بتعظيم المنعم بسبب كونه منعماً أعم من أن يكون فعل اللسان أو الأركان)).(١)

وعرفه الراغب ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((الحمد لله تعالى هو الثناء عليه بالفضيلة)).(٢)

وعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه سواء كان الإحسان إلى الحامد ، أو لم يكن)).(٣)

وعرَّفه الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ بقوله : ((..الحمد : هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية)).(٤)

---

(١) التعريفات (ص/٩٣) .

(٢) المفردات (ص/١٣١) .

(٣) الفتاوى (١١/١٣٣) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/٢١) .

وعرفه أبو المعالي محمود شكري الألوسي ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((ذكر محاسن المحمود على وجه الثناء عليه بها مع محبته والرضا عنه والخضوع له)).[1]

هذا كلام بعض العلماء في معنى الحمد ، ويلاحظ الارتباط الشديد بينه وبين الشكر ، وسيأتي في مبحث الشكر بيان العلاقة بينهما . والله أعلم .

---

(1) غاية الأماني في الرد على النبهاني (٢/ ٢٩٦) ، ثم قال ــ رحمه الله ــ ((فلا يحمده من أعرض عن محبته والخضوع له ، أو جعل له شريكاً في ذلك ، ولا يرضى عنه من أعدَّ غيره لحاجته وفاقته ، واستغاث به في شدته وضرورته ، وهذا الحد أتم وأكمل من تعريف بعضهم له بأنه اصطلاحاً فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لوجوه لا تخفى على الذكي .

المبحث الثاني عشر
الزهد

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الزهد لغةً .

المطلب الثاني : الزهد شرعاً .

المطلب الأول
الزهد لغة

أصل الكلمة : الزهد مشتق من أصل لغوي ثلاثي وهو (زَهدَ).[1]

تصريفها : الزُّهد على وزن (فُعْل) ، يقال (زَهِدَ) و (زَهَدَ) ، وزاد بعضهم (زَهُدَ) ، فتكون مثلثة الهاء ، ولهذه المادة عدد من المصادر منها : الزُّهْد ، والزَّهْد ، والزَّهَد ، والزَّهَادَة .[2]

معناها لغةً : لمادة زهد في كتب اللغة عدد من المعاني أذكرها فيما يلي :-

١. **خلاف الرغبة** : يقال زهَّده في الأمر رغَّبه عنه ، والتزهيد خلاف الترغيب ، والزاهد في الشيء الراغب عنه ، والراضي منه بالزهيد ، أي القليل ، قال الله تعالى : ﴿ وكانوا فيه من الزاهدين﴾.[يوسف : ٢٠]

٢. **التعبُّد** : فلان يتزهَّد : أي يتعبَّد .

٣. **الحقير والقليل** : يقال الزَّهيد : أي الحقير . وعطاء زَهيدٌ : أي قليل .

٤. **الضيق** : يقال رجل زهيد : ضيّق الخلق ، وزهيد الأرض : ضيّقها .

فهذه جملة المعاني المذكورة في هذه المادة [3] ولعلَّ أقربها إلى معنى الزهد هو المعنى الأول ؛ ولذا قال بعضهم : ((الزهد في اللغة ترك الميل إلى الشيء)).

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٠) .

(٢) ينظر فيما يتعلق بتصريف الكلمة : الصحاح (٤٨١/٢) ، تصريف الأسماء (ص/٥٥) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٧٠، ١٩٠، ٢٠٧) .

(٣) انظر : الصحاح (٤٨١/٢) ، لسان العرب (٩٧/٦-٩٨)، أساس البلاغة (٤١٣/١) ، المفردات (ص/٢١٥) .

المطلب الثاني
الزهد شرعاً

عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن ، والرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن ، والبطالة تقسي القلب)).(١)

وفي الحديث القدسي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تبارك وتعالى : ((من آذى لي ولياً فقد استحل محارمي ... وما تقرب إلي عبدي المؤمن بمثل الزهد في الدنيا ، ولا تعبد لي بمثل أداء ما افترضته عليه ، يا موسى إنه لم يتصنع المتصنعون لي بمثل الزهد في الدنيا)).(٢)

وعن سفيان قال : كتب عمر إلى أبي موسى : إنك لن تنال الآخرة بشيء أفضل من الزهد في الدنيا)).(٣)

وعن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : قال أبو واقد الليثي : تابعنا الأعمال أيها أفضل فلم نجد شيئاً أعون على طلب الآخرة من الزهد في الدنيا)).(٤)

من المعلوم أن الزهد يتعلق بالقلب والجوارح ، فالزهد بالقلب هو عدم تعلقه بالمزهود فيه . أمَّا زهد الجوارح فهو كفها عن فضول المباحات المشغلة عن الواجبات ، أو مما لا يستعان بها على طاعة الله .(٥)

وقد كثُر كلام العلماء في تجلية المعنى الشرعي للزهد ، وفيما يلي أنقل ما وقفت عليه من أقوال في بيان معنى الزهد الشرعي :

---

(١) مسند الشهاب (١٨٨/١) برقم (٢٧٨) .

(٢) مسند الشهاب (٣٢٧/٢) برقم (١٤٥٧) .

(٣) مصنف بن أبي شيبة (٩٧/٧) برقم (٣٤٤٧٠) .

(٤) مصنف بن أبي شيبة (١١٦/٧) برقم (٣٤٦٢٤) .

(٥) الفتاوى (٢١/١٠) .

فعرفه **سفيان الثوري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الزهد في الدنيا قصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ، ولا بلبس العَباء)).(١)

وعرَّفه الإمام **الأوزاعي** بقوله : ((الزهد في الدنيا ترك المحمدة)).(٢)

وعرَّفه الإمام الزهري ــ رحمه الله ــ بقوله : ((الزهد في الدنيا : ما لم يغلب الحرام صبرك ، وما لم يغلب الحلال شكرك)).(٣)

وقيل : ((هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال)).(٤)

وقيل : ((هو عزوف القلب عن الدنيا بلا تكلف)).(٥)

وعرفه **الجنيد** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((استصغار الدنيا ، ومحو آثارها من القلب)).(٦)

وعرفه **وهيب بن الورد** (٧) ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الزهد في الدنيا أن لا تأسى على ما فاتك منها ، ولا تفرح بما أتاك منها)).(٨)

وفيما سبق إشارة إلى أن الزهد هو عدم الرغبة في هذه الدنيا ؛ لصغارها وزوالها ؛ فلو كانت تساوي شيئاً ، ما سقى الله منها كافراً شربة ماء ، ولو كانت دائمة ، لدامت لأفضل الخلق محمد ﷺ .

---

(١) مصنف بن أبي شيبة (٧/٢٤٠) برقم (٣٥٦٨٣) ، الزهد وصفة الزاهدين (ص/٢١) .

(٢) مصنف بن أبي شيبة (٧/٢٤٠) برقم (٣٥٦٨٣) .

(٣) مصنف بن أبي شيبة (٧/٢٤٠) برقم (٣٥٦٨٣) .

(٤) مدارج السالكين (٢/١١) .

(٥) المصدر السابق (٢/١١) .

(٦) المصدر السابق (٢/١٢) .

(٧) هو وهيب ابن الورد أخو عبد الجبار بن الورد العابد الرباني أبو أمية ويقال أبو عثمان المكي مولى بني مخزوم ويقال اسمه عبد الوهاب . قال ابن معين : ثقة ، وقال النسائي : ليس به بأس قيل مات سنة ثلاث وخمسين)) [سير أعلام النبلاء (٧/١٩٨-١٩٩)] .

(٨) الزهد وصفة الزاهدين (ص/٢٠) .

وقيل : ((الزهد هو العلم)).[١]

وعرفه **الفضيل بن عياض** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((الزهد : الرضا عن الله تعالى)).[٢]

وعرفه **أبو سليمان الداراني** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((ترك مـــا يشـــغل عـــن الله)).[٣]

وعرفه **يونس بن ميسرة** [٤] ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((ليس الزهادة في الدنيا بتحـــريم الحلال، ولا بإضاعة المال ، ولكن الزهادة في الدنيا ، أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك ، وأن يكون حالك في المصيبة ، وحالك إذا لم تُصب بها سواء ، وأن يكون ذامُّك ، ومـــادحك في الحق سواء)).[٥]

وعرَّفه **ابن حزم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وبرهان ذلك أن الزاهد : إنما هو عـزوب النفس عن حب الصوت ، وعن المال ، وعن اللذات ، وعن الميل إلى الولد والحاشية ، ليس للزهـد معنى يقع عليه اسم الزهد إلا هذا المعنى)).[٦]

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي علـــى جميع ما تقدم من كلام المشايخ ، مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته ، وهو من أجمع الكلام ...)).[٧]

---

(١) الزهد وصفة الزاهدين (ص/٣١) .

(٢) المصدر السابق (ص/٢٢) .

(٣) مدارج السالكين (٢/١٢) .

(٤) هو يونس بن ميسرة بن حلبس أبو عبيد وأبو حلبس الجبلاني الأعمى ، عالم دمشق ، طال عمره وحدث عـــن معاوية وعبد الله بن عمرو وواثلة بن الأسقع وابن عمر وأبي مسلم الخولاني وعدة وروى عنه عمرو بن واقـــد ومروان بن جناح والأوزاعي ، وسعيد بن عبد العزيز وآخرون ، وكان يقرئ القرآن في الجامع وله كلام نافع في الزهد والمعرفة ، وثقه العجلي والدارقطني وهو القائل إذا تكلفت ما لا يعنيك لقيت ما يعنيك)) [سير أعـــلام النبلاء (٥/٢٣٠)] .

(٥) المصدر السابق (ص/٢٠) .

(٦) الفصل في الملل والأهواء (٤/١١٠) .

(٧) المصدر السابق (٢/ ١٣) .

وعرفه شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والزهد المشروع هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة ، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله)).[1]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فثبت أن الزهد الواجب هو ترك ما يمنع عن الواجب من إرادة الله والدار الآخرة ، والزهد المستحب هو ما يشغل عن المستحب من أعمال المقربين والصديقين)).[2]

فهذه خلاصة كلام العلماء في هذا المقام العظيم ، ولعل تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ هو الأنسب ، والله أعلم .

---

(1) الفتاوى (١٠/ ٢١) ، وقال ــ رحمه الله ــ :((فأمّا ما ينفع في الدار الآخرة بنفسه ، أو يعين على ما ينفع في الدار الآخرة ، فالزهد فيه ليس من الدين ، بل صاحبه داخل في قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين ﴾ [المائدة : ٨٧]. قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : ((وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد .... وأجمعها)). مدارج السالكين (٢/ ١١) .

(2) الفتاوى (٢٠/ ١٤٧) .

المطلب الأول
الشكر لغةً

أصل الكلمة : الشُّكرُ مشتق من أصل لغويٍّ ثلاثيٍّ وهو (شَكَرَ).[١]

تصريفها : الشُّكْرُ على وزن (الفُعْلُ) وهو مصدرٌ سماعي للفعل (شَكَرَ) على وزن (فَعَلَ) ، وهذا مما سُمِعَ مخالفاً لقياس مصدر المتعدي من (فَعَلَ) ؛ لأن القياس منه على (فَعْل) ، يقال : (شَكَرَ يَشْكُرُ شُكْراً) ، على وزن (يَفْعُلُ) ، من باب نَصَرَ يَنْصُرُ وشَكَرْتُهُ وشَكَرْتُ له ، وباللام أفصح .

كما جاء هذا الفعل لازماً على وزن فَعِلَ يَفْعَلُ يقال : شَكِرَ يَشْكَرُ على وزن عَلِمَ يَعْلَمُ ، وعلى ذلك يكون قياس مصدره (شَكَرٌ) ؛ لأنه ثلاثي مكسور العين .

ومما يحتمل أن يكون مصدراً لمادة (شَكَرَ) ما جاء في قوله تعالى :﴿ لا نريد منكم جزآءً ولا شُكُوراً ﴾ [الإنسان : ٩] على وزن فُعُول ـ يحتمل أن يكون مصدراً مثل قَعَدَ قُعُوداً [٢] ، ويحتمل أن يكون جمعاً مثل بُرْدٍ وبُرُود وكُفْرٍ وكُفُور [٣].

معناها لغةً : لمادة (شكر) عدد من المعاني فمن أهمها :

١. **الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف** ، يقال شَكَرْتُه وشَكَرْتُ له .

٢. **الكشف والإظهار** : فقيل الشُّكر مقلوب الكشر أي الكشف ، يقال شَكَرَ وكَشَرَ إذا كشف عن ثغره وأظهره .[٤]

---

(١) مقاييس اللغة (٣/٢٠٨) .

(٢) وهو قياسي من الفعل (شَكَرَ) اللازم ، وانظر تصريف الأسماء (ص/٥٢) .

(٣) ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (٢/٧٠٢) ، تصريف الأسماء (ص/٥١ ، ٥٦) ، تصريف الأفعال (ص/١٥١، ١٥٧) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٠٧ ، ٤٩٥) .

(٤) يراجع مع بقية المعاني في : الصحاح (٢/٧٠٢) ، مقاييس اللغة (٣/٢٠٧،٢٠٨) ، لسان العرب (٧/١٧٠ ـ

فهذه بعض معاني مادة شكر ، (وتأمَّل هذه الاشتقاقات وطابق بينها وبين الشُّكر المأمور به ، وبين الشُّكر الذي هو جزاء الرب الشَّكُور ، كيف تجد في الجميع معنى الزيادة والنماء).[1]

وكلا المعنيين له علاقة وارتباط بالمعنى الشرعي ، كما سيعلم ذلك ، والله أعلم .

---

١٧٣) ، تاج العروس (١٢/٢٢٤ـ٢٢٥) ، النهاية لابن الأثير (٢/٤٩٤) .

(١) عدة الصابرين (ص/١٨٨) بتصرف .

المطلب الثاني
الشكر شرعاً

قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

قال تعالى : ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٧] .

قال تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ:١٣] .

يبدو جليّاً وواضحاً علاقة المعنى الشرعي للشكر بالأصل اللغوي فيما مضى ، كما عُلِمَ سابقاً ، لاسيّما بالمعنى الأول ، كما لا يخفى تعلُّقه بالقلب واللسان والجوارح ، وعلى هذا وغيره بنى أهل العلم تعريفاتهم للشكر ، ويتبين لنا ذلك من خلال عرضها فنقول :

عرفه بعضهم بقوله : « الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع ».[1] وهذا يتعلّق باللسان وبعض أحوال القلب .

ومثله قول بعضهم : « الشكر إضافة النعم إلى موليها بنعت الاستكانة له ».[2]

وقيل : « هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه ».[3] فذكر مجرَّد عمل اللسان .

---

(١) مدارج السالكين (٢/٢٤٤) .

(٢) المصدر السابق (٢/٢٤٤) .

(٣) المصدر السابق (٢/٢٤٤) .

وقيل : « هو عكوف القلب على محبة المنعم ، والجوارح على طاعته ، وجريان اللسان بذكره ، والثناء عليه ».[١] فنصَّ على عمل القلب واللسان والجوارح .

وقريباً منه تعريف **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ حيث عرَّفه بقوله : « هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده : ثناء واعترافاً ، وعلى قلبه : شهوداً ومحبة ، وعلى جوارحه : انقياداً وطاعةً ».[٢] ويبدو أنَّ تعريف الإمام ابن القيم أكمل وأشمل .

وعرَّفه ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً بقوله : «... فإن أصل الشكر : هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة ».[٣]

وقيل : « هو مشاهدة المنة ، وحفظ الحرمة ، والقيام بالخدمة ».[٤] وهنا ذكر عمل القلب مع عمل الجوارح ، ولم يُشِرْ إلى عمل اللسان .

وقيل : « الشكر استفراغ الطاقة في الطاعة ».[٥] إشارةً إلى عمل الجوارح .

وقيل : « الشكر معرفة العجز عن الشكر ».[٦] والمعرفة تتعلق بالقلب .

وقيل : « شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيليَّاً ».[٧] : أي تعتقد أنك لا تستحقها ، وهذا يتعلق بالقلب .

وقيل : « الشكر أن لا يستعان بشيء من نعم الله على معاصيه ».[٨] بل يستعان بها على طاعته .

---

(١) المصدر السابق (٢/٢٤٤) .

(٢) المصدر السابق (٢/٢٤٤) .

(٣) طريق الهجرتين (ص/١٦٨) .

(٤) المصدر السابق (٢/٢٤٤) ، عدة الصابرين (ص/١٨٩) .

(٥) مدارج السالكين (٢/٢٤٥) ، عدة الصابرين (ص/١٨٩) .

(٦) مدارج السالكين (٢/٢٤٤) .

(٧) مدارج السالكين (٢/٢٤٤) ، عدة الصابرين (ص/١٨٩) .

(٨) مدارج السالكين (٢/٢٤٥) ، الإحياء (٥/٢٤١) .

وقيل : « الشكر قيد النعمِ الموجودة ، وصيد النعم المفقودة ».[1] وهذا من آثـاره وفوائده ، إذ بالشكر تدوم النعم ، وتستجلب المِـنَنُ ، ويرفع البلاء .

وعرفه الإمام **الهروي** ــ رحمه الله ــ بقوله : « الشكر اسم لمعرفة النعمة ».[2]

يقول **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ : « ...وعلى هذا يكون قوله : الشكر اسم لمعرفة النعمة ، مستلزماً لمعرفة المنعم ، ومعرفته تستلزم محبَّته ، ومحبَّته تستلزم شكره ، فيكون قد ذكر بعض أقسام الشكر باللفظ ، ونبَّه على سائرها باللزوم ، وهذا من أحسن اختصاره ، وكمال معرفته وتصوُّره ــ قدَّس الله روحه ــ ».[3]

فالناظر إلى ما سبق من تعاريف لمعنى الشكر يجدها محصورة؛ في ركن من أركانه ، أو في متعلقاته أو بعضها ، أو في بعض آثاره وموجباته ، أو في مستلزماته .

ولعلَّ أقربها إلى المقصود تعريف ابن القيم ــ رحمه الله ــ مع إضافة فيه فنقول :

الشكر هو ظهور اثر نعمة الله على لسان عبده اعترافاً وثناءً ، وعلى قلبه شهوداً ومحبةً وخضوعاً ، وعلى جوارحه انقياداً وطاعةً ، وأن لا يستعملها فيما يكره .

---

(1) مدارج السالكين (٢/٢٤٥) ، عدة الصابرين (ص/١٨٩) .

(2) مدارج السالكين (٢/٢٤٧) .

(3) مدارج السالكين (٢/٢٤٧) .

المطلب الثالث
العلاقة بين الشكر والحمد

المتأمل لكلٍ من الشكر والحمد في كلام العلماء، يظهر له الفرق ، ومدى التشابه بينهما ، ذلك أنَّ للشكر والحمد أنواعاً ، كما أنَّ لكل منهما أسباباً ومتعلقاتٍ ، وفيما يلي أقوال العلماء في بيان ذلك :

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : « وأمَّا الشكر فإنه لا يكون إلاّ على الإنعام ، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه ، لكنَّه يكون بالقلب واليد واللسان ....».[1]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : « فإنَّ مذهب أهل السنة أنَّ الشكر يكون بالاعتقاد والقول والعمل ــ قال تعالى ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ [سبأ : ١٣] وقام النبي ﷺ حتى تورَّمت قدماه ، فقيل : « أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً ».[2]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : « ... فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر ؛ لأنه يكون على المحاسن والإحسان ، فإنَّ الله تعالى يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى ، والمثل الأعلى ، وما خلقه في الآخرة والأولى ».[3]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : « والحمد إنما يكون بالقلب ، واللسان ، فمن هذا الوجه الشكر أعم ».[4]

---

(١) الفتاوى (١٣٤/١١) .

(٢) المصدر السابق (١٣٥/١١،١٣٦). والحديث رواه البخاري (١٨٣٠/٤) برقم (٤٥٥٦) من رواية المغيرة .

(٣) الفتاوى (١٣٣/١١) .

(٤) المصدر السابق (١٣٤/١١) .

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((والحمد نوعان : حمد على إحسانه إلى عباده وهو من الشكر ، وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله، وهذا الحمد لا يكون إلاّ على ما هو في نفسه مستحق للحمد ، وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال)).(١)

وقال **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((ومعنى هذا أنَّ الشكر يكون بالقلب خضوعاً واستكانة، وباللسان ثناءً واعترافاً ، وبالجوارح طاعةً وانقياداً ، ومتعلقه النعم ، دون الأوصاف الذاتية)).(٢)

وقال **ابن الأثير** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((والحمد والشكر متقاربان . والحمد أعمُّها، لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه، ولا تشكره على صفاته)).(٣)

وقال **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس ، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس)).(٤)

فالخلاصة إذاً : أنّ بين الشكر والحمد ، عموماً وخصوصاً من وجه ـــ فيما يتعلق بالموارد والأسباب والمتعلقات؛ فمن جهة الموارد الشكر مورده القلب واللسان والجوارح ، بخلاف الحمد فمورده القلب ، واللسان فقط ، وأمَّا من جهة الأسباب ، والمتعلقات فالحمد سببه النعم والصفات الذاتية ، بخلاف الشكر فسببه النعم فقط .والله أعلم .

---

(١) المصدر السابق (٦/٨٤) .

(٢) مدارج السالكين (٢/٢٥٦،٢٥٧) .

(٣) النهاية (١/٤٣٧) .

(٤) مدارج السالكين (٢/٢٥٧) ، وراجع كلام الإمام ابن كثير ـــ رحمه الله ـــ تفسير القرآن العظيم (١/٢١) .

المبحث الرابع عشر
الصبر

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الصبر لغةً .

المطلب الثاني : الصبر شرعاً .

المطلب الأول
الصبر لغةً

أصل الكلمة : الصَّبْرُ مشتق من أصل لغويٍّ ثلاثيٍّ وهو (صَبَرَ).[١]

تصريفها : الصَّبْرُ على وزن (الفَعْلُ) ، وهو مصدرٌ قياسي للفعل المتعدي (صَبَرَ) ، يقال : (صَبَرَ يصْبِرُ صَبْراً) بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع ، (كضَرَبَ يضْرِبُ و رَمَى يرْمِي ، وجَلَسَ يَجْلِسُ).[٢]

معناها لغةً : وردت في كتب اللغة لمادة صبرَ عدد من المعاني منها :

١. حبس النفس عن الجزع : وقد صبر فلانٌ عند المصيبة ، والمصبورة أي المحبوسة .
٢. الدواء المـــرُّ : يقال له الصَبِرُ .[٣]

هذا بعض ما ورد عن أهل اللغة ، ويظهر أنَّ أقربها إلى المعنى الشرعي هو الأول .

---

[١] مقاييس اللغة (٣/٣٢٩).

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (٢/٧٠٦) ، تصريف الأسماء (ص٥١) ، تصريف الأفعال (ص/١٥٣) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٠،١٤١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٤٤ ، ٤٩٥) .

[٣] ينظر معناها في مادة : لسان العرب (٧/٢٧٥،٢٧٩) ، الصحاح (٢/٧٠٦،٧٠٧) ، المقاييس (٣/٣٢٩) ، تاج العروس (١٢/٢٧١) .

المطلب الثاني
الصبر شرعاً

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران:٢٠٠] .

قال تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإنسان:٢٤] .

قال تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [غافر:٥٥] .

قال تعالى : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر:٧] .

قال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [النحل:١٢٧] .

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرعد:٢٢] .

من المعلوم أنَّ الصبر من العبادات العظيمة ،وهو يتعلق بالقلب واللسان والجوارح ، كما أنَّ له أنواعاً هي : الصبر على الطاعة ، والصبر عن المعصية ، والصبر على الأقدار الكونية ، وعليه ؛ فإنَّك سترى كلام أهل العلم في تعريف الصبر قد بُنِيَ على ضوء ما سبق ، إضافةً إلى المعنى اللغوي المذكور آنفاً :

عرَّفه **الجنيد** ــ رحمه الله ــ بقوله : « تجرُّع المرارة من غير تعبُّس ».[1] فلا يدلُّ مظهره على الجزع ولا على التسخط .

---

[1] مدارج السالكين (٢/١٥٧) .

وقيل : « الصبر ثبات القلب عند موارد الاضطراب ».[١]

وقيل : « هو الفناء في البلوى بلا ظهور ولا شكوى ».[٢] والمقصود التشكي إلى الخلق ، أمّا الشكوى إلى الله تعالى فمحبوبة ومرضية ، وهي دأب الأنبياء ؛ كيعقوب عليه السلام، وأيوب عليه السلام ، وخاتمهم نبيّنا محمد ﷺ .

ولذا عرَّفه **الجرجاني** ــ رحمه الله ــ بقوله : « الصبر هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله ».[٣]

وقيل : « الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب ».[٤]

وقريباً منه : « المقام مع البلاء بحسن الصحبة ، كالمقام مع العافية ».[٥]

وقيل : « الصبر التباعد من المخالفات ، والسكون عند تجرع غصص البلية ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة ».[٦] وفي هذا بيان للصبر عن المعاصي ، وعلى الأقدار .

وقيل : « هو الثبات مع الله، وتلقي بلائه بالرحب والدعة ».[٧]

وعرَّفه **بعضهم بقوله** : « هو الثبات على أحكام الكتاب ، والسنة ».[٨] وهذا يتضمن جميع متعلقات الصبر .

وقيل : « الصبر : ثبات باعث العقل والدين في مقابلة باعث الهوى والشهوة ».[٩]

---

(١) عدة الصابرين (ص/٣٧) .

(٢) مدارج السالكين (١٥٨/٢) .

(٣) التعريفات(ص/١٣١) .

(٤) مدارج السالكين (١٥٨/٢) .

(٥) مدارج السالكين (١٥٨/٢) .

(٦) المصدر السابق (١٥٨/٢) .

(٧) المصدر السابق (١٥٨/٢) .

(٨) المصدر السابق (١٥٨/٢) .

(٩) عدة الصابرين (ص/١١، ١٤) .

وذلك أنَّ الطبع يهوى ويحب ، وباعث العقل والدين يمنع من ذلك .

وقيل : ((الصبر انتظار الفرج من الله)).[١]

وقيل : ((حدُّ الصبر أن لا يعترض على التقدير)).[٢] وهذا تفسير له بلازمه .

وعرَّفه **ابن القيم** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((وأمَّا حقيقته : فهو خلق فاضل من أخلاق النفس ، يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل ، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها)).[٣] وهذا فيه إشارة إلى ثمرات الصبر .

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً :((فالصبر : حبس النفس عن الجزع والتسخط ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش)).[٤]

وقريباً منه تعريف الإمام **الهروي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((الصبر حبس النفس على المكروه ، وعقل اللسان عن الشكوى)).[٥]

وهكذا يبدو لنا من خلال عرض تعريفات العلماء ، أنَّ بعضهم نظر إلى المعنى اللغوي وهو حبس النفس ، وبعضهم فسَّره بلازمه ، وبعضهم بثمراته ، وآخر بمتعلقاته ، والبعض بأنواعه . والله أعلم .

---

(١) الأحياء (٥/٢٣٨) .

(٢) عدة الصابرين (ص/٩).

(٣) المصدر السابق (ص/٨).

(٤) مدارج السالكين (٢/١٥٦).

(٥) المصدر السابق (٢/١٦١).

المبحث الخامس عشر

الهجرة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الهجرة لغةً .

المطلب الثاني : الهجرة شرعاً .

المطلب الأول
الهجرة لغة

أصل الكلمة : الهجرة مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو (هَجَرَ).[١]

تصريفها : الهِجْرَة على وزن (فِعْلَة) ، وهي اسم من الفعل الثلاثي هَجَرَ ، يقال : (هَجَرَ يَهْجُرُ هَجْراً وهِجْرَاناً) ، فالاسم الهِجْرَة ، والمصدر القياسي هَجْر.[٢]

معناها لغةً : من معاني مادة هجر اللغوية :-

١. الهَجْرُ : ضدّ الوصل ، وهو الترك ، والتهاجر : التقاطع ، وقد هَجَرَه هَجْراً وهِجْرَاناً ، والاسم الهِجْرَة .
٢. الهُجْرُ : بالضم ، اسم من الإهْجَار ، وهو الإفحاش في القول ، والخنا ، أو كثرة الكلام فيما لا ينبغي .
٣. والهِجْرَة والهُجْرَة : الخروج من أرض إلى أرض .[٣]

والذي يناسب ما نحن فيه من المعاني هو المعنى الأول والأخير ، إذ هو مشتق من المعنى الأول ، ولكن المعنى الشرعي للهجرة فيه من المعاني زيادة على ما هو موجود في المعاني اللغوية ، وهذا ما سنعرفه في المطلب التالي :

---

(١) مقاييس اللغة (٣٤/٦) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأفعال (ص/٥١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٥١٤) .

(٣) ينظر لهذا مع بقية المعاني في : الصحاح (٨٥١/٢-٨٥٢) ، لسان العرب (٣١/١٥-٣٦) .

المطلب الثاني
الهجرة شرعاً

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[الحج:٥٨] .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النحل:١١٠].

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٠٠] .

اعلم رحمك الله أن الهجرة في الشرع تنقسم إلى قسمين ،

الأولى : هجرة ظاهرة .

الثانية : هجرة باطنة .

يقول **المناوي** ــ رحمه الله تعالى ــ : « والهجرة ظاهرة وباطنة ، فالباطنة ترك متابعة النفس الأمارة والشيطان ، والظاهرة الفرار بالدين من الفتن ».[1]

فالهجرة الظاهرة هي هجرة الأبدان ، بأن ينتقل الإنسان المسلم من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ، وهذه هي الهجرة التي يتكلم الفقهاء في أحكامها ، في باب الجهاد من كتب الفقه ، ...

يقول فيها الإمام **ابن قدامة** ــ رحمه الله ــ : « الهجرة : وهي الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ [النساء : ٩٧] ... ».[2]

---

(١) فيض القدير (٢/٤٩) .

(٢) المغني (١٣/١٤٩) . وانظر : تحرير التنبيه (ص/٣٣٨) .

ويقول الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((والهجرة : معناها الانتقال من موضع إلى موضع ، وقصد ترك الأول إيثاراً للثاني)).[١]

والمهاجر يؤثر بلاد الإسلام على بلاد الكفر .

أما الهجرة الثانية ، فهي الهجرة الباطنة التي لا تنقطع عن الإنسان مدى العمر ، بل هي باقية ما بقيت دار التكليف ، وهي ملازمة للإنسان في جميع أحواله ، وهذه الهجرة هي أعظم الهجرتين ، بل هي أصل هجرة الأبدان ،...

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((إذ الهجرة هجرتان : هجرة بالجسم من بلد إلى بلد ، وهذه أحكامها معلومة ، وليس المراد الكلام فيها ، والهجرة الثانية : الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله ، وهذه هي المقصودة هنا ، وهذه الهجرة هي الهجرة الحقيقية وهي الأصل وهجرة الجسد تابعة لها)).[٢]

فالإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ يقرر أهمية الهجرة الباطنة ، وعبَّر عنها بهجرة القلب إلى الله ورسوله ؛ لأن الأصل في جميع الأعمال هو القلب ، كما أنه يرى أنّ هجرة القلب هي الأصل لهجرة البدن ، وهي الهجرة الحقيقية ، ثم يتعجب ــ رحمه الله تعالى ــ من قوم أخذوا يتكلمون في هجرة البدن ، في أحكامها وشروطها ويتوسعون في ذلك ، وليس لهم نصيب من هجرة القلب ،...

فيقول ــ رحمه الله ــ : ((والذي يقضي منه العجب أن المرء يوسِّع الكلام ويفرِّع المسائل في الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، وفي الهجرة التي انقطعت بالفتح ، وهذه هجرة عارضة ربما لا تتعلق به في العمر أصلاً ؛ وأما هذه الهجرة التي هي واجبة على مدى الأنفاس فانه لا يحصل فيها علماً ولا إرادة ، وما ذاك إلا للإعراض عما خلق له والاشتغال بما لا ينجيه وحده عما لا ينجيه غيره ، وهذا حال من عشت بصيرته ، وضعفت معرفته بمراتب العلوم والأعمال ، والله المستعان وبالله التوفيق لا اله غيره ولا رب سواه)).[٣]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/٥٠) .

(٢) الرسالة التبوكية (ص/١٦) .

(٣) المصدر السابق (ص/٢١) .

فهذه لمحة مختصرة من كلام هذا الإمام تبين نوعي الهجرة ، وسيأتي مزيد من كلامه في بيان حقيقة هجرة القلب كما يسميها ــ رحمه الله تعالى ــ .

ولنشرع إذاً في نقل كلام العلماء في بيان هذه الهجرة الباطنة ، التي لا يستغني عنها مسلم على الإطلاق ، ولا نجاة لأحد بدونها .

ذكر الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ أن هجرة القلب تنقسم إلى قسمين :

الأول : الهجرة إلى الله تعالى .

الثاني : الهجرة إلى رسوله ﷺ .[1]

وكل من تكلم في معنى الهجرة عموماً أو خصوصاً ، فلا يخرج كلامه عن هذين القسمين .

فعرَّف الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ الهجرة إلى الله بقوله : ((وهي هجرة تتضمن من و إلى، فيهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته، ومن عبودية غيره إلى عبوديته ، ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه ، ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له إلى دعائه وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له ،... والمقصود أن الهجرة إلى الله تتضمن هجران ما يكره ، وإتيان ما يحبه ويرضاه ، واصلها الحب والبغض)).[2]

---

(١) يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ متحسّراً على المتخلفين عن هذه الهجرة العظيمة ، فيقول : ((وأما الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعلم لم يبق منه سوى اسمه ، ومنهج لم تترك بنيات الطريق سوى رسمه ، ومحجة سفت عليها السوافي ، فطمست رسومها ، وغارت عليها الأعادي فغورت مناهلها وعيونها ، فسالكها غريب بين العباد ، فريد بين كل حي وناد ، بعيد على قرب المكان ، وحيد على كثرة الجيران ، مستوحش مما به يستأنسون ، مستأنس مما به يستوحشون ، مقيم إذا ظعنوا ، ظاعن إذا قطنوا ، منفرد في طريق طلبه ، لا يقر قراره حتى يظفر به ، فهو الكائن معهم بجسده ، البائن منهم بمقصده ، نامت في طلب الهدى أعينهم ، وما ليل مطيته بنائم ، وقعدوا عن الهجرة النبوية ، وهو في طلبها مشمر ، قائم يعيبونه بمخالفة آرائهم ، ويزرون عليه إزراءه ، على جهالاتهم واهوائهم ، قد رجموا فيه الظنون ، وأحدقوا فيه العيون ، وتربصوا به ريب المنون ﴿ فتربصوا إنا معكم متربصون ﴾ [التوبة : ٥٢] ، ﴿ قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾ [الأنبياء : ١١٢])) [الرسالة التبوكية (ص/٢٢)].

(٢) الرسالة التبوكية (ص/١٧،١٩،٢٠) .

ويعرِّف ــ رحمه الله تعالى ــ الهجرة إلى الرسول ﷺ بقوله : « فحد هذه الهجرة سفر النفس في كل مسالة من مسائل الإيمان ، ومنزل من منازل القلوب ، وحادثة من حوادث الأحكام ، إلى معدن الهدى ، ومنبع النور [المتلقى] [١] من فم الصادق المصدوق الذي ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم : ٣-٤] ، فكل مسالة طلعت عليها شمس رسالته وإلا فاقذف بها في بحر الظلمات ، وكل شاهد عدَّله هذا المزكي وإلا فعدَّه من أهل الريب والتهمات ، فهذا حد هذه الهجرة ».[٢]

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ موضحاً هاتين الهجرتين ، منوعاً في البيان : « ولله على كل قلب هجرتان ، وهما فرض لازم له على الأنفاس ، هجرة إلى الله سبحانه بالتوحيد ، والإخلاص ، والإنابة ، والحب ، والخوف ، والرجاء ، والعبودية ، وهجرة إلى رسوله بالتحكيم له ، والتسليم ، والتفويض ، والانقياد لحكمه ، وتلقي أحكام الظاهر والباطن من مشكاته، فيكون تعبده به أعظم من تعبد الركب بالدليل الماهر في ظلم الليل ، ومتاهات الطريق ، فما لم يكن لقلبه هاتان الهجرتان ، فليحث على رأسه الرماد ، وليراجع الإيمان من أصله ».[٣]

ثم يزيد الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ الأمر بياناً فيقول : « والمقصود أن هذه الهجرة فرض على كل مسلم ، وهي مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أن الهجرة الأولى مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ، وعن هاتين الهجرتين يسأل كل عبد يوم القيامة ، وفي البرزخ ، ويطالب بها في : الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ».[٤]

وعرَّفها الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وجماع الهجرة : هي هجرة السيئات وأهلها ، وكذلك هجران الدعاة إلى البدع ، وهجران الفساق ، وهجران من يخالط هؤلاء كلهم ، أو يعاونهم ، وكذلك من يترك الجهاد الذي لا مصلحة لهم بدونه

---

(١) الموجود الملتقى ، ولعله تصحيف والله أعلم .

(٢) الرسالة التبوكية (ص/٢٣) .

(٣) مدارج السالكين (٢/٤٦٣) .

(٤) الرسالة التبوكية (ص/٢٤) .

فإنه يعاقب بهجرهم له لما لم يعاونهم على البر والتقوى ..)).[1]

فهنا يقسّم شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ الهجرة إلى قسمين ، هجر للسيئات والمنهيات والمنكرات والبدع ، وهجر لأصحاب هذه الأعمال ، فهي هجرة مع الأعمال ، وهجرة مع الأشخاص ، بعقوبتهم ، وتأديبهم ، ولذا يقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((إذ الهجرة مقصودها أحد شيئين : إما ترك الذنوب المهجورة وأصحابها ، وإما عقوبة فاعلها ونكاله)).[2]

وعرَّفها الحافظ **ابن حجر** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الهجرة : الترك ، والهجرة إلى الشيء الانتقال إليه عن غيره ، وفي الشرع ترك ما نهى الله عنه)).[3]

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((بل حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه)).[4]

هذا ما تيسر من كلام العلماء في معنى الهجرة ، ويلاحظ في جميع ما سبق من تعريفات ، أنها تضمنت ، إما ترك ما يسخط الله ، وإما الإقبال على ما يرضي الله ، وهذا هو نص قوله ﷺ : ((والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ..)).[5] ، ولا يتحقق الإقبال على الله إلا بترك مساخطه .

وعليه فالراجح من تعريفات العلماء الشامل لمضمون الهجرة هو ما قاله الحافظ ابن حجر ـــ رحمه الله تعالى ـــ ، والله أعلم .

---

(1) الفتاوى (15/311-312) .

(2) الفتاوى (10/377) .

(3) فتح الباري (1/16) .

(4) المصدر السابق (1/54) .

(5) تقدّم تخريجه : ينظر مصطلح المجاهدة .

الفصل الخامس

المصطلحات العامة

ويشتمل على أربع وعشرين مبحثاً :-

المبحث الأول : الإحسان .

المبحث الثاني : الأدب .

المبحث الثالث : الإسلام .

المبحث الرابع : الإلحاد .

المبحث الخامس : الإيمان .

المبحث السادس : البرُّ .

المبحث السابع : التبرّك .

المبحث الثامن : التوحيد .

المبحث التاسع : توحيد الألوهية .

المبحث العاشر : الجاهلية .

المبحث الحادي عشر : الحنيفية .

المبحث الثاني عشر : الردة .

المبحث الثالث عشر : الشرك .

المبحث الرابع عشر : الشفاعة .

المبحث الخامس عشر : العبادة .

المبحث السادس عشر: الغلو .

المبحث السابع عشر : الفأل .

المبحث الثامن عشر : الفطرة .

المبحث التاسع عشر : القنوت .

المبحث العشرون : الكرامة .

المبحث الحادي والعشرون : الكفر .

المبحث الثاني والعشرون : النُّسك .

المبحث الثالث والعشرون : النفاق .

المبحث الرابع والعشرون : الولاية .

المبحث الأول
الإحسان

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الإحسان لغةً .

المطلب الثاني : الإحسان شرعاً .

المطلب الأول
الإحسان لغةً

أصل الكلمة : **الإحسان** مشتق من أصل لغوي ثلاثيّ وهو (حسن) .[١]

تصريفها : الإحسان على وزن (إفْعَال) ، وهو مصدر قياسي للفعل الرباعي (أحْسَنَ) ، تقول : أحْسَنَ يُحْسِن إحْسَانَاً ، ويتعدى بنفسه وبغيره ، تقول أحسنت كذا إذا أتقنته ، وأحسنت إلى فلان إذا أوصلت إليه النفع ، والأصل الثلاثي منه حَسُنَ أو حَسَنَ فتقول : يَحْسُن حُسْناً فيهما ، فهو حاسِنٌ وحَسَن .[٢]

معناها لغة : بعض ما جاء في كتب اللغة في مادة حسن :-

١- **ضدّ القبح ونقيضه** ، حَسُنَ الشيء حُسْناً ، إذا لم يكن قبيحاً ، وامرأة حسَنَة وحسْناء ، أي جميلة .

٢- **ضدّ الإساءة ، أو إعطاء الغير فوق ما يجب و يستحق** ، يقال : أحْسَنَ إليه إحْسَاناً ، والمحاسن خلاف المساوي .

٣- **العلم بالشيء** ، يقال فلان لا يحسن الكتابة : أي لا يعلمها ، وهذا لا يفهم إلا بقرينة الاستعمال ، مما يغلب على الظن إرادة العلم .

٤- **والتحسين : التزيين** ، تقول : حسَّنت الشيء تحْسيناً ، إذا زينته .

٥- **والحسنة ضدّ السيئة** .[٣]

هذه من أهم المعاني المذكورة في معاجم اللغة ، وصلتها بالمعنى الشرعي للإحسان لا تكاد تخفى ، فتأمل ..

---

[١] مقاييس اللغة (٥٧/٢) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥٩) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٣،١٥٥) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٧٣) .

[٣] ينظر هذه المعاني في : الصحاح (٢٠٩٩/٥) ، لسان العرب (١٧٧/٣-١٧٩) .

المطلب الثاني
الإحسان شرعاً

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص:٧٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب:٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن:٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس:٢٦] .

يظهر مما ورد من نصوص شرعية عن الإحسان ، أن له معنيين :

أحدهما : معنىً خاص ، ويكون في حالة اقترانه بالإيمان والإسلام ، فإن كان كذلك فمعناه الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة ، وعلى ذلك دلَّ كلام الإمام ابن القيم

ـــ رحمه الله تعالى ـــ في قوله ﷺ :((أن تعبد الله كأنك تراه...)) [١] قـــال : ((وأمـــا الحديث : فإشارة إلى كمال الحضور مع الله عز وجل ، ومراقبته الجامعة؛ لخشيته، ومحبته ، ومعرفته ، والإنابة إليه ، والإخلاص له ، ولجميع مقامات الإيمان)).[٢]

الثاني : معنىً عام ، وذلك إذا ورد مطلقاً ، ومعناه فعل ما هو حسن ، والإتيـــان بالحسنى .

وتعريفات العلماء تدور في الغالب على هذين المعنيين :

فعرَّفه الإمام **ابن عباس** ـــ رضي الله عنهما ـــ بقوله : ((..والإحسان أداء الفرائض)).[٣]

وعرَّفه **علي بن أبي طالب** ـــ رضي الله عنه ـــ بقوله : ((الإحسان : التفضل)).[٤]

وعرَّفه الإمام **سفيان بن عيينة** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((... والإحسان أن تكـــون السريرة أفضل من العلانية)).[٥]

وعرَّفه الإمام **ابن عطية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والإحسان هو فعل كـــل مندوب إليه)).[٦]

وعرَّفه الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((..الإحسان هو العمل بمـــا لم يفرضه عليهم من الأعمال)).[٧]

وعرَّفه الإمام **الهروي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((فالإحسان : جامع لجميع أبـــواب الحقائق ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه)).[٨]

---

(١) رواه البخاري (٢٧/١) برقم (٥٠) ، ومسلم (٣٦/١-٣٧) برقم (٨) .

(٢) مدارج السالكين (٤٦٠/٢) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠٩/١٠) .

(٤) المصدر السابق (١٠٩/١٠) .

(٥) المصدر السابق (١٠٩/١٠) .

(٦) المصدر السابق (١٠٩/١٠) .

(٧) جامع البيان (٣٦/٧) .

(٨) مدارج السالكين (٤٦٠/٢) ، وهذا التعريف هو جزء من تفسير النبي ﷺ للإحسان .

وعرَّفه الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : «.. وإنما الإحسان التكميلات والمندوب إليه حسبما يقتضيه تفسير النبي ﷺ في حديث سؤال جبريل بقوله :((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك))...».[1]

وقيل : « إنّ الإحسان هو الإخلاص ».[2]

وقيل هو : « المعاملة بالحسنى ممن لا يلزمه ، إلى من هو أهل لها ».[3]

وعرَّفه **الراغب** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « والإحسان أن يُعطي أكثر مما عليه ، ويأخذ أقل مما له ».[4]

وعرَّفه شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « والتحقيق : أن الإحسان يتناول الإخلاص وغيره ، والإحسان يجمع كمال الإخلاص لله ، ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبّه الله ».[5]

وهذا يدل على أن الإحسان الشرعي يتضمن جملةً من العبادات ، بل ما من عبادة إلا وهي داخلة في الإحسان .

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً : « .. والعمل الصالح هو الإحسان : وهو فعل الحسنات وهو ما أمر الله به والذي أمر الله به هو الذي شرعه الله وهو الموافق لكتاب الله وسنة رسوله ».[6]

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « والإحسان هاهنا هو فعل المأمور به ، سواء كان إحساناً إلى الناس ، أو إلى نفسه ، فأعظم الإحسان ؛ الإيمان والتوحيد ، والإنابة إلى الله ، والإقبال عليه ، والتوكل عليه ، وأن يعبد الله كأنه يراه ، إجلالاً ومهابة وحياء ومحبة وخشية ، هذا هو مقام الإحسان ».[7]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠٩/١٠) .

(٢) الفتاوى (٦٢٢/٧) .

(٣) نضرة النعيم (٦٨/٢) .

(٤) المفردات (ص/١١٩) .

(٥) الفتاوى (٦٢٢/٧) .

(٦) الفتاوى (٣٠٨/٢) ، وانظر كذا (٢٥١/١٨) .

(٧) بدائع الفوائد (٥٢٨/٣) .

وهنا ينصُّ الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ على تضمن الإحسان لجملة من العبادات على مختلف أنواعها .

وقيل هو : « فعل ما ينبغي فعله من المعروف ».[١]

وعرَّفه الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الإحسان : قسمان ، إحسان في عبادة الخالق ، وهو بذل الجهد في إكمالها وإتقانها والقيام بحقوقها الظاهرة والباطنة .

وإحسان إلى المخلوقين بإيصال جميع ما يستطيعه العبد ؛ من نفع علمي وبدني ومالي للخلق ، ونصيحة دينية أو دنيوية ، ومساعدة وحضّ على الخير ».[٢]

وقد تبع الشيخ العثيمين ــ حفظه الله تعالى ــ شيخه في هذا التقسيم ، فعرَّف الإحسان إلى المخلوقين بقوله : « الإحسان : ضدُّ الإساءة ، وهو أن يبذل الإنسان المعروف ويكف الأذى، فيبذل المعروف لعباد الله، في ماله، وجاهه، وعلمه، وبدنه ...

وقال عن الإحسان في عبادة الله : « وأما بالنسبة للإحسان في عبادة الله : فأن تعبد الله كأنك تراه ، كما قال النبي ﷺ ، وهذه العبادة أي عبادة الإنسان ربه كأنه يراه ، عبادة طلب وشوق ، وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حاثاً عليها ، لأنه يطلب هذا الذي يحبه ، فهو يعبده كأنه يراه ، فيقصده بالعبادة ، وينيب إليه ويتقرَّب إليه ــ سبحانه وتعالى ــ ».[٣]

وهكذا فإنك تلاحظ من خلال هذا العرض ؛ أن منهم من عرَّفه بالواجبات والفرائض ، ومنهم من عرَّفه بالنوافل ، ومنهم من ضمَّن الأمرين معاً ، وذكر مع ذلك إتقان الأعمال عموماً .

---

[١] التوقيف على مهمات التعاريف (ص/٤٠) .

[٢] تيسير الكريم الرحمن (٨/٤٨٧) .

[٣] شرح ثلاثة الأصول ــ العثيمين (ص/١١٦ـ١١٧) .

يقول الشيخ **محمد رشيد رضا** ـ رحمه الله تعالى ـ : « ومن تتبّع الآيات التي ذكر فيها الإحسان يرى أن منها ما يراد به الأعمال المفروضة أولاً وبالذات ، ومنها ما يراد به ما زاد عن الفرض من العمل الصالح ، ومنها ما يراد به إحسان العمل وإتقانه مطلقاً ».[١]

وعلى ضوء ما سبق نقول في تعريفه :-

((هو فعل ما أمر الله به ، ورسوله ﷺ ، إيجاباً أو استحباباً ؛ سواء تعلّق هذا الفعل بربه ، أو بنفسه ، أو بغيره)). والله أعلم .

---

(١) تفسير المنار (٤٣١/٢) .

المبحث الثاني
الأدب

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدب لغةً .

المطلب الثاني : الأدب شرعاً .

المطلب الأول
الأدب لغةً

أصل الكلمة : الأدب مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو (أَدُبَ).[١]

تصريفها : الأدَبُ على وزن (فَعَل) ، وهو مصدر سماعي للفعل الثلاثي (أَدُبَ) ، يقال : (أَدُبَ يَأدُبُ أَدَبَاً) ، من باب (كَرُمَ يَكْرُمُ كَرَمَاً).[٢]

معناها لغةً : معاني مادة (أَدُبَ) اللغوية :-

١- الأَدَبُ : هو ما يتأدب به الأديب، سمي أدَبَاً؛ لأنه يأدِبُ الناس إلى المحامد ، وينهاهم عن المقابح ، وأصل الأَدْبِ : الدعوة .

٢- والتأديب : بمعنى التعليم .

٣- والمأدَبَة والمأدُبَةُ : كل طعام صنع لدعوة أو عرس . والأدَبَةُ جمع آدِبٍ : وهو الذي يدعو الناس إلى المأدُبَة ، يقال : أَدَبَ القَوْمَ يأدِبُهُم بالكسر ، والمصدر أَدْبٌ : إذا دعاهم إلى طعامه .

٤- الأَدْبُ : العَجَبُ .[٣]

والذي يقارب ما نحن فيه من معنى الأدب الشرعي هو المعنى الأول ؛ لأنه تضمن معنى الدعاء ، فالأدب يحمل الناس على أمور ومحامد يأتي تفصيلها فيما يأتي ، والله أعلم .

---

[١] مقاييس اللغة (٧٤/١) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥٥-٥٦) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٥٥) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٤٤٣) .

[٣] ينظر لهذه المعاني وغيرها في : الصحاح (٨٦/١) ، لسان العرب (٩٣/١-٩٤) .

المطلب الثاني
الأدب شرعاً

عن سفيان بن عيينة ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عيه وسلم : ((ما استرذل الله عبداً إلا حظر عنه العلم والأدب)).[1]

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : ((التوفيق خير قائد ، وحسن الخلق خير قرين ، والعقل خير صاحب ، والأدب خير ميراث ، ولا وحشة أشد من العجب)).[2]

وجاء عن الأحنف بن قيس أنه قال : ((العقل خير قرين ، والأدب خير ميراث ، والتوفيق خير قرين)).[3]

وعن عباية قال : وضأت ابن عمر فقمت عن يمينه أفرغ عليه الماء ، فلما فرغ صعد في بصره فقال من أين أخذت هذا الأدب ؟ فقلت : من جدي رافع ، قال : قال هنالك الرجل)).[4]

لفظة الأدب من الألفاظ التي استعملها العلماء ، ولها تعلُّق بجميع أبواب الدين ، بل كما قال بعض العلماء : ((والأدب : هو الدين كله)).[5] ، ولذا قسَّم الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ الأدب إلى ثلاثة أقسام :-

---

(١) مسند الشهاب (١٧/٢) برقم (٧٩٥) .

(٢) شعب الإيمان (١٦١/٤) برقم (٤٦٦١) .

(٣) شعب الإيمان (١٦٩/٤) برقم (٤٦٩٨) .

(٤) مصنف بن أبي شيبة (٣٣٥/٥) برقم (٢٦٦٣٩) .

(٥) مدارج السالكين (٣٨٤/٢) .

أحدها : الأدب مع الله تعالى ، وهو أعظمها .

الثاني : الأدب مع رسوله ﷺ .

الثالث : الأدب مع الخلق .(١)

وبهذا يكون الأدب قد تعلّق وارتبط بجميع أجزاء الدين ، أصوله وفروعه ؛ من اعتقادات ، وعبادات ، ومعاملات ، وسلوك .

وتعريفات العلماء للأدب : منها ما يتضمن الأنواع الثلاثة ، ومنها ما يتضمن بعضها ، وفيما يلي أسوق ما وقفت عليه من كلام العلماء في بيان هذا المقام الجليل :

عرَّفه الإمام **عبد الله بن المبارك** ــ رحمه الله ــ بقوله : « قد أكثر الناس القول في الأدب ، ونحن نقول : إنه معرفة النفس ورعوناتها ، وتجنب تلك الرعونات ».(٢)

وقيل : « الأدب : الوقوف مع المستحسنات ، فقيل له : وما معناه فقال : أن تعامله سبحانه بالأدب سراً وعلناً ...».(٣)

وعرَّفه بعضهم بقوله : « وحقيقة الأدب : اجتماع خصال الخير ، فالأديب : هو الذي اجتمعت فيه خصال الخير ، ومنه « المأدبة » اسم للمجمع ».(٤)

وعرَّفه الإمام **الهروي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الأدب : حفظ الحد بين الغلو والجفاء بمعرفة ضرر العدوان ».(٥)

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ معلّقاً على هذا الكلام : « هذا من أحسن الحدود ، فإن الانحراف إلى أحد طرفي الغلو والجفاء : هو قلة الأدب ، والأدب الوقوف في الوسط بين الطرفين ، فلا يقصر بحدود الشرع عن تمامها ، ولا يتجاوز بها ما جعلت حدودا له ، فكلاهما عدوان ، والله لا يحب المعتدين ، والعدوان هو سوء الأدب ».(٦)

---

(١) المصدر السابق (٢/٣٧٦) .

(٢) مدارج السالكين (٢/٣٧٧) .

(٣) مدارج السالكين (٢/٣٧٦) .

(٤) الرسالة القشيرية (ص/٢٨٤) .

(٥) مدارج السالكين (٢/٣٩٢) .

(٦) المصدر السابق (٢/٣٩٢) .

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وهــذه اللفظــة مؤذنــة بالاجتماع ، فالأدب : اجتماع خصال الخير في العبد ، ومنه المأدبة : وهي الطعام الــذي يجتمع عليه الناس)).[1]

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((وحقيقة الأدب : استعمال الخُلق الجميــل ، ولهذا كان الأدب استخراج ما في الطبيعة من الكمال ، من القوة إلى الفعل)).[2]

وعرَّفه **الجرجاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الأدب : عبارة عن معرفــة مــا يحترز به عن جميع أنواع الخطأ)).[3]

وعرَّفه الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والأدب : استعمال مــا يحمد قولاً وفعلاً ، وعبر بعضهم عنه بأنه : الأخذ بمكارم الأخلاق ، وقيل الوقوف مــع المستحسنات ، وقيل هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك)).[4]

وعرَّفه **المناوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والأدب : ما يحصل للنفس مــن الأخلاق الحسنة والعلوم المكتسبة ...)).[5]

وقال ــ رحمه الله ــ أيضاً : ((الأدب : رياضة النفس ، ومحاسن الأخلاق ، ويقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل ... وهو جماع كــل خير)).[6]

وعرَّفه الشيخ **المباركفوري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((.. الأدب : هو حســن الأحوال من القيام والتعود وحسن الأخلاق)).[7]

هذا ما وقفت عليه من أقوال العلماء في عموم معنى الأدب ، وكما ذكرنا من قبل فمنها ما هو عام تدخل فيه أنواع الأدب الثلاثة الماضية ، ومنها ما هو خاص ،...

---

(1) المصدر السابق (٢/٣٧٥) .

(2) المصدر السابق (٢/٣٨١) .

(3) التعريفات (ص/٢٩) .

(4) فتح الباري (١٠/٤٠٠) .

(5) فيض القدير (١/٢٢٤) .

(6) التوقيف على مهمات التعاريف (ص/٤٤-٤٥) .

(7) تحفة الأحوذي (٤/٢١٨) .

ولقد تتطرق الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ لأنواع الأدب الثلاثة بالبيان والتوضيح ، فقال : أولاً في تعريف الأدب مع الله تعالى : ((فالأدب مع الله : حسن الصحبة معه بإيقاع الحركات الظاهرة والباطنة على مقتضى التعظيم، والإجلال، والحياء ، كحال مجالس الملوك ومصاحبهم)).[١]

ويقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً : ((والمقصود أن الأدب مع الله تبارك وتعالى : هو القيام بدينه ، والتأدب بآدابه ظاهراً وباطناً)).[٢]

ثم عرَّف ـــ رحمه الله تعالى ـــ الأدب مع الرسول ﷺ فقال : ((فرأس الأدب معه : كمال التسليم له ، والانقياد لأمره ، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولا ، أو يحمله شبهة ، أو شكاً ، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم ، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان)).[٣]

وأخيراً يعرِّف ـــ رحمه الله تعالى ـــ الأدب مع الخلق فيقول : ((وأما الأدب مع الخلق : فهو معاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم [٤] ، فلكل مرتبة أدب ... ومثال ذلك في حقوق الخلق : أن لا يفرط في القيام بحقوقهم ، ولا يستغرق فيها بحيث يشتغل بها عن حقوق الله ، أو عن تكميلها ، أو عن مصلحة دينه وقلبه ، وأن لا يجفو عنها حتى يعطلها بالكلية ، فإن الطرفين من العدوان الضار ، وعلى هذا الحد فحقيقة الأدب : هي العدل والله أعلم)).[٥]

---

(١) مدارج السالكين (٢/٣٧٧) .

(٢) المصدر السابق (٢/٣٨٧) .

(٣) المصدر السابق (٢/٣٨٧) .

(٤) ويدخل في ضمن الأدب مع الخلق حسن الخطاب معهم ، وانتقاء الألفاظ الجزلة ، والعبارات المؤثرة ، البعيدة عن الركاكة واللحن ، وهذا الذي يعرف بعلم الأدب ، وصاحبه أديب . يقول الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((وعلم الأدب هو علم إصلاح اللسان والخطاب ، وإصابة مواقعه ، وتحسين ألفاظه ، وصيانته عن الخطاء والخلل ، وهو شعبة من الأدب العام والله أعلم))[مدارج السالكين (٢/٣٧٦)] .

(٥) مدارج السالكين (٢/٣٩٠ ، ٣٩٣) .

هذا آخر ما وقفت عليه من كلام أهل العلم في بيان معنى الأدب ، والذي يظهر رجحانه أن نقول :-

بأن الأدب : **هو اسم جامع لكل خصال الخير ، التي أحبها الله تعالى ورضيها لعباده ، ليحترزوا بتلك الخصال من الخطأ والعيب والتقصير** ، والله أعلم .

المبحث الثالث
الإسلام

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الإسلام لغةً .

المطلب الثاني : الإسلام شرعاً .

المطلب الأول
الإسلام لغة

أصل الكلمة : الإسلام مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (سَلِمَ) .[1]

تصريفها: الإسلام على وزن (إفْعَالٌ)، وهو مصدر قياسي من الفعل الثلاثي المزيد (أَسْلَمَ) ، والمضارع (يُسْلِمُ) ، والأصل الثلاثي المجرد من ذلك (سَلِمَ) تقول : (سَلِمَ يَسْلَمُ سَلْمَاً وسِلْمَاً وسَلَمَاً وسَلامَاً) .[2]

معناها لغة : بعض معاني مادة سَلِمَ من كتب اللغة :--

١- **البراءة** ، يقال : تَسَلَّمَ منه : تبرَّأَ .

٢- **النجاة والوقاية** ، ومنه قولهم : سَلِمَ من الأمر ، أي نجا منه، وسَلَّمَه الله من الأمر : وقاه إيّاه .

٣- **الدفع والإعطاء** ، وأسْلَم إليه الشيء : دفعه .

٤- **الرضا بالحكم** ، هو التَّسْلِيمُ ، وسَلَّمَ الأمرَ لله : رضي بحكمه .

٥- **الدخول في دين الإسلام** ، وأسْلَمَ الرجل : أي دخل في الإسلام .

٦- **الانقياد والإذعان** ، وبه فُسِّر قوله ﷻ : ﴿...وألقَوْا إليكم السَّلَمَ﴾ [النساء :٩٠] : أي الانقياد .[3]

هذه بعض معاني مادة سلم ، وأنسبها إلى ما نحن بصدده هو المعنى الأخير والذي قبله ، كما سيعلم ذلك في المطلب التالي ، والله أعلم .

---

[1] مقاييس اللغة (٣/٩٠) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٦٠) .

[2] ينظر تصريف الكلمة في : لسان العرب (٦/٣٤٢ــ٣٤٨) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٥٣) ، تصريف الأسماء (ص/٥١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٧٣) .

[3] ينظر هذه المعاني في : مقاييس اللغة (٣/٩٠) ، الصحاح (٥/١٩٥٠ــ١٩٥٢) ، لسان العرب (٦/٣٤٢ــ٣٥٠) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٦٠) .

المطلب الثاني
الإسلام شرعاً

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:٨٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٥] .

وقال ﷻ في شأن إبراهيم : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [البقرة:١٣١] .

ثم المتأمل اللبيب في نصوص الشرع ، قرآنيةً كانت أم نبويةً ، يظهر له وبكل جلاء ووضوح ، أنَّ الشارع الحكيم أطلق لفظة الإسلام الواردة في النصوص الشرعية بعدة إطلاقات ، باعتبارات مختلفة ، فيها شيءٌ من التغاير ، يمكن أن نعبِّر عنها في الجملة بالإسلام الخاص والعام ، ولعلَّ تعاريف العلماء تباينت وتغايرت على حسب هذه الإطلاقات ، كما سيعلم ذلك .

أولاً : إطلاق باعتبار « الدين المنزل » : وهو على ضربين :-

أحدهما : الدين الواحد ، والملة المشتركة بين جميع الأنبياء والمرسلين ، وهو توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به ، وبذلك فُسِّر قوله ﷻ :﴿ إنَّ الدين عند الله الإسلام﴾[آل عمران : ١٩].[1]

---

(١) ويرى بعض العلماء أنَّ الإسلام بالمعنى العام هو جميع الرسالات بما فيها من أُصول وفروع ، قال الشيخ العثيمين

الثاني : الرسالة الشاملة التي بُعِثَ بها محمد ﷺ خاصة ، وخُتِمَت بها سائر الرسالات .

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله ـــ : ((وله معنيان :-

أحدهما : الدين المشترك ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له الذي بعث به جميع الأنبياء ، كما دلَّ على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة .

الثاني : ما اختص به محمد ﷺ من الدين والشرعة والمنهاج ....)).[1]

ثانياً : إطلاق باعتبار ما يقع به الإسلام :-

أحدهما : ظاهر القول والعمل ، بمعنى الاستسلام والانقياد الظاهري .

الثاني : الظاهر مع الباطن ، أي بمعنى الإخلاص لله ، مع انقياد القلب والجوارح .

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله ـــ : ((..وله مرتبتان :-

أحدهما : الظاهر من القول والعمل ، وهي المباني الخمس .

والثاني : أن يكون ذلك الظاهر مطابقا للباطن ....)).[2]

وما سيأتي من تعريفات ينبني عى هذا التأصيل ، فنقول وبالله التوفيق :

عرَّفه الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((وكذلك الإسلام : وهو الانقياد بالتذلل والخشوع.. وقال ـــ رحمه الله ـــ : وأصل الإسلام : الاستسلام لأنه من استسلمت لأَمره : وهو الخضوع لأمره ، وإنما سمي المسلم مسلماً بخضوع جوارحه لطاعة ربه)).[3]

ـــ حفظه الله ـــ : ((الإسلام بالمعنى العام هو التعبد لله تعالى بما شرعه من العبادات التي جاءت بها رسله منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة)).[المجموع الثمين (٢/٤٠)] ، ومن العلماء من يرى أن لفظ الإسلام خاص بهذه الملة المحمدية ، وبالأنبياء من قبل فقط ؛ ولا يمتد ذلك إلى مللهم وأُممهم . [معجم المناهي اللفظية (ص/٩٥) ، وينظر : الحاوي للسيوطي (٢/٢١٣ــ٢٣٥)] .

[1] الفتاوى (٧/٦٣٥ــ٦٣٦ ، ٢٨/١٧٤) .

[2] الفتاوى (٧/٦٣٦) .

[3] جامع البيان (٣/٢١٢ ، ١/٤٩٣) .

وعرَّفه الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « وأما الإسلام فقبول ما أتى به النبي ﷺ في الظاهر ، وذلك يَحْقِن الدم ».[١]

وهذا قد يكون استسلاماً ، وليس هو الإسلام الشرعي المطلوب من العباد . لأن الإسلام الحق هو إسلام الظاهر والباطن .

وقيل هو : « إظهار القبول والخضوع لما أتى به محمد ﷺ ..».[٢]

وقريباً منه تعريف **الجرجاني** ـــ رحمه الله ـــ : « الإسلام : الخضوع والانقياد ، لما أخبر به الرسول ﷺ ..».[٣]

وعرَّفه الإمام **النووي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « الإسلام : الانقياد . والإسلام الشرعيُّ انقياد مخصوص ».[٤]

وعرَّفه شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « والإسلام يجمع معنيين -:

أحدهما : الاستسلام والانقياد ، فلا يكون متكبراً .

والثاني : الإخلاص من قوله تعالى : ﴿ورجلاً سلماً لرجل﴾[الزمر : ٢٩] ، فلا يكون مشركاً ، وهو أن يُسْلِمَ العبد لله رب العالمين ..».[٥]

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « وقد يراد به معنى ثالث هو كماله وهو قوله ﷺ : ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)) [٦] ، فيكون أسلم غيره ، أي جعله سالماً منه ».[٧]

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « والإسلام : هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، والإيمان بالله وبرسوله ، واتباعه فيما جاء به...».[٨]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٤٨/١٦) .

(٢) نضرة النعيم (٣٢١/٢) .

(٣) التعريفات (ص/٣٩) .

(٤) تحرير التنبيه (ص/٤٧) .

(٥) الفتاوى (١٧٤/٢٨) .

(٦) البخاري (١٣/١) برقم (١٠) ، مسلم (٦٥/١) برقم (٤١) .

(٧) الفتاوى (٦٣٦/٧) .

(٨) طريق الهجرتين (ص/٦٠٨) .

وعرَّفه الإمام المجدد **محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((..وهو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله)).[١]

وعرَّفه الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله: ((أما الإسلام : فهو استسلام القلب لله وإنابته ، والقيام بالشرائع الظاهرة والباطنة)).[٢]

وعرَّفه الشيخ **الشنقيطي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((هو استسلام القلب بالاعتقاد ، واللسان بالإقرار ، والجوارح بالعمل)).[٣]

وقيل : ((الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتُقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)).[٤]

فعرَّفه بأركانه .

هذا ما وجدته من أقوال العلماء في بيان لفظة الإسلام ، وجميعها لا يخرج عما سبق تأصيله ، فهو إذا أفرد في الذكر صار عاماً ، وإذا قرن بالإيمان صار مخصوصاً بأعمال الظاهر ، مع أنها لا تعتبر صحيحة ومقبولة من العبد إذا خلت من أمور الإيمان الباطنة .

ولعلَّ أرجحها في نظري والله أعلم هو تعريف الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ــ رحمه الله ــ .

وبإمكاننا أنَّ نُعرِّفَ الإسلامَ الشرعي بما يلي :-

الإسلام : هو الاستسلام لله بالتوحيد والإخلاص ، والانقياد له بالطاعة فعلاً وتركاً ، والقبول لما جاء به محمد ﷺ ، كل ذلك بالقلب واللسان والجوارح ، والبراءة من الشرك وأهله . والله تعالى أعلم .

---

(١) الأصول الثلاثة مع شرح الشيخ العثيمين (ص/٦٤) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن (٤٨٧/٨) .

(٣) أضواء البيان (٦٣٦/٧) .

(٤) نضرة النعيم (٣٢١/٢) .

المبحث الرابع
الإلحاد

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الإلحاد لغةً .

المطلب الثاني : الإلحاد شرعاً .

المطلب الأول
الإلحاد لغةً

أصل الكلمة : الإلحاد مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو (لَحَدَ).[1]

تصريفها : الإِلْحَادُ على وزن (إِفْعَال) ، وهو مصدر قياسي من الفعل الرباعي (ألحـد) ، على وزن (أَفْعَلَ) ، يقال : (أَلْحَدَ ـ يُلْحِدُ ـ إِلْحَاداً) ، والأصل الثلاثي منه (لَحَـدَ ـ يَلْحَدُ ـ لَحْداً ولُحُوداً).[2]

معناها لغةً : من المعاني اللغوية لمادة (لحد) :-

١- فالإلحاد : الميل والعدول عن القصد والجور ، يقال : لَحَدَ إلى الشيء يَلْحَدُ والتَحَدَ : إذا مال . والمُلْحِد : العادل عن الحق ، المُدْخِل فيه ما ليس منه .

٢- اللَّحْدُ : الشَّقُّ الذي يكون في جانب القبر ، لأنه قد أُميل عن وسطه إلى جانبه .

٣- والمُلْتَحَد : المَلْجَأ والملاذ ؛ لأن اللاجئ يميل إليه.

هذا أهم ما ذُكِرَ في كتب اللغة من معاني هذه المادة [3] ، ويلاحظ أنها ترجـع إلى معنى الميل ، ولذا يقول ابن فارس ـ رحمه الله تعالى ـ : « اللام والحاء والدال أصلٌ يدلُّ على ميل عن استقامة ».[4] وأقرب المعاني إلى معنى الإلحاد الشرعي هو الأول منها ، والله تعالى أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٥/٢٣٦) .

(٢) ينظر تصريفها في : تصريف الأسماء (ص/٥٩) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٧٣) .

(٣) ينظر لهذه المعاني في : الصحاح (٢/٥٣٤) ، لسان العرب (١٢/٢٤٦-٢٤٧) .

(٤) مقاييس اللغة (٥/٢٣٦) .

المطلب الثاني
الإلحاد شرعاً

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحج:٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ [فصلت:٤٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف:١٨٠].

مرَّ معنا في المطلب اللغوي السابق ، أن الإلحاد : هو الميل والعدول ، ومعناه الشرعي كذلك يتضمن معنى الميل ، وحقيقة هذا الميل لا تعرف ، إلا إذا عُرِفَت حقيقة الاستقامة [١] ، إذ الاستقامة ضدّ الإلحاد ،...

يقول الشيخ **العثيمين** ــ حفظه الله تعالى ــ : « ولا يعرف الإلحاد إلا بمعرفة الاستقامة ؛ لأنه كما قيل : بضدها تتبين الأشياء ».[٢]

واعلم أن الإلحاد نوعان :-

الأول : إلحاد في آيات الله الكونية ، وهي جميع المخلوقات ؛ من سماء ، وأرض ، وجبال ، وبحار ، وشجر ، ودواب ، وغير ذلك .

الثاني : إلحاد في آيات الله الشرعية ، وهي ما جاءت به الرسل من الوحي ، كالقرآن ، يقول تعالى : ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ [العنكبوت :

---

(١) ينظر مصطلح الاستقامة من هذه الرسالة .

(٢) المجموع الثمين ــ فتاوى العقيدة (٢/٥٨) .

٤٩] ، ويتضمن الإلحاد في هذه الآيات الشرعية : الإلحاد في الربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات ، وكل ما أمر الله به ، أو نهى عنه . قال تعالى : ﴿ ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ [الحج : ٢٥] .

وإليك أقوال العلماء التي بيَّنت حقيقة الإلحاد :-

عرَّفه **الإمام ابن عباس** رضي الله عنه بـ: ((التكذيب)).[1] ، . . .

وذلك أن المكذب قد مال عما يجب عليه ، إذ الواجب التصديق .[2]

وعرَّفه رضي الله عنه أيضاً بقوله : ((هو أن يوضع الكلام على غير موضعه)).[3]

وعرَّفه **عبد الرحمن بن زيد بن أسلم** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((الإلحاد : الكفر والشرك)).[4]

وعرَّفه **قتادة** ـ رحمه الله تعالى ـ بـ : ((الشرك)).[5]

والشرك هو أعظم ميل وجور ، وعدول عن أعظم واجب وهو توحيد الله تعالى .

وعرَّفه **الإمام الطبري** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((ومنه الإلحاد في الدين وهو المعاندة بالعدول عنه والترك له)).[6]

وعرَّفه **الإمام القرطبي** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((وهذا الإلحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إلى الصغائر)).[7]

فجعل الإلحاد الوارد في قوله تعالى : ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، عاماً لكل ميل وانحراف عما أمر الله به ، صغيراً كان أم كبيراً .

---

(١) جامع البيان (٩/١٣٤) .

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/٧٦) .

(٣) جامع البيان (٢٤/١٢٣) .

(٤) المصدر السابق (٢٤/١٢٣) .

(٥) المصدر السابق (٩/١٣٤) .

(٦) المصدر السابق (١٥/٢٣٣).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٢/٣٦) .

وعرَّفه الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((لفظ الإلحاد : يقتضي ميلاً عن شيء إلى شيء بباطل)).[١]

وعرَّف ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ الملحد بقوله : ((ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل . قال ابن السكيت : الملحد المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه)).[٢]

وعرَّف ـــ رحمه الله تعالى ـــ الإلحاد في الآيات والنصوص الشرعية بقوله : ((فإنه هو الميل بالنصوص عما هي عليه ؛ إما بالطعن فيها ، أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها)).[٣]

وعرَّفه **المناوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والإلحاد : الميل عن الاستقامة والانحراف عن الحق إلى الباطل ، ومنه الملحد ؛ لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها ، ولم يمله عن دين إلى دين ..)).[٤]

وعرَّفه **الألوسي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((وتفسير الإلحاد بما ذكر هو الظاهر ، فيشمل سائر الآثام ؛ لأن حاصل معناه : الميل عن الحق إلى الباطل ، وهو محقق في جميع الآثام)).[٥]

وهذا ما تيسَّر الوقوف عليه من أقوال العلماء في بيان معنى الإلحاد ، وأقوالهم متقاربة إلى حدٍّ كبير ، ويمكن أن نجملها في قول واحد فنقول :

((**الإلحاد : هو الميل والعدول عن المنهج الحق ؛ في الاعتقادات ، والأقوال ، والأفعال ، إلى ضدّ ذلك ونقيضه**)) ، والله أعلم .

---

(١) الفتاوى (١٢/١٢٤) .

(٢) بدائع الفوائد (١/١٧٩) .

(٣) الصواعق المرسلة (١/٢١٧) .

(٤) فيض القدير (١/١٨٢) .

(٥) روح المعاني (١٧/١٤٠) .

المبحث الخامس
الإيـــمان

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الإيمان لغةً .

المطلب الثاني : الإيمان شرعاً .

المطلب الأول
الإيمان لغة

أصل الكلمة : الإيمان مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (أَمِنَ) .[١]

تصريفها : الإيمان على وزن (إِفْعَال) ، وأصله (إِئْمان) ، فاجتمعت همزتان في أوّل الكلمة وكانت الأُخرى منهما ساكنة ، والأولى مكسورة ، فالقاعدة قلب الهمزة الساكنة ياءً ، وهو مصدر قياسي من الفعل (آمَنَ) الرباعي ، وأصله (أَأْمَنَ) بهمزتين على وزن (أَفْعَلَ) ، فلُيِّنت الثانية ، أي قُلبت ألفاً ، ومضارعه (يُؤْمِن) ، والأصل الثلاثي منه (أَمِنَ) مهموز الفاء ، ومضارعه (يَأْمَن) والمصدر القياسي (أَمْنًا) وسمع أَمَنًا وأَمانًا .[٢]

معناها لغةً : معاني مادة (أَمِنَ) اللغوية :-

١- **ضد الخوف ، وهو الاطمئنان** ، يقال له : الأَمن ، وأَمَنْتُه : ضد أَخَفْتُه ، ومنه قوله ﷻ : ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ [قريش :٤].

٢- **ضد الخيانة** ، الأَمانة .

٣- **الوثوق بالشخص وائْتِمَانُهُ** ، أَمِنَه على الشيءِ : وَثِقَ به وجعَلَه أميناً عليه .

٤- **من أسمائه تعالى المؤمِنُ** ، قيل لأنّه آمن عباده من أن يظلمهم .[٣]

٥- **التصديق** ، وهو ضد التكذيب ، يقال له : الإيمان ، ويقال : آمن به قومٌ وكذّب به قومٌ .

هذه من أهم المعاني (لمادة) أمن المبثوثة في معاجم اللغة ، ولعلّ الأخير من هذه المعاني ألصق بالمعنى الشرعي من غيرها ، مع أن بقية المعاني لا تخلوا من تعلُّق ورابط ، وقد

---

(١) مقاييس اللغة (١/١٣٣) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٠) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (٥/٢٠٧١) ، تصريف الأسماء (ص/٥١) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٥٣) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٧٦) .

(٣) ينظر معنى الكلمة في : أساس البلاغة (ص/١٠) ، لسان العرب (١/٢٢٣) ، الصحاح (٥/٢٠٧١-٢٠٧٢) .

نصَّ كثير من أهل اللغة على أنَّ الإيمان هو التصديق ، وهنا أقف وقفةً بل وقفات ، لنرى مدى صحة ما ذكروه فأقول :-

أولاً : ليس من الضروري أن تذكر معاجم اللغة تحديداً دقيقاً لمعنى كلمة أو لفظة ورد ذكرها في الشرع ، إذ قد تُفسِّر اللفظة بنفسها ، أو بضدها ، أو بجزء معناها .

ثانياً : تفسيرهم للفظة للإيمان بالتصديق ، تفسيرٌ لها بجزء معناها ، ولم يتطرّقوا لما تضمنته لفظة الإيمان من معانٍ أخرى .[١]

ثالثاً : لو كانت لفظة الإيمان هي بعينها لفظة التصديق ، بمعنى أنهما كلمتان تؤديان نفس المعنى لاتفقتا في جملة أمورٍ منها : اللزوم والتعدية ، وجهة الاستعمال ، وجهة المقابل والنقيض ، والاشتقاق ، وهذا ما لم يوجد بين اللفظين ، كما بيَّن ذلك الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ وفيما يلي أوجه الفرق بين اللفظين مستخلصة من كلامه ــ رحمه الله تعالى ــ :-

الوجه الأول : إنَّ الفعل آمن الرباعي يتعدّى بحرف الباء أو اللام [٢] ، كما قال تعالى ﴿ فآمن له لوط﴾[العنكبوت :٢٦] ، وقوله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾[البقرة :٢٨٥] ، ولا يتعدى بنفسه قط ، فلا يقال : آمَنُهُ وآمَنتُهُ ، وهذا بخلاف الفعل صَدَقَ فإنه يتعدَّى بنفسه ، يقال : صَدَقَهُ وصدَّقه .

الوجه الثاني : لفظ الإيمان يستعمل في الأمور الغيبيّة التي يؤتمن فيها المُخْبِر ، بخلاف الأمور المشاهَدة والمحسوسة، فهذه لا يصلح أن يقال فيها آمن، وإنما يقال صدق .

الوجه الثالث : مقابل لفظة الإيمان يخالف مقابل لفظة التصديق ، بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر ، يقال : هو مؤمن أو كافر ، والمُخْبِر إذا لم يصدق في خبره يقال

---

(١) وهذا من أسباب ضلال من ضلَّ في هذا الباب ، إذ جعل حقيقة الإيمان الشرعي الذي ينجي صاحبه : هو مجرد تصديق القلب من غير نطق ولا عمل .

(٢) وأرجو أن لا يلتبس الفعل الرباعي (آمن) بالفعل الثلاثي (أمِنَ) ، الذي هو من الأمان ضدَّ الإخافة ، فإنه يتعدّى بنفسه وبغيره ، تقول : أمِنَهُ وأمِنْتَهُ وأمِنَ الأسد ومن الأسد ، فتنبه .[معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٠)] .

كذبت ، والكفر لا يختص بالتكذيب ، بل لو قال : أنا أعلم أنَّك صادق لكن لا أتبعك بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ولا أوافقك ، لكان كفره أعظم ، فلما كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط ، عُلِمَ أنَّ الإيمان ليس هو التصديق فقط .

الوجه الرابع : أنَّ الإيمان في اللغة مشتق من الأمن الذي هو ضدُّ الخوف ، فآمن أي صار داخلاً في الأمن ، فهو متضمن مع التصديق معنى الائتمان والأمانة ، ولهذا قال إخوة يوسف لأبيهم ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾ [يوسف : ١٧] أي لا تقر بخبرنا ولا تثق به ولا تطمئن إليه ولو كنا صادقين ، لأنهم ولو صدقوا لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك ، أما التصديق فلا يتضمن شيئاً من ذلك .(١)

فعلم مما سبق عدم ترادف الإيمان والتصديق ، ففي الإيمان زيادة معنى ، أو هو تصديق مخصوص ، ولذا رأى الإمام ابن تيمية أنّ لفظ الإقرار أدلّ على الإيمان من التصديق وسيأتي كلامه إن شاء الله .

فهذا التقرير متفق عليه بين علماء السلف ، وما ذكروه من أن الإيمان يتضمن قول القلب الذي هو التصديق ، وعمله الذي هو الانقياد والخضوع ، أو قولهم بأنَّ الإيمان هو التصديق ثم يجعلونه تصديقاً خاصاً ، أو يضيفون إليه أعمالاً قلبية أخرى ، أكبر شاهدٍ على هذا التقرير ، كما ستقف على تفصيلات كلامهم في المطلب التالي بحول الله ، والله تعالى أعلم .

---

(١) ينظر كلام الإمام ابن تيمية في : الفتاوى (٧/٢٩٠ــ٢٩٣ ، ٥٢٩ــ٥٣٤) .

المطلب الثاني
الإيمان شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى:٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الحجرات:٧] .

وقال تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات:١٤] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء:١٣٦] .

لا شك أنَّ المذهب الحق في باب الإيمان هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة ، من أنَّ الإيمان هو تصديق بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح ، وتعتبر أركاناً في الإيمان ، وعلى ضوءها تواردت تعاريف أهل العلم للإيمان ، ما بين مُجْمِل ومُفَصِّل ، وفيما يأتي أنقل لك أخي القارئ جملة من أقوالهم :-

عرَّفه الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((... والإيمان كلمة جامعة الإقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق الإقرار بالفعل)).[1]

---

[1] جامع البيان (١/١٠١) .

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((.. غير أن المعنى الذي يستحق به اسم الإيمان بالإطلاق هو الجامع لمعاني الإيمان وذلك أداءُ جميع فرائض الله ــ تعالى ذكره من معرفة وإقرار وعمل)).[1]

وعرَّفه **البيضاوي** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وأما في الشرع : فالتصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد ﷺ كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ، ومجموع ثلاثة أمور : اعتقاد الحق ، والإقرار به ، والعمل بمقتضاه)).[2]

وعرَّفه الإمام **قوام السنة الأصبهاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الإيمان في الشرع : عبارة عن جميع الطاعات الباطنة والظاهرة)).[3] فالمقصود بالباطنة أعمال القلب، والظاهرة أعمال الجوارح .

وعرَّفه الإمام **أبو يعلى** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وأما حده في الشرع فهو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة ، فالباطنة أعمال القلب ، وهو تصديق القلب ، والظاهرة هي أفعال البدن الواجبات والمندوبات)).[4]

وعرَّفه الإمام **الآجري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((.. وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح)).[5]

وعرَّفه الإمام **ابن منده** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وقال أهل الجماعة : الإيمان هي الطاعات كلها بالقلب واللسان وسائر الجوارح غير أن له أصلاً وفرعاً .

فأصله المعرفة بالله والتصديق له وبه وبما جاء من عنده بالقلب واللسان مع الخضوع له والحب له والخوف منه والتعظيم له ، مع ترك التكبر والاستنكاف والمعاندة ، فإذا أتى بهذا الأصل فقد دخل في الإيمان ولزمه اسمه وأحكامه ، ولا يكون مستكملاً له حتى يأتي بفرعه ، وفرعه المفترض عليه أو الفرائض واجتناب المحارم)).[6]

---

(١) التبصير بمعالم الدين ــ الطبري (ص/١٩٠) .

(٢) تفسير البيضاوي (١/١٧) .

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/٤٠٣) .

(٤) مسائل الإيمان (ص/١٥٢) .

(٥) الشريعة (٢/٦١١) .

(٦) الإيمان ــ ابن منده (١/٣٤١) .

وعرَّفه الإمام **محمد بن نصر المروزي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الإيمان : أن تؤمن بالله : أن توحده وتصدِّق به بالقلب واللسان ، وتخضع له ولأمره بإعطاء العزم للأداء لما أمر ، مجانباً للاستنكاف والاستكبار والمعاندة ، فإذا فعلت ذلك لزمت محابه واجتنبت مساخطه » .[1]

وعرَّفه الإمام **الأزهري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « فالإسلام : إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي ﷺ ، وبه يحقن الدم ، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان الذي يقال للموصوف به : هو مؤمن مسلم ... فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر ..».[2]

وعرَّفه شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « ومن أصول أهل السنة والجماعة أنَّ الدين والإيمان : قول وعمل ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح ».[3]

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وهو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ ، والتصديق به عقداً ، والإقرار به نطقاً ، والانقياد له محبة وخضوعاً ، والعمل به باطناً وظاهراً ، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان ».[4]

وعرَّفه الإمام **ابن كثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « فأما إذا استعمل مطلقاً فالإيمان الشرعي المطلوب : لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً ، هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة ، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيدة ، وغير واحد إجماعاً ..».[5]

وعرَّفه الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الإيمان : هو التصديق الجازم بأصول الإيمان المعروفة مع انقياد القلب والجوارح ».[6]

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/٣٩٢ــ٣٩٣) .

(٢) تهذيب اللغة (١٥/٥١٣-٥١٤) .

(٣) الفتاوى (٣/١٥١) .

(٤) الفوائد (ص/١٠٧) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/٤١-٤٢) .

(٦) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (٥/١/٥٢٩) .

وعرَّفه الشيخ **الشنقيطي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وقد قدّمنا مراراً أن مسمى الإيمان الشرعي الصحيح ، والإسلام الشرعي الصحيح : هو استسلام القلب بالاعتقاد ، واللسان بالإقرار ، والجوارح بالعمل..».[١]

وقد ذكر شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله ــ جملةً من أقوال السلف في بيان الإيمان الشرعي ، وإن كان في بعضها إجمال ، فقد بيَّن الشيخ ــ رحمه الله ــ أنها صحيحة وموافقة لمنهج السلف ،

فقال ــ رحمه الله تعالى ــ : « ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان ؛...

فتارة يقولون : هو « قول وعمل ».

وتارة يقولون : هو « قول وعمل ونيّة ».

وتارة يقولون : « قول وعمل ونيّة واتباع السنة ».

وتارة يقولون : « قول باللسان ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح ».

وكل هذا صحيح ...

والمقصود هنا أن من قال من السلف :

الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان ، وعمل القلب والجوارح .

ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب .

ومن قال : قول وعمل ونيّة ، قال القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان ، وأما العمل فقد لا يفهم منه النيّة فزاد ذلك .

ومن زاد إتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة ...

والذين جعلوه أربعة أقسام فسَّروا مرادهم ،

---

(١) أضواء البيان (٧/٦٣٦) .

كما سُئل **سهل بن عبد الله التستري** عن الإيمان ما هو فقال : قول وعمل ونيّة وسنة ، لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر ، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نيّة فهو نفاق ، وإذا كان قولاً وعملاً ونيّة بلا سنة فهو بدعة)).[١]

والمتتبّع لأقوال السلف في هذا الباب ، يجدها من الكثرة بمكان ، بحيث لا يستطيع حصرها ، وما ذلك منهم إلا لحرصهم الشديد على بيان هذا الأصل العظيم ، لاسيّما مع انتشار الأقوال المبطلة ، والمقالات المبتدعة في تقرير معنى الإيمان .

وأقوالهم متفقة في المضمون والمعنى ، وإن اختلفت في الملفوظ والمبنى ، مع إجمالٍ في بعضها ، وتفصيلٍ في بعضٍ آخر .

والحاصل أنَّ مسمى الإيمان الشرعي عند أهل السنة والجماعة يشتمل على خمسة أمور هي :

قول القلب ، وعمله ، وقول اللسان ، وعمله ، وعمل الجوارح ، كما نصَّ على ذلك الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :-

فأولاً : قول القلب ، هو تصديقه ومعرفته بالله تعالى .

قال الإمام المروزي ـ رحمه الله ـ ((ومعنى التصديق هو المعرفة بالله ، والاعتراف له بالربوبية ، بوعده ووعيده ، وواجب حقه ، وتحقيق ما صدق به من القول والعمل)).[٢]

ثانياً : عمل القلب ، وهو الانقياد ، والخضوع ، والمحبة ، والإخلاص ، والتعظيم ، والعزم على أداء ما أمر ، والإقبال على الله تعالى ، ولوازم ذلك وتوابعه من عدم الاستنكاف والتكبر والمعاندة ، وأعمال القلوب منها ما ينتفي الإيمان بانتفائه ، ومنها ما ينتفي بانتفائه كمال الإيمان .

---

(١) الفتاوى (٧/١٧٠ـ١٧١) .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/٦٩٥) .

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله ــ : ((... والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام ، وهو عمل في القلب جماعه الخضوع والانقياد للأمر ، وإن لم يفعل المأمور به)).[1]

وقد عبَّر شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله ــ عن قول القلب وعمله ، بالإقرار والطمأنينة ، ويرى ــ رحمه الله ــ أن ذلك أقرب إلى المقصود ، فقال ــ رحمه الله ــ : ((فإذا قوبل الخبر بالتصديق ، والأمر بالانقياد فقد حصل أصل الإيمان بالقلب ، وهو الطمأنينة والإقرار ، فإنَّ اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة ، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد)).[2]

ثالثاً : قول اللسان ، وهو النطق بالشهادتين ؛ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بلوازمهما وموجباتهما .

رابعاً : عمل اللسان ، وهو ما لا يؤدى من الطاعات إلا به ؛ كتلاوة القرآن ، وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتكبير والدعاء والاستغفار ، وكالصلاة على النبي ﷺ ، وكالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكابتداء السلام وردّه ، وكالإدلاء بالشهادة وغيرها من أعمال اللسان .

خامساً : عمل الجوارح ، وهو العمل الذي لا يؤدى إلا بها ؛ كالقيام والركوع والسجود والمشي إلى المساجد ، والصيام والحج والجهاد في سبيل الله ، وسماع القرآن والإصغاء إلى الخطيب ، ومصافحة الإخوان ، وإنكار المنكر باليد ، إلى غير ذلك من أعمال الجوارح .[3]

هذا ما تيسَّر ذكره ، والله أعلم .

---

(1) الصارم المسلول (ص/٥١٩) ، وينظر ما سبق من كلام الإمام ابن منده ، و الإمام المروزي .

(2) الصارم المسلول (ص/٥١٩) .

(3) ينظر لمزيد من التفصيل والتدليل ــ زيادة الإيمان ونقصانه (ص/٢٢ــ٢٥) .

المبحث السادس
البِرُّ

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : البِرُّ لغةً .

المطلب الثاني : البِرُّ شرعاً .

المطلب الأول
البِرُّ لغة

أصل الكلمة : البِرُّ مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو (بَرّ) .[١]

تصريفها : البِرُّ ـــ بكسر الباء ـــ على وزن (فِعْل) ، وهو مصدر سماعي للفعل الثلاثي (بَرَّ) (بَرِرَ) ، (بَرَّ يَبَرُّ ويَبِرُّ ـــ بالكسر ـــ بِرّاً) ، تقول (بَرِرْتُ والدي بالكسر ، أَبَرُّهُ بِرّاً ، فأنا به بَارٌّ ، وجمع البَرّ : أبرار ، وجمع البَارّ : البَرَرَة .[٢]

معناها لغةً : من معاني مادة بَرِرَ في اللغة :-

١- خلاف العقوق : ومن ذلك بِرُّ الوالدين . ويقال : بَرَرْتُه بِرّاً : إذا وصلته .

٢- الصدق : يقال : بَرَّ فلان في يمينه ، أي صدق ، والبَّرُّ : الصادق .

٣- الطاعة : يقال : فلان يَبَرُّ خالقه ، ويتبرَّرُهُ ، أي يطيعه .

٤- القبول : بَرَّ الله حجَّه بِرّاً ، أي قبله .

٥- والبَرُّ بالفتح خلاف البحر .

٦- والبُرُّ : جمع بُرَّة من القمح .[٣]

ويرى الراغب ـــ رحمه الله تعالى ـــ أن البِرَّ بمعنى التوسع في فعل الخير ؛ وذلك لكونه مشتق من البَرِّ خلاف البحر ، فتُصُوِّر منه التوسع في فعل الخير [٤] ،...

وعليه ، فمن تأمل أغلب تلك المعاني السابقة ، تبين له تضمنها لمعنى التوسعة في الخير ، والله أعلم .[٥]

---

[١] مقاييس اللغة (١٧٧/١)

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (٥٨٨/٢) ، وانظر تصريف الأسماء (ص/٥١-٥٢) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٦) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٤٦٥) .

[٣] ينظر لهذه مع بقية المعاني في : الصحاح (٥٨٨/٢) ، لسان العرب (٣٧٠/١-٣٧٢) .

[٤] المفردات (ص/٤٠-٤١) .

[٥] المصدر السابق (ص/٤٠) .

المطلب الثاني
البرُّ شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة:١٧٧] .

وقال تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران:٩٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المجادلة:٩] .

اعلم وفقك الله ، أن البرَّ الشرعي ينقسم إلى قسمين :

الأول : أن يكون في جانب الله تعالى .

الثاني : أن يكون في جانب الخلق .

فالبرُّ مع الخلق ، متعلق بالأول وداخل فيه ، إذ هو من أمور الطاعات والقُرَب ، مأمور به ، محبوب عند الله ورسوله .

ولا تخرج جميع النصوص الشرعية عن هذين المعنيين ، فالنبي ﷺ عندما يعرّف البر في حديث النواس بن سمعان ﷺ ، بقوله : ((البرُّ : حُسْنُ الخُلُقِ ..)).[1] ، فإنما هو برٌّ يتعلّق بالخَلْق، إذ من رزقه الله حسن الخُلُق ، كثر إحسانه للناس ، وتعددت أياديه عليهم .

---

(1) صحيح مسلم (١٩٨٠/٤) حديث رقم (٢٥٥٣) .

وأما قوله ﷺ في حديث أبي ثعلبة الخشني ﷺ عندما سأله عن الحلال والحرام : ((البرُّ ما سكنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ..)).[١] ، فهذا البر الذي في الحديث يتعلق بالله تعالى ؛ إذ معرفة الحلال والحرام ، والمشروع وغير المشروع ، تعتبر معاملة في جانب الله تعالى .

يقول الإمام ابن رجب ــ رحمه الله تعالى ــ : « وإنما اختلف في تفسير البر ؛ لأن البر يطلق باعتبارين معينين ، أحدهما : باعتبار معاملة الخلق بالإحسان إليهم ، وربما خص بالإحسان إلى الوالدين ، فيقال : بر الوالدين ، ويطلق كثيراً على الإحسان إلى الخلق عموماً ... والمعنى الثاني من معنى البر : أن يراد به فعل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة ، كقوله تعالى : ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فالبر بهذا المعنى يدخل فيه جميع الطاعات الباطنة ؛ كالإيمان بالله ، وملائكته، وكتبه ، ورسله ، والطاعات الظاهرة ، كإنفاق الأموال فيما يحبه الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والوفاء بالعهد ، والصبر على الأقدار ؛ كالمرض ، والفقر ، وعلى الطاعات ؛ كالصبر على لقاء العدو ».[٢]

وإنما أحببنا التقديم بهذه المقدمة ؛ لأن أقوال العلماء لا تخرج عموماً عما ذكرناه من تفصيل في أقسام البِرّ وعن متعلقاته وأحواله ، وفيما يلي نسوق أقوال أهل العلم في تفسير معنى البِرّ ،...

عرَّفه **مجاهد** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر : ما ثبت في القلوب من طاعة الله ».[٣]

---

[١] مسند أحمد (١٩٤/٤) حديث رقم (١٧٧٧٧) .

[٢] جامع العلوم والحكم (ص/٢٥٢-٢٥٣) .

[٣] جامع البيان (٩٤/٢) .

وعرَّفه الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((ولكن البر : من اتقى الله ، فخافه ، وتجنب محارمه ، وأطاعه بأداء فرائضه التي أمره بها)).[١]

وعرَّفه الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((البر هاهنا : اسم جامع للخير)).[٢]

وعرَّفه الإمام **النووي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((البِرّ : الاتساع في الإحسان والزيادة منه ، وقيل : الطاعة ، وقيل : اسم جامع لكل خير)).[٣]

وعرَّفه الحافظ **ابن كثير** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((.. المراد إنما هو طاعة الله عز وجل ، وامتثال أوامره ، والتوجه حيثما وجه ، واتباع ما شرع ، فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل)).[٤]

وعرَّفه شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((وكذلك لفظ البر إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به ؛ كما في قوله : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ﴾ [الانفطار : ١٣-١٤] ، وقوله : ﴿ ... ولكن البر من اتقى ﴾ [البقرة : ١٨٩] ، وقوله : ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فالبر إذا أطلق كان مسماه مسمى التقوى ، والتقوى إذا أطلقت كان مسماها مسمى البر ، ثم قد يجمع بينهما

---

(١) المصدر السابق (١٨٩/٢) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٨/٢) .

(٣) تحرير التنبيه (ص/١٦٩) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢٠٨/١) . وقال ابن كثير معلّقاً على كلام الإمام الثوري ، حيث عرَّف البر بما هو مذكور في آية البقرة ، قال : ((وقال الثوري : ﴿ ولكن البر من آمن بالله ﴾ الآية قال هذه أنواع البر كلها وصدق رحمه الله ، فان من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام كلها ، وأخذ بمجامع الخير كله ، وهو الإيمان بالله وأنه لا إله إلا هو ..))[المصدر السابق (٢٠٨/١)].

، كما في قوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ [المائدة : ٢] ...)).[١]

فهنا عرَّفه الإمام **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ باعتباره شاملاً لكثير من الجزئيات التي أمر الله تعالى بها ، كما أنه قارن بين البر والتقوى ، وأن كل واحد منهما يحمل معنى الآخر في حال الانفراد .

كما أنه يقرر بأن كل ما يحبه الله تعالى هو داخل في مفهوم البر ، فيقول ـ رحمه الله تعالى ـ : ((... فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان ، وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق ، وكذلك لفظ التقوى ، وكذلك لفظ الدين ، أو دين الإسلام ..)).[٢]

وهكذا يأتي الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ فيقرر هذا المفهوم الذي سبقه إليه شيخه ، بل والعلماء قبله ،...

فيعرِّف ـ رحمه الله ـ البِرَّ بقوله : ((فالبر : كلمة جامعة لجميع أنواع الخير ، والكمال المطلوب من العبد ... ، فيدخل في مسمى البر الإيمان ، وأجزاؤه الظاهرة والباطنة ، ولا ريب أن التقوى جزء هذا المعنى ، وأكثر ما يعبر عن بر القلب : هو وجود طعم الإيمان فيه وحلاوته ، وما يلزم ذلك من طمأنينته ، وسلامته ، وانشراحه)).[٣]

ويزيد ـ رحمه الله تعالى ـ الأمر إيضاحاً فيقول : ((فأخبر سبحانه أن البر : هو الإيمان بالله ، وبملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وهذه هي أصول الإيمان الخمس التي لا قوام للإيمان إلا بها ، وأنها الشرائع الظاهرة ؛ من إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنفقات الواجبة ، وأنها الأعمال القلبية التي هي حقائقه ؛ من الصبر ، والوفاء بالعهد فتناولت هده الخصال جميع أقسام الدين حقائقه وشرائعه ، والأعمال المتعلقة بالجوارح والقلب وأصول الإيمان الخمس ..)).[٤]

---

(١) الفتاوى (١٦٥/٧) .

(٢) المصدر السابق (١٧٩/٧) .

(٣) الرسالة التبوكية (ص/٨) .

(٤) المصدر السابق (ص/٩-١٠) .

هذا ما تيسر ذكره من كلام العلماء ، في بيان حقيقة البِر الشرعية ، والذي يظهر رجحانه من تلك التعريفات هو تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ " بأنه جميع ما أمر الله به " ، وهو يشمل جميع ما أمر الله به سواء على جهة الوجوب ، أو جهة الاستحباب ، ويمكن أن نقول فيه بأنه جميع ما أمر الله تعالى به وأحبه ، أو أمر به رسوله ﷺ ، سواء كان على جهة الإيجاب أو الاستحباب ، والله أعلم .

المبحث السابع
التَّبَرُّك

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التَّبَرُّك لغةً .

المطلب الثاني : التَّبَرُّك شرعاً .

المطلب الأول
التبرّك لغةً

أصل الكلمة : التبرّك مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ وهو (بَرَكَ) .[١]

تصريفها : التبرُّك على وزن (تَفَعُّل) ، وهو مصدر قياسي للفعل الثلاثي المزيد (تَـبَرَّكَ) ، وأصله من ــ (بَرَكَ) ــ مزيد بحرفين ؛ التاء في أوله ، وتشديد الباء ، فقياس مصدره على وزن ماضيه ، مع ضم رابعه ؛ نحو (تعلّم تعلُّماً) ، ومضارع الثلاثي (يَبْرُكُ) بضم الراء ، من باب (نصر ينصُر) ، ومصدره القياسي (بُرُوكًا) ، والبَرَكة على وزن (فَعَلة) ، بفتحتين ، وهي اسم من (بارك) الرباعي .[٢]

معناها لغة : من معاني مادة برك في معاجم اللغة :-

١- البَرَكَةُ : النماء والزيادة ، والكَثْرَة في كل خير .

٢- التَّبْرِيك : الدعاء للإنسان بالبركة .

٣- وبرَكَ البعير : أي استناخ إذا ألقى بَرْكَهُ ، أي صدره بالأرض ، فلزم المكان ، وكل شيء ثَبَتَ وأقام فقد بَرَكَ ، والبِرْكَة : كالحوض ؛ وسُمّيت بذلك لإقامة الماء فيها ، وهذا هو الأصل في هذه المادة .

٤- التبرُّك : التيمّن ، تبرّكت بالشيء : تيمّنت به .[٣]

وما يتعلّق بمبحثنا الشرعي منها لفظتان ، الأولى : البركة ، وهي كما مرَّ النماء والزيادة ، والثانية : التبرُّك ، وهو تَفَعُّل كما سبق ، ويأتي التفعُّل بمعنى (استَفْعَل) التي

---

[١] مقاييس اللغة (١/٢٢٧) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥٢ ، ٦٦) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٠) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٦) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٨٧) .

[٣] ينظر معنى الكلمة في : الصحاح (٤/١٥٧٤ــ١٥٧٥) ، النهاية (١/١٢٠) ، لسان العرب (١/٣٨٦ــ٣٩٠) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٦) .

بمعنى الطلب ، وعلى هذا فمعنى التبرك بالشيء هو ((طلب البركة ، والنماء ، والخـــير ، والسعادة ، والزيادة ، بواسطة ذلك الشيء)).[١]

وبناء على ذلك فلا بد من الكلام على البركة ؛ حتى يتَّضِحَ لنا معنى التبرُّك بجلاء ، والله أعلم .

---

(١) جهود علماء الحنفية (١٥٧١/٣) .

المطلب الثاني
البركة شرعاً

قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان:١] .

وقال تعالى : ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن:٧٨] .

وقال ﷻ : ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الأنعام:٩٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران:٩٦] .

وقال تعالى : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء:١] .

وقال الله تعالى : ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩] .

البركة في الشرع أصلها من الله تعالى ، فهو الذي تبارك في ذاته ، وبارك فيمن شاء من خلقه ، فصار بذلك مباركاً ، قال الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ: « وأما البركة فكذلك نوعان أيضاً :-

أحدهما : بركة هي فعله تبارك وتعالى ، والفعل منها بارك ، ويتعدّى بنفسه تارة ، وبأداة على تارة ، وبأداة في تارة ، والمفعول منها مبارك ، وهو ما جعل كذلك فكان مباركاً بجعله تعالى .

والنوع **الثاني** : بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة ، والفعل منها تبارك ، ولهذا لا يقال لغيره ذلك ، ولا يصلح إلا له عز وجل ».[1]

---

[1] بدائع الفوائد (٢/٤١٠ــ٤١١) .

وما جاء في الشرع من تصاريف هذه المادة ، فلا يخرج عن معنيين ، كلاهما مشتق من المعنى اللغوي :-

الأول : ثبوت الخير ودوامه .

الثاني : كثرة الخير وزيادته .

وعلى ضوء هذين المعنيين جاءت تعاريف العلماء للبركة :-

فقد فسَّر الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ قوله ﷻ : ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾[الأعراف : ١٣٧] ، بما يطابق المعنى الأول للبركة ، فقال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((..أي التي جعلنا فيها الخير ثابتاً دائماً لأهلها)).[١] ، فكأنه قد عرَّفها بثبوت الخير ودوامه .

وعرَّفها الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فالبركة : كثرة الخير)).[٢]

وعرَّفها **الراغب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والبركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء ... ولما كان الخير الإلهي يصدُرُ من حيث لا يُحَسُّ ، وعلى وجه لا يُحْصَى ولا يُحْصَر ، قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة ، هو مبارك وفيه بركة)).[٣]

وعرَّفها الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وحقيقة اللفظة : أن البركة كثرة الخير ودوامه ، ولا أحد أحق بذلك وصفاً وفعلاً منه تبارك وتعالى ، وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين ، وهما متلازمان)).[٤]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فإن البركة : حصول الخير ونماؤه ودوامه ، وهذا في الحقيقة ليس إلا في العلم الموروث عن الأنبياء وتعليمه)).[٥]

وقال ــ رحمه الله تعالى أيضاً ــ : ((وأما البركة فإنه لما كان مسمّاها كثرة الخير واستمراره شيئاً بعد شيء ، كلما انقضى منه فرد خلفه فرد آخر)).[٦]

---

[١] جامع البيان (٤٣/٩) .

[٢] الجامع لأحكام القرآن (١٣٩/٤) .

[٣] المفردات (ص/٤٤) .

[٤] بدائع الفوائد (٤١١/٢) .

[٥] مفتاح دار السعادة (١٧٤/١) .

[٦] بدائع الفوائد (٤٠٨/٢) .

وعرَّفها **الرازي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((البركة لها تفسيران : أحدهما : البقاء والثبات ، والثاني : كثرة الآثار الفاضلة والنتائج الشريفة ، وكلا التفسيرين لا يليق إلا بالحق سبحانه وتعالى ، فإن حملته على الثبات والدوام فالثابت والدائم هو الله تعالى ... وإن فسَّرنا البركة بكثرة الآثار الفاضلة فالكل بهذا التفسير من الله ....)).[1]

وعرَّفها الشيخ **العثيمين** ــ حفظه الله تعالى ــ بقوله : ((..والبركة : هي كثرة الخير وثبوته)).[2]

ويلاحظ التقارب الشديد بين هذه التعريفات ، والله أعلم .

---

(1) تفسير الرازي (١١٩/١٤) .

(2) القول المفيد على كتاب التوحيد (١٩١/١) .

المطلب الثالث
التبرُّك شرعاً

عرَّفه الإمام ابن القيم ــ رحمه الله ــ بقوله : « فإن التبرّك : استدعاء البركة ، واستجلابها..».[١]

وقيل : «..هو طلب البركة ، ورجاؤها واعتقادها ».[٢]

وعرَّفه بعضهم بقوله : « والتبرك في لسان الشرع : هو طلب البركة ؛ من الزيادة في الخير والأجر ، وكل ما يحتاجه العبد في دينه ودنياه ، بسبب ذات مباركة ، أو زمان مبارك ، على أن تكون هذه البركة قد ثبتت لذلك السبب ثبوتاً شرعياً ، وثبتت الكيفية التي تنال بها هذه البركة عن المعصوم ﷺ ».[٣]

وهذا التعريف الأخير هو المختار ، والله أعلم .

---

(١) بدائع الفوائد (٢/٣٩٣) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص/١٧٤) .

(٣) التبرك المشروع والتبرك الممنوع (ص/٢١ــ٢٢) .

المبحث الثامن
التوحيد

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التوحيد لغةً .

المطلب الثاني : التوحيد شرعاً .

المطلب الأول
التوحيد لغةً

أصل الكلمة : التوحيد مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (وَحَدَ).[١]

تصريفها : التوحيد على وزن (تَفْعِيل) وهو مصدر قياسي للفعل الثلاثي المزيد (وَحَّدَ) وهو مزيد بتضعيف العين فيه ، ومادته وَحِدَ ، مثال واوي معتل الفاء ، كوَرِثَ ، أو وَحَدَ كوَعَدَ ، يقال : (وَحَدَ ووَحِدَ يَحِدُ وَحْدٌ) .[٢]

معناها لغةً : أصل هذه الكلمة يدل على الانفراد، كما قال ابن فارس ــ رحمه الله تعالى ــ في مادة (وحد) : ((أصل واحد يدلّ على الانفراد ، من ذلك الوَحْدَة ، وهو واحد قبيلته : إذا لم يكن فيهم مثله)).[٣]

و ((الوَحَدُ كل شيء انفرد فهو وحد)). وهذا قول جمع من أهل اللغة.[٤]

وعرفه **الجرجاني** بقوله : ((التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد ، والعلم بأنه واحد)).[٥]

ويلاحظ في كلام الجرجاني أمران الأول : نسبة الشيء إلى الوَحْدَة ، وإثباتها له ، والثاني : الاعتقاد الجازم بأن الشيءَ واحد مع مطابقة ذلك للواقع.

ويتبين من كلام أهل اللغة أن مادة [وحد] تدور حول انفراد الشيء وعدم وجود المثيل له

---

(١) مقاييس اللغة (٦/٩٠) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تاج العروس : (٩/٢٦٤) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٥٠٢-٥١٥) ، تصريف الأسماء (ص/٥١) .

(٣) معجم مقاييس اللغة: (٦/٩٠) .

(٤) ينظر : الصحاح للجوهري : (٢/٥٤٧،٥٤٨) ، الكليات : (ص/٩٣١) .

(٥) التعريفات (ص/٦٩) .

المطلب الثاني
التوحيد شرعاً

جاء عن جابر بن عبد الله بن حرام ﷺ في ذكره لحجة النبي ﷺ : ((... ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، وعليه يترل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء عملنا به ، فأهل **بالتوحيد** : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ...)).[١]

وعن جابر ﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يعذب ناس من **أهل التوحيد** في النار حتى يكونوا حمماً فيها ، ثم تدركهم الرحمة ، فيخرجون فيلقون على باب الجنة ، فيرش عليهم أهل الجنة الماء : فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل ، ثم يدخلون الجنة)).[٢]

ونظراً لأهمية هذا المصطلح عند أهل السنة والجماعة [٣] ، وكونه من الأُسس الكبار، وأصول الإسلام العظام ؛ لذا تعددت وتضافرت أقوالهم في شرح هذا المصطلح ، ومع كثرتها ؛ فإن اتفاقهم في معناها يبدو ظاهراً ، وإن اختلفت عباراتهم ،...

ومن المعلوم أن توحيد الله تعالى : يتضمن ثلاثة أنواع ، وهي : توحيد الله في ربوبيته ، وفي ألوهيته ، وفي أسمائه وصفاته ، وقد ذكر الإمام **الطحاوي** ـ رحمه الله تعالى ـ هذه الأنواع في كلامه عن التوحيد فقال : ((نقول في توحيد الله ، معتقدين بتوفيق الله : أن الله واحد لا شريك له ، ولا شيء مثله ، ولاشيء يعجزه ، ولا إله غيره)) .[٤]

---

[١] مسلم (٢/٨٨٧) برقم (١٢١٨) .

[٢] مسند أحمد (٣/٣٩١) برقم (١٥٢٣٥) .

[٣] كنا قد بسطنا الكلام على أهمية التوحيد وفضله ومكانته في الباب الأول فراجعه في مكانه .

[٤] شرح العقيدة الطحاوية : (ص/٧٤) .

فقوله : إن الله واحد لا شريك له ، (يتضمن نفي الشريك ؛ لأن قوله : (واحد) يستلزم ذلك، وقوله : ((لا شريك له)) يدل عليه بالمطابقة ، ولهذا ذُكرت بعدها لزيادة التوكيد المناسب لمقام التوحيد).[١]

وقوله ((لاشيء مثله)) في توحيد الأسماء والصفات ، وقوله : ((ولاشيء يعجزه)) في توحيد الربوبية والقدرة ، وقوله : ((ولا إله غيره)) في توحيد الأُلوهية.

وفيما يلي أَسوق ما وقفت عليه من أَقوال العلماء في بيان معنى التوحيد الذي يستحقه الله تبارك وتعالى ويجب على العباد أن يخصوه به :-

فعرفه الإمام **ابن رجب الحنبلي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « فعلى هذا فالتوحيد هو إفراد الله تعالى بالعبادة مع علم العبد واعترافه واعتقاده بتفرد الرب تبارك وتعالى بصفات الكمال ، وأنه لاشريك له واعتقاد أنه هو وحده الخالق المدبر المتصرف في هذا الكون ، وله الكمال المطلق ، وأنه ذو الأُلوهية على خلقه أجمعين ، فهو المستحق للعبادة دون سواه ».[٢]

وعرَّفه **السفاريني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله: « وهو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً ، فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه ولا تشبه صفاته الصفات ، ولا تنفك عن الذات ، ولا يدخل أفعاله الاشتراك فهو الخالق دون سواه ».[٣]

وعرَّفه الشيخ **سليمان بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ : « سمي دين الإسلام توحيداً ، لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لاشريك له ، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له ، وواحد في أُلوهيته وعبادته لا ند له ».[٤]

---

[١] انظر الكليات (ص/٩٣٣) ــ بتصرف .

[٢] ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف (١٤١/١) .

[٣] لوامع الأنوار (٥٧/١) .

[٤] تيسير العزيز الحميد (ص/٣٢،٣٣) .

وعرَّفه الإمام **المعلمي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((التوحيد نفي التعدد الحاصل بوجود مثله معه في الربوبية ، وما يقتضي استحقاق العبادة)).[1]

وعرَّفه الشيخ **عبد الرحمن بن ناصر السعدي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((حدُّ التوحيد الجامع لكل أنواعه : هو علم العبد واعتقاده واعترافه وإيمانه بتفرد الربِّ بكل صفة كمال ، وتوحُّده في ذلك ، واعتقاد أنه لا شريك له ، ولا مثيل له في كماله ، وأنه ذو الأُلوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، ثم إفراده بأنواع العبادة ، فدخل في هذا التعريف أقسام التوحيد الثلاثة)).[2]

وهكذا فإننا نلاحظ التشابه الشديد بين هذه التعاريف التي مرت بنا ، وأنها تضمنت أنواع التوحيد الثلاثة .[3]

---

(١) القائد إلى تصحيح العقائد (ص/١٢٦) .

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (تفسير/٣/٦١) .

(٣) ينظر لمزيد الفائدة : جهود علماء الحنفية (١/٨٩ـ٩٣) .

المبحث التاسع

توحيد الألوهية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معنى الإله لغةً وشرعاً .

المطلب الثاني : معنى لا إله إلا الله شرعاً .

المطلب الثالث : معنى توحيد الألوهية شرعاً .

المطلب الأول
معنى الإله لغةً وشرعاً

أولاً : معناه لغةً :-

أصل الكلمة : الإله مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (أَلَهَ).(١)

تصريفها : الإله على وزن (فِعَال) ، اسم بمعنى مفعول ، كـ(إمام) بمعنى مفعولٍ ، لأنه مُؤتمٌّ به ، والأصل الثلاثي من ذلك (أَلَهَ يَأْلَهُ إلاهَةٌ وأُلوهَةٌ وأُلوهِيَّةٌ) .(٢)

معناها لغةً :- معاني مادة أله اللغوية :-

١- الإِلَهُ : هو الله تعالى ، فهو الإله الحق المبين الذي يستحق كل عبادة وتألُّهٍ دون ما سواه .

٢- وكل ما اتخذ معبوداً سواء بالحق أو بالباطل ، فهو إلَهٌ عند مُتَّخِذِه ، وهو من أَلَهَ بالفتح إلاهَةً ، إذا عُبِدَ عِبَادةً .

٣- والتأليه : التعبيد ، والتألُّه : التنسُّك والتعبد .

٤- والآلهة : الأصنام ، سمَّوها بذلك لاعتقادهم أن العبادة تَحُقُّ لها .(٣)

فالإله هو المعبود الذي يؤله ويعبد ، وهذا هو الصحيح والراجح في معنى الإله ، وليس الإله بمعنى الخالق ، أو القادر على الاختراع .

يقول الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فإن قال : وما دلَّ على أن الأُلوهية هي العبادة ، وأن الإله هو المعبود ، وأن له أصلاً في ((فعل يفعل)) .... قيل : لا تمانع بين العرب في الحكم لقول القائل ــ يصف رجلاً بعبادة ويطلب ما عند الله جلَّ ذكره : ((تألَّه فلان)) ــ بالصحة ولا خلاف ، ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج :-

---

(١) معجم مقاييس اللغة : (١/١٢٧) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح ــ الجوهري : (٦/٢٢٢٣) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٧٥) .

(٣) ينظر لهذه المعاني : مقاييس اللغة :(١/١٢٧)، الصحاح (٦/٢٢٢٣،٢٢٢٤) ، لسان العرب (١/١٨٨-١٩٠) .

لله درّ الغانيــات المُدَّهِ *** سبحن واسترجعن من تألُّهي.[1]

يعني من تعبدي وطلبي الله بعملي .

ولاشك أن التألُّه : التفعل من (أله يأله). وأن معنى (أله) ـــ إذا نطق بــه : ـــ عَبَدَ الله)).[2]

ثانياً :- معناه شرعاً :

هو من أسماء الله تعالى[3] وسمي بذلك لأنه معبود . ((ولا يكون إلهاً حتى يكــون معبوداً ، وحتى يكون لعابده خالقاً ورازقاً ومدبراً وعليه مقتدراً ، فمن لم يكن كذلــك فليس بإله ، وإن عُبِدَ ظلماً بل هو مخلوق ومُتَعَبَّد)).[4]

وعرفه شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((فإن الإله هو المــألوه ، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد ، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفـات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع)).[5]

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((والإله هو الذي يستحق أن تألهه القلوب بــالحب والتعظيم ، والإجلال والإكرام ، والخوف والرجاء ...)).[6]

وعرفه الإمام **ابن رجب** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الإله : هو الذي يطــاع فلا يعصى ، هيبةً له وإجلالاً ، ومحبةً وخوفاً ورجاء ، وتوكلاً عليه ، وسؤالاً منه ودعــاء له)).[7]

---

(١) ينظر : لسان العرب (١/١٩٠) .

(٢) جامع البيان (١/٥٤) .

(٣) معجم مقاييس اللغة : (١/١٢٧) ، معجم المناهي اللفظية : (ص/٦٠٢) .

(٤) لسان العرب ـــ نقله عن أبي الهيثم : (١/١٨٩) .

(٥) الفتاوى (٣/١٠١ـــ٤٠٠) ، (١٠/٢٤٩) ، (١٣/٢٠٢) ، (١٤/١٧٢) .

(٦) درء التعارض (٩/٣٧٧) .

(٧) كلمة الإخلاص (ص/٢٣) .

وعرَّفه الإمام **المعلمي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((وأما الإله فهو المعبود ، فمن عبد شيئاً فقد اتخذه إلهاً)).[1]

ويبدو مما سبق تقارب المعنى الشرعي للفظة (الإله) من الأصل اللغوي . والله تعالى أعلم .

---

[1] العبادة (ص/٤٨٠) ، نقلاً عن رسالة جهود المعلمي ... أحمد بيه (ص/٣٠٤ـــ٣٠٥) ، وتتمة كلامه ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((... وإن لم يزعم أنه مستحق للعبادة ، ومن زعم في شيء أنه مستحق للعبادة فقد عبده بهذا الزعم ، لأنه يتضمن خضوعاً من شأنه أن يطلب به نفعاً غيبياً ، وبذلك جعله إلهاً ، وهكذا من أثبت لشيء تدبيراً مستقلاً بالخلق والرزق ونحوها ، فإن هذا التدبير هو مناط استحقاق العبادة)).

المطلب الثاني
معنى لا إله إلا الله شرعاً

قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الصافات:٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة:١٦٣] .

وقال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٨] .

لمعرفة المعنى الدقيق والشامل لهذه الكلمة العظيمة لابد من معرفة أفرادها ، وتصورها :

(فـ[لا]نافية للجنس ، و[الإله] هو المعبود كما سبق ، وهو اسمها ، وخبرها المرفوع محذوف تقديره حقٌّ ، و[إلا الله] استثناء من الخبر المرفوع ، وعلى ذلك فالمعنى لا معبود بحق إلا الله).[1]

عرفها الإمام **الطبري ــ رحمه الله ــ بقوله** : « وأما تأويل قوله :﴿لا إله إلا هو﴾ فإن معناه : النهي عن أن يُعبد شيء غير الله الحيِّ القيّوم ، الذي صفته : ما وصف به نفسه تعالى ذكره في هذه الآية ».[2]

---

(١) انظر رسالة [الكلام على لا إله إلا الله] للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ضمن الجامع الفريد (ص/٣٥٠) .

(٢) جامع البيان (٣/٤-٥) .

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ : ((ــ وأن لا إله إلا هو ــ يقول وأيقنوا أيضاً أن لا معبود يستحق الألوهة على الخلق إلا الله ، الذي له الخلق والأمر ، فاخلعوا الأنداد ، والآلهة ، وأفردوا له العبادة)).[١]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((..فإنه لا إله إلا هو ، يقول : لا معبود يستحق عليك إخلاص العبادة له إلا الله)).[٢]

وعرفها الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((ــ لا إله إلا هو ــ نفي وإثبات أولها كفر وآخرها إيمان ومعناه لا معبود إلا الله)).[٣]

وعرفها الإمام **ابن رجب** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((معنى لا إله إلا الله لا يؤله غيره حباً ورجاء وخوفاً وطاعة فإذا تحقق القلب بالتوحيد التام لم يبق فيه محبة لغير ما يحبه الله ، ولا كراهة لغير ما يكرهه ومن كان كذلك لم تنبعث جوارحه إلا بطاعة الله)).[٤]

وقال الحافظ **ابن كثير** ــ رحمه الله تعالى ــ في الآية : ((الله لا إله إلا هو إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق)).[٥]

وقال الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وهذه أعظم كلمة تضمنت بالوضع نفي الإلهية عما سوى الله وإثباتها له بوصف الاختصاص)).[٦]

وقال الإمام **الشوكاني رحمه الله** في الآية : ((أي لا معبود بحق إلا هو)).[٧]

وعرَّفها الإمام **الصنعاني** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((ومعناها : إفراد الله بالعبادة والإلهية ، والنفي والبراءة من كل معبود دونه ...)).[٨]

---

(١) المصدر السابق (١٠/١٢) .

(٢) المصدر السابق (٣٠٨/٧) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩١/٢) .

(٤) جامع العلوم والحكم (١٦٨/٣) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٣٠٩/١) .

(٦) بدائع الفوائد (٥٦/٣) .

(٧) فتح القدير (٢٧١/١) .

(٨) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص/٤٧) .

وعرَّفها الشيخ **سليمان بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله ــ بقوله : « ومعنى لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا إله واحد وهو الله وحده لا شريك له ».[١]

ولقد أجمل الإمام **محمود شكري الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ كلام شيخ الإسلام **ابن تيمية** في بيانه لهذه الكلمة العظيمة فقال ــ رحمه الله تعالى ــ : « وأبدى رحمه الله تعالى ــ أي **شيخ الإسلام** ــ من التقارير المفيدة ، والأبحاث الفريدة على كلمة الإخلاص والتوحيد ــ شهادة أن لا إله إلا الله ــ ما دلَّ عليه الكتاب المصدق والإجماع المستبين المحقق ، من نفي استحقاق العبادة والإلهية عما سوى الله ، وإثبات ذلك لله سبحانه على وجه الكمال المنافي لكليات الشرك وجزئياته ، وإن هذا هو معناها وضعاً ومطابقة ».[٢]

وكما هو ظاهر فإن أَقوال العلماء متفقة على تفسير كلمة لا إله إلا الله بأنه لا معبود يستحق العبادة ، والتأله بالحق إلا هو سبحانه وتعالى ، وهذا هو القول الحق في معنى هذه الكلمة العظيمة ، وكل من فسَّرها بغير ما ذكر فقد افترى ، وأتى منكراً كبيراً . والله تعالى أعلم .

---

[١] تيسير العزيز الحميد (ص/٥٣)

[٢] غاية الأماني (١/٩٩) .

المطلب الثالث
معنى توحيد الألوهية شرعاً

يطلق على هذا النوع من التوحيد عدة إطلاقات ، فيقال توحيد الألوهية ، وتوحيد العبادة ، ((لأنه مبني على إخلاص التأله , وهو أشد المحبة لله وحده ، وذلك يستلزم إخلاص العبادة ، ويطلق عليه توحيد الإرادة ، لأنه مبني على إرادة وجه الله بالأعمال ، ويطلق عليه توحيد القصد ، لأنه مبني
على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده ، ويطلق عليه التوحيد العملي ، لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده ، وغيرها من الإطلاقات العديدة)).[1]

عرَّفه شيخ الإسلام **ابن تيمية** رحمه الله بقوله: ((والتوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية ، وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له)).[2]

وعرَّفه الشيخ **السعدي** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((وهو إفراد الله بالمحبة والذل وسائر العبادات والتقربات .... وهو المسمى(توحيد العبادة وتوحيد الإلهية) ، وسمي توحيداً فعلياً ؛ لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح ، فهو توحيد الله بأفعال العبيد ، وأنه لا يتخذ له شريك ولا نديد ـ ... وقال ـ رحمه الله ـ أيضاً : ((فأما حدُّه وتفسيره وأركانه فهو أن يعلم العبد ويعترف على وجه العلم واليقين أن الله هو المألوه وحده المعبود على الحقيقة .وأن صفات الإلهية ومعانيها ليست موجودة بأحد من المخلوقات ، ولا يستحقها إلا الله تعالى)).[3]

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد (ص/٣٨) بتصرف ، مدارج السالكين (٣/٤٤٩،٤٥٠) ، وراجع معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص/٤٤ـ٤٦) .

(٢) الصفدية (٢/٢٢٨) .

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (٣/٢١٢،٢٦٨) .

وخلاصة كلام العلماء في بيانهم لمصطلح توحيد الأُلوهية : أنه يشتمل على أمور عدة وهي كالآتي :

أولاً : العلم التام ، والاعتراف القاطع ، والاعتقاد الجازم ، واليقين الذي لا شك فيه أن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وليس في المخلوقات جميعها من يستحق مثقال ذرة — ولا أدنى — من هذه العبادة.

ثانياً : القيام بصرف جميع العبادات القلبية والقولية والفعلية ، الظاهرة والباطنة ، لله الواحد الأحد .

ثالثاً : البراءَةُ من كل معبود سوى الله ﷻ .

المبحث العاشر
الجاهلية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الجاهلية لغةً .

المطلب الثاني : الجاهلية شرعاً .

المطلب الأول
الجاهلية لغة

أصل الكلمة : الجاهلية مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (جَهِلَ) .[1]

تصريفها : الجاهلية على وزن (فَاعِلِية) ، وهي مصدر صناعي من الجهل ، مزيدة بياء النسب والتاء ، يقال : (جَهِلَ يَجْهَل جَهْلاً فهو جاهِلٌ وجَاهِلِية).[2]

معناها لغةً : معاني مادة جهل في معاجم اللغة :-

١- الجهل : نقيض العلم ، وتجاهل : أظهر الجهل من نفسه ، واستجهله : عدَّه جاهلاً واسْتَخَفَّه ، والتجهيل : أن تنسبه إلى الجهل .

٢- والمَجْهَلُ : المفازة لا أعلام فيها .

٣- والجاهلية : زمن الفترة ولا إسلام .[3]

هذه من أهم المعاني لمادة جَهِلَ ، وللمعنى الشرعي علاقة بكل ما سبق من معانٍ ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٤٨٩/١) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٧٦-٧٩)، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٠٨-٤٨٤) .

(٣) ينظر إلى هذه المعاني في الصحاح (١٦٦٣/٤-١٦٦٤) ، لسان العرب (٤٠٢/٢) .

المطلب الثاني
الجاهلية شرعاً

قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠] .

قال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح:٢٦] .

وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح في قصة أبي ذر : « إنك امرؤ فيك جاهلية » .[١]

عرَّفها **ابن عطية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة ... ، وقد أوقع اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبل الإسلام ، فقالوا جاهلي في الشعراء ، وقال **ابن عباس** في البخاري سمعت أبي في الجاهلية يقول إلى غير هذا ».[٢]

وعرَّفها **البيضاوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « والمراد بالجاهلية : الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى ».[٣]

وعرَّفها الإمام **النووي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « والجاهلية : ما قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم سموا بذلك لكثرة جهالاتهم ».[٤]

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً : « والجاهلية : ما قبل رسالته صلى الله عليه وسلم سموا بذلك لما كانوا عليه من فاحش الجهالة والله اعلم ».[٥]

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الإيمان (١/٢٠) برقم (٣٠) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨٠/١٤) .

(٣) تفسير البيضاوي (٣٣٣/٢) .

(٤) شرح مسلم ـــ النووي (١٣٩/١) .

(٥) المصدر السابق (٢٠٢/٢) .

وعرَّفها **ابن الأثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وهي الحالة التي كانت عليها العرب قبل الإسلام ؛ من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين ، والمفاخرة بالأنساب والكِبْر والتَّجبُّر وغير ذلك)).(١)

وعرَّفها الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وكذلك اسم الجهل والجاهلية يقال : جاهلية وجاهلا قبل مجيء الرسول)).(٢)

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((ومن هذا سميت الجاهلية جاهلية وهي متضمنة لعدم العلم أو لعدم العمل به)).(٣)

وعرَّفها الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((... إذا لم يَعْرِف الجاهلية وحكمها ، وهو كل ما خالف ما جاء به الرسول فانه من الجاهلية فإنها منسوبة إلى الجهل وكل ما خالف الرسول فهو من الجهل)).(٤)

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((... وأعني بالجاهلية : كل من ليس من أتباع الرسل ؛ كالفلاسفة ، والمُنَجِّمِين ، والكهان ، وجاهلية العرب الذين كانوا قبل النبي ــ ﷺ ــ)).(٥)

وعرَّفها الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والجاهلية : ما كان قبل الإسلام)).(٦)

وعرَّفها الإمام **المناوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والجاهلية : ما قبل البعثة سموا به لفرط جهلهم)).(٧)

---

(١) النهاية (٣٢٣/١) .

(٢) الفتاوى (٣٨/٢٠) .

(٣) الفتاوى (٥٤٠/٧) ، وقال ــ رحمه الله تعالى ــ :((والجاهلية : ليس فيها معرفة الحق ولا قصده ، والإسلام جاء بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، بمعرفة الحق وقصده)) [منهاج السنة النبوية (٥٣٨/٤)] .

(٤) الفوائد (ص/١٠٩) .

(٥) مفتاح دار السعادة (٢٢٨/٢) .

(٦) فتح الباري (٤٦٨/١٠) .

(٧) فيض القدير (٤٦٢/١) .

وعرَّفها الإمام **محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والجاهلية : هي المكروه فمن لم يعلم المكروه لم يعلم الحق)).[1]

وعرَّفها الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله :

((والمراد بالجاهلية هنا ما قبل المبعث ، سموا بذلك لفرط جهلهم ، وكل ما يخالف ما جاءت به الأنبياء والمرسلون فهو جاهلية منسوبة إلى الجاهل ، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل ، وإنما يفعله جاهل)).[2]

وعرَّفها الشيخ **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والمراد بالجاهلية : الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى ، الموجبة للميل ، والمداهنة في الأحكام ، أو الأمة الجاهلية وحكمهم ...)).[3]

وعرَّفها الشيخ **محمد حامد الفقي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الجاهلية : هي الحالة الناشئة عن الجهل ، والإعراض عن أسباب العلم التي أقامها الله في آياته الكونية في الأنفس والآفاق ، وفي النعم المتتالية ، فهذه الحالة الجاهلية ملازمة للإعراض عن الفهم والتفقه لما أنزل الله في كتبه ، وأرسل به رسله ، وللإعراض عن التدبر والتأمل لسنن الله الكونية ، وآياته العلمية)).[4]

وعرَّفها الشيخ **صالح الفوزان** ــ حفظه الله تعالى ــ بقوله : ((.. وملخص ذلك :

أن الجاهلية : نسبة إلى الجهل ، وهو عدم العلم ، وأنها تنقسم إلى قسمين :

الجاهلية العامة : وهي ما كان قبل مبعث الرسول محمد ﷺ وقد انتهت ببعثته .

جاهلية خاصة ببعض الدول وبعض البلدان، وبعض الأشخاص ، وهذه لا تزال باقية)).[5]

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/١٨) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص/٣٩٧) .

(٣) روح المعاني (٦/١٥٦) .

(٤) حاشية اقتضاء الصراط (ص/٧٩) .

(٥) عقيدة التوحيد ــ الفوزان (ص/١١٢-١١٣) . ثم قال ــ حفظه الله تعالى ــ :((وبهذا يتضح خطأ من يعممون الجاهلية في هذا الزمان فيقولون : جاهلية هذا القرن ، أو جاهلية القرن العشرين وما شابه ذلك ، والصواب أن يقال : جاهلية بعض أهل هذا القرن، أو غالب أهل هذا القرن ؛ وأما التعميم فلا يصح ولا يجوز ؛

هذا ما تيسَّر الوقوف عليه من أقوال العلماء في بيان حقيقة الجاهلية ، والمتأمل فيها يجدها لا تخرج عن معنيين ؛ إما الحالة التي كان عليها أهل الجاهلية من شرك ، وعبادة غير الله ، ومخالفة لما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم ، من العلم والهدى ، وإما أن يعنى بها تلك الفترة التي كانت قبل بعثة النبي ﷺ [1] هذا والله تعالى أعلم . [2]

لأنه ببعثة النبي ﷺ زالت الجاهلية العامة))[المصدر السابق] .

(١) وقد ذهب بعضهم إلى أن معنى الجاهلية، الفترة التي كانت قبل فتح مكة ، وهذا مذهب مرجوح وغير صحيح ، قال الإمام الشوكاني ـــ رحمه الله ـــ :((قوله نذرت في الجاهلية زاد مسلم فلما أسلمت سألت، وفي ذلـك رد على من زعم أن المراد بالجاهلية ما قبل فتح مكة وأنه إنما نذر في الإسلام ...))[نيل الأوطار (٣٥٩/٤)] .

(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ :((ولفظ الجاهلية قد يكـــون اسماً للحال ، وهو الغالب في الكتاب والسنة ، وقد يكون اسما لذي الحال ، فمـــن الأول قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه ((إنك امرؤ فيك جاهليـــة)) ... فإن لفظ الجاهلية وإن كان في الأصل صفة لكنه غلب عليه الاستعمال حتى صـــار اسمـــاً ومعناه قريب من معنى المصدر ، وأما الثاني فتقول طائفة جاهلية ، وشاعر جاهلي ، وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم ، فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلا بسيطاً ، فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً ، فإن قال خلاف الحـــق عالمـــاً بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضاً ، كما قال تعالى : ﴿ وإذا خاطبهم الجـــاهلون قـــالوا سلاما ﴾ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم ((إذا كان أحدكم صائما فـــلا يرفـــث ولا يفسق ولا يجهل)) ، وكذلك من عمل بخلاف الحق ، فهو جاهل ، وإن علم أنه مخـــالف للحق كما قال سبحانه ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون الســـوء بجهالـــة ﴾ قـــال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءً فهو جاهل ؛ وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب ، يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه ؛ من قول أو فعل فمتى صـــدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه ، أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضـــه ، وتلـــك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ، ... فالناس قبل مبعث الرســـول ﷺ كانوا في حال جاهلية منسوبة إلى الجهل ، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جهال ، وإنما يفعله جاهل ، وكذلك كل ما يخالف ما جاء به المرسلون ؛ مـــن يهودية ، ونصرانية ، فهي جاهلية ، وتلك كانت الجاهلية العامة . فأما بعد ما بعـــث الله الرسول ﷺ ، فالجاهلية المطلقة ، قد تكون في مصر دون مصر ، كما هي في دار الكفار ، وقد تكون في شخص دون شخص ... فأما في زمان مطلق : فلا جاهلية بعـــد مبعـــث محمد ﷺ ... والجاهلية المقيّدة : قد تقوم في بعض ديار المسلمين ، وفي كثير من المسلمين ...

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ :((فقوله في هذا الحديث ـــ ومبتغٍ في الإسلام سنة جاهلية ـــ يندرج فيه كل جاهلية ؛ مطلقة أو مقيّدة ، يهودية ، أو نصرانيـــة ، أو مجوســـية ، أو

صابئة ، أو وثنية، أو شركية من ذلك، أو بعضه، أو منتزعة من بعض هذه الملل الجاهلية ، فإنها جميعها ؛ مبتدعها ومنسوخها صارت جاهلية بمبعث محمد ﷺ ، وإن كان لفظ الجاهلية لا يقال غالباً إلا على حال العرب التي كانوا عليها ، فإن المعنى واحد)) [اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٧٧-٧٨-٧٩) بتصرف] .

ولا يفوتني أن أعرِّج على مصطلح له علاقة بما سبق ، وهو ((الجاهلية الأولى)) ، فقد ورد ذكره في القرآن ، وتكلم أهل العلم في تفسيره ، وإليك أخي القارئ بعضاً من أقوالهم .

عرَّفها **ابن عباس** — رضي الله عنه — بقوله : ((الجاهلية : ما بين نوح وإدريس عليهما السلام وكانت ألف سنة)).[1]

وقالت عائشة رضي الله عنها : ((الجاهلية الأولى كانت على عهد إبراهيم عليه السلام)) .[2]

وعن عكرمة رضي الله عنه قال : ((الجاهلية الأولى التي ولد فيها إبراهيم عليه السلام ، والجاهلية الآخرة التي ولد فيها محمد صلى الله عليه وسلم)) .[3]

وعرَّفها **الحكم بن عيينة** — رحمه الله تعالى — بقوله : ((كان بين آدم ونوح عليهما السلام ثمانمائة سنة ، فكان نساؤهم من أقبح ما يكون من النساء ، ورجالهم حسان ، وكانت المرأة تراود الرجل عن نفسه ، وهي الجاهلية الأولى)).[4]

وعرَّفها الإمام **الشعبي** — رحمه الله تعالى — بقوله : ((ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام)) . قال الزجاج : وهو الأشبه ؛ لأنهم هم الجاهلية المعروفة ، كانوا يتخذون البغايا)).[5]

---

(١) جامع البيان (٤/٢٢) ، الدر المنثور (٦٠١/٦) .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (../...) ، الدر المنثور (٦٠٢/٦) .

(٣) طبقات ابن سعد (../...) ، الدر المنثور (٦٠٢/٦) .

(٤) جامع البيان (٤/٢٢) ، الدر المنثور (٦٠١/٦) .

(٥) جامع البيان (٤/٢٢) .

وعرَّفها **الزمخشري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « يجوز أن تكون الجاهلية الأولى : جاهلية الكفر قبل الإسلام ، والجاهلية الأخرى : جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام فكأن المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الإسلام تَتَشَبَّهْنَ بها بأهل جاهلية الكفر ».(١)

وذكر الإمام **الشوكاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ أقوالاً عدة في تفسيرها فقال ... : « وقد اختلف في المراد بالجاهلية الأولى ؛ فقيل ما بين آدم ونوح ، وقيل ما بين نوح وإدريس ، وقيل ما بين نوح وإبراهيم ، وقيل ما بين موسى وعيسى ، وقيل ما بين عيسى ومحمد ».(٢)

كما أن هنالك بعض المصطلحات ورد ذكرها في النصوص الشرعية ، وهي متعلّقة بمصطلح الجاهلية ؛ ومنها :

أمر الجاهلية : قال النبي ـــ ﷺ ـــ : ((ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ..)). (٣)

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « يدخل فيه كل ما كانوا عليه من العبادات والعادات ... مثل أعيادهم ، وغير ذلك من أمورهم ... ، ولا يدخل في هذا اللفظ ما كانوا عليه في الجاهلية وأقره الله في الإسلام ، ... لأن أمر الجاهلية معناه المفهوم منه : ما كانوا عليه مما لم يقره الإسلام ، فيدخل في ذلك ما كانوا عليه وإن لم يُنه في الإسلام عنه بعينه ».(٤)

عزاء الجاهلية :-

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « وكل ما خرج عن دعوة الإسلام والقرآن ؛ من نسب ، أو بلد ، أو جنس ، أو مذهب ، أو طريقة ، فهو من عزاء الجاهلية ».(٥)

---

(١) المصدر السابق (٨/٢٢) .

(٢) فتح القدير (٤/٢٧٨) .

(٣) هذا طرف من حديث جابر ﷺ في ذكره حجة النبي ﷺ ، رواه مسلم (٢/٨٨٧-٨٨٩) .

(٤) اقتضاء الصراط (ص/١١١) .

(٥) الفتاوى (٢٨/٣٢٨) .

وقال أيضاً : ((ومعنى قوله : ((من تعزى بعزاء الجاهلية))[1] ، يعني يعتزي بعزواهم ، وهي الانتساب إليهم في الدعوة ؛ مثل قوله يا لقيس ، يا ليمن ، ويا لهلال، ويا لأسد، فمن تعصب لأهل بلدته، أو مذهبه، أو طريقته، أو قرابته، أو لأصدقائه دون غيرهم كانت فيه شعبة من الجاهلية)).[2]

أحكام الجاهلية :-

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((... كل حكم خالف حكمه ، الذي أنزله على رسوله ، فهو من أحكام الهوى لا من أحكام العقل ، وهو من أحكام الجاهلية ، لا من حكم العلم والهدى)).[3]

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((وكل هذه الآراء والمعقولات المخالفة لما جاء به الرسول ، هي من قضايا الهوى وأحكام الجاهلية ، وإن سماها أربابها بالقواطع العقلية والبراهين اليقينية)).[4]

دعوى الجاهلية :-

يقول الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((ودعوى الجاهلية : ندب الميت ، وتكون دعوى الجاهلية في العصبية)).[5]

ويقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ : ((ومنها الدعاء بدعوى الجاهلية والتعزي بعزائهم ؛ كالدعاء إلى القبائل والعصبية لها وللأنساب ، ومثله التعصب للمذاهب الطرائق ، والمشايخ ، وتفضيل بعضها على بعض بالهوى ، والعصبية ، وكونه منتسباً إليه فيدعو إلى ذلك ، ويوالي عليه ، ويعادي عليه ، ويزن الناس به ، كل هذا من دعوى الجاهلية)).[6]

هذا ما أردنا ذكره وبالله التوفيق .

---

(١) هو بعض حديث رواه أحمد (٥/١٣٦) برقم (٢١٢٤١) عن أبي هريرة ﷺ : ((من تعزًى بعزاء الجاهلية فأعضُوه بهن أبيه ولا تكنوا)) .

(٢) الفتاوى (٢٨/٤٢٢) .

(٣) الصواعق المرسلة (٣/١٠٤٦) .

(٤) الصواعق المرسلة (٣/١٠٤٦) .

(٥) اقتضاء الصراط (ص/٦٩) .

(٦) زاد المعاد (٢/٤٧١) .

المبحث الحادي عشر
الحنيفية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الحنيفية لغةً .

المطلب الثاني : الحنيفية شرعاً .

المطلب الثالث : الحنيف شرعاً .

المطلب الأول
الحنيفية لغة

أصل الكلمة : الحنيف والحنيفية كلاهما مشتق من أصل لغوي ثلاثي وهو (حَنِفَ).[1]

تصريفها : الحنيفيَّة على وزن (فَعِيلِيَّة) ، وهي مصدر صناعي نسبة إلى (حَنِيف) ، والحنيف على وزن (فَعِيل) ، بمعنى (فَاعِل) ، والأصل الثلاثي من ذلك (حَنِفَ) وهي مثلثة النون ، (يقال : حَنِفَ يَحْنَفُ حنَفَاً).[2]

معناها لغة : بعض معاني مادة حنف في اللغة :

١- الإقبال على الشيء ، يقال : أحنف الرجلين من الحَنَف : أي كل واحدة من الرجلين مقبلة على الأخرى بإبهامها . وقيل : هو الميل عن الشيء ، وقيل هو الاعوجاج .

٢- الاستقامة ، فالحنيف : المستقيم . ((وقد قيل إن الرجل الذي تقبل إحدى قدميه على الأخرى إنما قيل له أحنف ، نظراً له إلى السلامة ، كما قيل للمهلكة من البلاد المفازة ، بمعنى الفوز بالنجاة منها والسلامة ، وكما قيل للديغ السليم تفاؤلاً له بالسلامة من الهلاك ، وما أشبه ذلك)).[3]

هذه من أهم المعاني اللغوية وأشهرها في كتب اللغة .[4] ، ويمكن حصرها في معنيين هما :

الأول : الإقبال على الشيء بالميل عن غيره .

---

(١) مقاييس اللغة (٢/١١٠) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١-٧٦-٧٧)، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٠٧، ٤٨٥) .

(٣) جامع البيان (١/٥٦٤) .

(٤) ينظر لهذه مع بقية المعاني في : الصحاح (٤/١٣٤٧) ، لسان العرب (٣/٣٦٢-٣٦٣) .

الثاني : الاستقامة .

أما معنى الميل عن الشيء ، والاعوجاج للشيء ، فإن ذلك من لوازم الإقبال على الشيء ، فإن من أقبل على شيء فذلك مستلزم لميله عن شيء إلى شيء ، وكذلك الإقبال على الشيء ، يلزم منه اعوجاجه عن شيء إلى شيء آخر وهكذا .

يقول الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « فإن الحنف هو الإقبال ، ومن اقبل على شيء مال عن غيره ، والحنف في الرجلين هو إقبال إحداهما على الأخرى ، ويلزمه ميلها عن جهتها ».[1]

والحاصل أن المعنيين السابقين كليهما له علاقة بالمعنى الشرعي للحنيف كما سيأتي في المطلب التالي ، والله أعلم .

---

(١) جلاء الأفهام (ص/٢٦٩) . ينظر : مفتاح دار السعادة (١/١٧٤) .

المطلب الثاني
الحنيفية شرعاً

بوَّب الإمام البخاري في صحيحه : باب الدين يسر ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة ».[١]

وعن محمد بن واسع أن رجلاً قال يا رسول الله : جر مخمر جديد أحب إليك أن تتوضأ منه ، أو مما يتوضأ الناس منه أحب ؟ قال : أحب الأديان إلى الله الحنيفية . قيل : وما الحنيفية ؟ قال السمحة ، قال الإسلام الواسع » .[٢]

وعن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد الأنصاري قال : « تسموا بأسمائكم التي سماكم الله الحنيفية والإسلام والإيمان » .[٣]

عرَّفها **قتادة** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : «.. والحنيفية : الختان ، وتحريم الأمهات ، والبنات ، والأخوات ، والعمات ، والخالات ، والمناسك ».[٤]

ويقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً : « الحنيفية : شهادة أن لا إله إلا الله ، يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات والعمات وما حرم الله عز وجل والختان ».[٥]

وهذا القول جعل الحنيفية شهادة أن لا إله إلا الله ، وضمنها الختان ، وتحريم الأمهات وغير ذلك ، بخلاف قوله السابق ، ففيه تفسير الحنيفية بتلك الأمور .

وعرَّفها الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « الحنيفية يعني : الاستقامة على الإسلام ، وشرائعه دون اليهودية والنصرانية والمشركة ».[٦]

---

(١) البخاري (٢٣/١) .

(٢) مصنف عبد الرزاق (٧٤/١) برقم (٢٣٨) .

(٣) مصنف بن أبي شيبة (١٦٦/٦) برقم (٣٠٣٨٢) .

(٤) جامع البيان (٢٦٣/٣٠) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (١٨٨/١) .

(٦) جامع البيان (٦/٤) .

ويقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً : ((ولكنه هو ما وصفنا من الاستقامة على ملة إبراهيم ، واتباعه عليها ، والائتمام به فيها)).[١]

ولما ذكر الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ أقوال طائفة من السلف في معنى الحنيف ، لم يرتضِ بعضها ، ورأى أنها غير وجيهة ، وبين أن الحنيفية التي هي فعل الحنيف لا تستقيم مع تلك التعريفات ،...

فقال : ((وذلك أن الحنيفية لو كانت حج البيت لوجب أن يكون الذين كانوا يحجونه في الجاهلية من أهل الشرك ، كانوا حنفاء ، وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنفاً ، بقوله : ﴿ ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٧] ، فكذلك القول في الختان ؛ لأن الحنيفية لو كانت هي الختان ، لوجب أن يكون اليهود حنفاء ، وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلماً ﴾ [آل عمران : ٦٧] ، فقد صح إذاً أن الحنيفية ليست الختان وحده ولا حج البيت وحده)).[٢]

كما نجد الإمام **ابن عبد البر** ـــ رحمه الله ـــ يستحسن تفسير الحنيفية بالإسلام ، فيقول : ((فهذا قد وصف الحنيفية بالإسلام : وهو أمر واضح لا خفاء به)).[٣]

ويعرِّفها الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((والحنيفية : هي الاستقامة بإخلاص الدين لله ، وذلك يتضمن حبه تعالى ، والذل له لا يشرك به شيئاً ، لا في الحب ولا في الذل)).[٤]

وعرَّفها الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ مبيناً أصل الحنيفية فيقول : ((فعلم أن الحنيفية من موجبات الفطرة ومقتضياتها ، والحب لله ، والخضوع له ، والإخلاص له : هو أصل أعمال الحنيفية وذلك مستلزم للإقرار والمعرفة ....)).[٥]

---

(١) المصدر السابق (٥٦٦/١) .

(٢) جامع البيان (٥٦٦/١) .

(٣) التمهيد (٧٦/١٨) .

(٤) الفتاوى (٤٦٦/١٠) .

(٥) درء التعارض (٤٥١/٨) . وينظر : منهاج السنة النبوية (٤٠٣/٥) .

ويرى الإمام **ابن تيمية** أن الحنيفية تتضمن المعرفة والعمل ، فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ : ((ويلزم أن تكون مفطورة على الحنيفية : المتضمنة لمعرفة الحق ، والعمل به وهو المطلوب)).[1]

كما يعرِّف ــ رحمه الله تعالى ــ الحنيفية بأنها حقيقة لا إله إلا الله ، فيقول :

((.. وهذا هو حقيقة الحنيفية : وهي حقيقة وقول لا إله إلا الله)).[2]

وهكذا يستمر الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ فيبين لنا حنيفية القلب فيقول : ((أن يكون القلب مقبلاً على الحق ، والعلم ، والذكر ، معرضاً عن غير ذلك ، وتلك هي الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام ، فإن الحنف : هو إقبال القدم وميلها إلى أختها ، فالحنف الميل عن الشيء بالإقبال على آخر)).[3]

كما أن الحنيفية عند شيخ الإسلام تعني الإسلام المشترك بين جميع الأنبياء ، وهو الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران : ١٩]، فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ : ((الحنيفية : وهي الإسلام العام ، عبادة الله وحده لا شريك له ، والإيمان بكتبه ورسله واليوم الآخر ، كما قال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٦٢]...)).[4]

وأخيراً يعرِّف الإمام **ابن تيمية** الدين الحنيف ــ وهو الحنيفية ــ فيقول : ((فالدين الحنيف : هو الإقبال على الله وحده ، والإعراض عما سواه ، وهو الإخلاص الذي ترجمته كلمة الحق ، والكلمة الطيبة لا إله إلا الله)).[5]

---

(١) درء التعارض (٨/٤٦٨) .

(٢) الصفدية (٢/٢٥١) . وينظر الفتاوى (١٦/٣٤٥) .

(٣) الفتاوى (٩/٣١٩) .

(٤) الفتاوى (٣٥/١٨٨) . وينظر منهاج السنة النبوية (٥/٢٦٥) .

(٥) الفتاوى (٩/٣١٩) .

وعرَّفها الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « فإن الحنيفية تتضمن الإقبال على الله بالعبادة والإجلال والتعظيم والمحبة والذل .. ».(١)

ويقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ مبيناً حقيقة الحنيفية : «... والحب لله ، والخضوع له والإخلاص : هو أصل الأعمال الحنيفية ، وذلك مستلزم للإقرار والمعرفة ، ولازم اللازم لازم ، وملزوم الملزوم ملزوم ».(٢)

ويقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « والإخلاص أن يخلص لله في أفعاله ، وأقواله ، وإرادته ، ونيته ، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ، ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام ».(٣)

وعرَّفها الإمام **المباركفوري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « الحنيفية : أي الشريعة المائلة عن كل دين باطل فهي حنيفية في التوحيد .. ».(٤)

هذا ما وقفت عليه من تعريفات للحنيفية ، كما أن العلماء تطرقوا لكلمة حنيف التي وردت في القرآن ، وحتى تكتمل الصورة نسوق كلامهم في المطلب التالي :-

---

(١) بدائع الفوائد (٤/٩٦٤) .

(٢) أحكام أهل الذمة (٢/١٠٦٨) ، وانظر شفاء العليل (ص/٣٠٢) .

(٣) الجواب الكافي (ص/٩٤) .

(٤) تحفة الأحوذي (١٠/٢٧٢) .

المطلب الثالث
الحنيف شرعاً

قال تعالى : ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [آل عمران:٩٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [يونس:١٠٥] .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ [الروم:٣٠] .

معلوم مما سبق أن حنيف على وزن فعيل بمعنى فاعل ، فالحنيف إذاً من توفرت فيه صفات الحنيفية ، والحنيفية هي الصفات التي تقوم بالحنيف ، فالعلاقة قوية ، والتداخل كبير ، وإنما أفردنا هذا المطلب بـ « الحنيف » لزيادة المعنى وضوحاً ، والتصور كمالاً ، كما أن العلماء ذكروا تعريفاً لهذا وذاك .

ولقد كثرت تعريفات العلماء للحنيف ، خاصة أهل التفسير ، وتباينت عباراتهم واختلفت في ذلك ،...

فمنهم من قال : « الحنيف : هو الحاج لبيت الله الحرام ». وممن قال ذلك : **الحسن ومجاهد** وغيرهما .[1]

ومنهم من قال : « الحنيف : هو المتبع » ، قاله **مجاهد**[2]

---

(١) جامع البيان (٥٦٥/١) . ويعلل الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ قول الحسن وغيره بأن الحنيفية هي حج البيت فيقول : ((وقيل إنما سمي دين إبراهيم الإسلام الحنيفية ؛ لأنه أول إمام لزم العباد الذين كانوا في عصره ، والذين جاءوا بعده إلى يوم القيامة اتباعه في مناسك الحج ، والائتمام به فيه ، قالوا فكل من حج البيت فنسك مناسك إبراهيم على ملته فهو حنيف مسلم على دين إبراهيم))[المصدر السابق] .

(٢) المصدر السابق (٥٦٥/١) .

ومنهم من قال : ((الحنيف : هو المخلص دينه لله وحده)) ، قاله **السدي** [١]

ومنهم من قال : ((الحنيف : هو من اختتن)) ، قاله **قتادة** [٢]

وعرَّفه **أبو قلابة** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الحنيف : الذي يؤمن بالرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم)).[٣]

وعرَّفه الإمام **ابن جرير الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الحنيف عندي : هو الاستقامة على دين إبراهيم واتباعه على ملته)).[٤] ، أي هو من استقام على دين إبراهيم ، واتبع ملته ،...

ولذا يقول ــ رحمه الله تعالى ــ : ((فسمي الحنيف من الناس حنيفاً ، باتباعه ملته واستقامته على هديه ومنهاجه ، وسمي الضال عن ملته بسائر أسماء الملل ، فقيل يهودي ونصراني ومجوسي وغير ذلك من صنوف الملل)).[٥]

وعرَّفه الإمام **ابن عبد البر** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((والحنيف اليوم المسلم)).[٦]

وعرَّفه الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والحنيف : الذي يوحد ويحج ويضحي ويختتن ويستقبل القبلة)).[٧]

وعرَّفه **ابن الأثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الحنفاء جمع حنيف : وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه)).[٨]

وعرَّفه الإمام **النووي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وأما الحنيف : فقيل هو المستقيم والأصح أنه المائل إلى الخير)).[٩]

---

(١) المصدر السابق (٥٦٦/١) .

(٢) المصدر السابق (٢٦٣/٣٠) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (١٨٨/١) .

(٤) جامع البيان (٥٦٦/١) .

(٥) المصدر السابق (٥٦٦/١) .

(٦) التمهيد (٧٦/١٨) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٠٩/٤) .

(٨) النهاية (٤٥١/١) .

(٩) شرح صحيح مسلم ــ النووي (٥٠/١٦) .

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً أقوال السلف في معنى الحنيف : ((والحنيف للسلف فيه ثلاث عبارات ؛ قال محمد ابن كعب : مستقيماً ، وقال عطاء : مخلصاً ، وقال آخرون متبعاً ، فهو مستقيم القلب إلى الله دون ما سواه)).(١)

ويعرِّفه الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً عدم دقة من عرَّف الحنيف بالمائل ، فيقول : ((والحنيف : المقبل على الله المعرض عما سواه ، ومن فسره بالمائل فلم يفسره بنفس موضوع اللفظ ، وإنما فسره بلازم المعنى ، فإن الحنف هو الإقبال ، ومن اقبل على شيء مال عن غيره)).(٢)

ويعرِّفه الإمام **ابن كثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والحنيف : هو المائل عن الشرك قصداً ، أي تاركاً له عن بصيرة ، ومقبل على الحق بكليته ، لا يصده عنه صاد ، ولا يرده عنه راد)).(٣)

هذا ما تيسر الوقوف عليه من أقوال العلماء في معنى الحنيف والحنيفية ، وجميع هذه الأقوال ، سواء كانت في تعريف الحنيف أو الحنيفية لا تعارض بينها ، لكن قد يذكر بعضهم جزءاً من المعنى الذي يتضمنه اللفظ ويترك معانٍ أخرى هي داخلة في مضمون الكلمة ، فالتقصير ليس في كون هذا المعنى صحيح أم لا ، وإنما التقصير في حصر مفهوم اللفظة في معنى واحد مع عدم اعتبار البقية ، ...

وعليه فالراجح من تلك التعريفات هو ما كان شاملاً لجميع المعاني ، لذا فالذي يظهر رجحانه هو تعريف الإمام ابن القيم الذي قال فيه الحنيف : هو المقبل على الله المعرض عما سواه، فإذاً يكون معنى الحنيفية : هي الإقبال على الله تعالى، والإعراض عما سواه (٤) ، والله تعالى أعلم .

---

(١) الفتاوى (٣٢/٢٨) . وينظر كذلك (٢٣٩/٥) .

(٢) جلاء الأفهام (ص/٢٦٩) . ينظر : مفتاح دار السعادة (١٧٤/١) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥٦٠/١) . ينظر كذلك : (٥٩١/٢) .

(٤) وقد رجّح شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ أن الحنيفية هي ملة إبراهيم ، فقال : ((والقرآن كله يدل على أن الحنيفية هي ملة إبراهيم ، وأنها عبادة الله وحده والبراءة من الشرك ، وعبادته سبحانه إنما تكون بما أمر به وشرعه ، وذلك يدخل في الحنيفية ، ولا يدخل فيها ما ابتدع من العبادات ، كما ابتدع اليهود والنصارى عبادات لم يأمر بها الأنبياء ، فإن موسى وعيسى وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل ، ومن اتبعهم كانوا حنفاء ، بخلاف من بدل دينهم ، فإنه خارج عن الحنيفية)) [تفسير آيات أشكلت (٣٩٤/١)] .

المبحث الثاني عشر
الردة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الردة لغةً .

المطلب الثاني : الردة شرعاً .

المطلب الأول
الردة لغةً

أصل الكلمة : الرِّدَّةُ مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو (رَدَدَ).[1]

تصريفها : الرِّدَّةُ على وزن (فِعْلَة) ، وهي مصدر سماعي من الفعل الثلاثي (رَدَدَ) ، يقال : (رَدَّه يَرُدُّه رَدّاً ورِدَّةً) ، وقيل : الرِّدَّة : الاسم من الارتداد ، وهي من باب : شَدَّ يَشُدُّ شَدّاً وَشِدَّةً .[2]

معناها لغةً : بعض معاني مادة ردد اللغوية :-

١- الرَّدُّ : صرف الشيء وتحويله ، يقال : رَدَّه عن وجهه يَرُدُّه رَدّاً : إذا صرفه .

٢- والرَّدُّ : هو المردود ، ورَدَّ عليه الشيء : إذا لم يقبله . ومنه قوله ﷺ : ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ)) [3] : أي مردود .

٣- والرَّدُّ : الشيء الرديء .

٤- الارتداد : الرجوع ؛ ومنه المرتد .[4]

هذه بعض المعاني الواردة تحت مادة (ردد) ، وأقربها لمعنى الرِّدَّة الشرعية هو الأخير منها ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٣٨٦) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (٢/٤٧٣) ، تصريف الأسماء (ص/٥١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٢٩ ، ٤٨٩) .

(٣) رواه مسلم (٣/١٣٤٣) برقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤) ينظر لهذه المعاني وغيرها في : الصحاح (٢/٤٧٣) ، لسان العرب (٥/١٨٤-١٨٥) .

المطلب الثاني
الردة شرعاً

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة:٥٤] .

قال تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل:١٠٦] .

ذكر بعض العلماء أن الرِّدّة منها ما هو متعلق بأصل الإسلام ، ومنها ما يكون في جزئية من جزئيات الدين ، وكلاهما ردة عن الإسلام ، على اختلاف بين العلماء في بعض ما يتعلّق بهما ،...

يقول الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((والردة قد تكون عن أصل الإسلام ؛ كالغالية من النصيرية ، والإسماعيلية ، فهؤلاء مرتدون باتفاق أهل السنة ، والشيعة ، وكالعباسية ، وقد تكون الردة عن بعض الدين كحال أهل البدع الرافضة وغيرهم)).[1]

---

[1] منهاج السنة النبوية (٧/٢٢١-٢٢٢) . كما قسّم ــ رحمه الله تعالى ــ الرِّدّة إلى : رِدّة مجرَّدة ، ورِدّة مغلظة ، وقصد بالمغلظة التي فيها إهانة لله تعالى ، أو احتقار ؛ أو سبّ لله تعالى ، أو للرسول ، أو للدين))[الصارم المسلول (٣/٨٦٦)] .

كما اتفقت أقوال العلماء على تفسير الرِّدَّة عموماً بأنها الخروج من دين الإسلام والانتقال إلى ملل الكفر ، ولكن تنوعت عباراتهم في التعبير عن هذا المعنى ، ومن الأفضل نقل ما يتيسَّر منها ، مع ملاحظة أن بعضها في تعريف الردة ، وبعضها في تعريف المرتد وهو من قامت به صفة الردة :-

فعرَّفها الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ..﴾ [المائدة : ٥٤] ، فقال : « من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه اليوم ، فيبدله ، ويغيره بدخوله في الكفر ؛ إما في اليهودية ، أو النصرانية ، أو غير ذلك من صنوف الكفر ».[1] ففسَّر الردة بالرجوع عن الدين الحق ، والدخول في صنوف الكفر .

وعرَّف الإمام **ابن قدامة** ــ رحمه الله تعالى ــ المرتد بقوله : « هو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر ».[2] ، فالردة عنده الرجوع عن دين الإسلام ، والدخول في الكفر .

وعرَّفها **الكاساني** ــ رحمه الله ــ بقوله : « أما ركنها ــ أي الردة ــ فهو إجراء كلمة الكفر على اللسان بعد وجود الإيمان ، إذ الردة عبارة عن الرجوع عن الإيمان ، فالرجوع عن الإيمان يسمى رِدَّةً في عرف الشرع ».[3]

وعرَّفها الإمام **النووي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الرِّدَة : قطع الإسلام بنيّة ، أو قول ، أو فعل ؛ كسجودٍ لصنم ، واستخفاف بالمصحف ، أو الكعبة ».[4]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : « الردة هي قطع الإسلام بنية ، أو قول كفر ، أو فعل ، سواء قاله استهزاءً ، أو عناداً ، أو اعتقاداً ».[5]

---

(١) جامع البيان (٦/٢٨٢) .

(٢) المغني (١٢/٢٦٤) .

(٣) بدائع الصنائع (٧/١٣٤) .

(٤) تحرير التنبيه (ص/٣٣٨) .

(٥) مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج (٤/١٧٣) ، روضة الطالبين (١٠/٦٤) .

وعرَّفها الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « والردة : هي جماع الرجوع من الحسنات إلى السيئات ، ولهذا لا يحبط جميع الحسنات إلا الردة عن الإيمان ».(١)

فالمرتد هو من ترك جميع الحسنات ، أصولها وفروعها، وأقبل على جميع السيئات ، أصولاً وفروعاً ، وذلك أن من ارتد عن الإسلام حبطت جميع حسناته ـــ على خلاف في وقت ذلك ـــ ودخل في الكفر من أوسع أبوابه .

وعرَّفها الإمام **ابن كثير** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بالرجوع عن الحق إلى الباطل ، فقال في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ﴾ [المائدة : ٥٤] ، : « أي يرجع عن الحق إلى الباطل ».(٢)

وعرَّفها الإمام **الشوكاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « والردة الرجوع عن الإسلام إلى الكفر ».(٣)

وعرَّف الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ـــ رحمه الله تعالى ـــ المرتد بقوله : « وشرعاً الذي يكفر بعد إسلامه نطقاً ، أو اعتقاداً ، أو شركاً ، أو فعلاً ..».(٤)

هذا ما تيسَّر من أقوال العلماء في بيان معنى الردة والمرتد ، والذي يظهر :-

« أن الرِدَّة هي الرجوع عن دين الإسلام والدخول في ملل الكفر أيٍّ كانت ، وبأيّ وسيلة كانت » ، والله تعالى أعلم .

---

(١) الاستقامة (٤٦٣/١) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧١/٢) .

(٣) فتح القدير (٢١٨/١) .

(٤) التوضيح عن توحيد الخلاق (ص/٤٢) .

المبحث الثالث عشر
الشرك

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الشرك لغةً .

المطلب الثاني : الشرك الأكبر شرعاً .

المطلب الثالث : الشرك الأصغر شرعاً .

المطلب الرابع : الشرك الخفي .

المطلب الأول
الشرك لغة

أصل الكلمة :الشرك مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (شرك).[١]

تصريفها : الشِّرك على وزن الفِعْلُ ، وأصله الثلاثي من شَرَكَ أو من شَرِكَ ، والثاني أفصح . ومضارعه (يَشْرَك) ومصدره (شِرْكٌ) ، على خلاف القياس (كعَلِمَ يعْلَمُ عِلْمَاً) ، وفي الرباعي تقول (أَشْرَكَ يُشْرِكُ إِشْرَاكاً) ، على القياس كـ(أعْلَنَ يُعْلِنُ إِعْلاناً).[٢]

معناها لغةً :لمادة شرك عدة معانٍ منها :

- **مخالطة الشريكين** ، يقال اشتركنا بمعنى تشاركنا .
- **الحِصّة والنصيب** ، وفي الحديث ((من أعتق شِرْكاً له في عبدٍ)).[٣]
- **جَعْلُ شريك مع الله في عبادته** ، يقال أشرك بالله تعالى : شَرِكَ في عمله وعبادته غير الله .
- **المصاهرة** ، يقال : رغِبْنا في شِرْكِكُم وصهركم أي مشاركتكم في النسب .
- **التباس الأمر** ، يقال : اشترك الأمر إذا التبس .
- **حبائل الصائد** ، يقال لها الشَّرَك .
- **سير النعل** ، يقال لها الشِّرَاك .

هذه بعض المعاني التي تدور عليها مادة شرك ، والمتأمّل فيها يظهر له أنها تجمع معنى الخلط ومعنى الضم ، فإذا كانت بمعنى الحصة من الشيء تكون لواحد والباقي لآخر

---

(١) مقاييس اللغة (٣/٢٦٥).

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : اللسان (٧/١٠٠) ، أساس البلاغة (ص/٢٢٩) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٧٧) ، تصريف الأسماء (ص/٥٦،٥٩) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٥٣) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٤٩٤) .

(٣) رواه البخاري (٢/٨٩٢) برقم (٢٣٨٦) ، ومسلم (٢/١١٣٩) برقم (١٥٠١) .

أو آخرين ، أو كانت بمعنى الحبالة ، فإنّ الصيد يختلط بها وينضم إلى ملك الصائد ، والأمر إذا التبس فقد اختلط بعضه ببعض ، وسير النعل يضُمُّها إلى الرِّجْل ، وجَعْل شريك مع الله فيه خلط بصرف صفات الربوبية وخصائص الإلهية للمعبودات الباطلة فَعُبِدت مع الله تعالى ."(١) ، وسيتضح ذلك من خلال الكلام على الشرك شرعاً فنقول :

(١) ينظر الشرك ومظاهره (ص/٦١،٦٢) ، بتصرف .

المطلب الثاني
الشرك الأكبر شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان:١٣] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء:١١٦] .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الجن:٢٠] .

من المقرر أنّ الشرك الأكبر نوعان : شرك يتعلق بذات المعبود وربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك في أُلوهيته وعبادته [١] ، وما يتعلق ببحثنا هو النوع الثاني . ولكن من العلماء من جمع في تعريفه بين النوعين معاً ، ومنهم من أفرد كل نوع بالتعريف على حده ، وفيما يلي أقوال أهل العلم في بيانه :

عرَّفه الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والشرك به أن تعبدوا مع الله إلهاً غيره)).[٢]

وعرَّفه الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((وأصله اعتقاد شريك لله في ألوهيته ، وهو الشرك الأعظم ، وهو شرك الجاهلية ، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ١١٦] ..)).[٣]

وعرَّفه شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((فأما الشرك في

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص/٣٥٦،٣٥٧) ، الجواب الكافي (ص/١٩٣).

(٢) جامع البيان (١٦٦/٨) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨١/٥) .

الإلهية فهو أن يجعل لله نداً ، أي مثلاً في عبادته ، أو محبته ، أو خوفه ، أو رجائه ، أو إنابته)).[1]

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين)).[2]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((بل الشرك الذي لا يغفره الله تعالى ، هو أن يشرك به في الحب ، والتعظيم ، فيحب غيره ، ويعظم من المخلوقات غيره ، كما يحب الله تعالى ويعظمه)).[3]

وعرَّفه الإمام **محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((هو صرف نوع من العبادة إلى غير الله ، أو هو أن يدعو مع الله غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها)).[4]

وعرَّفه الشيخ **سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((ولأنّ الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى وتقدس في خصائص الإلهية من ملك الضر والنفع ، والعطاء والمنع الذي يوجب تعلّق الدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، وأنواع العبادة كلها بالله وحده)).[5]

وعرَّفه الإمام **المعلمي** ــ رحمه الله تعالى ــ **بقوله** : ((نظرت في حقيقة الشرك ، فإذا هو بالاتفاق اتخاذ غير الله ــ عز وجل ــ إلهاً من دونه ، أو عبادة غير الله ــ عز وجل ــ)).[6]

---

(١) الفتاوى (٩١/١) .

(٢) مدارج السالكين (٣٣٩/١) .

(٣) جلاء الأفهام (ص/٤٤٨) .

(٤) مجموعة مؤلفات الشيخ السعدي (عقيدة/٢٨١) .

(٥) تيسير العزيز الحميد (ص/١١٥) ، وأصل الكلام لابن القيم ، الجواب الكافي (ص/٢٠٢) .

(٦) العبادة (ص/٧،١) ، نقلاً عن رسالة منهج المعلمي وجهوده في تقرير عقيدة السلف)) أحمد بيه (ص/٤٢٠) .

وعرَّفه الشيخ **السعدي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « فأما الشرك الأكبر فهو أن يجعل لله نداً يدعوه كما يدعو الله ، أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب الله ، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة ».[1]

وقال ـــ رحمه الله ـــ أيضاً : « وحقيقة الشرك بالله : أن يعبد المخلوق كما يعبد الله ، أو يعظم كما يعظم الله ، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية ».[2]

وقال ـــ رحمه الله ـــ : « فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله . فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص ، وصرفه لغيره شرك وكفر ».[3]

وعرَّفه العلامة **السهسواني** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « إنّ الشرك هو دعاء غير الله في الأشياء التي تخص به سبحانه ، أو اعتقاد القدرة لغير الله فيما لا يقدر عليه سواه ، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه ـــ أو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به سبحانه ».[4]

وعرَّفه **الشيخ رشيد رضا** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « والشرك به نوعان : (أحدهما) يتعلّق بالألوهية والعبادة ، وهو أن يعتقد المرء أن في الخلق من يشاركه تعالى ، أو يُعينه في أفعاله ، أو يحمله على بعضها ويصده عن بعض بشفاعته عنده لأجل قربه منه (وثانيهما) يتعلّق بالربوبية ، وهو إسناد الخلق والتدبير إلى غيره معه ، أو أن تؤخذ أحكام الدين في عبادة الله تعالى ، والتحليل والتحريم عن غيره ، أي غير كتابه ووحيه الذي بلّغه عنه رسله ».[5]

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ السعدي (٣/١٤، ١٥) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢/٤٩٩) .

(٣) مجموعة مؤلفات الشيخ السعدي (٣/٢١) .

(٤) صيانة الإنسان (ص/١٦٦) .

(٥) تفسير المنار (٢/٥٥) .

وعرَّفه الشيخ **إسماعيل الدهلوي** [(١)] ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((بل إن حقيقة الشرك : أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها الله بذاته العلية ، وجعلها شعاراً للعبودية لأحد من الناس ؛ كالسجود لأحد ، والذبح باسمه ، والنذر له ، والاستغاثة به في الشدة ، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان ، وإثبات قدرة التصرف له)).[(٢)]

والخلاصة أنّ حقيقة الشرك شرعاً على ما ذكره العلماء هو اتخاذ الند مع الله في الألوهية ، وجميع الأقوال السابقة متفقة على هذا القدر ، مع زيادة التمثيل لبعض العبادات، والبعض أدخل في تعريفه شرك الربوبية .

وإلى هذا المعنى أشار ﷺ في حديث ابن مسعود ﷺ قال سألت النبي ﷺ : أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : ((أن تجعل لله نداً وهو خلقك ...)) [(٣)]، مع قوله ﷺ في حديث أبي بكرة ﷺ قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال :((ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر ـــ ثلاثاً ـــ ((الإشراك بالله)).[(٤)]

---

(١) هو الشيخ العالم الكبير ، العلامة المجاهد في سبيل الله إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي ، أحد أفراد الدنيا في الذكاء والفطنة والشهامة وقوة النفس والصلابة في الدين ، ولد بدهلى في الثنتي عشرة من ربيع الثاني سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف ، من مشايخه : عمه الشيخ عبد القادر بن ولي الله الدهلوي وقرأ عليه الكتب ، من مصنفاته : الصراط المستقيم ، وإيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح وغيرها ، وقتل الشيخ إسماعيل في سبيل الله لست ليالٍ بقين من ذي القعدة سنة ست وأربعين ومائتين وألف بمعركة ((بالاكوت)) .[مقدمة رسالة التوحيد ، للدهلوي ـــ تعليق أبو الحسن الندوي]

(٢) رسالة التوحيد ـــ الندوي (ص/٢٠) .

(٣) رواه البخاري (٥/٢٢٣٦) برقم (٥٦٥٥) .

(٤) رواه البخاري (٢/٩٣٩) برقم (٢٥١١) ، ومسلم (١/٩١) برقم (٨٧) .

المطلب الثالث
الشرك الأصغر شرعاً

عن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أخوف ما أخاف عليكم **الشرك الأصغر** ، قالوا : وما **الشرك الأصغر** يا رسول الله ؟ قال : الرياء يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة ، إذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » .[1]

يقول ابن رجب الحنبلي في شرحه لحديث « أول من تسعر بهم النار يوم القيامة : « وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العصاة لأن الرياء هو الشرك الأصغر والذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعقة بغيره » .[2]

عرَّفه بعضهم بقوله : « كل وسيلة وذريعة يتطرق بها إلى الأكبر ».[3] أي إلى الشرك الأكبر .

وعرَّفه **الإمام ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بالتمثيل لبعض أفراده فقال : « وأما الشرك الأصغر :فكيسير الرياء ، والتصنع للخلق ، والحلف بغير الله ... وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، وما لي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا ».[4]

وعرَّفه **الراغب** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور ».[5]

---

(١) مسند أحمد (٥/٤٢٨) برقم (٢٣٦٨٠) .

(٢) التخويف من النار (ص/٢٠٥) .

(٣) الكواشف الجلية (ص/٣٢١) .

(٤) مدارج السالكين (١/٣٧٣) .

(٥) المفردات (ص/٢٦٠) ، ونقلها عنه المناوي ـــ التوقيف على مهمات التعاريف (ص/٤٢٨) .

وعرَّفه الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله ــ بقوله : « وأما الشرك الأصغر فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك ، كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة كالحلف بغير الله ويسير الرياء .... **وقال ــ رحمه الله ــ أيضاً** : هو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة ».(١)

وعرَّفه **الشيخ عبد العزيز بن باز** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وأما الشرك الأصغر :فهو ما ثبت بالنصوص من الكتاب أو السنة تسميته شركاً ، ولكنه ليس من جنس الشرك الأكبر ، كالرياء في بعض الأعمال ، والحلف بغير الله ، وقول ما شاء الله وشاء فلان ، ونحو ذلك ».(٢)

وعرَّفه **آخرون** بقولهم : « هو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه ، وجاء في النصوص تسميته شركاً ».(٣)

وعرَّفه **بعضهم** بقوله : « هو تسوية غير الله بالله في هيئة العمل ، وأقوال اللسان ، فالشرك في هيئة العمل هو الرياء ، والشرك في أقوال اللسان هو الألفاظ التي فيها معنى التسوية بين الله وغيره ، كقوله : ما شاء الله وشئت ، وقوله : اللهم اغفر لي إن شئت ، وقوله عبد الحارث ونحو ذلك ».(٤)

وعرَّفته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية بقولها : « أما الشرك الأصغر : فكل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ، ووسيلة للوقوع فيه ، وجاء في النصوص تسميته شركاً ، كالحلف بغير الله ، فإنه مظنة للانحدار إلى الشرك الأكبر ».(٥)

---

(١) القول السديد ضمن مجموعة مؤلفات السعدي (٣/١٥، ٢١) .

(٢) رسالة الدروس المهمة لعامة الأمة ــ ابن باز ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية (١/٥٦) .

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٧٤٨) .

(٤) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (ص١٢٦،١٢٧) .

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/٧٤٨) .

هذه بعض تعاريف العلماء للشرك الأصغر ، وغالبها نصَّ على أفراد الشرك الأصغر وأنواعه وكونها وسيلة للوقوع في الشرك الأكبر ، وأنَّ الله سماها شركاً ، ولذلك قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : ـ بعد أن ذكر جملة من أنواع الشرك الأصغر ـ « وقد يكون هذا شركاً أكبر ، بحسب قائله ومقصده ».[1]

[1] مدارج السالكين (٣٧٣/١) .

المطلب الرابع
الشرك الخفي

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : ((.. فقال : ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي . قال : قلنا بلى ، قال : **الشرك الخفي** أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل)) .(١)

عرَّفه **بعضهم** بقوله : ((هو ما خفي من حقائق إرادة القلوب ، وأقوال اللسان ، مما فيه تسوية بين الله وخلقه)).(٢)

وبعض **العلماء** يرى أنّ الشرك الخفي : ((هو ما كان في القلب مثل الرياء ؛ لأنه لا يبين إذ لا يعلم ما في القلوب إلا الله ، ويسمى شرك السرائر)).(٣)

ولذلك قال عنه شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله ــ : ((وأما الشرك الخفي : فهو الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه ، مثل : أن يحب مع الله غيره)).(٤)

والذي عليه بعض أهل التحقيق أنّ الشرك الخفي يَعُمّ الشرك الأكبر والأصغر،

يقول الشيخ **ابن باز** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وأما الشرك الخفي فإنه يعمهما ، فيقع في الأكبر كشرك المنافقين ، لأنهم يخفون عقائدهم الباطلة ، ويتظاهرون بالإسلام رياءً وخوفاً على أنفسهم ، ويكون في الشرك الأصغر كالرياء)).(٥)

فالحاصل أنّ الشرك الخفي ليس له صفة ثابتة غير الخفاء ، بل هو متردد بين الأكبر والأصغر ، بحسب ما يقوم بالقلب . والله تعالى أعلم .

---

(١) مسند أحمد (٣٠/٣) برقم (١١٢٧٠) .

(٢) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (ص/١٢٧) .

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد ــ ابن عثيمين (٢٣٥/٢).

(٤) الفتاوى (٩٣/١) .

(٥) الدروس المهمة لعامة الأمة (٥٧/١-٥٨) .

المبحث الرابع عشر
الشفاعة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الشفاعة لغةً .

المطلب الثاني : الشفاعة شرعاً .

المطلب الأول
الشفاعة لغة

أصل الكلمة : الشفاعة مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (شَفَعَ).[١]

تصريفها : الشَّفَاعَة على وزن (فَعَالَة) ، وهي مصدر سماعي للفعل الثلاثي (شَفَعَ) ، ومضارعه (يَشْفَع) ، من باب فَتَحَ يَفْتَح، والمصدر القياسي من (شَفَعَ) المتعدي (شَفْعًا).[٢]

معناها لغةً : لمادة شفع عدة معانٍ نتعرّض لبعضها فيما يلي :-

١- **خلاف الوَتْر**، وهو الزوج ، يقال له : الشَّفع ، وتقول : كان وَتْرًا فَشَفَعْتُه شَفْعًا .

٢- **الطلب والسؤال بوسيلة** ، يقال : استَشْفَعَه طلب منه الشفاعة ، أي قال له كُن لي شَافِعًا ، وقد تكرر ذكر الشَّفَاعة في السنة فيما يتعلّق بأُمور الدنيا والآخرة ، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم .

٣- **ضمُّ ملك شريكك إلى ملكك** ، يُسَمَّى الشُّفْعَة .

هذه بعض معانيها ، وكل ما ورد فيها من معانٍ فإنه يرجع إلى أصل واحد هو المقارنة .[٣] ومعنى الشَّفاعة الشَّرعي مأخوذ بعينه من المعنى اللغوي كما ستعرف ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى .

---

[١] مقاييس اللغة (٣/٢٠١) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٦٩) .

[٣] مقاييس اللغة (٣/٢٠١) ، الصحاح (٣/١٢٣٨) ، لسان العرب (٧/ ١٥٠ـ ١٥٢) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/١٨٠) .

المطلب الثاني
الشّفاعة شرعاً

قال تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر:٤٤] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر:٤٨] .

قال تعالى : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف:٨٦] .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ:٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥] .

عرَّفها الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((... شَفَع لي فلان إلى فلان شفاعةً وهو طلبه إليه في قضاء حاجته ، وإنما قيل للشَّفيع شَفيع وشافع لأنه ثنّى المستشفِع به فصار به شَفْعاً ، فكان ذو الحاجة قبل استشفَاعه به في حاجته فرداً ، فصار صاحبه له فيها شافعاً ، وطلبه فيه وفي حاجته شفاعة)).[1]

وعرَّفها الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((فالشفاعة إذاً ضمُّ غيرك إلى جاهك ووسيلتك ، فهي على التحقيق إظهار لمنزلة الشَّفيع عند المشفَّع ، وإيصال منفعته للمشفوع)).[2]

---

(١) جامع البيان (١/٢٦٧) .

(٢) تفسير القرطبي (١/٣٧٨) .

وعرَّفها **الراغب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والشَّفاعة : الانضمام إلى آخر ناصراً له ، وسائلاً عنه ، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حُرمة ومرتبة إلى من هو أدنى ».(١)

وعرَّفها شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والشَّفاعة هي الدعاء ».(٢)

وعرَّفها الإمام **ابن حجر ــ رحمه الله ــ** بقوله : « وهي انضمام الأدنى إلى الأعلى ؛ ليستعين به على ما يرومه ».(٣)

وعرَّفها **أبو البقاء** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وأمَّا الشَّفاعة : فهي سؤال فعل الخير ، وترك الضر عن الغير لأجل الغير على سبيل الضَّراعة ».(٤)

وعرَّفها **السفاريني** ــ رحمه الله ــ بقوله : « سؤال الخير للغير ».(٥)

وعرَّفها **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والشَّفاعة هي التوسط بالقول في وصول الشَّخص ــ ولو كان أعلى قدراً من الشَّفيع ــ إلى منفعة من المنافع الدنيوية أو الأُخروية أو خلاصه عن مضرة ما ...».(٦)

وعرَّفها **الطاهر بن عاشور** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والشَّفاعة : السعي والوساطة في حصول نفع ، أو دفع ضُرّ ، سواء كانت بمجرد سعي المتوسط ، ويقال لطالب الشَّفاعة مستشفِع ».(٧)

---

(١) المفردات (ص/٢٦٣) .

(٢) الفتاوى (١/١٣٠) .

(٣) فتح الباري (١١/٤٣٣) .

(٤) الكليات (ص/٥٣٦) .

(٥) لوامع الأنوار (٢/٢٠٤) .

(٦) روح المعاني (٥/ ٩٧) .

(٧) التحرير والتنوير (١/ ٤٨٦) .

وعرَّفها **الميلي** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((فالشَّفاعة تحمل معنى الضم والإعانة للمشفوع له ، ومعنى الجاه والحرمة للشفيع عند المشفوع إليه ، فسعيك لآخر في حاجة له عند عظيم شفاعة ، وأنت شفيع ، وذلك الآخر مشفوع له ، وذلك العظيم مشفوع إليه ، وقضاء تلك الحاجة تشْفِيع)).[1]

وعرَّفها **الشيخ ابن عثيمين** ــ حفظه الله ــ بقوله : ((التوسُّط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرَّة)).[2]

والملاحظ بعد ذكر ما سبق من تعريفات أهل العلم ، في بيان معنى الشَّفاعة الشرعي ، أنها كانت على وجه العموم والإجمال ، إذ لم يُفَصَّل فيها بذكر الشَّفاعة التي يكون المشفوع إليه هو الله تعالى ، وبين أن يكون أحداً من البشر ، والحاصل أنَّ الشَّفاعة المذكورة في كتاب الله تعالى باعتبار المشفوع إليه نوعان :

الأول : شفاعة يكون المشفوع إليه هو الله تعالى ، وهي على قسمين :

١- شفاعة شركية منفية ، وليس هنا مكان بحثها.

٢- شفاعة شرعية مثبتة ، وهي على نوعين :-

❖ شفاعة في الدنيا ، وهي بمعنى الدعاء للغير [3] ، سواء كانت عن طلب من ذلك الغير أم لا ، وسواء كان ذلك الغير حيًّاً حاضراً ، أم ميِّتاً غائباً ، وتكون على سبيل الضَّراعة والخضوع لله تعالى ، ولا بد أن يكون المطلوب مما أباحه الله تعالى ، وهذا الدعاء للغير يتضمن إذنه تعالى بذلك؛ لأنّ الله شرع بأن يدعو الإنسان لأخيه، ورغَّب في ذلك ، وهذا

---

(١) الشِّرك ومظاهره (ص/٢١٧) .

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٣٣١) .

(٣) ينظر :لتحقيق والإيضاح ــ ابن باز ضمن مجموع فتاوى الشيخ (٦/٢٩١) .

إذنٌ وزيادة [١] ، ولذلك يقول ﷺ : ((ما من رجلٍ مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلاّ شفَّعَهم الله فيه)).[٢]

ولعلّنا نعرِّفها بقولنا :

هي سعي المسلم وقيامه لغيره ، بدعاء الله تعالى ، والتضرُّع إليه ، والخضوع والذّلة بين يديه ، فيما أباحه الله ، لينال ذلك الغير الخير والنفع في الدنيا والآخرة ، ويسلم من الشَّر والضُرِّ كذلك .

❖ شفاعة في الدار الآخرة ، وهي على أنواع ، خاصة وعامة [٣] ، ونقول في تعريفها إجمالاً :-

((**هي توسُّط أهل الإيمان ؛ من رسلٍ ، وملائكة ، وصالحين ، بالدعاء والتضرع لله ، بجلب الرحمة والمغفرة ، ودفع العذاب أو تخفيفه ، عمن أخلص التوحيد والعبادة ، بعد إذنه تعالى للشافع ، ورضاه عن المشفوع له**)). والله أعلم .

الثاني : شفاعة يكون المشفوع إليه غيرَ الله تبارك وتعالى ، وهذه تكون بحسب حالها ؛ فإن كانت في الخير ، فهي شفاعة حسنة ، والشَّافع محمودٌ مأجورٌ ، وإن كانت في الشَّر ، فهي شفاعة سيّئة ، والشَّافع مذمومٌ مأزورٌ ، وعلى ذلك دَلَّ قوله تعالى : ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيبٌ منها ومن يشفع شفاعة سيِّئة يكن له كِفْلٌ منها وكان الله على كلِّ شيءٍ مُقِيتاً﴾[النساء : ٨٥].

---

(١) القول المفيد ــ ابن عثيمين (٣٣٥/١) .

(٢) رواه مسلم (٦٥٥/٢) برقم (٩٤٨) .

(٣) تنظر أنواع الشَّفاعة وأقسامها وتفصيلاتها : الفتاوى (١٤٣/١ــ ١٤٩ ، ٧٨/٧ ، ٣٨٠/١٤ــ ٤٠٦) ، الرد على المنطقيين (ص/٥٢٦) ، شرح العقيدة الطحاوية (ص/٢٢٩ــ٢٣٩) ، تيسير العزيز الحميد (ص/٢٩٤ ــ ٢٩٦) ، القول المفيد على كتاب التوحيد (٣٣٢/١ــ٣٣٥) ، إلفات النظر (ص/١٩٩ــ٢٠٥) ، جهود علماء الحنفية (١٣٨٩/٣) .

عرَّفها شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((فالشفاعة الحسنة إعانة على خير يحبه الله ورسوله ؛ من نفع من يستحق النفع ، ودفع الضُرّ عمن يستحق دفع الضُرّ عنه . والشفاعة السيئة إعانته على ما يكرهه الله ورسوله ، كالشفاعة التي فيها ظلم الإنسان ، أو منع الإحسان الذي يستحقه . وفُسِّرت الشفاعة الحسنة بالدعاء للمؤمنين ، والسيئة بالدعاء عليهم، وفسرت الشفاعة الحسنة بالإصلاح بين اثنين، وكل هذا صحيح ؛ فالشافع زوج المشفوع له ، إذ المشفوع عنده من الخلق إما أن يُعينه على بر وتقوى ، وإما أن يعينه على إثم وعدوان)).[1]

بقي الكلام على مصطلح الاستشفاع ، وهو استفعال من طلب الشَّفاعة ، يقال استشفع به ، أي جعله شافعاً له ، وهو استجلاب الدعاء والوساطة للحصول على الخير ودفع الضُر .

يقول الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله ــ : ((الاستشفاع : طلب الشفاعة)).[2]

وحقيقته الاستشفاع : **طلب التوسّط من الحيِّ الصالح ــ سواء كان نبيّاً أو غير ذلك ، بدعاء الله تعالى له ، لتحقيق الخير ودفع الشَّر عن ذلك الطالب في الدنيا والآخرة .**

---

(١) الفتاوى (٧/٦٤ـ٦٥) .

(٢) فتح الباري (١١/٤٣٣) .

المبحث الخامس عشر
العبادة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : العبادة لغةً .

المطلب الثاني : العبادة شرعاً .

المبحث الأول
العبادة لغةً

أصل الكلمة : العبادة مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (عَبَدَ).[١]

تصريفها: العبادة على وزن (فِعَالَة) ، وهي مصدر قياسي للفعل الثلاثي (عَبَدَ) ، ومضارعه (يَعْبُدُ) ، من باب نصر .[٢]

معناها لغةً : لقد تعددت المعاني اللغوية لمادة [عبد] وإليك أهمها:

١. **الخضوع والذلة** : يقال : طريق معبَّد ، وهو المذلل الموطؤ . وقولهم :بعير معبَّد يكون في معنى مذلل .

٢. **القوة والصلابة** : يقال هذا ثوب له عَبَدَة إذا كان صفيقاً قوياً .

٣. **الأنفة والكراهة** : يقال: عَبِدَ عَبَداً فهو عَبَدٌ وعابِدٌ : غضب وأنف ، والاسم العَبَدَةُ .

٤. **الطاعة** .

٥. **التنسُّك** .

٦. **المملوكية** .[٣]

هذه أهم المعاني اللغوية لمادة عبد ، والمتأمل فيها يجدها ترجع إلى أصلين اثنين : الخضوع والذلة ، والقوة والصلابة ، وأقربهما إلى المعنى الشرعي هو الأصل الأول ، وهو الخضوع والذلة ، والله أعلم .

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/٢٠٥،٢٠٦) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٢٦، ٤٩٨) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٢٦ ، ٤٩٨) .

(٣) ينظر معنى الكلمة في : مقاييس اللغة (٤/٢٠٥-٢٠٦) ، الصحاح (٢/٥٠٢-٥٠٤) ، لسان العرب (٩/١٠-١٥) .

المطلب الثاني
العبادة شرعاً

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف:١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة:٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة:٢١] .

أعلم رحمك الله أن العبادة إذا أطلقت في الشرع ، ونصوصه القرآنية والنبوية ، فإنها تتنوع معانيها بحسب الاعتبارات [١] :

فالعبادة باعتبار أصلها هي « مصدر » بمعنى التعبّد ، وهو فعل العابد [٢] وهو التذلل لله والخضوع له بفعل أوامره واجتناب نواهيه ، مع المحبة والتعظيم .

---

(١) ينظر : منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (٥٨/١) .

(٢) ينظر : تقريب التدمرية ـ العثيمين (ص/١٢٩) .

والعبادة باعتبار أفرادها : هي « اسم » بمعنى : المتعبّد به [١] من الأقوال ، والأعمال الظاهرة والباطنة ، التي أحبها الله ورضيها .

وقد ورد إطلاق بعض تعاريف العبادة بمعناه اللغوي ، كما قال تعالى حكاية عن قوم موسى : ﴿ فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ [المؤمنون : ٤٧] ، أي : خاضعون متذللون خادمون .

وبعد هذا أسوق ما وقفت عليه من تعريفات العلماء ، مع ملاحظة أن أقوالهم في الجملة مبنية على ما سبق بيانه ، وبالله التوفيق .

عرَّفها **سعيد بن جبير** ــ رحمه الله ــ بقوله : « والعبادة : هي الطاعة ، وذلك أنه من أطاع الله فيما أمره به ، وفيما نهاه عنه ، فقد أتمَّ عبادة الله ..».[٢]

وعرفها الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : «... معنى العبادة الخضوع لله بالطاعة والتذلل له بالاستكانة ».[٣]

وقريباً منه تعريف **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ حيث قال : « العبادة : الطاعة والتذلل ».[٤]

وعرفها شيخ الإسلام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والعبادة : اسم يجمع غاية الحب له ، وغاية الذل له ».[٥]

وعرَّفها الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بذكر أصولها فقال : « والعبادة تجمع أصلين غاية الحب بغاية الذل والخضوع ».[٦]

---

(١) المصدر السابق .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٣٤٦/١) .

(٣) جامع البيان (٣٦٢/١) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٠١/١) .

(٥) الفتاوى (١٥/ ١٦٢) ، (٢٠/ ٦) ، (١٠/ ١٥٣، ٢٥١) ، منهاج السنة ابن تيمية (٤٤٨/٢) ، (٣/ ٢٩٠) ، قاعدة في المحبة (٢٨٤/٢، ٢٨٥) .

(٦) مدارج السالكين (٧٤/١) .

وعرفها الحافظ **ابن كثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة ، والخضوع ، والخوف)).[١]

وعرَّفها الإمام **الشوكاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والعبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل)).[٢]

وقد علَّق الشيخ **تقي الدين الهلالي** ــ رحمه الله تعالى ــ على تعريف الشوكاني بقوله : ((قول الشوكاني : والعبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل ، إن كان يريد المعنى اللغوي فهو صحيح ... ، وأما إن أراد المعنى الشرعي ، فهو ناقص ، إذ لا تتمّ العبادة بالخضوع والتذلل فقط حتى يصحبها الحب والتعظيم والإجلال وتوحيد الله بذلك ..)).[٣]

وقريباً منه تعريف الإمام **الصنعاني** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((إنّ العبادة أقصى باب الخضوع والتذلل ، ولم تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى ..)).[٤]

وعرَّفها الإمام **المعلمي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((... وتحرير العبارة في معنى العبادة أن يقال : خضوع اختياري يطلب منه نفع غيبي)).[٥]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((هي طاعته بامتثال ما أمر به ورضيه ، واجتناب ما نهى عنه وكرهه)).[٦]

وعرَّفها **مبارك الميلي** بقوله : ((... الانقياد والخضوع على وجه التقرب)).[٧]

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٢٤) .

(٢) فتح القدير (١/١٩) ، يقول الشيخ صالح بن المهدي المقبلي : ((ولذلك لم يستعمل ــ أي لفظ العبادة ــ إلا في الخضوع لله تعالى ، لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع))[العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ (ص/٦١)] .

(٣) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (١/٢٥-٢٦) .

(٤) تطهير الاعتقاد (ص/٤٦)

(٥) العبادة (ص/٤٨٠) ، نقلاً عن رسالة ((منهج المعلمي)) ، أحمد بيه (ص/٣٠٧) .

(٦) القائد إلى تصحيح العقائد (ص/٧) .

(٧) رسالة الشرك ومظاهره (ص/٨٨) .

وقيل : «العِبَادة : التصرُّفات المشروعة ، التي تجمع كمال المحبة ، والخوف ، والخضوع لله تعالى ».[1]

وقيل : « العبادة : فعل ما يرضي الرب ».[2]

وعرَّفها الشيخ **تقي الدين الهلالي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « العبادة : غاية التذلل في غاية الحب ، مع التوحيد ، واتباع سنة النبي ﷺ ، وأداء جميع الواجبات ، وترك المحرمات ».[3]

وعرَّفها الشيخ **العثيمين** ـــ حفظه الله تعالى ـــ بقوله : « هي التذلل لله محبةً وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه ».[4]

وقيل : « معناها : التأله والتذلل لله وحده والانقياد له سبحانه ، بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ».[5]

وكل ما سبق من تعريفات ، فإن فيها التنصيص على أصل العبادة وحقيقتها.

وعرَّفها **الإمام ابن حبان** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « عبادة الله : إقرار باللسان وتصديق بالقلب ، وعمل بالجوارح ».[6]

وعرَّفها **شيخ الإسلام ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً بقوله : « العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ».[7]

وعرَّفها **الحافظ ابن حجر** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « المراد بالعبادة : عمل الطاعات ، واجتناب المعاصي ».[8]

---

(1) معجم لغة الفقهاء (ص/٣٠٣) .

(2) الكليات (ص/٦٤٩) .

(3) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (٢٦/١) .

(4) المجموع الثمين (٢٥/٢) .

(5) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٧٦/١) .

(6) فتح الباري (٣٤٧/١١) .

(7) الفتاوى (١٤٩/١٠) .

(8) فتح الباري (٣٤٧/١١)

وعرَّفها **الأصبهاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((العبادة : فعل اختياري ، منافٍ للشهوات البدنية ، تصدر عن نيةٍ يراد بها التقرب إلى الله طاعةً للشريعة)).[1]

وفي هذا التعريف جمع شرطي العبادة مع بعض أوصافها.

وعرَّفها **الشيخ أحمد بن يحي النجمي** ــ حفظه الله ــ **بقوله** : ((وهي مجموعة التكاليف الشرعية التي كلف الله بها عباده؛ سواء كان ذلك فيما يجب له عليهم ، أو فيما يجب لبعضهم على بعض ، أو فيما يجب عليهم أن يفعلوه في أنفسهم)).[2]

ويؤخذ من هذا التعريف أن العبادة يمكن تصنيفها بحسب متعلّقِها إلى الآتي :-

أولاً : عبادة متعلّقة بالله وحده ؛ كتوحيده تعالى ، وإقامة الصلاة ، والصوم ، وغيرها .

ثانياً : عبادة متعلّقة بالخلق مع غيرهم ، فتجب لبعضهم على بعض طاعة لله ؛ كالحقوق الشرعية بين المسلمين ، من رد السلام ، والتشميت ، والأمر بالمعروف ، وغير ذلك .

ثالثاً : عبادة متعلّقة بالخلق مع أنفسهم ، من إطعامٍ وكسوة ، وكسنن الفطرة ، وغير ذلك .

وعرَّفها **بعضهم** بقوله : ((عبارة عن توحيده والتزام شرائع دينه)).[3]

وهنا نلاحظ شمول العبادة واستيعابها لكم كبيرٍ من الأفراد والجزئيات.

وهكذا فإنك تجد غالب من عرَّف العبادة ضمنها لمعانيها اللغوية فمن ذلك غاية الخضوع والتذلل والاستكانة والانقياد والطاعة ، كما أنهم أضافوا للمعاني اللغوية غاية الحب وكمال المحبة .

قال **شيخ الإسلام بن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((والعبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل ، فالعابد محب خاضع ، بخلاف من يحب من لا يخضع له ، بل يحبه ليتوسل

---

(١) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين (ص/١٥٧) .

(٢) المورد العذب الزلال (ص/٤٩) .

(٣) المصدر السابق .

به إلى محبوب آخر ، وبخلاف من يخضع لمن لا يحبه ، كما يخضع للظالم ، فإن كُلاًّ من هذين ليس عبادة محضة)).[1]

ومما سبق من تعاريف يلاحظ أن بعضهم تعرَّض لكمال العبادة وشمولها ، وبعضهم عرَّفها بذكر شروطها وأوصافها ، ومنهم من عرَّفها بذكر أصلها وأساسها ، مع إضافة كمال الحب في المعنى الشرعي ، وبعضهم عرَّفها بالنظر إلى تعلّقها ، سواء بالخالق ، أو بالمخلوق .

كما يظهر من تعاريف جملة من العلماء الذين عرفوا العبادة على أساس شمولها لعدد من الأفراد ، كتعريف شيخ الإسلام ابن تيمية ، أنهم جعلوا جميع أمور الديانة من الاعتقادات ، والإرادات ، والأقوال ، والأعمال داخلة في مسمى العبادة [2]

ولذا يقول الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : ((فالدين كله داخل في العبادة)).[3]

---

(١) قاعدة في المحبة ضمن جامع الرسائل (ص/٢٨٤) .

(٢) ينظر : منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (٦٠/١) ، ونتيجةً لجهل كثير ـ ممن ينتسب للعلم في هذه الأعصار فضلاً عن غيرهم ـ بهذا المفهوم الشرعي الشامل للعبادة ، وقعوا في أنواع عظيمة من الشرك ، وصنوف غريبة من الكفر ، وحصل بسبب ذلك من الخلط والتلبيس والافتراء على الله تعالى ورسوله ، الشيء العظيم ، والله المستعان أن يرفع هذا البلاء العظيم عن أمة الإسلام .

(٣) الفتاوى (١٥٢/١٠) .

المبحث السادس عشر
الغلو

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الغلو لغةً .

المطلب الثاني : الغلو شرعاً .

المطلب الأول
الغلو لغةً

أصل الكلمة : الغُلُوُّ مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو (غَلَوَ).[١]

تصريفها : الغُلُوُّ على وزن (فُعُولٌ) ، وهو مصدر قياسي للفعل الثلاثي المعتـل (غَـلاَ) ، وأصل الألف واوٌ ، فيقال : (غَلاَ يَغْلُو غُلُوّاً) ، وهو من باب نصر ينصُرُ .[٢]

معناها لغةً : من معاني مادة غلو في كتب اللغة :-

١. الغلاءُ : نقيض الرخص ، يقال : غلا السِّعْرُ يغْلُو غَلاءً : إذا ارتفع . وأصل الغـلاء الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء . وغلا في الأمر : جاوز حده .
٢. وغَلَتِ القدر تَغْلِي غَلْيًا وغَلَيَانًا : إذا ارتفعت وجاوزت .
٣. والاغتلاء : الإسراع .
٤. والغَلْوَةُ : الغاية مقدار رمية ، وغَلَوْتُ بالسهم غَلْوًا : إذا رميت به أبعد ما تقـدر عليه .[٣]

فهذه من أبرز المعاني اللغوية المتعلقة بمادة غلى ، والذي يهمنا هو المعـنى الأول ، وهو التعدي ومجاوزة الحد ، وهذا هو بعينه المعنى الشرعي ، كما سيأتي .

---

(١) مقاييس اللغة (٤/٣٨٧) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٤١ ، ٥٠١) .

(٣) ينظر لهذه المعاني وغيرها : الصحاح (٦/٢٤٤٨) ، لسان العرب (١٠/١١٢-١١٤) .

المطلب الثاني
الغُلوُّ شرعاً

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة:٧٧] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ [النساء:١٧١] .

تكاد أقوال العلماء تطبق على تفسير الغُلُوّ الشرعي بمعناه اللغوي ، غير أن بعضهم قد يذكر أموراً أخرى في تعريفه للغُلُوّ ، وذلك بحسب النوع الذي يتكلم فيه ، فهناك من أنواع الغُلُوّ ما هو متعلّق بالاعتقاد ، وبعضها بالعبادات ، وبعضها في الأقوال ، وأخرى في الأفعال [١]، وغير ذلك ،...

يقول الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : «...والغلو في الدين : عام في جميع أنواع الغلو ، في الاعتقادات ، والأعمال ».[٢]

لكنهم اتفقوا على معنى التعدي والتجاوز ، وفيما يلي أسرد أقوالهم في بيان معنى الغُلُوّ في الشرع :

---

(١) قسَّم الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ الغلو إلى نوعين فقال : ((والغلو : نوعان : نوع يخرجه عن كونه مطيعاً ، كمن زاد في الصلاة ركعة ، أو صام الدهر مع أيام النهي ، أو رمي الجمرات بالصخرات الكبار التي يرمى بها في المنجنيق ، أو سعى بين الصفا والمروة عشراً ، أو نحو ذلك عمداً ، وغلو يخاف منه الانقطاع والاستحسار ؛ كقيام الليل كله ، وسرد الصيام الدهر أجمع بدون صوم أيام النهي ، والجور على النفوس في العبادات والأوراد الذي قال فيه النبي : ((إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا ويسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة . [البخاري (٢٣/١) برقم (٣٩) ..))[مدارج السالكين (٤٩٦/٢)] .

(٢) اقتضاء الصراط (ص/١٠٦) .

عرَّفه الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وأصل الغلو في كل شـــيء مجاوزة حده الذي هو حده ، يقال منه في الدين : قد غلا فهو يغلو غلواً)).(١)

وعرَّفه **الراغب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الغلو : تجاوز الحد ، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاء ، وإذا كان في القدر والمنزلة غُلُوٌّ ..)).(٢)

وعرَّفه الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((والغلو : التجاوز في الحد)).(٣)

وعرَّفه **ابن الأثير** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((أي التشدد فيه ومجاوزة الحد ... وقيل معناه : البحث عن بواطن الأشياء ، والكشف عن عللها ، وغوامض متعبَّداتها)).(٤)

وعرَّفه الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والغلو : هو مجاوزة الحـد بأن يزاد في حمد الشيء ، أو ذمه على ما يستحق ، ونحو ذلك)).(٥)

وعرَّفه الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وأما الغلو : فهو المبالغة في الشيء ، والتشديد فيه بتجاوز الحد ، وفيه معنى التعمق)).(٦)

وعرَّفه **المناوي** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((والغلو في الدين : أي التشـديد فيـه ، ومجاوزة الحد ، والبحث عن غوامض الأشياء ، والكشف عن عللها)).(٧)

وعرَّفه الإمام **الشوكاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الغلو : هو التجـاوز في الحد)).(٨)

---

(١) جامع البيان (٣٤/٦) .

(٢) المفردات (ص/٣٦٤-٣٦٥) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢١/٦) .

(٤) النهاية (٣٨٢/٣) .

(٥) اقتضاء الصراط (ص/١٠٦) .

(٦) فتح الباري (٢٧٨/١٣) .

(٧) فيض القدير (١٢٥/٣) .

(٨) فتح القدير (٥٤٠/١) .

وعرَّفه الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله :
« .. قال العلماء الغلو : هو مجاوز الحد في مدح الشيء أو ذمه ، وضابطه تعدي ما أمر الله به ، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله : ﴿ ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ﴾ [طه : ٨١] ، ... ».[١]

وعرَّفه **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الغلو : أي مجاوزة الحد ».[٢]

وعرَّفه **العظيم أبادي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والغلو : التشديد ومجاوزة الحد ».[٣]

وعرَّفه الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والغُلو : هو مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء ».[٤]

وعرَّفه الشيخ **العثيمين** ــ حفظه الله تعالى ــ بقوله : « والغُلو : هو مجاوزة الحد في الثناء مدحاً أو قدحاً ».[٥]

وعرَّفه الأستاذ **محمد الحجي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الغلو : تجاوز الحد المشروع إلى غيره ، سواء كان فعلاً ، أم قولاً ، فهو تجاوز لحدود الله ، وتعدٍّ عنها ، إلى ما لم يشرعه الله ».[٦]

هذه جملة ما وقفت عليه من أقاويل العلماء في بيانهم لمعنى الغلو ، وكما سبق فإنها متفقة على أنه تجاوز للحدود والنهايات التي نصبها الشارع لعباده ، وتعدٍّ للحمى التي أبان الله معالمها ، سواء كان بالأقوال أم بالأفعال أم بالاعتقادات ، والذي يظهر رجحانه منها هو الأخير ، حيث تميَّز بالشمول والدقة ، والله أعلم .

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/٢٦٥) .

(٢) روح المعاني (٢٤/٦) .

(٣) عون المعبود (١٣٢/١٣) .

(٤) المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي (عقيدة/٢٦/٣) .

(٥) القول المفيد على كتاب التوحيد (٣٦٨/١) .

(٦) إلفات النظر (ص/١٦) .

المبحث السابع عشر
الفأل

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الفأل لغةً .

المطلب الثاني : الفأل شرعاً .

المطلب الأول
الفأل لغةً

أصل الكلمة : الفأل مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو (فَأَلَ).(١)

تصريفها : الفأل على وزن (فَعْل) ، مهموز العين ، وهو مصدر من الفعل الثلاثي (فَأَلَ يَفْأَل) ، من باب فتح يفتح كـ (زَأَرَ يَزْأَرُ زَأْرٌ) ، وجمع الفأل فُؤول وقيل أَفْؤُل .(٢)

معناها لغةً : معاني مادة فَأَلَ اللغوية :

١. الفَأل : ضدُّ الطِّيَرَة .

٢. والفيئال بالهمزة : لعبة للصبيان .(٣)

هذا ما وجدته مذكوراً في كتب أهل اللغة فيما يتعلّق بهذه المادة ، والمعنى الأول هو المعْنِي بمبحثنا ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٤/٤٦٨) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٧٤) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٧٧) كلمة : (زَأَرَ) .

(٣) ينظر لهذه المعاني في : الصحاح (٥/١٧٨٨) ، النهاية (٣/٤٠٥-٤٠٦) ، لسان العرب (١٠/١٦٧-١٦٨) .

المطلب الثاني
الفأل شرعاً

الأصل فيه حديث أبي هريرة ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : ((لا طيرة وخيرها الفأل ، قال وما الفأل يا رسول الله . قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم)).[١]

وعرَّف الإمام **ابن الأثير** ـــ رحمه الله تعالى ـــ التفاؤل بقوله : ((ومعنى التفـاؤل ، مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام ، فيسمع آخَرَ يقول : يا سالم ، أو يكون طالبُ ضالة ، فيسمع آخر يقول : يا واجد ، فيقع في ظنّه أنه يبرأ من مرضه ، ويجد ضالته)).[٢]

وقيل : ((الفأل : قول ، أو فعل يستبشرُ به)).[٣]

وعرَّفه الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والفأل : هو الاستدلال بما يسـمع من الكلام على ما يريد من الأمر ، إذا كان حسناً ، فإذا سمع مكروهاً فهو تطيُّر)).[٤]

وعرَّفه الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والفأل الذي يحبُّه هو أن يفعـل أمراً ، أو يعزم عليه متوكّلاً على الله ، فيسمع الكلمة الحسنة التي تسرَّه ، مثل أن يسـمع : يا نجيح ، يا مفلح ، يا سعيد ، يا منصور ..)).[٥]

وعرَّفه الشيخ **مبارك الميلي** بقوله : ((فأصل الفأل المستحسن شـرعاً أن تسـمع كلمة توافق ما أنت بصدده ، وتبعثك على المضي فيه)).[٦]

---

(١) رواه البخاري (٢١٧١/٥) برقم (٥٤٢٢) ، ومسلم (١٧٤٥/٤) برقم (٢٢٢٣) .

(٢) النهاية (٤٠٦/٣) .

(٣) معجم لغة الفقهاء (ص/٣٣٨) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٨١/١٦) .

(٥) الفتاوى (٦٦/٢٣) .

(٦) الشرك ومظاهره (ص/١٤٨-١٤٩) .

هذا ما وجدته من كلام العلماء ، ويمكن أن يقال :

((أن الفأل : هو التفاؤل والتيمن بمرئي ، أو مسموع ، أو معلوم)).[1]

---

(١) وقد ذكر العلماء تفريقاً بين الفأل والطيرة ، وأذكر بعضاً مما رأيته من أقوالهم في ذلك ؛ حتى لا يلتبس أحدهما بالآخر ،...

فقال الإمام الخطابي ــ رحمه الله تعالى ــ : ((الفرق بين الفأل والطِّيَرَة ، أن الفأل إنما هو من طريق حسن الظن بالله ، والطِّيَرَة إنما هي من طريق الاتكال على شيء سواه)) [الجامع لأحكام القرآن (٦/٦٠)] .

وقال الحليمي ــ رحمه الله تعالى ــ : ((الفرق بينهما أن الطِّيَرَة هي سوء ظنٍّ بالله من غير سبب ظاهر يرجع الظن ، والتيمن بالفأل حسن ظنٍّ بالله وتعليق تجديد الأمل به ، وذلك بالإطلاق محمود)) [فيض القدير (٥/٢٣١)] .

المبحث الثامن عشر
الفطرة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الفطرة لغةً .

المطلب الثاني : الفطرة شرعاً .

المطلب الأول
الفِطرَة لغةً

أصل الكلمة : الفِطْرَة مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو (فَطَرَ).(١)

تصريفها : الفِطْرَةُ على وزن (فِعْلَة) ، وهي اسم من الفعل (فَطَرَ) ، والمصدر منه (فَطْرًا) ، يقال : (فَطَرَ يَفْطُرُ ويَفْطِرُ فَطْرًا).(٢)

معناها لغةً : بعض معاني مادة فطر اللغوية :-

١. الشق ، يقال فطر الشيءَ يفْطُرُه فَطْرًا وفطَّرَه : شقَّه ، وتفطَّر الشيء : تشقق .
٢. الخلق والابتداء والاختراع ، وفطر الله الخلق يفطرهم : أي خلقهم وبدأهم .
٣. والفِطْرَةُ : الخلقة .
٤. والفِطْرُ بالكسر نقيض الصوم .
٥. والفطير خلاف الخمير وهو العجين الذي لم يختمر.(٣)

هذه بعض المعاني ، والأقرب منها إلى ما نحن فيه هو الثاني ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٤/٥١٠) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (٢/٧٨١) ، تصريف الأسماء (ص/٥١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٧٨ ، ٥٠٣) .

(٣) ينظر لهذه المعاني في : الصحاح (٢/٧٨١) ، لسان العرب (١٠/٢٨٥-٢٨٨) .

المطلب الثاني
الفِطْرَةُ شرعاً

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم:٣٠] .

اعلم أن الفطرة من حيث تعلّقها وردت في الشرع على معنيين ؛ يمكن التعبير عنهما بالآتي :-

أحدهما : الفطرة الباطنة ، وهي القلبية ؛ لتعلقها بقلب الإنسان .

الثاني : الفطرة الظاهرة ، وهي العملية ، لتعلّقها بأعمال ظاهرية في بدن الإنسان ؛ من قص الأظفار ، وإعفاء اللحية ، ونتف الإبط إلى آخر ما هو معروف من سنن الفطرة ، ...

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ : ((والفطرة : فطرتان ، فطرة تتعلق بالقلب وهي معرفة الله، ومحبته ، وإيثاره على ما سواه، وفطرة عملية وهي هذه الخصال ، فالأولى تزكي الروح، وتطهر القلب، والثانية تطهر البدن ، وكل منهما تمد الأخرى وتقويها)).[1]

ومن ذلك أنها جاءت بمعنى طبيعة الخلقة التي ابتدأ الله بها خلقه ، وهي الإسلام على الصحيح .[2]

---

(١) تحفة المودود (ص/١٦١) .

(٢) ومما اصطلح عليه العلماء أن سموا ما يُخرج من زكاة الفطر بـ((الفِطْرَة)) ، يقول الإمام النووي : ((الفِطْـرَةُ : بكسر الفاء اسم للمُخْرَجِ في زكاة الفِطْرِ ، وهو اسم مولد ، ولعلها من الفطرة التي هي الخِلْقَة))[تحرير التنبيه (ص/١٣٥)] .

وعرَّفها شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الفطرة : فطرة الإسلام : وهي عبادة الله وحده ، وأصل ذلك معرفته ومحبته)).(١)

وقال ـــ رحمه الله ـــ أيضاً : ((الفطرة : وهي الحنيفية التي خلقهم عليها)).(٢)

والحنيفية هي التوحيد وعبادة الله تعالى كما مرَّ معنا (٣)

ويزيد ـــ رحمه الله تعالى ـــ الأمر إيضاحاً فيقول : ((فالصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وهي فطرة الإسلام ، وهي فطرهم عليها يوم قال : ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾ ، : وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة)).(٤)

فالإسلام إنما جاء ليقرر العقائد الصحيحة ، ويحارب الاعتقادات الباطلة .

ويعرِّف الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله ـــ الفطرة بفطرة الإسلام فيقول : ((ولأن الفطرة حيث جاءت مطلقة معرفة باللام ، لا يراد بها إلا فطرة التوحيد والإسلام ، وهي الفطرة الممدوحة .. وحيث جاءت الفطرة في كلام رسول الله ﷺ فالمراد بها فطرة الإسلام لا غير ، ولم يجيء قط في كلامه مراداً بها : فطرة الشقاوة ، وابتداء الخلقة في موضع واحد)).(٥)

وعرَّفها **المباركفوري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((.. الفطرة : فإن المراد بها قابلية قبول الهداية لولا مانع من بواعث الضلالة ، كما يشهد له قوله فأبواه يهودانه الحديث)).(٦)

ويقول ـــ رحمه الله ـــ أيضاً : ((إذ المراد بالفطرة استعداد قبول الإسلام)).(٧)

وبمثل ذلك عرَّفها المناوي في الفيض .(١)

---

(١) قاعدة في المحبة ضمن جامع الرسائل (٢/٢١٢) .

(٢) الفتاوى (١٦/٣٤٥) .

(٣) ينظر مصطلح الحنيفية في مكانه من الرسالة .

(٤) الفتاوى (٤/٢٤٥) . وينظر كذلك إلى : الفتاوى [(١٦/٣٤٤) ، (٢/٦)] .

(٥) حاشية ابن القيم على السنن (١٢/٣١٨) .

(٦) تحفة الأحوذي (٦/٣٥٧) .

(٧) المصدر السابق (٨/٤٧٣) .

هذا ما وقفت عليه من كلام أهل العلم في بيانهم لمعنى الفطرة ، فبعضهم يعرِّفها مباشرة ، كما مرَّ معنا ، والبعض يمكن أخذ تعريفاتهم من خلال كلامهم .[2]

والحاصل أن أقوالهم متفقة في مضمونها ، على اختلاف في الألفاظ ، وكلها ترجع إلى معنى واحد ، فقولهم بأنها الإسلام ، أو التوحيد ، أو عبادة الله تعالى ، أو الإخلاص ، كلها ذات معنى واحد ، والميثاق الذي أخذه الله منهم إنما هو تقريرهم بهذه الأمور ، وأما الاستعداد والتهيؤ لقبول الدين والإسلام ، ورفض كل ما يخالف الحنيفية ، والنفور عن ذلك ، فإنما ذلك من آثار الفطرة السليمة ، التي أصلها الحنيفية ، وقوامها تأليه الله تعالى دون ما سواه .

ثم لا يظن ظان ، أو يتوهم متوهم أن المقصود فيمن يولد على الفطرة ، أنه يكون عارفاً بهذا الدين ، محباً له ، وإنما المقصود أن فيه القوة التي تُؤَهِّلُه لهذه المعرفة ،...

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((.. وإذا قيل إنه ولد على فطرة الإسلام ، أو خلق حنيفاً ونحو ذلك ، فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده ، فالله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً ، ولكن فطرته سبحانه موجبة مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته ، ففطروا على فطرة مستلزمة للإقرار بالخالق ، ومحبته ، وإخلاص الدين له ، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً بعد شيء ، بحسب كمال الفطرة إذا سلمت عن المعارض)).[3]

---

(١) فيض القدير (٤/٤١٦) .

(٢) ينظر على سبيل المثال : جامع البيان (٢١/٤٠) ، تفسير القرآن العظيم (٢/٤٤١) ، (٣/٤٣٣) .

(٣) أحكام أهل الذمة (٢/١٠٢٠) .

وجاء عن **ابن عباس** رضي الله عنه تفسيره القنوت بالدعاء في الصلاة .(١)

وعرَّفه الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والقنوت : دوام الطاعة لله عز وجل ، سواء كان في حال الانتصاب ، أو في حال السجود)).(٢)

وعرَّفه الإمام **ابن كثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والقنوت : الطاعة والخضوع ، وقال أيضاً : أما القنوت : فهو الطاعة في خشوع)).(٣)

هذا جملة ما وقفت عليه من أقوال العلماء ، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن لفظة القنوت تحتمل كل ما سبق من المعاني ،...

يقول الإمام **ابن الأثير** ــ رحمه الله ــ : ((.. ويرد بمعانٍ متعددة ، كالطاعة ، والخشوع ، والصلاة، والدعاء، والعبادة، والقيام ، وطول القيام ، والسكوت ، فيصرف في كل واحدة من هذه المعاني إلى ما يحتمله لفظ الحديث الوارد فيه)).(٤)

ويقول الإمام **المنذري** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((القنوت يطلق بإزاء معانٍ منها ؛ السكوت ، والدعاء ، والطاعة ، والتواضع ، وإدامة الحج ، وإدامة الغزو ، والقيام في الصلاة)).(٥)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/٢١٤) . وقد اعترض الإمام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ على من عرَّف القنوت بالدعاء في الصلاة فقال : ((فقول القائل : إن المشهور في اللغة أنه الدعاء في القيام إنما أخذه من كون هذا المعنى شاع في اصطلاح الفقهاء إذا تكلموا في القنوت والصلاة ، وهذا عرف خاص ، ومع هذا فالفقهاء يذكرون القنوت سواء صلى قائماً ، أو قاعداً ، أو مضطجعاً ... ، فلفظ القنوت في القرآن واللغة ليس مشهوراً في هذا المعنى ، بل ولا أريد به هذا المعنى ، ولا هو أيضا مشتركاً ، بل اللفظ بمعنى الطاعة ، أو الطاعة الدائمة ؛ وهذا يفسره المفسرون بذلك))[رسالة في قنوت الأشياء ــ ضمن جامع الرسائل (ص/٧) بتصرف].

(٢) الفتاوى (٢٢/٥٤٧) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٣٥٤ ، ٣٦٤) .

(٤) النهاية (٤/١١١) .

(٥) الترغيب والترهيب (١/١٢٩) .

ويقول الإمام **الشوكاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((والأولى أن القنـــوت : لفـــظ مشترك بين معانٍ كثيرة ..)).(١)

لكن نقول كل هذه المعاني المتعددة للقنوت يجمعها معنى الطاعة ودوامها ، فـــدوام الطاعة هو المعنى العام للقنوت ، وتدخل تحته جميع تلكم المعاني ، وهذا ما رجحه جمع من العلماء ، فإليك أقوالهم :-

يقول الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله ـــ : ((وأولى هذه الأقوال بالصواب في تـــأويل قوله ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ [البقرة : ٢٣٨] ، قول من قال تأويله : مطيعين وذلك أن أصـــل القنوت الطاعة ، وقد تكون الطاعة لله في الصلاة بالسكوت عما نهى الله من الكلام فيـــها .. ، وقد تكون الطاعة لله فيها بالخشوع ، وخفض الجناح ، وإطالة القيام ، وبالدعـــاء ؛ لأن كلا غير خارج من أحد معنيين : من أن يكون مما أمر به المصلي ، أو مما ندب إليـــه ، والعبد بكل ذلك لله مطيع ، وهو لربه فيه قانت ، والقنوت : أصله الطاعة لله ثم يســتعمل في كل ما أطاع الله به العبد)).(٢)

ويقول الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((ومن حيث كان أصل القنوت في اللغة الدوام على الشيء ، جاز أن يسمى مديم الطاعة قانتاً ، وكذلك من أطال القيـــام ، والقراءة ، والدعاء في الصلاة ، أو أطال الخشوع ، والسكوت كـــــل هـــؤلاء فـــاعلون للقنوت)).(٣)

ويقول الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((فذكر القنـــــوت أولا ، وهـــو الطاعة الدائمة ، فيدخل فيه القيام والذكر والدعاء وأنواع الطاعة)).(٤)

وهذا نهاية المقصود . والله أعلم .

---

(١) فتح القدير (١٣٣/١) .

(٢) جامع البيان (٥٧١/٢-٥٧٢) ، (باختصار) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢١٤/٣) .

(٤) بدائع الفوائد (٨٨/١) .

شَرَفٌ في الشيء في نفسه ، أو شَرَفٌ في خُلُقٍ من الأخلاق ».[1] ، والذي يتعلّق بمبحثنا هو المعنى الأخير منها ، فإن الكرامة اسم يوضع للإكرام والتكريم وهو ضدُّ الإهانة ، بدليل قوله تعالى : ﴿ ومن يهن الله فما له من مكرم ﴾ [الحج : ١٨] ، فكل من أكرمته وأحسنت إليه بدون مقابل ، فهذا الصنيع كرامة منك له ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٥/١٧١-١٧٢) .

المطلب الثاني
الكرامة شرعاً [١]

قال تعالى : ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[يس:٢٧].

وقال الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات:١٣] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ ﴾ [الفجر:١٥] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء:٧٠] .

اعلم رحمك الله أن تصاريف الإكرام والتكريم وردت في الشرع على معنيين :-

الأول : كرامة عامة .

الثاني : كرامة خاصة .

يقول الشيخ **محمد عبد الظاهر أبي السمح** ـ رحمه الله تعالى ـ : « والكرامة عامة وخاصة ، أما العامة ففي قوله تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر

---

[١] بيَّن الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ الأسباب الداعية لوقوع الكرامة ، وفوائدها الحاصلة بوقوعها .. فقال : ((ومنها وقوع كرامات الأولياء ، وأنها إنما تكون لحاجة في الدين ، أو لمنفعة للإسلام والمسلمين ، فهذه هي الأحوال الرحمانية سببها متابعة الرسول ، ونتيجتها إظهار الحق وكسر الباطل ، والأحوال الشيطانية ضدها سبباً ونتيجةً))[زاد المعاد (٦٢٧/٣)] .

ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ [الإسراء : ٧٠] ، وكل ما أنعم الله به على بني آدم من نعمة ، وامتن عليهم فهو إكرام لهم غير أن منهم من يشكر الله فيزيده من فضله ، ومنهم من يكفر فيعذبه كما قال : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم : ٧] ، وأما ما يكرم الله به عباده الأبرار من الكرامات فذلك لا يعد ولا يحصى ، ...)).[1]

فبين ــ رحمه الله تعالى ــ انقسام الكرامة إلى عامة وخاصة ، وأن الخاصة إنما تكون لعباد الله الأبرار ، أهل الإيمان والاستقامة .

وعُلِمَ مما سبق أن الكَرَامَة اسم موضوع للإِكْرَام ، فهي عبارة عن إكْرَام الله تعالى لعباده ، أهل الطاعة والاستقامة ، وهي عامة وشاملة لكل ما يكرم الله به عباده ، فمنها ما يكون خارقاً للعادة ، ومنها ما لا يكون خارقاً للعادة ، ولكنه تضمن كرامة الله لعبده المؤمن ، فكلاهما كرامة من الله تعالى يكرم بها عباده الصالحين .

عرَّفها الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة ، فلم يكرم الله عبداً بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه ويزيده مما يقربه إليه ويرفع به درجته)).[2]

فهذا الذي ذكره الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ أصل الكرامة ، فمن حُرِمَهَا فهو المحروم حقاً من إكرام الله تعالى وكرامته .

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((.. المعجزة للنبي ، والكرامة للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة)).[3]

وعرَّفها **الجرجاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الكرامة : هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن بدعوى النبوَّة ، فما لا يكون مقروناً بالإيمان ، والعمل الصالح يكون استدراجاً ..)).[4]

---

(١) الأولياء والكرامات ، أبي السمح محمد عبد الظاهر (ص/٣-٤) .

(٢) الفتاوى (١١/٢٩٨) .

(٣) المصدر السابق (١١/٣١١-٣١٢) .

(٤) التعريفات (ص/٢٣٥-٢٣٦) .

وعرَّفها الإمام **ابن أبي العز** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فالمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة ، و كذلك الكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين ، ولكن كثيراً من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما ، فيجعلون المعجزة للنبي ، والكرامة للولي ، وجماعها الأمر الخارق للعادة)).[1]

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ : ((ويعدون مجرد خرق العادة لأحدهم أنه كرامة من الله له ، ولا يعلمون أنه في الحقيقة إنما الكرامة : لزوم الاستقامة ، وأن الله تعالى لم يكرم عبداً بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه ، وهو طاعته ، وطاعة رسوله ، وموالاة أوليائه ، ومعاداة أعدائه ... ، وأما ما يبتلي الله به عبده من السراء بخرق العادة ، أو بغيرها أو بالضراء ، فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه)).[2]

وعرَّفها الإمام **السفاريني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((.. الكرامة : وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ، ولا هو مقدِّمَة ، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي ، كُلِّف بشريعته ، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح ، علِمَ بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم)).[3]

ولذا يقول ــ رحمه الله تعالى ــ في نظم العقيدة السفارينية :-

وكل خارق أتى عن صالح من تابع لشرعنا وناصح

فإنها من الكرامات التي بها نقول فاقف للأدلة ...)).[4]

وعرَّفها الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((لأن الكرامة : شيء من عند الله يكرم بها أولياءه ، لا قصد لهم فيه ، ولا تحدي ، ولا قدرة ، ولا علم)).[5]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص/٥٥٨) .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص/٥٦٠) .

(٣) لوامع الأنوار (٢/٣٩٢) .

(٤) المصدر السابق (٢/٣٩٢) .

(٥) تيسير العزيز الحميد (ص/١٩٨) .

المبحث الحادي والعشرون
الكفر

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الكفر لغةً .

المطلب الثاني : الكفر شرعاً .

المطلب الأول
الكفر لغةً

أصل الكلمة : الكُفْرُ مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (كَفَرَ) .[١]

تصريفها : الكُفْرُ على وزن (فُعْلٌ) بضم فسكون ، وهو مصدر سماعي للفعل كَفَرَ يكْفُرُ من باب نصر ينْصُرُ ، ومن مصادره كَفْراً وكُفُوراً وكُفْراناً .[٢]

معناها لغةً : من معاني مادة كفر اللغوية :-

١- **الامتناع والمعصية** ، يقال لأهل دار الحرب : قد كفروا أي عصوْا وامتنعوا .

٢- **السِّتر والتغطية** ، من الكَفْر بالفتح : التغطية ، وكَفَرْتُ الشيء أي سترته ، ولذا سُمي الزارع كافراً ؛ لأنه يكفُر البَذْر المبْذور بتراب الأرض ، وسمي من كفر بالله كافراً ؛ لأنه ستر نعم الله ، وهي آياته الدالة على توحيده .

٣- **الجحود** ، وهو نقيض الشكر ، كفر نعمة الله : جحدها .

٤- **البراءة** ، وبذلك فُسّر قوله ﷻ : ﴿ إني كفرت بما أشركتمون من قبل﴾ [إبراهيم :٢٢] .[٣]

هذه بعض معاني مادة كفر ، والحاصل أن جميع هذه المعاني قد ترجع إلى معنى الستر والتغطية ، ولذا يقول ابن فارس : « الكاف والفاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنى واحد وهو الستر والتغطية ».[٤]

---

(١) مقاييس اللغة (١٩١/٥) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/٣١٤) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : لسان العرب (١١٨/١٢) ، تصريف الأسماء (ص/٥١ ، ٥٦) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٥٠٦) .

(٣) ينظر معنى الكلمة في : الصحاح (٨٠٧/٢ـــ٨٠٨) ، اللسان (١١٨/١٢ـــ١٢٣) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/٣١٤) .

(٤) مقاييس اللغة (١٩١/٥) .

ويلاحظ قوة ارتباط هذه المعاني بالمعنى الشرعي ؛ إذ من كفر بالله فقد امتنع عن الإتيان بأعظم طاعة لله ، وعصى الله بكفره ، وغطى بكفره على قلبه ، وأنكر نعم الله عليه و لم يشكرها ، وتبرأ من الله ومن الإيمان به ومن المؤمنين ، والله تعالى أعلم .

المطلب الثاني
الكفر شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [البقرة:١٠٨] .

وقال تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ [التوبة:٧٤] .

وقال تعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الزمر:٧] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل:١٠٦] .

لقد قسَّم أهل العلم الكفر إلى قسمين :

الأول : كفرٌ أكبر ، وصاحبه خارج عن ملة الإسلام ، ومستوجب للخلود في النار ، وله أنواع عدة .

الثاني : كفر أصغر ، ولا يُخرج صاحبَهُ عن دائرة الإسلام .

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ : « فأما الكفر فنوعان : كفر أكبر ، وكفر أصغر ، فالكفر الأكبر ، هو الموجب للخلود في النار ....والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود ».[1]

وقال الإمام **المروزي** ــ رحمه الله ــ : «..إلا أن الكفر كفران : كفر هو جحد بالله ، وبما قال ، فذلك ضده الإقرار بالله ، والتصديق به ، وبما قال ، وكفر هو عمل ضد الإيمان الذي هو عمل ».[2]

وفيما يلي نتطرق لهذه الأنواع بالتفصيل والبيان ، ونتعرف على أقوال العلماء في مضمونها وفحواها ، فنقول وبالله التوفيق :-

---

(١) مدارج السالكين (٣٣٥/١) ، وانظر كذلك أنواع الكفر الأكبر وتفصيلاتها هناك .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٥١٧/٢ــ٥١٨) .

(٦) تفسير المنار (٩٤/٢) .

(٧) نواقض الإيمان القولية والعملية (ص/٣٨ــ٤٣) .

والحاصل أنَّ الكفر ضدّ الإيمان باتفاق المسلمين ، وأنّ للإيمان أركاناً لا يصح إلا بها وهي قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح ، فمتى ما تخلف منها ركنٌ بطل الإيمان وحصل الكفر ، وقد تتخلف جميعها أو بعضها ، فيكون الكفر ؛ فمن الكفر ما يكون جحوداً ، أو تكذيباً ينافي قول القلب ، ومنه ما يكون قولاً ينافي قول اللسان ؛ كسب الله ورسوله أو الاستهزاء بهما ، أو بما جاء من عندهما [(١)] ، وبعضه أعمالٌ قلبية تنافي عمل القلب ؛ كالبغض والمعاداة والتوكل على غير الله [(٢)] ، ومنه ما يكون من الأعمال الظاهرة كالإعراض عن دين الله تعالى ، وعن الرسول بسمعه وقلبه ، ولا يصغي إليهما أبداً ، من غير تصديق ولا تكذيب ، ولا موالاة ، ولا معاداة .

وعلى ضوء ذلك نقول في تعريفه :-

((**الكفر الأكبر : هو اعتقاداتٌ في القلبِ معقودةٌ ، وأقوالٌ من اللسانِ ملفوظةٌ وأعمال ظاهرة وباطنة تناقض أصل الإيمان وتنفي حقيقته ، وتحبط العمل ، وتستوجب الخلود في النار**)).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :((إنّ سب الله أو سب رسوله كفرٌ ظاهراً وباطناً ، سواء كان السابُ يعتقد أن ذنبٌ محرم ، أو كان مستحلاً له ، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده)).[الصارم المسلول (ص/٥١٢)].

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :((فإن من صدق الرسول وأبغضه وعاداه بقلبه وبدنه فهو كافر قطعاً بالضرورة)).[الفتاوى (٧/٥٥٦)] .

ثانياً
الكفر الأصغر
أو ((كفر دون كفر))

عن طاوس قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما : ((إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه ، إنه ليس كفراً ينقل عن الملة . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون : كفر دون كفر)) .[١] قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه

عرَّفه الإمام **المروزي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((وكفر هو عمل ضد الإيمان الذي هو عمل)).[٢]

وقال ـــ رحمه الله ـــ : ((وضد الإيمان الذي هو عمل ، وليس إقرار ، كفرٌ ، ليس بكفرٍ بالله ينقل عن الملة ، ولكن كفر يُضيع العمل...)).[٣]

وعرَّف الشيخ **السعدي** ـــ رحمه الله ـــ الكفر الأصغر والشرك الأصغر معاً بقوله : ((ومنه كفر وشرك أصغر ؛ كالاقتتال بين المسلمين ، والنياحة ، والتبرؤ من النسب ، والرياء ونحو ذلك ، مما أطلق الشارع عليه الكفر أو الشرك وهو لا يخرج من الدين)).[٤]

---

(١) المستدرك (٣٤٢/٢) برقم (٣٢١٩) . وروى الترمذي في جامعه حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)) ثم قال عقب ذكره له : هذا حديث حسن صحيح ، ومعنى هذا الحديث قتاله كفر ، ليس به كفراً مثل الارتداد عن الإسلام ، والحجة في ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((من قتل متعمداً فأولياء المقتول بالخيار إن شاءوا قتلوا وإن شاءوا عفوا)) ولو كان القتل كفراً لوجب ، وقد روي عن ابن عباس وطاووس وعطاء وغير واحد من أهل العلم قالوا : كفر دون كفر وفسوق دون فسوق)). [جامع الترمذي (٢١/٥) برقم (٢٦٣٥)] .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٥١٨/٢) .

(٣) المصدر السابق (٥١٩/٢) .

(٤) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (٦٧/٧) .

ولعلَّ ضابط الكفر الأصغر ، هو كل معصية سمَّاها الله تعالى أو رسوله كفراً ، ويرى بعض العلماء أن جميع المعاصي داخلة في الكفر الأصغر ،...

يقول الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ : « والقصد أن المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر فإنها ضدّ الشكر ، الذي هو العمل بالطاعة ، فالسعي إما شكر ، وإما كفر ، وإما ثالث لا من هذا ولا من هذا .. ».[1]

---

[1] مدارج السالكين (٣٦٥/١) .

المبحث الثاني والعشرون
النُّسك والمنسك

وفيه ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : النُّسك لغةً .

المطلب الثاني : النُّسك شرعاً .

المطلب الثالث : المنسك شرعاً

المطلب الأول
النُّسُكُ لغةً

أصل الكلمة : النُّسُك مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (نَسكَ).[١]

تصريفها : النُّسُك على وزن (فُعُل) ، وهو مصدر سماعي من الفعل الثلاثي (نَسَكَ) ، يقال : (نَسَكَ يَنْسُكُ) ، ومصدره القياسي (نَسْكًا) ، وكذا (نُسُوك) ، ويقال : (نَسُكَ) بالضم ، والمصدر القياسي لها (نَسَاكَة)، وكذلك : (النُّسُكُ) جمع (نَسيكَة) ، والمَنْسَكُ : مصدر ميمي على وزن (مَفْعَل) ، وهو كذلك اسم مكان على وزن (مَفْعَل) قياساً ، وجاء (مَنْسِك) : اسم مكان على (مَفْعِل) على غير القياس .[٢]

معناها لغةً : معاني مادة نسك اللغوية :-

١. نَسَكْتُ الشيء : أي غسلته بالماء وطهرته ، فهو منسوك .
٢. والمَنْسِكُ والمَنْسَكُ : الموضع الذي تذبح فيه النَّسَائِكُ . وقيل : هو الموضع المعتاد الذي تعتاده وتألفه من خير أو شرٍّ .
٣. والنَّسِيكَةُ : الذبيحة ، والجمع : نُسُكٌ ونَسَائِكُ .
٤. والنُّسْكُ والنُّسُكُ : العبادة والطاعة ، وكل ما تقرَّبَ به إلى الله ، والناسك : العابد ونَسَكَ فلان وتنسَّك : أي تعبَّد .[٣]

---

(١) مقاييس اللغة (٥/٤٢٠) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (٤/١٦١٢) ، لسان العرب (١٤/١٢٧) ، تصريف الأسماء (ص/٥١-٥٢ ، ٥٥ ، ٧٢ ، ١٢١ ، ١٢٣-١٢٤) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٥١١) .

(٣) ينظر هذه المعاني وغيرها في : الصحاح (٤/١٦١٢) ، لسان العرب (١٤/١٢٧-١٢٨) .

وجميع هذه المعاني يمكن إرجاعها إلى معنى تصفية الشيء وتخليصه من الكدر والشوائب ، وأقربها إلى ما نحن فيه من معنى النُّسُك الشرعي هو المعنى الأخير ، والذي قبله داخل فيه ، إذ أنَّ إراقة الدم لأجل الله من أعظم العبادات ، وأجلّ الطاعات ، ولذا يقول ابن فارس : « النون والسين والكاف أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على عبادة وتقرُّبٍ إلى الله تعالى ».[1] والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٥/٤٢٠) .

المطلب الثاني
النُّسُك شرعاً

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ [البقرة:١٩٦] .

وقال تعالى : ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الحج:٦٧] .

علمنا في المبحث اللغوي السابق ، أن النُّسُكَ إما أن يكون مصدراً لنفعل نسك ، متضمناً لكل ما هو في معنى الأنساك والقُرَب ، أو جمعاً لكلمة نسيكة ، وهي الذبيحة ، وأقوال العلماء فيما يلي توضّح ذلك .

عرَّفه **مجاهد** ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي .. ﴾ [الأنعام : ١٦٢] ، فقال : ((النُّسُكُ : الذبح في الحج والعمرة)).[1]

قال الإمام **الألوسي** ـ رحمه الله تعالى ـ : ((وحمل النسك ـ أي مجاهدا ـ على عبادة خاصة ، وهو أحد استعمالاته ، وإن كان في الأصل بمعنى العبادة مطلقاً ، وشاع في أعمال الحج)).[2]

وعرَّفه الإمام **سعيد بن جبير وكذا قتادة والضحاك والسدي** ـ رحمهم الله تعالى ـ بقولهم : ((نسكي : ذبحي)).[3]

---

(١) جامع البيان (١١٢/٨) ، تفسير القرآن العظيم (١٩٩/٢) .

(٢) روح المعاني (١٥٣/١٧) .

(٣) جامع البيان (١١٢/٨) ، تفسير القرآن العظيم (١٩٩/٢) .

وعرَّفه **الحسن البصري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((نسكي : ديني)).[١]

وقال **الزجاج** ــ رحمه الله تعالى ــ نسكي : ((عبادتي ، ومنه الناسك الذي يتقرب إلى الله بالعبادة)).[٢]

وقال قوم : ((النُّسُكُ في هذه الآية : جميع أعمال البر والطاعات ، من قولك نسك فلان ، فهو ناسك : إذ تعبد)).[٣]

وعرَّفه الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فأما النُّسُكُ في الدين ، فإنه يقال منه : ما كان الرجل ناسكاً ، ولقد (نَسُكَ ونَسَكَ نَسْكاً ونِسْكاً ونَسَاكَة) وذلك إذا تَقَرَّأَ)).[٤] ولعله يقصد ــ رحمه الله تعالى ــ أنه صار من القُرَّاءِ : أي النُّسَّاك .

وعرَّفه الإمام **النحَّاس** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((النُّسُكُ جمع النسيكة : وهي الذبيحة ، وأصل هذا من التقرب لله جل وعز ، ومنه قيل رجل ناسك)).[٥]

وعرَّفه **البيضاوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والنُّسُكُ في الأصل : غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة)).[٦]

وقد لخَّص الإمام **ابن الجوزي** ــ رحمه الله تعالى ــ أقوال العلماء في بيان معنى النُّسُكِ في قوله تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي .. ﴾ [الأنعام : ١٦٢] ، فقال : ((والنُّسُكُ جمع نسيكة ، وفي النُّسُك هاهنا أربعة أقوال ، أحدها : أنها الذبائح ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وابن قتيبة ، والثاني : الدين ، قاله الحسن ، والثالث : العبادة . قال الزجاج النسك : كل ما تقرب به إلى الله عز وجل إلا أن الغالب عليه أمر الذبح . والرابع : أنه الدين والحج والذبائح)).[٧]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥٢/٧) .

(٢) المصدر السابق (١٥٢/٧) .

(٣) المصدر السابق (١٥٢/٧) .

(٤) جامع البيان (٢٩٥/٢) .

(٥) معاني القرآن ــ النحاس (٥٢٥/٢) .

(٦) تفسير البيضاوي (٤٠٢/١) .

(٧) زاد المسير (١٦١/٣) .

وعرَّفه الإمام **النووي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والنَّسِيكَة أيضاً كل ما يتقرب به إلى الله تعالى)).[١] وجمعها نُسُك كما مرَّ معنا .

وعرَّفه الإمام **البغوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والنُّسُك : الذبيحة ، وقيل متعبداتنا ، وأصل النسك العبادة ، والناسك العابد)).[٢]

وعرَّفه الإمام **ابن الأثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((..والنُّسُك أيضاً : الطاعة والعبادة ، وكل ما تقرِّب به إلى الله تعالى)).[٣]

وعرَّفه الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وهو في الشرع أسم للعبادة يقال رجل ناسك إذا كان عابداً ، واختلف العلماء في المراد بالمناسك هنا فقيل : مناسك الحج ومعالمه ... وقيل جميع المتعبدات ، وكل ما يتعبد به إلى الله تعالى يقال له : مَنْسِك ومَنْسَك ، والناسك : العابد)).[٤]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((والنُّسُكُ جمع نسيكة : وهي الذبيحة)).[٥]

وقال أيضاً : ((والنُّسُك أيضا : الطاعة)).[٦]

وعرَّفه الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والنُّسُك : هي الذبيحة ابتغاء وجهه)).[٧]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((ونسكي : قد ذكروا في تفسيره : الذبح لله ، والحج إلى بيت الله ، وذكروا أن لفظ النُّسُك : يتناول العبادة مطلقاً)).[٨]

---

(١) شرح صحيح مسلم ــ النووي (٥٨/٦) .

(٢) معالم التنزيل (١١٦/١) .

(٣) النهاية (٤٨/٥) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٢٨/٢) .

(٥) المصدر السابق (١٥٢/٧) .

(٦) المصدر السابق (٥٨/١٢) .

(٧) الفتاوى (٥٣٢/١٦) .

(٨) المصدر السابق (٣٦٨/٢٧) .

وعرَّفه الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والنُّسُك يطلق على العبادة ، وعلى الذبح المخصوص ».[١]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : « والمراد بالنُّسُكِ هنا : الذبيحة المتقرب بها ».[٢]

وعرَّفه الإمام **الشوكاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والمناسك جمع نسك ، وأصله في اللغة الغسل ، يقال : نسك ثوبه إذا غسله ، وهو في الشرع : اسم للعبادة ، والمراد هنا مناسك الحج ، وقيل مواضع الذبح وقيل جميع المتعبدات ».[٣]

وعرَّفه **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وأصل النُّسُكِ بضمتين : غاية العبادة ، وشاع في الحج لما فيه من الكلفة غالباً ، والبعد عن العادة ».[٤]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : « ونسكي : أي عبادتي كلها ».[٥]

وعرَّفه الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله :
« والنُّسُك : الذبح ».[٦]

وعرَّفه الشيخ **المباركفوري** ــ رحمه الله ــ بقوله : « النُّسُك : الطاعة والعبادة وكل ما تقرب به إلى الله تعالى ».[٧]

والراجح هنا أنَّ النُّسُكَ هو عام في كل عبادة مشروعة يتقرَّب بها إلى المولى جلَّ وعز ، وقد يُعْنَى بها عبادة مخصوصة بعينها ، كالذبح وإراقة الدم ، فذلك بحسب السياق والمناسبات ، والله أعلم .

---

[١] فتح الباري (١٥/٤) .

[٢] المصدر السابق (٢٣٩/٤) .

[٣] فتح القدير (١٤٢/١) .

[٤] روح المعاني (٣٨٥/١) .

[٥] المصدر السابق (٧٠/٨) .

[٦] تيسير العزيز الحميد (ص/٢٥) .

[٧] تحفة الأحوذي (٢٦٤/٩) .

المطلب الثالث
المَنْسَك شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [الحج:٣٤] .

سبق وأن علمنا أن المَنْسَكَ بفتح السين ، يكون مصدراً كالنُّسُكِ والنُّسُوك ، ويكون اسم مكان أيضاً ، وأما المَنْسِكُ بالكسر فهو اسم مكان على غير القياس قولاً واحداً ، وعلى هذين المعنيين ــ المصدرية واسم المكان ــ انبنى كلام العلماء في بيان معنى المَنْسَكِ شرعاً ، وفيما يلي أقوالهم في توضيحه وبيانه :

عرَّفه حبر الأمة **عبد الله بن عباس** ــ رضي الله عنه ــ بقوله : « منسكاً : عيداً ».[1]

وعرَّفه **مجاهد** ــ رحمه الله ــ بقوله : « والمنسك : الذبح ، وإراقة الدم ».[2]

يقول **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ عقب نقله لقول مجاهد : « فجعله مصدراً ــ أي المَنْسَك ــ وحمل النسك على عبادة خاصة ، وهو أحد استعمالاته ، وإن كان في الأصل بمعنى العبادة مطلقاً ، وشاع في أعمال الحج ».[3]

وعرَّفه الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وأما المناسك فإنها جمع منسك ، وهو الموضع الذي ينسك لله فيه ، ويتقرب إليه فيه بما يرضيه من عمل صالح ؛ إما بذبح ذبيحة له ، وإما بصلاة ، أو طواف ، أو سعي ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة ... وأصل المنسك في كلام العرب : الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه ... ، ولذلك سميت المناسك مناسك ؛ لأنها تُعْتَاد ويُتردد إليها بالحج والعمرة ، وبالأعمال التي يتقرب بها إلى الله ».[4]

---

(١) جامع البيان (١٧/١٩٨) .

(٢) جامع البيان (٢/٢٩٥) ــ (١٧/١٩٨) ، الجامع لأحكام القرآن (١٢/٥٨) .

(٣) روح المعاني (١٧/١٥٣) .

(٤) جامع البيان (١/٥٥٥) .

المبحث الثالث والعشرون
النِّفَاق

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : النِّفَاق لغةً .

المطلب الثاني : النِّفَاق شرعاً .

المطلب الأول
النفاق لغة

أصل الكلمة : النفاق مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ وهو (نَفَقَ) .[1]

تصريفها : النِّفاقُ على وزن (فِعَال) ، بكسر الفاء ، وهو مصدر سماعي ، للفعل الرباعي (نَافَقَ) ، والقياسي منه (مُنَافَقَة) ، والأصل الثلاثي من ذلك (نَفَقَ يَنْفُقُ) من باب نصر ، أو (نَفِقَ يَنْفَقُ) من باب فرح ، والمصدر منهما (نُفُوقاً و نَفَقاً) .[2]

معناها لغة : من معاني مادة نفق اللغوية :-

١. الموت ، تقول نَفَقَت الدابة ، إذا ماتت .

٢. رواج السلعة ، وارتفاع ثمنها ، والرغبة الشديدة في شراءها ، يقال : نَفَقَ البيع ، ونَفَقَت السلعة ، ومنه النَّفاق بفتح النون .

٣. الفناء والنَّفاد : وأنفَقَ الرجل : إذا افتقر ، ومنه قوله ﷻ : ﴿ إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق﴾ [الإسراء : ١٠٠] ، وأنفق المالَ : صرفه ، واستنفقه : أذهبه ، ونَفِقَ الزاد : أي نَفِدَ .

٤. والنَّفَقُ : سربٌ في الأرض له مخلصٌ إلى مكان، والنَّافقاء : جحر الضب واليربوع ، وسمي المنافق منافقاً للنَّفَق وهو السَّرَب في الأرض ، وقيل : إنما سمي منافقاً لأنه نافَقَ كاليربوع وهو دخوله نافقاءه ، فإذا طلب خرج من القاصعاء ، وهو عبارة عن مخرج شبه مغلق ، يستعمله الضب عند طلبه ومطاردته ، وهكذا المنافق يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه .[3]

---

[1] مقاييس اللغة (٥/٤٥٤) .

[2] ينظر تصريف الكلمة في : لسان العرب (١٤/٢٤٢ـ٢٤٣) ، تصريف الأسماء (ص/٥١ـ٥٢، ٦٤) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/١٤٠، ١٥٣) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٥٨ ، ٥١٢) .

[3] ينظر معنى الكلمة في : الصحاح (٤/١٥٦٠) ، النهاية (٥/٩٨) ، لسان العرب (١٤/٢٤٢ـ٢٤٣) .

وما سبق من المعاني لا يخرج عن معنيين عبَّر عنهما ابن فارس بقوله : « النون والفاء والقاف أصلان صحيحان ، يدلُّ أحدهما على انقطاع شيء وذهابه ، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه ».[١]

وعليه فمعنى النفاق شرعاً مشتق من المعنى الثاني الذي ذكره ابن فارس ؛ إذ أنه يظهر شيئاً ، ويُخفي غيره ، وسيأتي مزيد تفصيل لذلك ، والله أعلم .

(١) مقاييس اللغة (٥/٤٥٤) .

المطلب الثاني
النفاق شرعاً

قال تعالى : ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ [التوبة:٩٧] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [التوبة:٧٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [التوبة:١٠١] .

النِّفاق في الشرع ورد على معنيين :-

أحدهما : نفاق أكبر ، يتعلّق بالاعتقاد ، وهو مخرج عن ملة الإسلام بالكلية ، وهو نفاق المنافقين في عهد النبي ﷺ.

الثاني : نفاق أصغر ، ليس له تعلّق بالاعتقاد ، ولا يخرج عن ملة الإسلام .(١)

وتعاريف العلماء للنِّفاق تواردت على هذين النوعين ، كما سيعلم ذلك من خلال عرضها فنقول :-

عرَّفه **الراغب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((النِّفاق : وهو الدخول في الشرع من باب ، والخروج عنه من باب)).(٢)

---

(١) قال الإمام الخطابي ــ رحمه الله تعالى ــ : ((على قوله ﷺ :((آية المنافق ثلاثة)) : هذا القول إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم ، والتحذير له أن يعتاد هذه الخصال ، فتفضي به إلى النِّفاق ، لا أن من بدرت منه هذه الخصال ، أو فعل شيئاً من ذلك من غير اعتياد أنه منافق)).[شرح السنة (٧٦/١)] .

(٢) المفردات (ص/٥٠٢) .

ومن أهل العلم من عرَّف النِّفاق بترك الواجبات وفعل المحرمات ، قال الإمام الطبري ــ رحمه الله تعالى ــ: «.. إلا أن يكون ــ عند قائل هذا القول ــ معنى النِّفاق : ركوب الفواحش التي حرَّمها الله جلَّ ثناؤه ، وتضييع فرائضه التي فرضها عليه . فإن جماعة من أهل العلم قد كانت تسمي من كان يفعل ذلك منافقاً ».(١)

وهذا الذي ذكره الإمام **الطبري** عن بعض العلماء ، إنما قصدهم بذلك النفاق العملي ، الذي لا يخرج من الملة ، ولا يعتبر صاحبه كافراً ، والله أعلم .

وعرَّفه الإمام **ابن رجب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « النِّفاق ينقسم شرعاً إلى قسمين :

أحدهما : النِّفاق الأكبر وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر ، ويبطن ما يناقض ذلك كُله أو بعضه ... الثاني : النِّفاق الأصغر ، وهو نفاق العمل ، وهو أن يظهر الإنسان علانية ، ويبطن ما يخالف ذلك ».(٢)

وعرَّفه الإمام **البغوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والنِّفاق ضربان . أحدهما : أن يظهر صاحبه الإيمان وهو مُسِرّ للكفر ... والثاني : ترك المحافظة على حدود أمور الدين سراً ، ومراعاتها علناً ، فهذا يسمى منافقاً ، ولكنه نفاق دون نفاق ».(٣)

وعرَّفه الإمام **ابن الأثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : «.. وهو اسم إسلامي ، لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه ».(٤)

وعرَّفه الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والنفاق يطلق على النفاق الأكبر ، الذي هو إضمار الكفر ، وعلى النفاق الأصغر الذي هو اختلاف السر والعلانية في الواجبات ».(٥)

---

(١) جامع البيان (١/١٠٠) .

(٢) جامع العلوم والحكم (ص/٣٧٥) .

(٣) شرح السنة (١/٧٦) .

(٤) النهاية (٥/٩٨) .

(٥) الفتاوى (١١/١٤٠) .

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وأساس النفاق وأصله هو التزين للناس بما ليس في الباطن من الإيمان)).[١]

وعرَّف الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله ــ النفاق الأكبر بقوله : ((وأما كفر النفاق : فهو أن يظهر بلسانه الإيمان ، وينطوي بقلبه على التكذيب فهذا هو النفاق الأكبر)).[٢]

وعرَّفه الإمام **الجرجاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((النِّفاق : إظهار الإيمان باللسان ، وكتمان الكفر بالقلب)).[٣]

وعرَّفه الإمام **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والنفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر ، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر ، وإلا فهو نفاق العمل ، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه)).[٤]

وعرَّفه الشيخ **السعدي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((النِّفاق : مخالفة الظاهر للباطن ، فإن كان في أصل الإيمان كان نفاقاً أكبر مخرجاً عن الدين ، وإن كان في فروعه كان حاله بحسب ذلك)).[٥]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً: ((النِّفاق : هو أن يظهر الخير ويبطن الشر . وهو نوعان : نفاق أكبر ، كأن يظهر الإيمان بالله ورسوله وقلبه منطو على الكفر ، ونفاق أصغر ، كالكذب ، وإخلاف المواعيد ، والفجور في الخصومة)).[٦]

وقيل : ((النِّفاق : إسرار الكفر وإظهار الإيمان)).[٧]

وقيل : ((هو إظهار الإسلام باللسان ، وادعاء الإيمان كذباً وزوراً ، ومخادعة للمؤمنين ، مع إبطان الكفر بكل أركان القاعدة الإيمانية ، أو ببعض منها)).[٨]

---

[١] إعلام الموقعين (١٨١/٢) .

[٢] مدارج السالكين (٣٣٨/١) .

[٣] التعريفات (ص/٣١١) .

[٤] فتح الباري (١١١/١) .

[٥] المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي (ثقافة/٥٢٩/١) .

[٦] المصدر السابق (التفسير/٤٩٤/٨) .

[٧] معجم لغة الفقهاء (ص/٤٨٣) .

[٨] ظاهرة النفاق (٥٣/١) .

وعرَّف الإمام ابن باز ـــ رحمه الله تعالى ـــ النِّفاق العملي بقوله : « أما النِّفـــاق العملي فهو التخلّق ببعض أخلاقهم ـــ أي اليهود والنصارى وعبَّاد الأوثان ـــ الظــاهرة ، مع الإيمان بالله وبرسوله ، والإيمان باليوم الآخر ؛ كالكذب ، والخيانة ، والتكاسل عـــن الصلاة في الجماعة ».[1]

هذا ما تيسَّر نقله من كلام العلماء ـــ رحمهم الله تعالى ـــ في بيان حقيقة النّفاق ، ويمكننا أن نقول في تعريفه :-

« **النِّفاق : هو مخالفة الظاهر للباطن ، بإظهار الإيمان والصلاح ، وإبطان ضِـــدّ ذلك بما ينفي حقيقة الإيمان بالكلية ، أو ينفي كماله الواجب** ».

---

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (١/٢٧٠) .

المبحث الرابع والعشرون
الولاية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الولاية لغةً .

المطلب الثاني : الولاية شرعاً .

المطلب الثالث : الولي شرعاً .

المطلب الأول
الوَلاَيَة لغةً

أصل الكلمة : الولاية مشتقة من أصل لغويّ ثلاثي هو (وَلِيَ).[١]

تصريفها : الوَلاَيَة على وزن (فَعَالَة) وهي مصدر للفعل الثلاثي (وَلِيَ) ، يقال : (وَلِيَ يَلِي وَلْيٌ ووَلاَيَةٌ وقيل وِلاَيَةٌ) .[٢]

معناها لغةً : بعض معاني مادة (وَلِيَ) في كتب اللغة :-

١- الوَلْيُ : القرب والدنو، يقال : تباعدنا بعد وَلْيٍ، وكُلْ مما يليك ، أي مما يقاربك .

٢- وولّى الشيءُ وتَوَلّى : إذا عُدّي بنفسه اقتضى معنى الولاية ، وحصوله في أقرب المواضع منه ، وإذا عُدّي بعن لفظاً ، أو تقديراً اقتضى معنى الإعراض وترك القرب ، والتَّوْلِيَة تكون إقبالاً ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَوَلِّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ [البقرة : ١٤٤] ، وتكون انصرافاً ؛ كقوله تعالى : ﴿ ثم وَلَّيْتم مدبرين ﴾ [التوبة :٢٥] ، وتكون التولية مصدراً ، ولّيْتُ فلاناً أمر كذا وكذا : إذا قلّدته ولايَته .

٣- الوليُّ هو الناصر ، وهو من أسمائه تعالى ، وقيل : المُتَوَلّي لأمور العالم والخلائق القائم بها ، وقيل : الصّديق والنصير ، وهو ضدّ العدو ، وقيل : التابع المحب .

٤- والولاية بفتح الواو وكسرها : النصرة والموالاة ، وقيل : بالفتح : النصرة ، وبالكسر : الإمارة والسلطان والقدرة .

٥- ووليُّ اليتيم : من يلي أمره ، ووليُّ المرأة ومَوْلاها : من يلي عقد النكاح عليها ، والوليُّ والمولَى بمعنى .

٦- والمَوْلى العَصَبَة ، والحليف ، وهو من انضم إليك فعزَّ بعزِّك ، والمَولى : المُعْتَق انتسب بنسبك ، والمَوْلى : المُعْتِق ، والجار ، والشريك ، وغير ذلك .

---

[١] مقاييس اللغة (٦/١٤١) ،

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١-٥٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٤٠) .

٧- والمُوَالاةُ : المحاباة ، والمحبة ، والتتابع ، والتمييز .

٨- الولاءُ : القرابة ، والوَلاءُ : وَلاءُ العِتق ، والولاءُ : المِلْكُ .[1]

والمتأمل فيما سبق من المعاني اللغوية ، يجد جُلَّها يرجع في الأصل إلى معنى القرب والدنو ، وهو المعنى الأول ، إذ أن الولي من قام بالولاية ، فوافق الله تعالى في مرضيّاته ومساخطه ، فأحبه الله تعالى ، فقربه إليه وتولّى أموره . ولذا يقول ابن فارس : « الواو واللام والياء : أصل صحيح يدلُّ على قرب .. والباب كله راجع إلى القرب ».[2]

---

[1] ينظر لهذه المعاني في : الصحاح (٦/٢٥٢٨-٢٥٣١) .

[2] مقاييس اللغة (٦/١٤١-١٤٢) .

المطلب الثاني
الولاية شرعاً

قال تعالى : ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الكهف:٤٤] .

قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٧] .

الولاية نوعان :-

الأول : وَلايَة الله للعبد .

الثاني : وَلايَة العبد لربه تبارك وتعالى .

وكلا النوعين وارد في النصوص الشرعية ؛ فوَلايَة الله لعبده تتضمن محبته له ونصرته ، وأما وَلاية العبد لربه فهي متضمنة للمحبة والطاعة والخضوع لله تعالى .

عرَّفها الإمام ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « والولاية : هي الإيمان والتقوى المتضمنة للتقرب بالفرائض والنوافل...».[١]

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ : «..وهو لا يعرف كمال الولاية ، وأنها الإيمان والتقوى ، واتباع الرسل باطناً وظاهراً..».[٢]

وقال أيضاً ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « والولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والقرب.. ..».[٣]

---

(١) الفتاوى (٤٤٠/١٠) .

(٢) المصدر السابق (٤٥٩/١٧) .

(٣) المصدر السابق (١٦٠/١١) .

وعرَّفها الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((..فالولاية : عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ، و مساخطه ، ليست بكثرة صوم ، ولا صلاة ، ولا رياضة...)).[1]

وعرَّفها ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً بقوله : ((.. الوَلاية الأولى بفتح الواو لا غير : أي المحبة والنصرة)).[2]

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً : ((..لأن الولاية هي القرب من الله عز وجل ... والذي يظهر لي من ذلك أن ولاية الله تعالى نوعان :- عامة وخاصة :

فالعامة : ولاية كل مؤمن فمن كان مؤمناً لله تقيّاً كان له ولياً ، وفيه من الولاية بقدر إيمانه وتقواه... والولاية الخاصة : إن علم من نفسه أنه قائم لله بجميع حقوقه ، مؤثر له على ما سواه في جميع حالاته، قد صارت مراضي الله ومحابه هي همه، ومتعلق خواطره، يصبح ويمسي وهمه مرضاة ربه ، وإن سخط الخلق....[3]

ومن العلماء من عرّفها بالنصرة :

قال الإمام **الألوسي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((..الولاية لله الحق : أي النصرة لله تعالى وحده لا يقدر عليها أحد)).[4]

ومثله تعريف **البيضاوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((الولاية لله الحق : النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره)).[5]

وقريباً منهما تعريف الإمام **الشوكاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((..والمعنى هناك ، أي في ذلك المقام النصرة لله وحده لا يقدر عليها غيره)).[6]

ومن العلماء من عرَّفها بالموالاة والتولي :

---

(1) الجواب الكافي (ص/١٣٧) ، شرح العقيدة الطحاوية (ص/٤٠٤) .
(2) شرح النونية (٢/٤٥٤) .
(3) بدائع الفوائد (٣/٦٢١) .
(4) روح المعاني (١٠/٢٨٤) .
(5) تفسير البيضاوي (٣/٤٩٩) .
(6) فتح القدير (٣/٢٨٨) .

فعرَّفها الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « الولاية بالفتح من الموالاة ..».[١]

وعرَّفها الإمام **ابن كثير** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : «..فمنهم من فتح الواو من الولاية فيكون المعنى هنالك الموالاة لله ، أي هنالك كل أحد مؤمن ، أو كافر يرجع إلى الله ، وإلى موالاته ، والخضوع له إذا وقع العذاب ».[٢]

وقيل : « الولاية : هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً ».[٣]

وهذه الأقوال في معنى الولاية ترجع إلى نوعي الوَلاَيَة ، إما وَلاية الله لعبده ، وهذه كما سبق تتضمن النصرة والمحبة والقرب ، وإما وَلاية العبد لربه والله تعالى أعلم .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤١١/١٠) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨٥/٣) .

(٣) الولاء والبراء (ص/٩٠) .

المطلب الثالث
الولي شرعاً

يقـــول الله ﷻ : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ ﴾ [يونس:٦٢-٦٣] .

وقال تعـالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ ﴾ [الجمعة:٦] .

لا يخفى تعلّق هذا المطلب بسابقه ، فإنّ الولي من تحققت فيه صفة الولاية وانطبق عليه تعريفها ، ومع كل هذا فقد تطرّق العلماء ـــ رحمهم الله تعالى ـــ إلى تعريف الولي والأولياء باعتبار وروده وذكره في نصوص القرآن والسنة ، وكثر استعماله في عبارات السلف، وعليه فمن الواجب اللازم ذكر كلامهم فيه ولعل فيه زيادة توضيح لمعنى الولاية، فأقول وبالله التوفيق :

عرَّفه الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والأولياء جمع ولي : وهو النصير ، واختلف أهل التأويل فيمن يستحق هذا الاسم فقال بعضهم هم قوم يذكر الله لرؤيتهم لما عليهم من سيما الخير والإخبات ، عن ابن عباس ﷺ ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [يونس : ٦٢] ، قال : ((الذين يُذْكَرُ الله لرؤيتهم ....)) ، والصواب من القول في ذلك أن يقال : الولي ، أعني وليَّ الله : هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها وهو الذي آمن واتقى ، كما قال الله : الذين آمنوا وكانوا يتقون)).[١]

وعرَّفه **الجرجاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الولي : فعيل بمعنى الفاعل ، وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان [٢] أو بمعنى المفعول ، فهو من يتوالى عليه

---

(١) جامع البيان (١١/١٣١ـــ١٣٢) .

(٢) الظاهر أن ذلك ليس من شرط الولاية ؛ إذ العصمة لم تكتب لغير الأنبياء والمرسلين ، فمجرّد الوقوع في المعصية مع المسارعة بالندم والتوبة وعدم الإصرار لا يخرج عن حدّ الولاية . قال الإمام الألوسي ـــ رحمه الله تعـالى ـــ

إحسان الله وأفضاله ، والولي : هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن ، المواظب على الطاعات ، المجتنب عن المعاصي ، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات)).[١]

وعرفه الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته ، وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته)).[٢]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((وأولياء الله هم الذين يتبعون رضاه بفعل المأمور ، وترك المحظور ، والصبر على المقدور ..)).[٣]

ويقول أيضاً : ((فأولياء الله هو المؤمنون المتقون في جميع الأصناف المباحة)).[٤]

وعرفه الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فأولياء الرحمن : هم المخلصون لربهم ، المحكّمون لرسوله في الحرم والحل ، الذين يخالفون غيره لسنته ، ولا يخالفون سنته لغيرها ، فلا يبتدعون ، ولا يدعون ، إلى بدعة ، ولا يتحيزون إلى فئة غير الله ورسوله وأصحابه ، ولا يتخذون دينهم لهواً ولعباً ، ولا يستحبون سماع الشيطان على سماع القرآن ، ولا يؤثرون صحبة الأفتان على مرضاة الرحمن ، ولا المعازف والمثاني على السبع المثاني ... فأولياء الرحمن المتلبسون بما يحبه وليهم ، الداعون إليه ، المحاربون لمن خرج عنه)).[٥]

وعرفه الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((المراد بولي الله ، العالم بالله ، المواظب على طاعته ، المخلص في عبادته)).[٦]

:((ومن الناس من قسّم الولاية إلى صغرى قد يقع فيها الذنب على الندرة لكن يبادر للتنصل منه فوراً ... وكبرى لا يقع فيها الذنب أصلاً مع إمكان الوقوع ــ ولو قيل أو مع استحالته كما في ولاية الأنبياء عليهم السلام ، وادعى أن ذلك من خصوصيات ولايتهم ... لم يبعد))[روح المعاني (١١/١٤٩)] .

(١) التعريفات (ص/٣٢٩) . وانظر : التوقيف على مهمات التعاريف (ص/٧٣٤) .

(٢) الفتاوى (١١/٦٢) .

(٣) المصدر السابق (١/٨٥) .

(٤) المصدر السابق (٢٧/٥٨) .

(٥) الروح (ص/٢٦٥) .

(٦) فتح الباري (١١/٣٤٢) .

وعرفه الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فأولياء الله هم أحبابه المقربون إليه ، بالفرائض والنوافل ، وترك المحارم ، الموحدون له ، الذين لا يشركون بالله شيئاً ، وإن لم تجر على أيديهم خوارق ..)).[1]

وعرَّفه الشيخ **محمد عبد الظاهر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فوليّ الله معناه ناصر دينه ، يحب ما يحب الله ، ويبغض ما يبغض الله ، يحب لله ، ويرضى لله ، ويسخط لله)).[2]

وعرَّفه **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وأقل ما يكفي في إطلاق الولي : التقرب إليه سبحانه بالفرائض ، وامتثال الأوامر ، واجتناب الزواجر ، والأكمل : التقرب إليه جلَّ شأنه بكل ما يمكنه من القرب ... ومن الناس من فسَّر الأولياء بالذين يتولونه تعالى بالطاعة ، ويتولهم بالكرامة ..)).[3]

هذا ما وقفت عليه من كلام العلماء ، والذي يترجح من تلك الأقوال في نظري هو تعريف الشيخ سليمان بن محمد بن عبد الوهاب لأن فيه ذكر شرطي الولاية والولي الذين ذكرهما الله تعالى في كتابه ، وهما الإيمان والتوحيد وعدم الشرك ، والتقوى والعمل بطاعة الله ، والبعد عن معصيته .

اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين ، واحشرنا مع إمامهم نبيّنا محمد ﷺ ، إنك سميع الدعاء .

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/٣٤٦) .

(٢) الأولياء والكرامات (ص/٢٠) .

(٣) روح المعاني (١١/١٤٨ ، ١٥١) .

الفصل السادس
المصطلحات المتعلقة
بما يضاد
توحيد الألوهية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المصطلحات في المعبودات من دون الله تعالى .

المبحث الثاني : المصطلحات التي هي وسائل وذرائع لنقض توحيد الألوهية .

المبحث الأول

المصطلحات في المعبودات من دون الله تعالى

ويشتمل على إحدى عشر مطلباً :-

المطلب الأول : الأحبار .

المطلب الثاني : الأزلام .

المطلب الثالث : الأصنام .

المطلب الرابع : الأنداد .

المطلب الخامس : الأنصاب .

المطلب السادس : الأوثان .

المطلب السابع : التماثيل .

المطلب الثامن : الجبت .

المطلب التاسع : الرهبان .

المطلب العاشر : الطاغوت .

المطلب الحادي عشر : العرّاف .

المطلب الأول
الأحبار

وفيه مسألتان :
الأولى : الأحبار لغةً .
الثانية : الأحبار شرعاً .

المسألة الأولى
الأحبار لغةً

أصل الكلمة : الأحبار مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو (حبر).(١)

تصريفها : الأَحْبَار على وزن (أَفْعَال) ، جمع قلة لـ (حِبْرٍ) وقيل (حَبْرُ) ، وبالكسر أفصح ، لأنه يجمع على (أفعال) دون (الفعول) ، ذكره الجوهري .(٢)

معناها لغةً : معاني مادة حبر اللغوية :-

١. الحِبْرُ : الذي يكتب به ، وموضعه المِحْبَرَة بالكسر ، والحِبْرُ أيضاً : الأثر ، وقد أحْبَرَ به : أي ترك به أثراً .

٢. الحَبْرُ : الحسن ، يقال : حَبَرْتُه حَبْرَاً : إذا حسنته ، وتحبير الخط والشعر والصوت : تحسينهم .

٣. والحَبْرُ أيضاً : الحُبُور وهو : السرور .

٤. والحَبِير : الجديد

٥. والحِبْرُ والحَبْرُ : واحد أحبار اليهود . وهو : العالم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه.(٣)

هذه من أهم معاني مادة حبر ، والذي يخصنا منها المعنى الأخير ، وإن كانت جميع المعاني ترجع إلى معنى الأثر والتحسين للشيء ، كما قال ابن فارس : « الحاء والباء والراء أصل واحد منقاس مطرد ، وهو الأثر في حسن وبهاء ».(٤) ، وعليه فإن الأحبار تبقى آثار علومهم ، وأفعالهم الحسنة في قلوب الناس فينتفعون بها ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (١٢٧/٢) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (٦٢٠/٢) ، تصريف الأسماء (ص/٢٠٩) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٤٨٤) .

(٣) الصحاح (٦١٩/٢-٦٢١) ، لسان العرب (١٤/٣-١٨) .

(٤) مقاييس اللغة (١٢٧/٢) .

المسألة الثانية
الأحبار شرعاً

قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١-٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾[التوبة:٣٤].

جاءت أقوال العلماء في معنى الأحبار مع كثرتها متفقةً ، على خلاف يسير ؛ فمنهم من يقول هم العلماء ، ومنهم من يقيّد ذلك فيقول هم علماء اليهود ، وأذكر فيما يلي ما رأيته من أقوالهم في بيان معنى الأحبار :

عرَّفها الحبر **عبد الله بن عباس** ــ رضي الله عنهما ــ بقوله : « والأحبار هم الفقهاء ».[1]

وعرَّفها **الحسن** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والأحبار : علماء اليهود ».[2]

وعرَّفها **عبد الرحمن بن زيد بن أسلم** بقوله : « الأحبار هم العلماء ».[3]

وعرَّفها **قتادة** ــ رحمه الله تعالى ــ بأن : « الأحبار علماء اليهود ».[4]

وعرَّفها **الفضيل بن عياض** ــ رحمه الله ــ بقوله : « الأحبار : العلماء ».[1]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/١٨٩) .

(٢) المصدر السابق (٦/٢٣٧) .

(٣) جامع البيان (٦/٢٥١) .

(٤) المصدر السابق (٦/٢٥٠) .

وعرَّفها الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((وأما الأحبار : فإنهم جمع حبر ، وهو العالم المحكم للشيء ، ومنه قيل لكعب كعب الأحبار)).[٢]

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((والأحبار : هم العلماء)).[٣]

وعرَّفها **أبو عبيد** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والذي عندي في واحد الأحبار الحبر بالفتح ، ومعناه : العالم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه)).[٤]

وعرَّفها الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والأحبار : علماء اليهود)).[٥]

وعرَّفها شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((فان الأحبار : هم العلماء)).[٦]

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً : ((والأحبار : يدخل فيه من أخبر بالعلم ورواه عن غيره وحدث به ، وإن لم يأمر أو ينه)).[٧]

وعرَّفها الإمام **ابن كثير** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والأحبار : وهم العلماء)).[٨]

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً : ((فإن الأحبار : هم علماء اليهود ، كما قال تعالى : ﴿ لو لا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ... ﴾ [المائدة : ٦٣] ..)).[٩]

وعرَّفها الإمام **الشوكاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((... والأحبار : العلماء مأخوذ من التحبير ، وهو التحسين ، فهم يحبرون العلم أي يحسنونه)).[١٠]

---

(١) فتح القدير (٢/٣٥٥) .

(٢) جامع البيان (٦/٢٥٠) .

(٣) المصدر السابق (٦/٢٤٩) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٦/١٨٩) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٢٢) .

(٦) الفتاوى (٢٨/٤٣٩) .

(٧) المصدر السابق (١/٦٢) .

(٨) تفسير القرآن العظيم (٢/٦١) .

(٩) المصدر السابق (٢/٣٥١) .

(١٠) فتح القدير (٢/٤٢) .

وعرَّفها **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((... والأحبار : علماء اليهود ، والصحيح إطلاقه على العالم ؛ ذمياً كان ، أو مسلماً ، فقد كان يقال لابن عباس ــ رضي الله تعالى عنهما ــ الحبر)).[1]

وعرَّفها الشيخ **سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الأحبار هم العلماء)).[2]

والراجح في ذلك ــ كما أشار إليه **الألوسي** ــ جواز إطلاقه على العالم من المسلمين ، أو من أهل الكتاب ، ولكن اشتهر إطلاقه في حق علماء اليهود ، كما اشتهر إطلاق القسيسين على علماء النصارى [3] ، والله أعلم .

---

(1) روح المعاني (١٠/٨٤) .

(2) تيسير العزيز الحميد (ص/١١٦) .

(3) تفسير القرآن العظيم (٢/٣٥١) .

المطلب الثاني
الأزلام

وفيه مسألتان :

الأولى : الأزلام لغةً .

الثانية : الأزلام شرعاً .

المسألة الأولى
الأزلام لغةً

أصل الكلمة : الأَزْلام مشتقة من أصل لغويٍّ ثلاثيٍّ هو (ز لم).[1]

تصريفها : الأزْلَام على وزن (أَفْعَال) ، وهي جمع لكلمتي (زُلَمٌ) و (زَلَمٌ) ، على وزن (فُعَل) و (فَعَل) ، والأصل الثلاثي من ذلك يقال فيه : (زَلَمَ يَزْلُمُ زَلْماً) .[2]

معناها لغةً : من معاني مادة ز لم ما يلي :-

١. النحافة والدِّقة : يقال : رجلٌ مُزَلَّم : أي نحيف .
٢. الزُّلَمُ والزَّلَمُ : القِدْح الذي لا ريش عليه ، وهو الظِّلْفُ أيضاً ، والجمع أزلام .
٣. وزَلَّمْتُ الحجر : قطعته وأصلحته للرحى .
٤. والزَّلَمةُ : هَنَةٌ متدلّية ومعلَّقة في حلق الشاة .
٥. والأزلام : القِدَاح التي كان العرب يستقسمون بها في الجاهلية .

هذه بعض المعاني اللغوية ، ويمكن إرجاعها إلى معنى واحد وهو الدِّقة والنحافة مع ملاسة في الملمس ؛ ولذا يقول ابن فارس : « الزاء واللام والميم أصل يدل على نحافةٍ ودِقَّة في ملاسة ».[3]

والذي يهمنا من تلك المعاني هو الأخير منها ، كما سيأتي بيانه في المطلب التالي ، والله أعلم .

---

[1] مقاييس اللغة (١٨/٣) .

[2] ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٢٠٩) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٤٩٢) .

[3] مقاييس اللغة (١٨/٣) .

المسألة الثانية
الأزلام شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ [المائدة:٣] .

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة:٩٠] .

لقد كثرت أقوال أهل العلم والتفسير في بيان معنى الأزلام ، وجميعها لا تخرج عن معنىً واحد ، ومفهوم مشترك ، وهو تلك القِدَاح التي كان العرب يستقسمون بها في الجاهلية ، ليتعرفوا بها على خبايا المستقبل المقسوم لهم ، وهي عبارة عن السِّهام والأعواد ، التي لا ريش عليها ، ولا نصل ، وعلى هذا المعنى جرت تعريفات العلماء في الغالب ، وهذا ما سيظهر لنا من خلال عرض تعريفاتهم ، فنقول :-

عرَّفها حَبْرُ الأمة **عبد الله بن عباس** ـ رضي الله عنه ـ بقوله : ((الأزلام : القداح يقتسمون بها في الأمور)).[1]

وعرَّفها الإمام **سعيد بن جبير** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((القداح : كانوا إذا أرادوا أن يخرجوا في سفر جعلوا قداحاً للجلوس والخروج ، فإن وقع الخروج خرجوا ، وإن وقع الجلوس جلسوا)).[2]

وعرَّفها **عبد الرحمن بن زيد بن أسلم** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((الأزلام : قداح لهم كان أحدهم إذا أراد شيئاً من تلك الأمور كتب في تلك القداح ما أراد ، فيضرب بها ، فأي قدح خرج ـ وإن كان أبغض تلك ـ ارتكبه وعمل به)).[3]

---

(١) جامع البيان (٦/٧٨) ، فتح الباري (٨/٢٧٧) .

(٢) جامع البيان (٦/٧٦) .

(٣) المصدر السابق (٦/٧٧) .

وعرَّفها **مجاهد** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « حجارة كانوا يكتبون عليها يسمونها القداح ».[1]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً عن الأزلام بأنها : « القداح ، يضربون لكل سفر وغزو وتجارة ».[2]

وعرَّفها **السدي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الأزلام : قداح كانت في الجاهلية عند الكهنة ، فإذا أراد الرجل أن يسافر ، أو يتزوج ، أو يحدث أمراً ، أتى الكاهن فأعطاه شيئاً فضرب له بها ، فإن خرج منها شيء يعجبه أمره ففعل ، وإن خرج منها شيء يكرهه نهاه فانتهى ».[3]

وعرَّفها الإمام **الحسن البصري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « كانوا إذا أرادوا أمراً أو سفراً يعمدون إلى قداح ثلاثة ، على واحد منها مكتوب اؤمرني ، وعلى الآخر انهني ، ويتركون الآخر محللاً بينهما ليس عليه شيء ، ثم يجيلونها فإن خرج الذي عليه اؤمرني مضوا لأمرهم ، وإن خرج الذي عليه انهني كفوا ، وإن خرج الذي ليس عليه شيء أعادوها ».[4]

وعرَّفها **ابن التين** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الأزلام : القداح ، وهي أعواد كتبوا في أحدها افعل ، وفي الآخر لا تفعل ، ولا شيء في الآخر ــ أي الثالث ــ فإذا أراد أحدهم السفر ، أو حاجة ألقاها في الوعاء ، فإن خرج افعل فعل ، وإن خرج لا تفعل لم يفعل ، وإن خرج لا شيء أعاد الإخراج حتى يخرج له افعل أو لا تفعل ».[5]

وعرَّفها الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الأزلام : وكانت قداحاً مكتوباً على بعضها نهاني ربي ، وعلى بعضها أمرني ربي ، فإن خرج القدح الذي هو

---

(١) المصدر السابق (٦/٧٦) .

(٢) جامع البيان (٦/٧٦) .

(٣) المصدر السابق (٦/٧٧) .

(٤) المصدر السابق (٦/٧٦) .

(٥) عون المعبود (٦/٦) .

مكتوب عليه أمرني ربي مضى لما أراد ، من سفر ، أو غزو ، أو تزويج ، وغير ذلك ، وإن خرج الذي عليه مكتوب نهاني ربي كف عن المضي لذلك وأمسك)).[١]

وعرَّفها الإمام **البغوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والأزلام : يعني الأقداح التي يستقسمون بها واحدها زَلَمٌ وزُلَمٌ)).[٢]

وعرَّفها الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بذكر أنواعها الثلاثة التي كانت عند العرب فقال : ((والأزلام : قداح الميسر ... والأزلام للعرب ثلاثة أنواع ؛ منها الثلاثة التي كان يتخذها كل إنسان لنفسه ، على أحدها أفعل ، وعلى الثاني لا تفعل ، والثالث مهمل لا شيء عليه ، فيجعلها في خريطة معه ، فإذا أراد فعل شيء أدخل يده ــ وهي متشابهة ــ فإذا خرج أحدها ائتمر وانتهى ... والنوع الثاني : سبعة قداح كانت عند هبل في جوف الكعبة ، مكتوب عليها ما يدور بين الناس من النوازل ... والنوع الثالث : هو قداح الميسر ، وهي عشرة ، سبعة منها فيها حظوظ ، وثلاثة أغفال ، وكانوا يضربون بها مقامرة ، لهواً ولعباً)).[٣]

وعرَّفها الإمام **ابن الأثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وهي القِدَاح التي كانت في الجاهلية عليها مكتوبٌ الأمر والنهيُ ، افْعَل ولا تَفْعَل ، كان الرجل منهم يضعها في وعاء له ، فإذا أراد سَفَرَاً ، أو زواجاً ، أو أمراً مهماً ؛ أدخلَ يده فأخرج منها زَلَماً ، فإن خرج **الأمرُ** مضى لشأنه ، وإن خرج النهي كفَّ عنه و لم يفعله)).[٤]

وعرَّفها الحافظ **ابن كثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وهي عبارة عن قداح ثلاثة على أحدها مكتوب أفعل ، وعلى الآخر لا تفعل ، والثالث غفل ليس عليه شيء ، ومن الناس من قال مكتوب على الواحد أمرني ربي ، وعلى الآخر نهاني ربي ، والثالث

---

[١] جامع البيان (٦/٧٦) .

[٢] معالم التنزيل (٢/٦٢) .

[٣] الجامع لأحكام القرآن (٦/٥٨-٥٩) ، باختصار . وينظر أيضاً معالم التنزيل للبغوي (٢/٩) .

[٤] النهاية لابن الأثير (٢/٣١١) .

غفل ليس عليه شيء ، فإذا أجالها فطلع سهم الأمر فعله ، أو النهي تركه ، وإن طلع الفارغ أعاد)).(١)

وعرَّفها الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والأزلام : هي الأقداح وهي السهام التي لا ريش لها ولا نصل)).(٢)

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((الأزلام : هي السهام التي كانوا يستقسمون بها الخير والشر)).(٣)

وعرَّفها الإمام **الشوكاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والأزلام : قداح كانوا يستقسمون بها الأمور)).(٤)

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : ((والأزلام ... ثلاثة أنواع ، أحدها مكتوب فيه افعل ، والآخر مكتوب فيه لا تفعل ، والثالث مهمل لا شئ عليه ، فيجعلها في خريطة معه ، فإذا أراد فعل شيء أدخل يده ــ وهي متشابهة ــ فأخرج واحداً منها ، فإن خرج الأول فعل ما عزم عليه ، وإن خرج الثاني تركه ، وإن خرج الثالث أعاد الضرب حتى يخرج واحد من الأولين)).(٥)

وعرَّفها **العظيم أبادي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والأزلام : هي القداح التي كانوا يستقسمون بها)).(٦)

هذا ما وقفت عليه من تعريفات العلماء لمعنى الأزلام ، وكما هو ظاهر فإنه لا خلاف بينها يذكر ، والحاصل أن كل ما كان في معنى الأزلام المذكورة أخذ حكمها في التحريم ، والله أعلم

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١٢/٢) .

(٢) فتح الباري (٢٤١/٧) .

(٣) المصدر السابق (١٧/٨) .

(٤) فتح القدير (٧٦/٢) .

(٥) المصدر السابق (١٠/٢) .

(٦) عون المعبود (٧٩/١٠) .

المطلب الثالث
الأصنام

وفيه مسألتان :

الأولى : الأصنام لغةً .

الثانية : الأصنام شرعاً .

المسألة الأولى
الأصنام لغةً

أصل الكلمة : الأصنام من الصنم ، وهي كلمة جامدة لا فرع لها .[1]

تصريفها : الأصنام على وزن (أَفْعَال) ، وهي جمع واحدها (صَنَم).[2]

معناها لغة : الصَّنَمُ شيء كان يتخذ من خشب ، أو فضة ، أو نحاس فيعبد ، وقيل هو الوثن ، وقيل هو ما كان له جسمٌ أو صورة ، وإلا فهو وثن.[3]

---

(١) مقاييس اللغة (٣/٣١٤) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٢٠٩) .

(٣) ينظر معناه في : مقاييس اللغة (٣/٣١٤) ، الصحاح (٥/١٩٦٩) ، لسان العرب (٧/٤٢٤) .

المسألة الثانية
الأصنام شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنعام:٧٤] .

عرَّفها الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والأصنام جمع صنم : التمثال من حجر ، أو خشب ، أو من غير ذلك في صورة إنسان ، وهو الوثن ، وقد يقال للصورة المصورة على صورة الإنسان في الحائط وغيره صنم ووثن ».[1]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : « والصنم : هو التمثال المصور ».[2]

وعرَّفها **البيضاوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بالحجارة المنحوتة المعبودة من دون الله تعالى ، فقال : « والحجارة ... والمراد بها الأصنام التي نحتوها ، وقرنوا بها أنفسهم ، وعبدوها طمعاً في شفاعتها ، والانتفاع بها ، واستدفاع المضار لمكانتهم ».[3]

وعرَّفها **الراغب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الصَّنَمُ : جُثَّةٌ مُتَّخَذَةٌ من فِضَّةٍ ، أو نُحاسٍ ، أو خَشَبٍ ، كانوا يعبدونها متقرِّبين به إلى الله تعالى ».[4]

---

(١) جامع البيان (٧/٢٤٤) .

(٢) المصدر السابق (١٣/٢٢٨) . وقال أيضاً :((والصنم هو التمثال المصور ما لم يكن صنماً فهو وثن))

(٣) تفسير البيضاوي (١/٢٣٨) .

(٤) المفردات (ص/٢٨٧) ، فأشار ــ رحمه الله تعالى ــ في تعريفه إلى : أن المشركين لم تكن عبادتهم للأصنام لكونها خالقة ، أو رازقة ، أو لها صفة الربوبية : أبداً ، وإنما كانوا مقرين بكونها مربوبة لله تعالى ، وإنما الذي أوقعهم في الشرك ، كونهم جعلوها وسائط يتقرّبون بها إلى الله ، كما قال تعالى : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] .

وعرَّفها الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الأصنام : وهي التماثيل المصنوعة على اسم الوثن ؛ من الأنبياء ، والصالحين، أو على اسم كوكب من الكواكب ، أو روح من الأرواح ».[1]

وعرَّفها **المناوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الصَّنَمُ : جُثَّةٌ مُتَّخَذَةٌ من حجر ، أو غيره على صورة إنسان كانوا يعبدونها متقرِّبين بها إلى الله ».[2]

وعرَّفها الإمام **الشوكاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والصنم هو التمثال الذي كانت تصنعه أهل الجاهلية من الأحجار ونحوها فيعبدونه ».[3]

وعرَّفها الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والظاهر أن الصنم ما كان مصوراً على أي صورة والوثن بخلافه ؛ كالحجر والبنية ، وإن كان الوثن قد يطلق على الصنم ».[4]

وعرَّفها الشيخ **العثيمين** ــ حفظه الله تعالى ــ بقوله : « والأصنام : جمع صنم ، وهو : ما جعل على صورة إنسان ، أو غيره ، يعبد من دون الله ».[5]

هذا ما تيسَّر ، والذي يظهر أن الصنم هو ما كان على صورة إنسان أو حيوان ، ينصب فيعبد من دون الله تعالى . والله أعلم

---

(١) الرد على المنطقيين (ص/٥٣٥) .

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (ص/٤٦٣) .

(٣) فتح القدير (١١٢/٣) .

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص/٩٢) .

(٥) القول المفيد على كتاب التوحيد (١١٣/١) .

المطلب الرابع
الأنداد

وفيه مسألتان :

الأولى : الأنداد لغةً .

الثانية : الأنداد شرعاً .

المسألة الأولى
الأنداد لغة

أصل الكلمة : الأنداد مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (نَدَدَ).[1]

تصريفها : الأَنْدَاد على وزن (أَفْعَال) ، وهي جمعٌ واحدها (نِدٌّ) ، والأصل الثلاثي من ذلك يقال فيه (نَدَّ يَنِدُّ) من باب ضرب يضرب ، والمصدر من ذلك (نَدًّا ونُدُوداً) ، وسمع (نِدَاداً). [2]

معناها لغةً : من معاني مادة ندد اللغوية :-

١. النفور والشُّرود : يقال : ندَّ البعير يَنِدُّ نُدُوداً : إذا شرد . وناقة نَدُودٌ : أي شرود .
٢. ونَدَّدَ بالرجل : أسمعه القبيح، وصرَّح بعيوبه ، وشهَّرَ به ، والتنديد : رفع الصوت .
٣. والنِّدُّ والنَّدُّ : ضرب من الطيب يُدَخَّن به ، وقيل : هو ليس عربيّاً .
٤. والنَّدُّ : التَّلُّ المرتفع في السماء .
٥. والنِّدُّ بالكسر : المثل والنظير ، وقيل : الضِّدُّ والشِّبْهُ ، والجمع أنداد .

وجميع هذه المعاني يمكن إرجاعها إلى معنيي الشرود ومفارقة الشيء ومقابلته ، ولذا يقول ابن فارس : « النون والدال أصل صحيحٌ يدل على شُرودٍ وفراق ».[3]

والذي يتعلّق بمبحثنا الشرعي هو المعنى الأخير ، فإن نظير الشيء من فارقه وقابله .

---

(١) مقاييس اللغة (٥/٣٥٥) . الصحاح (٢/٥٤٣) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (٢/٥٤٣) ، تصريف الأسماء (ص/٢٠٩-٢١٠) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٤٨،٥١١) .

(٣) مقاييس اللغة (٥/٣٥٥) .

المسألة الثانية
الأنداد شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [البقرة:١٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [فصلت:٩] .

تعددت أقوال العلماء في بيان معنى الأنداد التي ورد ذكرها في القرآن والسنة ، وكانت الجاهلية تشركها مع الله تعالى في عباداتها ، ولكن اختلافهم في ذلك يمكن التعبير عنه بأنه من تنوّع الاختلاف ، لا من اختلاف الضدِّ المذموم ، كما سنتعرف ذلك من خلال المرور على أقوالهم واستعراضها ، فنقول :

عرَّفها حبر الأمة **عبد الله بن عباس** ، وعبد الله بن مسعود وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ بقولهم : ((أنداداً .. أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله)).[١]

وجاء عن **ابن عباس** ـ رضي الله عنه ـ : ((أندادا قال أشباهاً)).[٢]

وعرَّفها **قتادة ومجاهد** ـ رحمهما الله ـ بقولهم : ((أنداداً : أي عدلاء)).[٣]

وقال **قتادة** ـ رحمه الله تعالى ـ أيضاً : ((والأنداد : الشركاء)).[٤]

---

(١) جامع البيان (١/١٦٣) .

(٢) المصدر السابق (١/١٦٣) .

(٣) المصدر السابق (١/١٦٣) .

(٤) المصدر السابق (١٣/٢٢٣) .

وعرَّفها **عبد الرحمن بن زيد بن أسلم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الأنداد : الآلهة التي جعلوها معه ، وجعلوا لها مثل ما جعلوا له)).(١)

وعرَّفها **السدي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الأنداد : رجال كانوا يطيعونهم في معصية الله)).(٢)

وعرَّفها الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والأنداد جمع ند ، والند : العدل والمثل ... ، وكل شيء كان نظيراً لشيء ، وشبيهاً فهو له ند)).(٣)

وعرَّفها الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((... أنداداً : أي أكفاء وأمثالاً ونظراء)).(٤)

وعرَّفها الإمام **ابن الأثير** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((الأنداد جمع ندّ بالكسر ، وهو مثل الشيء الذي يُضادّه في أموره ، ويناده ، أي يخالفه ، ويريد بها ما كانوا يتَّخِذونه آلهة من دون الله)).(٥)

وعرَّفها الإمام **الشوكاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والأنداد جمع ند : وهو المثل والنظير)).(٦)

وعرَّفها **الألوسي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والند : مثل الشيء الذي يضاده ، ويخالفه في أموره ، وينافره ، ويتباعد عنه)).(٧)

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً : ((والأنداد : الأمثال ، والمراد بها الأصنام كما هو الشائع في القرآن ، وقيل الرؤساء الذين يطيعونهم طاعة الأرباب من الرجال ، وقيل المراد أعم منهما ، وهو ما يشغل عن الله تعالى ..)).(٨)

---

(١) المصدر السابق (١/١٦٣) .

(٢) زاد المسير (١/٤٩) .

(٣) جامع البيان (١/١٦٣) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/٢٣٠) .

(٥) النهاية (٥/٣٥) .

(٦) فتح القدير (١/٥٠) .

(٧) روح المعاني (١/١٩١) .

(٨) المصدر السابق (٢/٣٤) .

وقال **الألوسي** أيضاً : ((والأنداد : جمع ند هو شائع فيمن يدعى أنـــه شـــريك مطلقاً)).[1]

هذا ما تيسَّر من كلام العلماء ، وأقوالهم متفقة تقريباً في تفسير الأنداد بالأمثـــال والنظراء والأكفاء ، والحاصل أن من صرف عبادة لغير الله تعالى ؛ من محبة ، ودعـــاء ، وذبح ، وطاعة ، وغير ذلك ، فقد جعل ذلك الغير نداً لله تعالى وعدلاً له ، فكأنه سـوى بين الله تعالى وبين غيره ، فجعل ذلك الغير مستحقاً للعبادة مع الله تعالى ، لكنه استحقاقٌ بالباطل ، فالله ليس له نظير ولا مثيل . والله أعلم .

(١) المصدر السابق (١٤٦/٢٢) .

المطلب الخامس
الأنصاب

وفيه مسألتان :

الأولى : الأنصاب لغةً .

الثانية : الأنصاب شرعاً .

المسألة الأولى
الأنصاب لغةً

أصل الكلمة : الأنصاب مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (نَصَبَ).[1]

تصريفها : الأَنْصَاب على وزن (أَفْعَال) ، وهي جمع (نَصْب) ، أو (نُصُبٌ) ، وقيل : (النُّصُبُ) جمع واحدها : (نِصَابٌ) ، والأصل الثلاثي من ذلك : (نَصَبَ يَنْصِبُ ويَنْصُبُ نَصْباً).[2]

معناها لغةً : بعض المعاني اللغوية لمادة نصب :-

١. النَّصْبُ : مصدر نَصَبْت الشيء : إذا أقمته ، ونَصَبْتُ لفلان نَصْباً : إذا عاديته .
٢. والنِّصَابُ من المال : القدر الذي تجب فيه الزكاة إذا بلغه . ونِصَابُ السكين : مقبضه .
٣. والنَّصَبُ : التعب ، ونَصِبَ الرجلُ نَصَباً : إذا تَعِبَ .
٤. والنَّصْبِ في الإعراب كالفتح في البناء .
٥. والنُّصْبُ : الشَّرُّ والبلاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إذ نادى ربه أنّي مسَّنِيَ الشيطان بِنُصْبٍ وعذاب ﴾ [ص : ٤١] .
٦. والنَّصِيب : الحظ من الشيء ، وهو أيضاً الشَّرَكُ المنصوب .
٧. والنَّصْبُ : ما نُصِبَ فعبد من دون الله تعالى ، وكذلك النُّصْبُ بالضم والسكون ، وأيضاً النُّصُبُ بضم النون والصاد ، والجمع أَنْصَابٌ .

---

[1] مقاييس اللغة (٥/٤٣٤) .

[2] ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (١/٢٢٥) ، أساس البلاغة (ص/٤٥٤) ، تصريف الأسماء (ص/٥١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٥١٢) .

هذه من أشهر معاني مادة نصب اللغوية ، وجميع هذه المعاني يمكن إرجاعه إلى معنى الإقامة ، وانتصاب الشيء ، واستواؤه ، ولذا يقول ابن فارس : ((النون والصاد والباء أصل صحيح يدلُّ على إقامة شيء وإهدافٍ في استواء)).[1]

وأقربها إلى ما نحن فيه هو المعنى الأخير، فإن الأنصاب هي : ما ينصب ويرفع ويقام ، ثم يُقْصَد بالعبادة كما سيعلم ذلك في المطلب التالي ، والله أعلم .

---

[1] مقاييس اللغة (٥/٤٣٤) .

المسألة الثانية
الأنصاب شرعاً

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة:٩٠] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ [المائدة:٣] .

تنوعت تعبيرات العلماء ، وترجماتهم عن معنى الأنصاب الوارد ذكرها ، في قوله تعالى : ﴿ وما ذبح على النُّصُب ﴾ [المائدة : ٣] ، فمن قائل هي : الأصنام ، ومن قائل هي حجارة يذبح عليها ، ومن جامع بين الأمرين ، ومن قائل هي النرد والشطرنج ، إلى غير ذلك من الأقوال، وفيما يلي أذكر بحول الله تعالى وقوته ما وقفت عليه من تلك الأقوال ، ثم نختار منها ما يظهر لنا رجحانه وبالله التوفيق :

عرَّفها **ابن عباس** ـ رضي الله عنهما ـ بقوله : ((الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون ويهلون عليها)).[1]

وروي عن **ابن عباس** رضي الله عنهما : ((الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون لها)).[2]

وهذا القول يجعل الأنصاب هي المعبودة من دون الله التي يذبح لها .

وعرَّفها **ابن جريج** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((النصب ليست بأصنام ، الصنم يصور وينقش ، وهذه حجارة تنصب ... فكانوا إذا ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل من البيت ، وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة)).[3]

---

(١) جامع البيان (٦/٧٥) ، تفسير القرآن العظيم (٢/٩٣) .

(٢) فتح القدير (٢/٧٦) .

(٣) جامع البيان (٦/٧٥) .

وعرَّفها **عبد الرحمن بن زيد** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « النصب : حجارة كانوا يعبدونها ، حجارة طوال يقال لها نصب ».(١)

وعرَّفه الإمام **مجاهد** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : «.. حجارة حول الكعبة يذبح عليها أهل الجاهلية ، ويبدلونها إن شاءوا بحجارة أعجب إليهم منها ».(٢)

وعرَّفها **قتادة** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والنصب : حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها ، ويذبحون لها فنهى الله عن ذلك ».(٣)

وعرَّفها **الضحاك** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الأنصاب : حجارة كانوا يهلون لها ويذبحون عليها ».(٤)

وعرَّفها الإمام **ابن قتيبة** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « هي حجارة كانوا ينصبونها ويذبحون عندها ، فينصب عليها دماء الذبائح ، والأنصاب أيضاً جمع نصب بفتح أوله ثم سكون وهي الأصنام ».(٥)

وعرَّفها الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والنصب : الأوثان من الحجارة جماعة أنصاب، كانت تجمع في الموضع من الأرض، فكان المشركون يقربون لها ، وليست بأصنام ».(٦)

وعرَّفها **البيضاوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « النصب واحد الأنصاب : وهي أحجار كانت منصوبةً حول البيت ، يذبحون عليها ، ويعدون ذلك قربة ، وقيل هي الأصنام ».(٧)

---

(١) المصدر السابق (٢٩/٩٠) .

(٢) المصدر السابق (٦/٧٥) .

(٣) جامع البيان (٦/٧٥) .

(٤) المصدر السابق (٦/٧٥) .

(٥) فتح الباري (٨/٢٧٨) .

(٦) جامع البيان (٦/٧٥) .

(٧) تفسير البيضاوي (٢/٢٩٣) .

وقال ـــ رحمه الله ـــ أيضاً : ((والأنصاب : أي الأصنام التي نصبت للعبادة)).[1]

وعرَّفها الإمام **البغوي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والأنصاب : يعني الأوثان ، سميت بذلك لأنهم كانوا ينصبوها)).[2]

وعرَّفها الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((فالأنصاب : كل ما نصب يعبد من دون الله ؛ من حجر ، أو شجر ، أو وثن ، أو قبر ، وهي جمع واحدها نصب ، كطنب وأطناب)).[3]

وعرَّفها الإمام **الشوكاني** ـــ رحمه لله تعالى ـــ بقوله : ((والأنصاب : هي الأصنام المنصوبة للعبادة)).[4]

وعرَّفها **الألوسي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والأنصاب : وهي الأصنام المنصوبة للعبادة ، وفرق بعضهم بين الأنصاب والأصنام ، بأن الأنصاب حجارة لم تصور كانوا ينصبوها للعبادة ، ويذبحون عندها ، والأصنام : ما صور وعبد من دون الله عز وجل)).[5]

وعرَّفها **العظيم أبادي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والأنصاب : الأصنام ، وهي الحجارة التي كانوا ينصبوها للعبادة ، ويذبحون عندها)).[6]

وعرَّفها الشيخ **المباركفوري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((نُصُباً ... هي واحدة الأنصاب : وهو ما ينصب للعبادة من دون الله تعالى)).[7]

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((ويطلق النُّصُب ويراد به الحجارة التي كانوا يذبحون عليها للأصنام)).[8]

---

(1) المصدر السابق (٢/٣٦٢) .

(2) معالم التنـزيل (٢/٦٢) .

(3) إغاثة اللهفان (١/٢٠٧) .

(4) فتح القدير (٢/٧٣) .

(5) روح المعاني (٧/١٥) .

(6) عون المعبود (١٠/٧٩) .

(7) تحفة الأحوذي (٨/٤٥٥) .

(8) المصدر السابق (٨/٤٥٥) .

وعرَّفها الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله :

« أنصاباً جمع نصب ، وأصله ما نصب كغرض ونحوه ، والمراد به هنا : الأصنام المصورة على صورهم ، المنصوبة في مجالسهم ».[1]

وقيل : « هي النرد والشطرنج ».[2]

والصحيح في ذلك أن الأنصاب معناها عام ، فيدخل فيها كل ما أقيم ونُصِب ، وكان له حظّ من العبادة ، والقصد ، والتذلل ، والخضوع ، فيشمل ذلك الحجارة المنصوبة التي يذبحون عليها ، كما في قوله تعالى : ﴿ وما ذبح على النُّصُب ﴾ [المائدة : ٣] ، كما يدخل في ذلك الأصنام ، كما في كلام الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ، ولعل من فسَّرها بالنرد والشطرنج نظر إلى هذا المعنى العام ،...

يقول الإمام **ابن القيم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ : « وأصل اللفظة الشيء المنصوب الذي يقصده من رآه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ [المعارج : ٤٣] ، قال **ابن عباس** : إلى غاية ، أو عَلَمٍ يسرعون ، وهو قول أكثر المفسرين ، وقال **الحسن** : يعني إلى أنصابهم أيهم يستلمها أولاً ، ... والمقصود أن النصب كل شيء نصب ؛ من خشبة ، أو حجر ، أو علم ».[3]

وعليه فالراجح من تلك الأقوال السابقة هو تعريف الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ ، والله أعلم .

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/٢٦٨) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٨٦/٦) .

(٣) إغاثة اللهفان (٢٠٨/١) . باختصار .

المطلب السادس
الأوثان

وفيه مسألتان :

الأولى : الأوثان لغةً .

الثانية : الأوثان شرعاً .

المسألة الأولى
الأوثان لغةً

أصل الكلمة : الأوْثَان مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (وثن).[١]

تصريفها : الأوْثَانُ على وزن (أَفْعَال) ، وهي جمع واحدها (وَثَنٌ) ، والأصل الثلاثي من ذلك يقال فيه : (وَثَنَ يَثِنُ) كوَعَدَ يَعِدُ ، وأصلها (يَوْثِنُ) من باب ضَرب يَضْرِبُ ، ومصدرها القياسي (وَثْناً) ، فهو (وَاثِنٌ) جمع (وُثُنٌ).[٢]

معناها لغةً : معاني مادة وثن اللغوية :-

١. الوَثْنُ والوَاثِنُ : المقيم الراكد الثابت القوي الدائم ، يقال : وَثَنَ يَثِنُ وَثْناً : إذا أقام وركد وثبت في مكانه ، ووَثِنَ فلان على العهد : إذا دام عليه .
٢. والوَثَنُ : الصنم ، والجمع : وُثْنٌ وأَوْثَانٌ .
٣. ووَثِنَتِ الأرض : مُطِرَتْ .
٤. واستَوْثَنَ من المال : استكثر منه .[٣]

هذه أهم معاني مادة وثن ، وأقوى ما يتعلق بما نحن فيه من تلك المعاني هو الثاني ، وهو مأخوذ من المعنى الأول ؛ إذ أن الأوثان كانت قويّة وثابتة ، ودائمة في مكانها ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٦/٨٥) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٢٠٩) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص/٤٢٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٥٦،٥١٥) .

(٣) ينظر لهذه المعاني في : مقاييس اللغة (٦/٨٥) ، الصحاح (٥/٢٢١٢) ، لسان العرب (١٥/٢١٣-٢١٤) .

المسألة الثانية
الأوثان شرعاً

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت:١٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [العنكبوت:٢٥] .

تنوعت تعبيرات العلماء في بيان معنى الأوثان ، على اختلاف يسير بينهم ، فمنهم من جعل الوثن هو الصنم بعينه ، ومنهم من فرَّق بينهما ، وفيما يلي أقوالهم ـــ التي يتضح بها المقصود ـــ وبالله التوفيق :

عرَّفها الإمام **الطبري** بالأصنام فقال ـــ رحمه الله ـــ : « والأصنام جمع صنم : التمثال ؛ من حجر ، أو خشب ، أو من غير ذلك في صورة إنسان ، وهو الوثن ، وقد يقال للصورة المصورة على صورة الإنسان في الحائط وغيره : صنمٌ ووثنٌ ».[1]

وعرَّفها **أبو عبيد** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « والوثن : ما يتخذ من جص أو حجارة ».[2]

وعرَّفها الإمام **ابن عبد البر** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « الوثن : الصنم وهو الصورة من ذهب كان ، أو من فضة ، أو غير ذلك من التمثال ، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن ، صنماً كان أو غير صنم ».[3]

---

[1] جامع البيان (٢٤٤/٧) .

[2] الجامع لأحكام القرآن (٣٣٥/١٣) .

[3] التمهيد (٤٥/٥) .

وعرَّفها **الراغب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « الوثن واحد الأوثان ، وهي حجارة كانت تعبد ».[1]

وعرَّفها الإمام **ابن الأثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : «.. الوثن كل ما له جثّة معمولة ؛ من جواهر الأرض ، أو من الخشب ، والحجارة ، كصورة الآدميّ تُعْمَل وتنصب فتعبد ».[2]

وعرَّفها الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والوثن : التمثال من خشب ، أو حديد ، أو ذهب ، أو فضة ونحوها ، وكانت العرب تنصبها وتعبدها ، والنصارى تنصب الصليب ، وتعبده ، وتعظمه ، فهو كالتمثال أيضاً ».[3]

وعرَّفها الإمام **الشوكاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والوثن : التمثال ، .. وسمى الصليب وثنا لأنه ينصب ويركز في مقامه فلا يبرح عنه ».[4]

وعرَّفها الشيخ **العظيم أبادي** ــ رحمه الله ــ بقوله : « الوثن : هو كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض ، أو من الخشب ، أو الحجارة ، كصورة الآدمي .. ».[5]

وعرَّفها الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** بقوله : « والأوثان هي المعبودات التي لا صورة لها ؛ كالقبور ، والأشجار ، والعمد ، والحيطان ، والأحجار ونحوها ، ... وقيل الوثن هو الصنم ، والصنم هو الوثن ، وهذا غير صحيح إلا مع التجريد فأحدهما قد يعنى به الآخر ، وأما مع الاقتران فيفسر كل واحد بمعناه ».[6]

---

(١) المفردات (ص/٥١٢) .

(٢) النهاية (١٥١/٥) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٥٤/١٢) .

(٤) فتح القدير (٤٥١/٣) . باختصار .

(٥) عون المعبود (١٤٤/٦) .

(٦) تيسير العزيز الحميد (٢٩٤) .

وعرَّفها الشيخ **تقي الدين الهلالي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « فالصليب وثـنٌ حسيٌّ، وكذلك القبة والقبر إذا عبدا ورُجِيَت منهما البركة، وكل جماد ينسب إلى ملك ، أو نبي ، أو صالح ترجى منه البركة فهو وَثَنٌ ».[1]

وعرَّفها الشيخ **العثيمين** ــ حفظه الله تعالى ــ بقوله : « أما الوثن : فهو ما عبد من دون الله على أي شكل كان ».[2]

والذي يظهر مما سبق ؛ أن الأوثان في الأصل : هي المعبودات التي لا صورة لها ، سواء كانت صورة إنسان ، أو صورة حيوان ، أو غير ذلك ، كالقبور ، والأشجار ، والأحجار ، بخلاف الأصنام فإنها في الأصل : المعبودات المصوَّرة على صورة إنسان ، أو حيوان ، ولو على الحائط ، هذا معناهما في الأصل ، ويفسَّران بذلك في حال الاقتران ، لكن إذا انفرد كل منهما عن الآخر في الكلام ، فربما تضمن أحدهما معنى الآخر ، أو ترجَّح معنى على آخر من سياق الكلام ،...

وعليه فالذي يترجَّح من تلك الأقوال هو تعريف الشيخ **سليمان بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ ، والله أعلم .

---

[1] سبيل الرشاد في هدي خير العباد (٣/١١٧) .

[2] القول المفيد (١/١١٣) .

المطلب السابع
التماثيل

وفيه مسألتان :

الأولى : التماثيل لغةً .

الثانية : التماثيل شرعاً .

المسألة الأولى
التماثيل لغةً

أصل الكلمة : التماثيل مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (مثل).[١]

تصريفها : التماثيل على وزن (تَفَاعِيل) ، وهي جمع (تِمْثَال) ، على وزن (تِفْعَال) بزيادة التاء في أوَّلِهِ ، بدليل الاشتقاق .[٢]

معناها لغةً : معاني مادة (مثل) اللغوية :-

١. مِثْلُ : كلمة تسوية ، يقال : هذا مِثْلُهُ ومَثَلُه كما يقال : شِبْهُهُ وشَبَهُهُ بمعنى .
٢. والمِثَالُ : معروف ، وهو القالب الذي يقدَّر على مِثْلِه ، والجمع أمْثِلَةٌ ومُثُلٌ ، والمِثَالُ أيضاً : الفراش .
٣. والمُثُول : الانتصاب قائماً ، يقال : مَثَلَ بين يديه مُثُولاً : أي انتصب قائماً .
٤. والمُثُلَةُ : العقوبة ، والجمع : المُثُلاتُ .
٥. والتِمْثَالُ : الصورة ، والجمع التماثيل ، ومَثَّلْتُ له كذا تَمْثِيلاً : إذا صوّرتَ له مِثَالَه بالكتابة وغيرها .[٣]

هذه أغلب معاني مادة مثل ، ومعظمها يرجع إلى معنى التناظر ،...

كما قال ابن فارس ـ رحمه الله تعالى ـ : « الميم والثاء واللام : أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مناظرة الشيءِ للشيء ».[٤]

والذي يعنينا من تلك المعاني هو الأخير منها ، وهو متضمن لمعنى التناظر ؛ إذ أن التمثال مماثلٌ ومناظرٌ للشيء الذي مُثِّل منه ، والله أعلم .

---

[١] مقاييس اللغة (٥/٢٩٦) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : الصحاح (٥/١٨١٦) ، المغني في تصريف الأفعال (ص/٨٣) .

[٣] ينظر لهذه المعاني وغيرها في : الصحاح (٥/١٨١٦) ، لسان العرب (١٣/٢١-٢٥) .

[٤] مقاييس اللغة (٥/٢٩٦) .

فيظهر لنا مما سبق أن التماثيل هي المعبودات من دون الله تعالى ، سـواء كـانت مجَسَّمَةً ، أو مصوَّرَة على الحائط ، أو الأقمشة ، أو غير ذلك ، والله أعلم .

المطلب الثامن
الجبت

وفيه مسألتان :

الأولى : الجبت لغةً .

الثانية : الجبت شرعاً .

المسألة الأولى
الجبت لغة

أصل الكلمة : قيل أصل الجبت الجبس ، وهو الذي لا خير فيه فأبدلت التاء من السين.[1]

معناها لغةً : قال العلاَّمة إسماعيل بن حماد الجوهري ــ رحمه الله تعالى ــ :((الجبت : كلمة تقع على الصنم ، والكاهن ، والساحر ، ونحو ذلك ... وهذا ليس من محض العربية ؛ لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذَولقيّ)).[2]

---

(١) المفردات (ص/٨٥) .

(٢) ينظر الصحاح (١/٢٤٥) ، لسان العرب (٢/١٦٤) .

المسألة الثانية
الجبت شرعاً

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ [النساء:٥١] .

عرَّفه الإمام **ابن عباس** رضي الله عنه ، بقوله : ((الجبت : اسم الشيطان بالحبشية)).[١]

وعرَّفه **ابن عباس** رضي الله عنه أيضاً بقوله : ((الجبت : الشرك)).[٢]

وعرَّفه **ابن عباس** رضي الله عنه كذلك **وابن سيرين ومكحول وأبو العالية** ـــ رحم الله الجميع ـــ بقولهم : ((الجبت : الكاهن)).[٣]

وعرَّفه **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه و **مجاهد والشعبي** بقولهم : ((الجبت : السحر)).[٤]

وعرَّفه سعيد ابن جبير ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((الجبت الساحر بلسان الحبشة)) .[٥]

وعرَّفه الإمام **قتادة** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((كنا نتحدث أن الجبت : شيطان)).[٦]

وقال بعضهم ((هما ـــ أي الجبت والطاغوت ـــ صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله)).[٧]

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (../...) ، الدر المنثور (٥٦٤/٢) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥١٣/١) .

(٣) جامع البيان (١٣٢/٥) ، زاد المسير (١٠٧/٢) .

(٤) صحيح البخاري (١٦٧٣/٤) ، جامع البيان (١٣١/٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٤٨/٥) .

(٥) جامع البيان (١٣١/٥-١٣٢) ، الدر المنثور (٥٦٥/٢) .

(٦) جامع البيان (١٣٢/٥) ، الدر المنثور (٥٦٥/٢) .

(٧) جامع البيان (١٣٠/٥) .

وعرَّفه الإمام **سعيد بن جبير في رواية وعكرمة وقتادة والسدي** ــ رحم الله الجميع ــ بقولهم : ((الجبت : الشيطان)).(١)

وعرَّفه الإمام **الضحاك** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((الجبت : حيي بن أخطب)).(٢)

وعرَّفه **مجاهد** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الجبت : كعب بن الأشرف)).(٣)

وعرَّفه **ابن عباس** رضي الله عنه ، بالأصنام فقال رضي الله عنه : ((الجبت : الأصنام)).(٤)

وقال **عكرمة** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((الجبت : صنم)).(٥)

وعرَّفه الإمام **مالك** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وسمعت من يقول إن الجبت الشيطان وقيل : هما ــ أي الجبت والطاغوت ــ كل معبود من دون الله ، أو مطاع في معصية الله)).(٦)

وعرَّفه **الحسن** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الجبت : رنة الشيطان)).(٧)

وعرَّفه الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وذلك أن الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله ، أو طاعة ، أو خضوع له ، كائنا ما كان ذلك المعظم ؛ من حجر ، أو إنسان ، أو شيطان)).(٨)

---

(١) صحيح البخاري (١٦٧٣/٤) ؛ جامع البيان (١٣٢/٥) ، زاد المسير (١٠٧/٢) .

(٢) جامع البيان (١٣٢/٥) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥١٣/١) .

(٤) جامع البيان (١٣١/٥) .

(٥) المصدر السابق (١٣٠/٥) ، زاد المسير (١٠٧/٢) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٨/٥-٢٤٩) .

(٧) تفسير القرآن العظيم (٥١٣/١) . وقال الشيخ العثيمين ــ يحفظه الله تعالى ــ :((والظاهر أن رنة الشيطان : أي وحي الشيطان ...))[القول المفيد (٣٣/٢)].

(٨) جامع البيان (١٣٣/٥) ، ثم قال ــ رحمه الله تعالى ــ :((... وإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها ، كانت معظمة بالعبادة من دون الله ، فقد كانت جبوتاً ، وطواغيت ، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تضيعها في معصية الله ، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولا منهما ما قالا

وأقَرَّ الحافظ **ابن حجر** ـــ رحمه الله تعالى ـــ تعريف الإمام الطبري ـــ رحمه الله تعالى ـــ للجبت ، ونقله عنه.[1]

وعرَّفه الإمام **المنذري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والجبت بكسر الجيم : كل ما عبد من دون الله تعالى)).[2]

وعرَّفه الإمام **البيضاوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والجبت في الأصل : اسم صنم ، فاستعمل في كل ما عبد من دون الله)).[3]

وقيل الجبت هو : ((كل ما عبد من دون الله ، أو أطيع طاعة فيها معصية ، أو خضع له)).[4]

وعرَّفه **أبو السعود** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والجبت : الأصنام ، وكل ما عبد من دون الله تعالى)).[5]

وعرَّفه الإمام **ابن قتيبة** وكذا **الزجاج** ـــ رحمهم الله تعالى ـــ بقولهم : ((كل معبود من دون الله ؛ من حجر ، أو صورة ، أو شيطان فهو جبت وطاغوت)).[6]

وعرَّفه **الألوسي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والجبت في الأصل : اسم صنم ، فاستعمل في كل معبود غير الله تعالى)).[7]

وقيل : ((الجبت : كل ما حرَّم الله)).[8]

... ، وكذلك حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ؛ لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود ، في معصية الله ، والكفر به وبرسوله ، فكانا جبتين وطاغوتين))[جامع البيان ـــ الطبري (١٣٣/٥)].

(١) فتح الباري (٢٥٢/٨) .

(٢) الترغيب والترهيب (١٩/٤) .

(٣) تفسير البيضاوي (٢٠٢/٢) .

(٤) معاني القرآن ـــ أبو جعفر النحاس ـــ (١١١/٢) .

(٥) تفسير أبو السعود (١٨٨/٢) .

(٦) زاد المسير (١٠٨/٢) .

(٧) روح المعاني (٥٥/٥) .

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٩/٥) .

هذا ما وقفت عليه من أقوال العلماء في بيان معنى الجبت ، والمتأمِّل فيها يجدهـــا متفقةً في الجملةِ ، فجميعها يمكن إرجاعها إلى تعريف الإمام الطبري ؛ ولذلك نرى تعريفه هو الراجح من بين كل تلك التعاريف ، والله تعالى أعلم .

المطلب التاسع
الرهبان

وفيه مسألتان :

الأولى : الرهبان لغةً .

الثانية : الرهبان شرعاً .

المطلب الأول
الرهبان لغة

أصل الكلمة : الرهبان اسم مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو (رَهِبَ).[1]

تصريفها : الرُّهْبَان على وزن (فُعْلاَن) ، جمع راهب على وزن (فَاعِل) ، مشتق من الأصل الثلاثي (رَهِبَ) ، يقال : (رَهِبَ يَرْهَبُ رَهْبَاً ورُهْباً ورَهَبَاً).[2]

معناها لغةً : معاني مادة رهب اللغوية :-

تراجع المعاني اللغوية لهذه المادة في مصطلح الرهبة ، ومما يتعلق بمبحثنا ممـــا هـــو مذكور تحت هذه المادة ، أن قالوا :

١. الرَّهْبَةُ : الخوف ، تقول : رَهِبْتُ الشيءَ رُهْباً ورَهَباً ورَهْبَة : إذا خفته .
٢. الراهب : المتعبِّد في الصومعة ، وأحد رهبان النصارى .
٣. والترهب : التعبد .[3]

فالمعنى الثاني هو مقصدنا ، وهو منتزع من المعنى الثالث ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٤٧) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : لسان العرب (٥/٣٣٧) ، تصريف الأسماء (ص/٢٢١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٤٩١) .

(٣) ينظر لهذه المعاني وغيرها في : الصحاح (١/١٤٠) ، لسان العرب (٥/٣٣٧-٣٣٩) .

المطلب الثاني
الرهبان شرعاً

قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١] .

قال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة:٨٢] .

عرَّفها الإمام **الطبري** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((وهم أصحاب الصوامع ، وأهل الاجتهاد في دينهم منهم)).[١]

وعرَّفها الإمام **البغوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الرهبان العباد أصحاب الصوامع)).[٢]

وعرَّفها الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والرهبان جمع راهب مأخوذ من الرهبة ، وهو الذي حمله خوف الله تعالى على أن يخلص له النية دون الناس ، ويجعل زمانه له ، وعمله معه ، وأنسه به)).[٣]

وقال ـــ رحمه الله ـــ أيضاً : ((والرهبان مجتهدوا النصارى في العبادة بالباطل)).[٤]

---

(١) جامع البيان (١٠/١١٤) .

(٢) معالم التنـزيل (٢/٥٨) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٢٠) .

(٤) المصدر السابق (٨/١٢٢) .

وعرَّفها الحافظ **ابن كثير** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((والرهبان عباد النصارى ، والقسيسون علماؤهم ، كما قال تعالى : ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ﴾ [المائدة : ٨٢])).[١]

وعرَّفها الشيخ **سليمان بن محمد بن عبد الوهاب** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والرهبان هم العباد)).[٢]

وعرَّفها **الشوكاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والرهبان جمع راهب مأخوذ من الرهبة ، وهم علماء النصارى كما أن الأحبار علماء اليهود)).[٣]

وعرَّفها **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وهم علماء النصارى من أصحاب الصوامع ، وفي مجمع البيان : أن الراهب هو الخاشي الذي تظهر عليه الخشية . وكثر إطلاقه على متنسكي النصارى ، وهو مأخوذ من الرهبة أي الخوف ، وكانوا لذلك يتخلون من أشغال الدنيا ، وترك ملاذها ، والزهد فيها ، والعزلة عن أهلها ، وتعمد مشاقها ، حتى أن منهم من كان يخصي نفسه ، ويضع السلسلة في عنقه ، وغير ذلك من أنواع التعذيب)).[٤]

قوله ــ رحمه الله تعالى ــ بأن الرهبان هم علماء النصارى فيه نظر ؛ إذ من المعلوم أن علماءهم هم القسّيسون ، وعُبَّادُهم هم الرهبان ، كما أن علماء اليهود هم الأحبار ، ولذا قال تعالى في شأن النصارى : ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً ﴾ [المائدة : ٨٢] ، ففرّق بين القسّيسين والرهبان . والله أعلم .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٥١/٢) ، وأيضاً (٨٧/٢) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص/١١٦) .

(٣) فتح القدير (٣٥٣/٢) .

(٤) روح المعاني (٨٤/١٠) .

المطلب العاشر
الطاغوت

وفيه مسألتان :
الأولى : الطاغوت لغةً .
الثانية : الطاغوت شرعاً .

المسألة الأولى
الطاغوت لغةً

أصل الكلمة : الطاغوت مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو (طَغَى).[1]

تصريفها : الطَاغُوتُ على وزن (فَعَلُوتٌ) ، وأصله (طَغَيُوتٌ) قدّمت الياء قبل الغين ، فوقعت متحركة بعد فتح فقلبت ألفاً ، فصارت (طاغُوت) ، والتاء فيه زائدة ، وهو مشتق من الفعل الثلاثي (طَغَى يَطْغَى طَغْيَاً وطُغْيَانَاً) ، وقد جاء من ذلك (طَغِيَ يَطْغَى) على وزن (فَعِلَ يَفْعَل) ، ومن العلماء من يرى أنه مشتق من طَغَى يَطْغُو بالواو ،...

يقول الإمام **الطبري** ــ رحمه الله ــ : « وأرى أن أصل الطاغوت الطغووت ، من قول القائل طغا فلان يَطْغُو، إذا عدا قدره فتجاوز حده، كالجبروت من التجبر ، والخلبوت من الخلب ، ونحو ذلك من الأسماء التي تأتي على تقدير فَعَلُوت بزيادة الواو والتاء ، ثم نقلت لامه أعني لام الطغووت فجعلت له عيناً ، وحولت عينه فجعلت مكان لامه ، كما قيل : جذب ، وجبذ ، وجابذ ، وجاذب ، وصاعقة ، وصاقعة ، وما أشبه ذلك من الأسماء التي على هذا المثال ».[2] [3]

معناها لغةً : معاني مادة طَغَى اللغوية :-

١. الطُغْيَان : مجاوزة الحد ، يقال : طَغَى يطْغَى ويَطْغُو : أي جاوز الحد ، وكل مجاوزٍ حدَّه في العصيان فهو طاغٍ . والطَغْوَى مثل الطُغْيَان ، وكذا الطُغْوَانُ .

٢. والطاغوت : الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلالة .

---

(١) مقاييس اللغة (٣/٤١٢) .

(٢) جامع البيان (٣/١٩) .

(٣) ينظر تصريف الكلمة في : جامع البيان ــ الطبري (٣/١٩) ، الصحاح (٦/٢٤١٢-٢٤١٣) ، لسان العرب (٨/١٦٩-١٧١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٤٩٧) .

٣. والطاغية : الصاعقة . والطاغية : الجبار العنيد ، وقيل : ملك الروم .

٤. والطَغْيَةُ : المستصعب العالي من الجبل .[1]

هذه بعض المعاني ، والذي يتعلق بما نحن فيه هو المعنى الثاني ، وهو مأخوذ من الأول ، فإن الكاهن والشيطان ورأس الضلالة قد تجاوزوا الحدَّ ، وانتهكوا الأمر ، وغرقوا في العدوان ، وتفصيل ذلك في المطلب التالي . والله أعلم .

---

(١) ينظر لهذه المعاني وغيرها في : الصحاح (٦/٢٤١٢-٢٤١٣) ؛ لسان العرب (٨/١٦٩-١٧١) .

المسألة الثانية
الطاغوت شرعاً

قال تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦] .

لقد كثرت تعريفات العلماء ، وتعددت أقوالهم في بيان معنى الطاغوت شرعاً ، وذلك يرجع لكونه اسم جنس تضمَّن معانٍ عدة ، فمن العلماء من عرَّفه بواحد أو أكثر منها ، ومنهم من عرَّفه تعريفاً عاماً يجمع جميع تلك المعاني ، أو غالبها ، وفيما أسوق ما وقفت من أقوال العلماء في ذلك :-

عرَّفه **عمر بن الخطاب** ـــ رضي الله عنه ـــ بقوله : « الطاغوت : الشيطان ».[١]

وروي ذلك عن **مجاهد** ، **والشعبي** ، **والضحاك** ، **وقتادة** ، **والسدي** [٢]

وعرَّفه **أبو العالية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « الطاغوت : الساحر ».[٣]

وعرَّفه الإمام **سعيد بن جبير** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « الطاغوت : الكاهن ».[٤]

---

(١) جامع البيان (١٨/٣) .

(٢) المصدر السابق (١٨/٣) .

(٣) المصدر السابق (١٩/٣) .

(٤) المصدر السابق (١٩/٣) .

و لم أقف على من سبق الشيخ بهذا القول .

هذا ما تيسر من أقوال العلماء ، والذي يظهر رجحانه من بينها هو تعريف الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ ، والله أعلم .

كما أنه عُلِمَ سابقاً اشتقاق الطاغوت من الطغيان ، وقد عرَّف الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ الطغيان بقوله : «... الاستقامة ضد الطغيان : وهو مجاوزة الحدود في كل شيء».[1]

---

(1) مدارج السالكين (٢/١٠٤) .

المطلب الحادي عشر
العرّاف

وفيه مسألتان :

الأولى : العرّاف لغةً .

الثانية : العرّاف شرعاً .

المسألة الأولى
العرّاف لغةً

أصل الكلمة : العرّاف مشتق من أصل لغوي ثلاثي هو (عَرَفَ).(١)

تصريفها : العرّاف صيغة مبالغة على وزن (فَعّال) ، وعمله الذي يفعله يسمى العِرَافَة بالكسر على وزن (فِعَالَة) ، وهي مصدر قياسي للفعل الثلاثي (عَرَفَ) ؛ لتضمنه لمعنى الحرفة ، تقول : (عَرَفَه يَعْرِفُه عَرْفاً وعِرَافَة وعِرْفَة وعِرْفَاناً ومعْرِفَة) ، واسم الفاعل عارف .(٢)

معناها لغةً : لمادة عرف كثير من المعاني فمنها :-

١- العرفان : العلم ، وعرَّفه الأمرَ : أعلمه إياه ، والتعريف : الإعلام ، وهو إنشاد الضالة ،ن والتعريف : التطييب .

٢- والعرّاف : الكاهن أو المنجم ، أو الذي يدعي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه ، والعِرَافَة : عمل العرّاف .(٣)

هذه بعض المعاني ، وما يتعلّق ببحثنا الشرعي هو المعنى الثاني ، ويدخل فيه من المعنى الأول : معنى الإعلام ، لأنّ العرّاف يُعْلِم ويخبر بالغيب المخفي ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٢٨١/٤) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٤٤ ، ٤٩٩) .

(٣) ينظر لهذه المعاني وغيرها : الصحاح (١٤٠٠/٤-١٤٠٢)، لسان العرب (١٥٣/٩-١٥٧)، النهاية (٢١٦/٣) .

المسألة الثانية
العرَّاف شرعاً

عن صفية عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)) .[١]

لقد كثرت تعاريف العلماء في بيان معنى العرَّاف ، وفيما يلي بيانها ، مع ملاحظة أن تعاريفهم للعرَّاف يؤخذ منها معنى العِرَافة ، والعكس بالعكس .

عرَّفه الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والعرَّاف : هو الحازر والمنجم الذي يدعي علم الغيب ، وهي من العِرَافَة ، وصاحبها عرَّاف ، وهو الذي يستدل على الأمور بالأسباب ومقدمات يدعي معرفتها ..)).[٢]

وعرَّفه الإمام **البغوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والعرَّاف : هو الذي يدّعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها ، كالمسروق من الذي سرقها ، ومعرفة مكان الضالة)).[٣]

وعرَّفه الإمام **النووي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((ومن هذا الفن العِرَافَة وصاحبها عرَّاف ، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدّعي معرفتها بها ، وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك ؛ بالزجر ، والطرق ، والنجوم ، وأسباب معتادة ، وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة ..)).[٤]

وعرَّفه الإمام **ابن الأثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((.. ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها؛ من كلام من يسأله، أو فعله ، أو حاله ، وهذا يخصونه باسم العرَّاف ، كالذي يدّعي معرفة الشيء المسروق ، ومكان الضالة ، ونحوها)).[٥]

---

(١) مسلم (١٧٥١/٤) برقم (٢٢٣٠) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣/٧) .

(٣) شرح السنة (١٨٢/١٢) .

(٤) شرح صحيح مسلم ــ النووي (٢٢٣/١٤) .

(٥) النهاية (٢١٤/٤-٢١٥) ، وقال أيضاً : ((.. أراد بالعرَّاف : المنجم ، أو الحازي الذي يدعي علم الغيب ، وقد

وعرَّفه الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((والعرَّاف قد قيل إنّه اسم عـــام للكاهن ، والمنجم ، والرمال ، ونحوهم ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهذه الطرق ، ولو قيل : إنه في اللغة اسم لبعض هذه الأنواع ، فسائرها يدخل فيه بطريق العموم المعنوي)).[(١)]

عرَّفه الحافظ **ابن حجر** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والعرَّاف ـــ بفتح المهملـة وتشديد الراء ـــ من يستخرج الوقوف على المغيبات بضرب ، من فعل ، أو قول)).[(٢)]

وعرَّفه الشيخ **العثيمين** ـــ حفظه الله تعالى ـــ بقوله : ((العرَّاف صيغة مبالغـــة ؛ فإما أن يراد بها الصيغة ، وإما أن يراد بها النسبة : وهو الذي يدّعي معرفة الأشياء ، وليس كل من يدّعي معرفةً يكون عرّافاً ، لكن من يدّعي معرفة تتعلّق بعلم الغيـــب ، فيدّعـــي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على مكان المسروق ، والضالة ونحوهما)).[(٣)]

وعرَّفه **المناوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((العرَّاف : الكاهن ، لكن العـــرَّاف يختص بالأحوال المستقبلة ، والكاهن يخبر بالماضي)).[(٤)]

وقيل : ((العرَّاف : بفتح العين وتشديد الراء فعّال للمبالغة : المنجم ، وقد يتعاطى الطب من جملة ما يتعاطاه)).[(٥)]

وقيل : ((هو الذي يخبر عما في الضمير)).[(٦)]

والحاصل أن للعلماء في تحديد معنى العرَّاف ، وعلاقته بالكاهن وغيره خلافـــاً ، يظهر من خلال ما سبق ، فمنهم من يرى أن العرَّاف هو الكاهن فهما مترادفان ، ومنـــهم من يرى أن العرَّاف أعم ، فهو يشمل الكاهن وغيره ، ومنهم من يرى أن العرَّاف يختـــص بالإخبار عن الماضي ، والكاهن بالمستقبل ، فهما متباينان .

استأثر الله تعالى به))[المصدر السابق (٣/٢١٨)] .

(١) الفتاوى (٣٥/١٧٣) .

(٢) فتح الباري (١٠/٢١٧) .

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٦٠) .

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (ص/٥٠٩) . وينظر : القول المفيد (٢/٦٠) .

(٥) معجم لغة الفقهاء (ص/٣٠٨) .

(٦) كتاب التوحيد مع شرحه القول المفيد (٢/٦٠) .

ويمكن أن نقول بأنه لا إشكال في حالة ما إذا ذُكِرا جميعاً ، فيحمل العرَّاف على من يخبر عن الماضي ، والكاهن على من يخبر بالمستقبل ، ولكن الإشكال فيما إذا انفردا ، ولعلّ الصحيح في ذلك التباين بينهما في المعنى كما ذكر ، فنقول بأنَّ العرَّاف : هو من يدّعي علم ما غاب عن الناس في الماضي، فيخبر بالمسروق، ويعرّف بالضالة . والله أعلم .

المبحث الثاني

المصطلحات التي هي وسائل وذرائع لنقض توحيد الألوهية

ويشتمل على المطالب التالية :-

المطلب الأول : الاستقسام .

المطلب الثاني : التمائم .

المطلب الثالث : التنجيم .

المطلب الرابع : التولة .

المطلب الخامس : الرهبانية .

المطلب السادس : السحر .

المطلب السابع : الطيرة .

المطلب الثامن : العيافة .

المطلب التاسع : الكهانة .

المطلب العاشر : النشرة .

المطلب الأول
الاستقسام

وفيه مسألتان :

الأولى : الاستقسام لغةً .

الثانية : الاستقسام شرعاً .

المسألة الأولى
الاستقسام لغةً

أصل الكلمة : الاستقسام مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (قَسَمَ).[١]

تصريفها : الاسْتِقْسَام على وزن (اسْتِفْعَال) ، مصدر قياسي للفعل السداسي (اسْتَقْسَم) ، على وزن (اسْتَفْعَلَ) ، وأصله الثلاثي (قسم) مزيد بثلاثة أحرف ، يقال في الثلاثي (قَسَمَ يَقْسِمُ قَسْماً) من باب ضرب يضرب .[٢]

معناها لغةً : من معاني مادة قَسَمَ في كتب اللغة :-

١. تجزئة الشيء، يقال : قسمت الشيء فانقسم، والمصدر القَسْمُ ، والاسم : القِسْمَةُ .
٢. والقَسَمُ : اليمين ، وهو الحلف ، وأصله من القَسَامَةِ : وهي الأَيمَان تُقْسَمُ على الأولياء في الدم .
٣. واسْتَقْسَمَ : طلب القَسْمَ بالأزلام .[٣]

فهذه أشهر المعاني تحت مادة قسم ، وهي لا تخرج عن معنيين : إما أن تدل على جمال ، أو تدلُّ على التجزئة ، ولذا يقول ابن فارس : ((القاف والسين والميم أصلان صحيحان ، يدلُّ أحدهما على جمالٍ وحُسْن ، والآخر على تجزئة شيء)).[٤]

والذي يناسبنا من تلك المعاني هو الأخير منها ، فإن المستقسم يطلب من أزلامه بفعله هذا أن تقْسِمَ له أمره إما إلى خير فيأتمر به ، أو شَرٌّ فينتهي عنه ، أو أن يطلب القِسْمَ الذي قُسِمَ له وقُدِّرَ مما لم يُقْسَم و لم يُقَدَّر ، كما سيعلم ذلك بحول الله في المطلب التالي :

---

[١] مقاييس اللغة (٨٦/٥) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٦٨) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٣٦٠) .

[٣] ينظر هذه المعاني وغيرها في : الصحاح (٢٠١٠/٥-٢٠١٢) ، لسان العرب (١٦٢/١١-١٦٧) .

[٤] مقاييس اللغة (٨٦/٥) .

المسألة الثانية
الاستقسام شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة:٣] .

سبق وأن علمنا أن الاستقسام استفعال من الطلب ، فالمستقسم طالب من الأزلام كما سبق بيان ذلك ، وهذا هو المعنى الذي أطبقت عليه تعاريف العلماء ، وفيما يلي أسوق ما وقفت عليه من كلامهم في بيان معنى الاستقسام الذي كانت تفعله الجاهلية :

عرَّفه الإمام **ابن قتيبة** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والاستقسام بها أن يضرب بها فيعمل بما يخرج فيها من أمر أو نهي ..)).[1]

وعرَّفه الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وأن تستقسموا بالأزلام ﴾ [المائدة : ٣] ، فقال : ((وأن تطلبوا علم ما قسم لكم ، أو لم يقسم بالأزلام)).[2]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وهو استفعلت من القَسْمِ قَسْمُ الرزق والحاجات .. فقيل : ﴿ وأن تستقسموا بالأزلام ﴾ [المائدة : ٣] ؛ لأنهم بفعلهم ذلك كانوا كأنهم يسألون أزلامهم أن يقسِمْنَ لهم)).[3]

وعرَّفه الإمام **البغوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والاستقسام : هو طلب القسم والحكم من الأزلام)).[4]

وعرَّفه الإمام **ابن الأثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((الاستقسام : طلب القِسْمِ الذي قُسم له وقُدِّر ، مما لم يُقْسَم ولم يقَدَّر ، وهو استفعال منه)).[5]

---

(١) زاد المسير (٢/٢٨٤) .

(٢) جامع البيان (٦/٧٥) .

(٣) المصدر السابق (٦/٧٦) .

(٤) معالم التنـزيل (٢/٩) .

(٥) النهاية (٤/٦٣) .

وعرَّفه الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((فالاستقسام بهذا كله : هو طلب القسم والنصيب)).[1]

وعرَّفه الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((والحاصل أن الاستقسام استفعال من القسم بكسر القاف ، أي استدعاء ظهور القسم ، كما أن الاستسقاء : طلب وقوع السقي)).[2]

وعرَّفه الإمام **الشوكاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((وإنما قيل لهذا الفعل استقسام لأنهم كانوا يستقسمون به الرزق وما يريدون فعله ، كما يقال استسقى ، أي استدعى السقي فالاستفهام : طلب القسم)).[3]

وقيل : ((الاستقسام : إلزام أنفسهم بما تأمرهم به القداح ، كقسم اليمين)).[4]

وهذا الإلزام يكون بعد طلبهم من القِداح القِسْمَةَ لهم .

وعرَّفه **الألوسي** ــ رحمه الله ــ عند قوله : ﴿ وأن تستقسموا بالأزلام ﴾ فقال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((بأن تطلبوا السعادة ، والكمال بالحظوظ ، والطوالع ، وتتركوا العمل ..)).[5]

وتعريف **الألوسي** يشير إلى أن الاستقسام لا ينحصر في استعمال الأزلام فقط ، وإنما هو شامل لكل ما يطلب به علم الغيب بسبب غير شرعي ، فأي شيء وُجِدَ فيه هذا المعنى ، فهو كالأزلام سواء ، والله أعلم .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/٥٩) .

(٢) فتح لباري (٨/٢٧٨) .

(٣) فتح القدير (٢/١٠) .

(٤) إغاثة اللهفان (١/٢٠٨) .

(٥) روح المعاني (٦/٦٨) .

المطلب الثاني
التمائم

وفيه مسألتان :-

الأولى : التمائم لغةً .

الثانية : التمائم شرعاً .

المسألة الأولى
التمائم لغةً

أصل الكلمة : التمائم مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (تمم) .[١]

تصريفها : التمائم على وزن (فَعَائِل) ، جمع كثرة لِتَمِيمَة على وزن (فَعِيلَة) ، والأصل الثلاثي من ذلك تَمَّ يَتِمُّ تَمًّا ، من باب ضرب .[٢]

معناها لغةً : من معاني مادة تَمَمَ اللغوية :-

١. كمال الشيء ونهايته ، يقال : تَمَّ : إذا كمل وانتهى ، وأتمَّ الحج : أي أكمله وأدَّاه ، وتَمَّمَ على الجريح : أجهز عليه ، والتميم : التام الخلق ، وتتامُّوا : جاءُوا بأكملهم وتَمُّوا

٢. والتميمة : خرزة تُنْظَم في السير ، ثم يعقد في العنق ، وقيل : عُوذَةٌ تعلَّق على الإنسان .

٣. والتَّمْتَمَة : ردُّ الكلام إلى التاء والميم ، وقيل : هو أن يعجل بكلامه فلا يكاد يُفْهِمُكَ .[٣]

هذه بعض المعاني ، وما يخصُّنا هو الثاني ، كما أنَّ للمعنى الأول علاقة واضحة بالتمائم ، إذ أن العرب إنما كانت تعلّقها لتمام الدَّواءِ والشفاء ، كما سيأتي في المطلب التالي .

---

[١] مقاييس اللغة (٣٣٩/١) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص٢٢٥) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٤٩) .

[٣] ينظر معنى مادة تمم في : الصحاح (١٨٧٧/٥-١٨٧٨) ، اللسان (٥٢/٢-٥٥) ، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ص٢٥) .

المسألة الثانية
التمائم شرعاً

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » .[1]

كلام العلماء في بيان معنى التمائم لا يكاد يحصر ، وأقوالهم متفقة في الغالب ، وقد تتغاير في ألفاظها ، أما من حيث المعنى فلا خلاف ؛ وذلك لأنّ تعريفاتهم مأخوذة في الجملة من المعاني اللغوية المذكورة في المطلب السالف الذكر ، وإليكها فيما يلي :

عرَّفها الإمام **البغوي** ــ رحمه الله ــ بقوله : « التمائم جمع التميمة : وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم ، يتقون بها العين بزعمهم ، فأبطلها الشرع ».[2]

عرَّفها الإمام **ابن عبد البر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « التميمة في كلام العرب القلادة هذا أصلها في اللغة ، ومعناه عند أهل العلم : ما عُلّق في الأعناق ؛ من القلائد خشية العين أو غيرها من أنواع البلاء ».[3]

وعرَّفها الإمام **البيهقي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والتميمة : يقال إنها خرزة كانوا يتعلقونها ، يرون أنها تدفع عنهم الآفات ، ويقال قلادة تعلق فيها العوذ ».[4]

وعرَّفها الإمام **ابن قتيبة** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والتمائم : خرز رقط كانت الجاهلية تجعلها في العنق والعضد ، تسترقي بها ، وتظن أنها تدفع عن المرء العاهات ، وتمد في العمر

---

(١) مسند أحمد (٣٨١/١) برقم (٣٦١٥) ، سنن أبي داود (٩/٤) برقم (٣٨٨٣) .

(٢) شرح السنة (١٥٨/١٢) .

(٣) التمهيد (١٦٢/١٧) .

(٤) سنن البيهقي (٣٥٠/٩) .

قال الشاعر :-

إذا مات لم تفلح مزينة بعده *** فنوطي عليه يا مزين التمائما

يقول علقي عليه هذا الخرز لتقيه المنية)).[1]

وعرَّفها **ابن الأثير** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((التمائم جمع تميمة ، وهي خرزات كانت العرب تُعلّقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم ، فأبطلها الإسلام)).[2]

وعرَّفها الإمام **الديلمي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والتمائم : واحدها تميمة : خرزات تعلقها العرب على أولادها لاتقاء العين فأبطلها الشارع ونهى عنها)).[3]

وعرَّفها الإمام **الذهبي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((التمائم : جمع تميمة وهي خرزات وحروز يعلقها الجهال على أنفسهم ، وأولادهم ، ودوابهم ، يزعمون أنها ترد العين ، وهذا من فعل الجاهلية ،ومن اعتقد ذلك فقد أشرك)).[4]

وعرَّفها الإمام **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والتمائم جمع تميمة وهي خرز أو قلادة تعلق في الرأس كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات)).[5]

وعرَّفها الإمام **المناوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((... والتمائم : جمع تميمة ، وأصلها خرزات تعلقها العرب على رأس الولد لدفع العين ، توسعوا فيها فسموا بها كل عوذة)).[6]

وعرَّفها الشيخ **العظيم أبادي** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((والتمائم : جمع التميمة ، وهي التعويذة التي لا يكون فيها أسماء الله تعالى، وآياته المتلوة ، والدعوات المأثورة تعلق على الصبي)).[7]

---

(١) تأويل مختلف الحديث (١/٣٣٤) .

(٢) النهاية (١/١٩٧) .

(٣) فيض القدير (٣/٣٢١) .

(٤) الكبائر (ص/١٦) .

(٥) فتح الباري (١٠/١٩٦) .

(٦) فيض القدير (٢/٣٤٢) .

(٧) عون المعبود (١٠/٢٦٢) .

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ أيضاً «... التمائم جمع تميمة ، والمراد بها التعاويذ التي تحتوي على رقي الجاهلية ؛ من أسماء الشياطين ، وألفاظ لا يعرف معناها ، وقيل التمائم : خرزات كانت العرب في الجاهلية تعلقها على أولادهم ، يتقون بها العين في زعمهم ».[1]

وعرَّفها الإمام **الشوكاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « والتمائم : جمع تميمة ، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم ، يمنعون بها العين في زعمهم فأبطله الإسلام ».[2]

هذا ما تيسّر من كلام أهل العلم ، وأقوالهم متفقة إلى حدٍّ كبير في معنى التميمة ، ولا يكاد يشذّ منهم أحد ، والله أعلم .

---

(١) المصدر السابق (١١/١٨٨) .

(٢) نيل الأوطار (٩/١٠٤) .

المطلب الثالث
التنجيم

وفيه مسألتان :-

الأولى : التنجيم لغةً .

الثانية : التنجيم شرعاً .

المسألة الأولى
التنجيم لغةً

أصل الكلمة : التنجيم مشتقٌ من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (نجم).[1]

تصريفها : التَنْجيم على وزن (تَفْعِيل) ، وهو مصدر قياسي للفعل الرباعي (نَجَّمَ) ، على وزن (فَعَّلَ) ، وأصله ثلاثي مزيد بتضعيف العين ، يقال : (نَجَمَ يَنْجُمُ نَجْمَاً ونُجُوماً) من باب نصر ينصر .[2]

معناها لغةً : المعاني اللغوية لمادة نجم :-

١. الظهور والطلوع ، نجم الشيء ينجم نجوماً إذا طلع وظهر ، ونجم النبات والناب والقرن والكوكب وغير ذلك : إذا طلع وظهر .
٢. والنجم : قيل هو ما نبت على ظهر الأرض وتسطَّح فلم ينهض ، والشجر : ما له ساق ، وقيل النجم بمعنى النجوم ، والمقصود منه الكواكب كلها ، وهو في الأصل اسم لكل واحد من كواكب السماء ، وهو بالثريا أخص ، والمنجِّم والمتنجّم : الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها .
٣. وتنجيم الدَّيْن : أن يقرر أداءه في أوقات معلومة متتابعة .
٤. والمنجم : الطريق الواضح ، وهو المخْرَج كذلك .[3]

وجعل ابن فارس ـ رحمه الله ـ أصل هذه المعاني هو الطلوع والظهور فقال : ((النون والجيم والميم أصل صحيحٌ يدلُّ على طلوعٍ وظهور)).[4]

ولعل التنجيم نسبةٌ إلى النجم ، إذ كانت مُهِمّة المنجّم إنما تتمّ إلا عن طريق النجوم ، والله تعالى أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (٥/٣٩٦) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٦٢) ، معجم الأفعال العربية (ص/١٢٧، ٢٤٣) .

(٣) ينظر لهذه المعاني وغيرها في : الصحاح (٥/٢٠٣٩) ، النهاية (٥/٢٣-٢٥) ، أساس البلاغة (ص/٤٤٥) ، لسان العرب (١٤/٥٩-٦١) .

(٤) مقاييس اللغة (٥/٣٩٦) .

المسألة الثانية
التنجيم شرعاً

عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد)) .[١]

وعبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس ﷺ قال : ((إن قوماً ينظرون في النجوم ، وفي حروف أبي جاد ، قال أرى أولئك قوماً لا خلاق لهم)) .[٢]

اعلم وفقك الله أنّ التنجيم على ضربين :-

أحدهما : أن يستدل المنجم بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية ، وهذا من ادعاء علم الغيب الذي اختص الله تعالى به نفسه .

الثاني : أن يستدل بطلوع النجوم على الأوقات ، والأزمنة ، والفصول ، وفيما يلي أقوال العلماء التي تبيّن هذين النوعين .

عرّفه الإمام **الخطابي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((علم النجوم المنهي عنه هو ما يدلُّ عليه أهل التنجيم ، من علم الكوائن ، والحوادث التي لم تقع ، كمجيء الأمطار وتغيير الأسعار ، وأما ما يعلم به أوقات الصلاة ، وجهة القبلة فغير داخل فيما نُهي عنه)).[٣]

وعرّفه الإمام **البغوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والمنهي من علم النجوم ما يدّعيه أهلها من معرفة الحوادث التي لم تقع في مستقبل الزمان ، مثل إخبارهم بوقت هبوب الرياح ، ومجيء المطر ، ووقوع الثلج ، وظهور الحر والبرد ، وتغيير الأسعار ونحوها ، يزعمون أنهم يستدركون معرفتها بسير الكواكب ، واجتماعها وافتراقها ، وهذا علم استأثر الله عز وجل به لا

---

(١) سنن أبي داود (١٥/٤) برقم (٣٩٠٥) ؛ مصنف ابن أبي شيبة (٢٣٩/٥) برقم (٢٥٦٤٦) .

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (٢٤٠/٥) برقم (٢٥٦٤٨) .

(٣) عون المعبود (٢٨٥/١٠) .

يعلمه أحد غيره .. فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال ، وجهة القبلة ، فإنه غير داخل فيما نُهي عنه ».[١]

وعرَّفه الإمام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « وصناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير ، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية ، والتمزيج بين القوى الفلكي ، والقوابل الأرضية ..».[٢]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ أيضاً : « والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء ، وحكى ذلك عن العرب ، وعند آخرين هو من جنس الكاهن وأسوأ حالاً منه ، ملحق به من جهة المعنى ».[٣]

وعرَّفه الحافظ المنذري ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : «.. والمنهي عنه من علم النجوم هو : ما يدّعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان ؛ كمجيء المطر ، ووقوع الثلج ، وهبوب الريح ، وتغيير الأسعار ونحو ذلك ، ويزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب واقترانها وافتراقها ، وظهورها في بعض الأزمان ، وهذا علم استأثر الله به لا يعلمه أحد غيره ، فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال ، وجهة القبلة ، وكم مضى من الليل والنهار ، وكم بقي ، فإنه غير داخل في النهي ..».[٤]

وعرَّفه الشيخ العثيمين ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « التنجيم مأخوذ من النجم ، وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية ، بمعنى أن يربط المنجم ما يقع في الأرض ، أو ما سيقع في الأرض بالنجوم ، وحركتها وطلوعها وغروبها واقترانها وافتراقها ، وما أشبه ذلك ، ... وهناك نوع آخر من التنجيم : وهو أن الإنسان يستدل بطلوع النجوم على الأوقات والأزمنة والفصول ، فهذا لا بأس به ، ولا حرج فيه ».[٥]

---

(١) شرح السنة البغوي (١٨٣/١٢) .

(٢) الفتاوى (١٩٢/٣٥) .

(٣) الفتاوى (١٩٣/٣٥-١٩٤) .

(٤) الترغيب والترهيب (١٩/٤) .

(٥) المجموع الثمين (١٣٨/٢) .

وقيل : « التنجيم : ظن معرفة الغيب بالنظر في النجوم ».[1]

هذا ما وقفت عليه ، ولعل أفضل هذه التعريفات وأوضحه هو تعريف الشيخ العثيمين ـ حفظه الله تعالى ـ ، والله أعلم .

---

(١) معجم لغة الفقهاء (ص/١٤٧) .

المطلب الرابع
التّوَلة

وفيه مسألتان :

الأولى : التّوَلة لغةً .

الثانية : التّوَلة شرعاً .

المسألة الأولى
التِّوَلة لغةً

أصل الكلمة : التِّوَلَةُ مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو (تول) .[1]

تصريفها : التِّوَلَةُ على وزن (فِعَلَة) ، يقول ابن فارس ــ رحمه الله تعالى ــ : ((التاء والواو واللام كلمة ما أحسبها صحيحة ، لكنها قد رويت)).[2]

معناها لغةً : معاني كلمة تولة اللغوية :-

١. التُّوَلَة : الداهية ، وجمعها الدواهي .

٢. والتِّوَلَةُ وقيل : التُّوَلَة : ضرب من الخرز يوضع للسحر ، يُحَبِّب المرأة إلى زوجها .

٣. والتَّالُ : صغار النخل وفسيله ، الواحدة : تالّة .[3]

هذه بعض معاني الكلمة ، وأقربها إلى المقصود الشرعي ، المعنى اللغوي الثاني ، والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (١/٣٥٩) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : مقاييس اللغة (١/٣٥٩) .

(٣) ينظر لهذه المعاني في : الصحاح (٤/١٦٤٥) ، لسان العرب (٢/٦٥) .

المسألة الثانية
التِّوَلَة شرعاً

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » .[١]

عرَّفها الصحابي الجليل **عبد الله بن مسعود** ﷺ بقوله : « التِّوَلَة : شيء يصنعه النساء يتحببن إلى أزواجهن ».[٢]

وسألته زوجته عن التِّوَلَة ، فقال : « التهييج ».[٣]

وعرَّفها الإمام **ابن الجوزي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « التِّوَلَة : ضرب من السحر يحبب المرأة إلى زوجها ».[٤]

وعرَّفها الإمام **المنذري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « التِّوَلَة : بكسر المثناة فوق ، وبفتح الواو : شيء شبيه بالسحر ، أو من أنواعه تفعله المرأة إلى زوجها ».[٥]

وعرَّفها الإمام **النووي** ــ رحمه الله ــ بقوله : « والتِّوَلَة بكسر التاء المثناة وضمها : وهو نوع من السحر ، وقيل : يشبه السحر ، وقال الأصمعي : هو ما تتحبب به المرأة إلى زوجها ».[٦]

وعرَّفها الإمام **ابن الأثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « التِّوَلَة بكسر التاء وفتح الواو ما يحبب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره ».[٧]

---

(١) مسند أحمد (٣٨١/١) برقم (٣٦١٥) ، سنن أبي داود (٩/٤) برقم (٣٨٨٣) .

(٢) صحيح ابن حبان (٤٥٦/١٣) .

(٣) التمهيد (١٦٤/١٧) .

(٤) تلبيس إبليس (ص/٣١٤) .

(٥) الترغيب والترهيب (١٥٨/٤) .

(٦) شرح صحيح مسلم ــ النووي (٢١٨/١٤) .

(٧) النهاية (٢٠٠/١) .

المطلب الخامس
الرهبانية

وفيه مسألتان :

الأولى : الرهبانية لغةً .

الثانية : الرهبانية شرعاً .

المسألة الأولى
الرهبانية لغة

أصل الكلمة : الرهبانية مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو (رَهِبَ).[١]

تصريفها : الرَّهْبانية على وزن (فَعْلانية) ، وهي مصدر صناعي من (الرَّهْبة) ، والأصل الثلاثي من ذلك (رَهِبَ يَرْهَبُ رَهْبًا ورَهَبًا ورَهْبانية).[٢]

معناها لغة : معاني مادة رهب اللغوية :-

سبق وأن تعرضنا لهذه المعاني بشيء من التفصيل في مصطلح الرَّهْبة ، وما يتعلّق بمبحثنا من المعاني هو :-

١. الرَّهْبَة : الخوف ، يقال : رَهِبَ يَرْهَب رَهْبَةً ورُهْبًا ورَهَبًا : أي خاف .

٢. وترَهَّب الرجل : إذا صار راهِبًا يخشى الله . والرَّاهِب : المتعبد في الصومعة .[٣]

والحاصل أن أصل الرهبانية من الرَّهْبَة والترهُّب ، ثم صارت اسمًا لما فضل عن المقدار وأفرط فيه ، فهي متضمنة للتعبد في خوف مفرط ، ولذا يقول ابن فارس : « الراء والهاء والباء أصلان : أحدهما يدلُّ على خوف ... ».[٤]

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٤٧) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : لسان العرب (٥/٣٣٨) ، تصريف الأسماء (ص/٧٧-٧٨) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٠٧ ، ٤٩١) ، وذكر الجوهري أن مصدر الراهِب : رَهْبة ورَهْبانية . [الصحاح (١/١٤٠)] .

(٣) ينظر لهذه المعاني وغيرها في : الصحاح (١/١٤٠) ، لسان العرب (٥/٣٣٧-٣٣٩) .

(٤) ينظر لسان العرب (٥/٣٣٨) ، مقاييس اللغة (٢/٤٤٧) .

المسألة الثانية
الرَّهبانية شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحديد:٢٧] .

عرَّفها **البيضاوي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((وهي المبالغة في العبادة ، والرياضة ، والانقطاع عن الناس ، منسوبة إلى الرهبان ، وهو المبالغ في الخوف)).[١]

وعرَّفها **الراغب** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والرَّهبانية : غلوٌّ في تحمُّل التعبُّد من فرط الرَّهبة)).[٢]

وعرَّفها الإمام **البغوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((.. الرهبانية : ما حملوا أنفسهم من المشاق ، في الامتناع من المطعم ، والمشرب ، والملبس ، والنكاح ، والتعبد في الجبال)).[٣]

وعرَّفها الإمام **ابن الجوزي** ـــ رحمه الله ـــ بقوله : ((وهي غلوهم في العبادة ، وحمل المشاق على أنفسهم في الامتناع عن المطعم، والمشرب، والملبس ، والنكاح ، والتعبد في الجبال)).[٤]

وعرَّفها الإمام **ابن تيمية** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والرهبانية : لا تختص بالقلوب بل الرهبانية ترك المباحات من النكاح واللحم وغير ذلك)).[٥]

---

(١) تفسير البيضاوي (٥/٣٠٥) .

(٢) المفردات (ص/٢٠٤) .

(٣) معالم التنـزيل للبغوي (٤/٣٠٠) .

(٤) زاد المسير (٨/١٧٦) .

(٥) الجواب الصحيح (٢/١٩٤) .

وعرَّفها الإمام **المناوي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والرهبانية ما يتكلفه النصارى من أنواع المجاهدات والتبتل)).(١)

وعرَّف ـــ رحمه الله تعالى ـــ الرَّهْبَنَة أيضاً بقوله : ((الرهبنة : وهي ترك ملاذ الدنيا ، والزهد ، والعزلة عن أهلها ، وتحمل مشاقها ، ونحو ذلك من أنواع التعذيب الذي يفعله رهبان النصارى)).(٢)

وعرَّفها الإمام **الشوكاني** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((والرهبانية والترهب : التعبد في الصوامع)).(٣)

وقيل هي : ((.. الخوف المفرط المقتضي للغلو في التعبد)).(٤)

هذا ما تيسَّر من أقوال العلماء ، والحاصل أن الرهبانية قد جاءت فيها قراءتان ، قراءة بفتح الراء من الرَّهْبَة تحمل معنى الخوف ، وقراءة بضمها نسبة إلى الرُّهْبَان ، وهذه تحمل معنى الانعزال عن ملاذ الدنيا المباحة ، ولذا يقول الإمام الماوردي ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((وفيها قراءتان : إحداهما بفتح الراء ، وهي الخوف من الرهب . الثانية بضم الراء ، وهي منسوبة إلى الرهبان كالرضوانية من الرضوان ، وذلك لأنهم حملوا أنفسهم على المشقات ؛ في الامتناع من المطعم ، والمشرب ، والنكاح ، والتعلق بالكهوف ، والصوامع وذلك أن ملوكهم غيروا وبدلوا وبقي نفر قليل فترهبوا وتبتلوا)).(٥)

والراجح من تلك الأقوال أن الرهبانية تحمل معنى الخوف والانعزال ، ومن لم ينص على الخوف من العلماء ، فلما هو معروف من أن عزلتهم ـــ أي الرهبان ـــ ما كانت إلا من شدة خوفهم ، ولذا نقول في تعريفها :

((الخوف المفرط المقتضي للغلو في التعبد ، وترك ملاذ الدنيا المباحة ، بنية التقرب إلى الله تعالى)). والله أعلم .

---

(١) فيض القدير (٧٥/٣) .

(٢) المصدر السابق (٣٣٢/٤) .

(٣) المصدر السابق (٦٨/٢) .

(٤) روح المعاني (١٩١/٢٧) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٣/١٧) .

المطلب السادس
السحر

وفيه مسألتان :

الأولى : السحر لغةً .

الثانية : السحر شرعاً .

المسألة الأولى
السحر لغةً

أصل الكلمة : السِّحْرُ مشتق من أصل لغوي ثلاثيّ هو (سحر).[١]

تصريفها : السِّحْرُ على وزن (فِعْل) ، مصدر سماعي للفعل الثلاثي (سَحَرَ يَسْحَرُ) ، والمصدر القياسي (سَحْر) ، لأن فعله متعدي ، وهو من باب فتح يفتح .[٢]

معناها لغةً : معاني مادة سحر في كتب اللغة :-

١. السِّحْرُ : هو كل ما لطف مأخذه ودقَّ ، فهو ضربٌ من الخداع ، وقيل : هو عمل يُتَقَرَّبُ فيه إلى الشيطان وبمعونة منه ، وقيل السِّحْرُ : البيان في فطنة ، وأصل السحر : صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره ، فكأنّ الساحر لما أَرى الباطل في صورة الحق ، وخيَّل الشيء على غير حقيقته ، قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه ، وسمَّت العرب السِّحْرَ سِحْرًا : لأنه يزيل الصحة إلى المرض .

٢. السَّحْرُ والسَّحَرُ : آخر الليل قبيل الصبح .

٣. السَّحُور : طعام السَّحَر وشرابه .

٤. السَّحْرُ والسَّحَرُ والسُّحْرُ : ما التزق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن .

٥. وسَحَرَه : إذا خدعه .

٦. والساحر : العالم .[٣]

ومعنى السحر شرعاً : هو بعينه المعنى اللغوي الأول ؛ لأنه من الأمور المعلومة قديماً في الجاهلية قبل الإسلام . والله أعلم .

---

(١) مقاييس اللغة (١٣٨/٣) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٧٠) .

(٣) ينظر لهذه المعاني في : الصحاح (٦٧٨/٢-٦٧٩) ، لسان العرب (١٨٩/٦-١٩١) .

المسألة ثانية
السِّحْرُ شرعاً

قال تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة:١٠٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [يونس:٨١] .

لقد كثرت أقوال العلماء وتنوعت في بيان معنى السِّحْر شرعاً ، ولعلَّ ذلك يرجع إلى كثرة أنواعه ، كما أن هناك جملةً من العلماء لا يعترفون بحقيقة للسحر ، بل هو عندهم خداع وتخييل ، ومن العلماء من يجعله كله حقيقة ، وآخرون أقروا بالأمرين ، وأنّ منه ما هو حقيقة ، ومنه ما هو تخييل ،...

يقول الشيخ **الشنقيطي** ــ رحمه الله تعالى ــ : ((اعلم أنَّ السِّحْرَ في الاصطلاح لا يمكن حدّه بحدٍّ جامعٍ مانعٍ ؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته ، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعاً لغيرها ، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حدّه اختلافاً متبايناً)).[1]

وفيما يلي أسوق ما وقفت عليه من تعريفات اصطلاحية في بيان معنى السِّحْر :

عرَّفه الإمام **الشافعي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((.. وعندنا أَصله طلسم يبنى على تأثير خصائص الكواكب ، كتأثير الشمس في زئبق عصى فرعون ، أو تعظيم الشياطين ليسهلوا له ما عَسُر)).[2]

وعرَّفه **القاضي عياض** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والسحر : مرض من الأمراض ،

---

(١) أضواء البيان (٤/٤٤٤) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٤) .

وعارض من العلل ..)).[(١)]

وعرَّفه الإمام **الطبري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((معنى السحر : تخييل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به في عينه وحقيقته)).[(٢)]

وقال أيضاً : ((وقد بينت فيما مضى السحر أنه : تخييل الشيء إلى الناظر ، أنه على خلاف ما هو به من هيئته)).[(٣)]

وعرَّفه الإمام **أبو بكر الجصاص** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((.. كل أمر خَفِيَ سَبَبُهُ وتُخُيِّلَ على غير حقيقته ، ويجري مجرى التمويه والخداع)).[(٤)]

وعرَّفه **البيضاوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والمراد بالسحر : ما يستعان بتحصيله بالتقرّب إلى الشيطان مما لا يستقل به الإنسان ، وذلك لا يستتب إلا لمن يناسبه في الشرارة ، وخبث النفس ، فإن التناسب شرط في التضام والتعاون)).[(٥)]

وعرَّفه **المازري** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((.. السِّحر : يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد)).[(٦)]

وعرَّفه الإمام **ابن العربي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((هو كلامٌ مؤلف يعظَّم فيه غير الله تعالى ، وتنسب إليه فيه المقادير والكائنات)).[(٧)]

---

(١) زاد المعاد (١٢٤/٤) .

(٢) جامع البيان (٤٦٣/١) .

(٣) جامع البيان (٤٩/١٨) .

(٤) أحكام القرآن (٥٠/١) .

(٥) تفسير البيضاوي (٣٧٢/١) .

(٦) فتح الباري (٢٢٣/١٠) .

(٧) أحكام القرآن ــ ابن العربي (٣١/١) . وقال الدكتور أحمد ناصر الحمد بعد نقله لتعريف الإمام ابن العربي ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وأقول : إن هذا الحد يصوّر السحر بمعناه الدقيق من حيث الشرع ــ أي ما يصدق فيه الكفر ــ لا بمعناه المصطلح العام ، الذي يدخل فيه أمور لا توصل إلى حد الكفر))[السِّحْر بين الحقيقة والخيال (ص/١٨)] .

وعرَّفه الإمام **ابن حزم** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « والسِّحر : حيلٌ وتخييل لا يحيل طبيعة أصلاً ، قال عز وجل : ﴿ يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ ، فصح أنها تخيّلات لا حقيقة لها ».[1]

وعرَّفه الإمام **القرطبي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : «.. السحر : أصله التمويه بالحيل والتخايل ، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي به ، كالذي يرى السراب من بعيد ، فيخيل إليه أنه ماء ، وكراكب السفينة السائرة سيراً حثيثاً يخيّل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه ».[2]

وعرَّفه الإمام **أحمد بن عمر القرطبي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : « السِّحر : حيل صناعية يتوصل إليها بالتعلم ، والاكتساب ، غير أنها لخفائها ودقتها ، لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس ، فيندر وقوعها ، وتستغرب آثارها لندورها . ومادته الوقوف على خواص الأشياء ، والعلم بوجوه تركيبها ، وأزمان ذلك ، وأكثره تخييلات لا حقيقة لها ، وإيهامات لا ثبوت لها ، فتعظم عند من لا يعرفها ، وتشتبه على من لا يقف عليها ».[3]

وعرَّفه الإمام **ابن قدامة** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : «.. السِّحر : وهو عُقَدٌ ورُقى وكلام يتكلم به أو يكتبه ، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور ، أو قلبه ، أو عقله من غير مباشرة له ، وله حقيقة ؛ فمنه ما يقتل ، وما يمرض ، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ، ومنه ما يفرّق بين المرء وزوجه ، وما يبغض أحدهما إلى الآخر ، أو يحبب بين اثنين ».[4]

---

(١) المحلى (٣٦/١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤٣/٢) .

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٦٩/٥) ، وينظر : فتح الباري (٢٢٨/٢) .

(٤) المغني (٣٤/٩) .

وهذا التعريف ، يدلل على أنَّ السحر هو نوع واحد ، وهو ما كان له حقيقة وتأثير ، بخلاف ما كان خداعاً وتخييل ، والصواب اعتباره كما سيأتي تفصيل ذلك ، والله أعلم .

وعرَّفه الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والسِّحْرُ : هو مركَّب من تأثيرات الأرواح الخبيثة ، وانفعال القوى الطبيعية عنها ، وهو أشد ما يكون من السحر ، ولا سيما في الموضع الذي انتهى السحر إليه ».[١]

وعرَّفه الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله ــ بقوله : « ثم السحر يطلق ويراد به الآلة التي يسحر بها ، ويطلق وبراد به فعل الساحر ، والآلة تارة تكون معنى من المعاني فقط ، كالرقى ، والنفث في العُقَد ، وتارة تكون بالمحسوسات ، وتصوير الصورة على صورة المسحور ، وتارة بجميع الأمرين الحسي والمعنوي وهو أبلغ ».[٢]

وعرَّفه **المناوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : «.. السِّحر : إتيان نفس شريرة بخارق عن مزاولة محرّم ، ثم إن اقترن بكفر فكفر ، وإلا فكبيرة عند الإمام الشافعي ، وكفر عند غيره ».[٣]

وعرَّفه الإمام **الشوكاني** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والسحر : هو ما يفعله الساحر من الحيل والتخييلات التي تحصل بسببها للمسحور ، ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء ، وما يظنه راكب السفينة أو الدابة من أن الجبال تسير ».[٤]

وعرَّفه **الألوسي** ــ رحمه الله ــ بقوله : « والمراد به أمر غريب يشبه الخارق وليس به ، إذ يجري فيه التعلّم ، ويستعان في تحصيله بالتقرّب إلى الشيطان بارتكاب القبائح قولاً ، كالرقى التي فيها ألفاظ الشرك ، ومدح الشيطان وتسخيره ، وعملاً ؛

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٢٥-١٢٦) .

(٢) فتح الباري (٢٢٢/١٠) .

(٣) فيض القدير (١٣٩/١) .

(٤) فتح القدير (١١٩/١) .

كعبادة الكواكب ، والتزام الجناية ، وسائر الفسوق ، واعتقاداً ؛ كاستحسان ما يوجب التقرّب إليه ، ومحبته إيّاه ، وذلك لا يستتب إلا بمن يناسبه في الشرارة ، وخبث النفس ، فإن التناسب شرط التضام والتعاون ، فكما أن الملائكة لا تعاون إلا أخيار الناس المشبَّهين بهم في المواظبة على العبادة ، والتقرب إلى الله تعالى بالقول ، والفعل ، كذلك الشياطين لا تعاون إلا الأشرار المشبَّهين بهم في الخيانة والنجاسة ، قولاً وفعلاً واعتقاداً)).[1]

وعرَّفه الشيخ **العظيم أبادي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((ومعنى السحر إظهار الباطل في صورة الحق)).[2]

وعرَّفه الشيخ **العثيمين** ـــ حفظه الله تعالى ـــ بقوله : ((وأما في الشرع فإنه ينقسم إلى قسمين : الأول : عُقَدٌ ورُقَى ، أي قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد لتضرَّ المسحور ... الثاني : أدوية وعقاقير تؤثّر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله ، فتجده ينصرف ويميل ..)).[3]

فالحاصل أن السحر منه ما هو حقيقة وله أثر ، ومنه ما هو تخييل وإيهام لا حقيقة له ، وقد يحصل ذلك إما عن طريق الأدوية والعقاقير ، وإما عن طريق الجن ، وعليه فالذي يظهر رجحانه هو تعريف الشيخ العثيمين ـــ حفظه الله تعالى ـــ وما شابهه منها في ذكر النوعين السابقين ، ثم رأيت للدكتور أحمد ناصر آل حمد تعريفاً جيداً ذكره في كتابه ((السحر .. بين الحقيقة والخيال)) ، قال فيه :

((**السحر هو المخادعة ، أو التأثير في عالم العناصر ، بمقتضى القدرة المحدودة ، بمعين من الجن ، أو بأدوية ، أثر استعدادات لدى الساحر**)).[4] هذا ما تيسَّر والله أعلم.

---

(١) روح المعاني (٣٣٨/١) .

(٢) عون المعبود (٢٤٠/١٣) .

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد ـــ العثيمين (٥/٢) .

(٤) السحر بين الحقيقة والخيال (ص/٢٠) ، ثم قال بعد ذكره هذا التعريف : ((وأرى في هذا شمولاً ، لما كان من السحر عن طريق التخييل والمخادعة ، وما كان منه حقيقة يؤثر بالهمة ، أو بمعين من الشياطين ، أو بدعوى موافقة مزاج الأفلاك والعناصر ، أو نحو ذلك ، والله أعلم)) [المصدر السابق] .

المطلب السابع
الطِّيَرَة

وفيه مسألتان :

الأولى : الطِّيَرَة لغةً .

الثانية : الطِّيَرَة والتطيُّر شرعاً .

المسألة الأولى
الطيرة لغةً

أصل الكلمة : الطِّيَرَةُ مشتقةٌ من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (طَيَرَ).[1]

تصريفها : الطِّيَرَة على وزن (فِعَلَةٌ) كعِنَبَة ، وهي اسم مصدر من الفعل الخماسي (تَطَيَّرَ) ، والمصدر القياسي (تَطَيُّرًا) ، والأصل الثلاثي من ذلك (طار) معتل العين ، يقال فيه : (طار يَطِيرُ طَيْرًا وطَيْرَانًا وطَيَرَانًا وطَيْرُورَة).[2]

معناها لغةً : بعض معاني مادة طير : –

١. الطيران : حركة ذي الجناح في الهواء بجناحه .
٢. الطَّيْرُ : اسم لجماعة ما يطير ، والواحد : طائر ، وأرض مطارة : كثيرة الطير .
٣. التطاير : التفرق والذهاب ، وتطاير الشعر : إذا تفرَّق وطال .
٤. والطائر : قيل هو الحظ من الخير والشر ، وقيل : العمل ، وطائر الإنسان عمله الذي قُلِّده ، وقيل : رزقه ، وقيل طائر الإنسان : ما حصل له في علم الله مما قُدِّرَ له .

وكل هذه المعاني لها تعلُّق للمعنى الشرعي للطِّيَرَة ، فإنها قد تكون في طيران الطائر ، وتفرّقه يَمْنَة ويَسْرَة ثم يبنون على ذلك الحظ من الخير أو الشَّر ، التشاؤم أو التفاؤل ، كما سيأتي بيانه في المعنى الشرعي بإذن الله تعالى .

---

(١) مقاييس اللغة (٣/٤٣٥) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : مقاييس اللغة (٣/٤٣٦) ، لنهاية (٣/١١٥٢) ، لسان العرب (٨/٢٣٧-٢٣٩) ، تصريف الأسماء (ص/٤٤-٤٥) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٢٩٧) .

المسألة الثانية
الطِّيَرَةُ والتَّطَيُّر شرعاً [١]

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة ﷺ قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا طيرة وخيرها الفأل . قيل يا رسول الله : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » .[٢]

وعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا عدوى ولا طيرة . والشؤم في ثلاث في المرأة والدار والدابة » .[٣]

اعلم رحمك الله أن الطِّيَرَة من الأمور المنتشرة بين أهل الإسلام ، والمتفشّية في كلامهم وعباراتهم ، واعتقاداتهم ، ولا تخفى خطورتها ، وعليه فلا بد من بيان حدِّها ، وتوضيح معناها ، ومعرفة فحواها .

قال الإمام **العظيم أبادي** ــ رحمه الله تعالى ــ : « الطِّيَرَة شرك ، أي لاعتقادهم أن الطِّيَرَة تجلب لهم نفعاً وتدفع عنهم ضرًّا ، فإذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوا بالله في ذلك ، ويسمى شركاً خفياً ، ومن اعتقد أن شيئاً سوى الله ينفع أو يضر بالاستقلال فقد أشرك شركاً جليًّا ».[٤]

وعرَّف الإمام **البغوي** ــ رحمه الله تعالى ــ الطِّيَرَة بقوله : « والطِّيَرَة معناها التشاؤم ، ... وأخذت الطِّيَرَة من اسم الطير وذلك أن العرب كانت تتطيَّر ببروح الطير ، وسنوحها [٥] ، فيصدّهم

---

(١) ذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام ــ رحمه الله تعالى ــ : « الفرق بين الطِّيَرَة والتَّطَيُّر ، أن التَّطَيُّرَ هو الظن السيء في القلب ، والطِّيَرَة هو الفعل المرتَّب على الظن السيء ..» [عون المعبود (٢٨٩/١٠)].

(٢) البخاري (٢١٧١/٥) برقم (٥٤٢٢) ، مسلم (١٧٤٥/٤) برقم (٢٢٢٣) .

(٣) البخاري (٢١٧١/٥) برقم (٥٤٢١) .

(٤) عون المعبود (٢٨٨/١٠) .

(٥) البروح هو : أن يطير الطائر ويمر إلى جهة اليسار فيتشاءمون بذلك ، ومنه البارح : وهو الطائر الأشأم .
والسنوح : هو أن يطير الطائر ماراً إلى جهة اليمين فيتفاءلون بذلك .[أساس البلاغة (ص/١٩، ٢١٦)] .

ذلك عما يَمَّموه من مقاصدهم ... ويقال : الطِّيَرَة أن يخرج لأمر ، فإذا رأى ما يحب مضى ، وإن رأى ما يكره انصرف ..)).[1]

وعرَّف الإمام **ابن عبد البر** ــ رحمه الله تعالى ــ التَّطَيُّر بقوله : ((أصل التَّطَيُّر واشتقاقه عند أهل العلم باللغة ، والسير ، والأخبار : هو مأخوذ من زجر الطَّيْر ومروره سانحاً أو بارحاً ، منه اشتقوا التَّطَيُّر ، ثم استعملوا ذلك في كل شيء من الحيوان وغير الحيوان)).[2]

وعرَّف **الراغب** ــ رحمه الله تعالى ــ التطَيُّر بقوله : ((وتطيَّر فلان ، واطَّيَّرَ أصله التفاؤل بالطير ، ثم يستعمل في كل ما يتفاءل به ويُتشاءم)).[3]

وعرَّف **المناوي** ــ رحمه الله تعالى ــ الطِّيَرَة بقوله : ((والطِّيَرَة : أي التشاؤم بأسماء الطيور وأصواتها ، وألوانها ، وجهة مسيرها عند تنفيرها ..)).[4]

وعرَّف الإمام **النووي** ــ رحمه الله تعالى ــ التطَيُّر بقوله : ((والتطَيُّر : التشاؤم ، وأصله الشيء المكروه ؛ من قول ، أو فعل ، أو مرئي ..)).[5]

وعرَّف الإمام **ابن الأثير** ــ رحمه الله تعالى ــ الطِّيَرَة بقوله : ((بكسر الطاء ، وفتح الياء ، وقد تُسَكَّن .. هي التشاؤم بالشيء .. وأصله فيما يقال : التطيُّر بالسوانح والبوارح ؛ من الطير ، والظباء ، وغيرهما . وكان ذلك يصدَّهم عن مقاصدهم ، فنفاه الشرع ..)).[6]

وقيل : ((الطِّيَرَة : هي سوء الظن بالله ، وهرب من قضاءه)).[7]

وعرَّف الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ التطَيُّر بقوله : ((.. التطَيُّر : هو التشاؤم من الشيء المرئي ، أو المسموع)).[8]

---

(١) شرح السنة (١٢/١٧٠) .

(٢) التمهيد (٩/٢٨٢) .

(٣) المفردات (ص/٣٠٩-٣١٠) .

(٤) فيض القدير (٤/٣٩٥) .

(٥) شرح صحيح مسلم ــ النووي (١٤/٢١٨) .

(٦) النهاية ــ ابن الأثير (٣/١٥٢) .

(٧) فيض القدير (٤/٢٩٥) .

(٨) مفتاح دار السعادة (٢/٢٤٦) .

وعرَّف الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ الطِّيَرَة بقوله : « الطِّيَرَة بكسر المهملة ، وفتح التحتانية ، وقد تُسَكَّن ، هي التشاؤم بالشَّيْنِ .. وأصل التطَيُّر ، أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير ، فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنة تيمَّن به واستمر ، وإن رآه طار يسرَة تشاءم به ورجع ».[1]

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : « والتطَيُّر والتشاؤم بمعنى واحد ».[2]

وعرَّف الشيخ **العظيم أبادي** ــ رحمه الله تعالى ــ التطَيُّر بقوله : « وأصل التطَيُّر التفاؤل بالطير ، واستعمل لكل ما يتفاءل ويتشاءم ، وقد كانوا في الجاهلية يتطيرون بالصيد ؛ كالطير ، والظبي ..».[3]

وعرَّف الشيخ **العثيمين** ــ رحمه الله ــ الطِّيَرَة بقوله : « والطِّيَرَة : هي التشاؤم بمرئي ، أو مسموع ، أو معلوم ».[4]

ومن خلال ما سبق يتبيَّن لنا عموم الطِّيَرَة والتطَيُّر ، فهي التشاؤم بكل مرئي ، أو مسموع ، أو معلوم ، فتشمل الطير ، وجميع الحيوانات ، بل وغير ذلك ، وأرى أن الصحيح في معنى الطِّيَرَة والتطَيُّر أنها : « التشاؤم بمرئي ، أو مسموع ، أو معلوم ، وأثر في صاحبها إقداماً وإحجاماً » . والله تعالى أعلم .

---

(١) فتح الباري (٢١٢/١٠) .

(٢) فتح الباري (٢١٣/١٠) .

(٣) عون المعبود (١٤١/٣) .

(٤) المجموع الثمين (٢٠٨/٢) .

المطلب الثامن
العيافة

وفيه مسألتان :

الأولى : العيافة لغةً .

الثانية : العيافة شرعاً .

المسألة الأولى
العيافة لغةً

أصل الكلمة : العيافة مشتقة من أصل لغوي ثلاثيّ هو (عَيَفَ).[١]

تصريفها : العِيَافَة بالكسر على وزن (فِعَالَة) ، وهي مصدر للفعل الثلاثي (عَافَ) ؛ لأنه تضمّن معنى الحرفة (كتجَارَة) ، يقال : (عَافَ يَعِيفُ عَيْفاً وعِيَافَة) ، وقيل : إن (عاف) من (عَوَفَ) بالواو ، (يَعُوفُ).[٢]

معناها لغةً : معاني مادة عاف اللغوية :-

١. العَيْف : كراهة الشيء ، وغلب على كراهة الطعام ، يقال : عافَ الشيءَ يعافه عيْفَاً : إذا كرهه .

٢. وعاف الطائرَ وغيره من السوانح يَعِيفه عِيَافَة : إذا زجره ، وهو أن يعتبر بأسمائها ومساقطها ، وأصواتها .

٣. والعائف : هو المتكهن .

هذه بعض المعاني ، وأقربها إلى مطلبنا هو المعنى الثاني ، وكأنه مشتق من الأول ، ولذا يقول ابن فارس ــ رحمه الله تعالى ــ : ((العين والياء والفاء أصل صحيح واحد يدلُّ على كراهة ... ومن هذا القياس عِيَافَة الطير ، وهو زجرها ، وهو من الكراهة أيضاً ، وذلك أن يرى غراباً أو طائراً غيره ، أو غير ذلك فيتطير به)).[٣]

---

[١] مقاييس اللغة (١٩٦/٤) .

[٢] ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص٥١-٥٢) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/٥٠٠) .

[٣] مقاييس اللغة (١٩٦/٤-١٩٧) .

المسألة الثانية
العيافة شرعاً

عن قطن بن قبيصة ، عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((العيافة والطيرة والطرق من الجبت)).[1]

وفيما يلي أنقل ما وقفت عليه من أقوال العلماء :

عرَّفها الإمام **ابن الأثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((العِيَافَة : زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها ، وممرِّها ، وهو من عادة العرب كثيراً ...)).[2]

وعرَّفها الشيخ **العظيم أبادي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((العِيَافَة : بكسر العين ، وهي زجر الطير ، والتفاؤل ، والاعتبار في ذلك بأسمائها ، كما يتفاءل بالعقاب على العِقَاب ، وبالغراب على الغربة ، وبالهدهد على الهدى)).[3]

وعرَّفها **المناوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((العِيَافَة بالكسر : زجر الطير)).[4]

وعرَّفها الشيخ **العثيمين** ــ حفظه الله تعالى ــ بقوله : ((وهي زجر الطير للتشاؤم أو التفاؤل)).[5]

ومن العلماء من فرَّق بين العيافة وبين الطِّيَرَة ، فجعل الطيرة أعم من العِيَافَة ، بحيث أن الطيرة تكون في الطير ، وفي كل الحيوانات ، بل وفي غير الحيوانات . أما العيافة فخاصة بالطير فيما يظهر ،...

---

(1) سنن أبي داود (٤/١٦) برقم (٣٩٠٧) .

(2) النهاية (٣/٣٣٠).

(3) عون المعبود (١٠/٢٨٦-٢٨٧) .

(4) فيض القدير (٤/٣٩٥) .

(5) القول المفيد على كتاب التوحيد ــ العثيمين (٢/٣٠) .

ومن خلال ما سبق من تعريفات يمكن أن نقول :-

((العيافة : هي زجر الطير طلباً للتشاؤم أو التفاؤل بجهة مسيرها عند تنفيرها ، أو التشـــاؤم والتفاؤل بأسمائها ، وأصواتها ، وألوانها ، وأشكالها)) . والله أعلم .

المطلب التاسع
الكهانة

وفيه ثلاثة مسائل :

الأولى : الكهانة لغةً .

الثانية : الكهانة شرعاً .

الثالثة : الكاهن شرعاً .

المسألة الأولى
الكهانة لغةً

أصل الكلمة : الكِهَانَةُ مشتقة من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (كَهَنَ).[١]

تصريفها : الكِهَانَة بالكسر على وزن (فِعَالَة) ، وهي مصدر قياسي للفعل الثلاثي (كَهَنَ) ، لما تضمّنته من معنى الحرفة ، يقال : (كَهَنَ يَكْهُنُ) من باب (كَتَبَ يَكْتُبُ) ، أما الكَهَانَة بالفتح فهي على وزن (فَعَالَة) ، مصدر قياسي للفعل الثلاثي (كَهُنَ يَكْهُنُ) ، تقول : (كَهَنَ) بالفتح (كِهَانَة) بالكسر : إذا تكهَّنَ ، و (كَهُنَ) بالضم (كَهَانة) بالفتح : إذا صار كاهناً ، ويجوز في مضارع (كَهَنَ) (يَكْهَنُ) بالفتح من باب فتح ؛ لأنَّ عين الفعل من أحرف الحلق ، وهي الهاء .[٢]

معناها لغةً : معاني مادة كهن في معاجم اللغة :-

- القضاء بالغيب ، يقال : كهَن له ويكهُن : إذا قضى له بالغيب ، والكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدّعي معرفة الأسرار ، وكهُن : إذا صار كاهناً .
- والكاهن كذلك الذي يقوم بأمر الرجل ، ويسعى في حاجته .
- والعرب تسمّي كل من يتعاطى علماً دقيقاً كاهناً ، ومنهم من كان يسمي المنجم والطبيب كاهناً .[٣]

والذي يتعلّق بهذا المطلب هو المعنى الأول ، كما سيعلم ذلك من خلال ما يلي :-

---

(١) مقاييس اللغة (١٤٥/٥) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : تصريف الأسماء (ص/٥١-٥٢) ، تصريف الأفعال ــ عنتر (ص/١٥٥) ، معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٢٦، ١٧٠، ١٨٩) .

(٣) ينظر لهذه المعاني في : الصحاح (٢١٩١/٦) ، لسان العرب (١٨٠/١٢-١٨١) ، النهاية (٢١٤/٤) .

المسألة الثانية
الكِهانة شرعاً

بوب الإمام البخاري في صحيحه باب الكهانة وذكر تحته حديث أبي هريرة في قصة الرجل وليُّ المرأة الذي قال للنبي ﷺ : كيف أغرم ، يا رسول الله ، من لا شرب ، ولا أكل ، ولا نطق ، ولا استهل ، فمثل ذلك بَطَلَ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما هذا من إخوان **الكهان** » .[1]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : تدري ما هذا ؟ فقال أبو بكر : وما هو ؟ قال : كنت **تكهنت** لإنسان في الجاهلية وما أحسن **الكهانة** إلا أني خدعته فلقيني فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه » .[2]

ذكر بعض أهل العلم أن الكهانة عند العرب كانت على ثلاثة أضرب : « أحدها : يكون للإنسان وليٌّ من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء ، وهذا القسم بطل من حين بعث الله نبيّنا ﷺ .

الثاني : أن يخبره بما يطرأ ، أو يكون في أقطار الأرض ، وما خفي عنه مما قرُب أو بعُد ، وهذا لا يبعد وجوده ، لكنهم يصدقون ويكذبون ، والنهي عن تصديقهم ، والسماع منهم عام .

الثالث : المنجّمون ، وهذا الضرب ، يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما ، لكن الكذب فيه أغلب ».[3]

وإليك أقوال العلماء في بيان معنى الكهانة :

عرَّفها الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « فالكهانة مثلاً وهو الإخبار ببعض الغائبات عن الجن أمر معروف عند الناس ».[4]

---

(1) البخاري (٥/٢١٧٢) برقم (٥٤٢٦) .

(2) البخاري (٣/١٣٩٥) برقم (٣٦٢٩) .

(3) شرح صحيح مسلم ــ النووي (١٤/٢٢٣) .

(4) النبوات (ص/١٣) .

وعرَّفها الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله ــ بقوله : « والكهانة ... ادعاء علم الغيب ؛ كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب ، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أُذن الكاهن .. ».(١)

لكنه ــ رحمه الله تعالى ــ لا يرى حصر الكهانة في الجن فقط ، فيقول : « فالكهانة تارةً تستند إلى إلقاء الشياطين ، وتارة تستفاد من أحكام النجوم ».(٢)

وعرَّفها **المناوي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : «.. الكهانة : وهي الإخبار عن الكائنات ، وادعاء معرفة الأسرار ».(٣)

وعرَّف **المناوي** ــ رحمه الله ــ التكهُّن والكهانة بقوله : « التكهُّنُ : تكلف الكهانة ، وهي الإخبار عن الأمور الماضية الخفيّة بضرب من الظن ».(٤)

وعرَّفها **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : « والمشهور في الكهانة الاستمداد من الجن في الإخبار عن الغيب ».(٥)

وقال ــ رحمه الله ــ : « إن الكهانة : كلمات تجري على لسان الكاهن ، ربما توافق ، وربما تخالف .. ».(٦)

وعرَّف الشيخ **القنوجي** ــ رحمه الله تعالى ــ علم الكهانة بقوله : « علم الكهانة : المراد منه مناسبة الأرواح البشرية مع الأرواح المجرّدة ، من الجن والشياطين ، والاستعلام بهم عن الأحوال الجزئية الحادثة في عالم الكون والفساد (٧) ، المخصوصة بالمستقبل ، وأكثر ما يكون في العرب ».(٨)

---

(١) فتح الباري (١٠/٢١٦) .

(٢) المصدر السابق (١/٤١) .

(٣) فيض القدير (٥/٣٠٣) .

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (ص/٢٠٢) .

(٥) روح المعاني (٢٧/٣٥) .

(٦) المصدر السابق (١٩/١٤٥) .

(٧) قال في أبجد العلوم علم الكون والفساد هو : علم باحث عن كيفية الأمطار ، والثلوج ، والرعد ، وأمثالها ، ووجودها في بعض البلاد دون بعض ، وفي بعض الأزمان دون آخر ، وسبب نفع بعضها ، وضرر الآخر ، إلى غير ذلك من الأحوال » [ينظر : أبجد العلوم (٢/٤٥٣)] .

(٨) أبجد العلوم (٢/٤٥٣) .

وقال أيضاً : ((وأما الإخبار عن الحوادث الغير الحاضرة فإما عن الماضي ، أو الحال ، أو الاستقبال فهو علم الكهانة)).[1]

وعرَّفها الشيخ **العثيمين** ــ حفظه الله تعالى ــ بقوله : ((الكهانة فعالة مأخوذة من التكهن ، وهو التخرص ، والتماس الحقيقة بأمور لا أساس لها ، وكانت في الجاهلية صنعة لأقوام تتصل بهم الشياطين وتسترق السمع من السماء وتحدثهم به)).[2]

وقيل : ((الكهانة : ادعاء معرفة الأسرار والمستقبل ، اعتماداً على أخبار الجان ، والإفضاء بهذه الادعاءات للناس)).[3]

وهذه الأقوال متقاربة إلى حدٍّ كبير ، والله أعلم .

---

(1) المصدر السابق (١٥/٢) .

(2) المجموع الثمين (١٣٦/٢) .

(3) معجم لغة الفقهاء (ص/٣٨٥) . مراجعة .

المسألة الثالثة
الكاهن شرعاً [١]

عن أبي مسعود ـــ رضي الله عنه ـــ قال : ((نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن)) .[٢]

من المعلوم أنّ الكِهَانة هي فعل الكاهن ، والكاهن من عمله الكِهانة ، ونجد تعريفات العلماء أحياناً للكِهَانة ، وأخرى في بيان معنى الكاهن ، وجميعها يفيد في التصوّر الدقيق والشامل لمعنى الكِهَانة ، وفيما يلي أسوق ما وقفت عليه من أقوالهم في بيان معنى الكاهن ،...

عرَّفه الإمام **الخطابي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الكهان : فيما عُلِمَ بشهادة الامتحان : قومٌ لهم أذهان حادة ، ونفوس شريرة ، وطبائع نارية ، فهم يفزعون إلى الجن في أمورهم ويستفتونهم في الحوادث ، فيلقون إليهم الكلمات ..)).[٣]

وعرَّفه **الراغب** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الكاهن : هو الذي يخبر بالأخبار الماضية بضرب من الظن)).[٤]

وعرَّفه الإمام **ابن الأثير** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((الكاهن : هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدعي معرفة الأسرار)).[٥]

---

(١) كان من المفترض أن يكون الكلام على معنى الكاهن شرعاً ضمن مبحث المعبودات ، ولكن لشدة صلته بمعنى الكهانة ، إذ هي عمله الذي استحق به اسم الكاهن أخّرته إلى هذا الموضع لحاجة هذا المطلب فليتنبّه !! .

(٢) البخاري (٥/٢١٧٢) برقم (٥٤٢٨) .

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص/٣٥٥) .

(٤) المفردات (ص/٤٤٢) .

(٥) النهاية (٤/٢١٤) .

وعرَّفه الإمام **ابن تيمية** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والكاهن : يخبر بالغيوب مخلطاً فيه الصدق بالكذب ، لا يأتون بالحق محضاً)).(١)

وعرَّفه الإمام **ابن كثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والكاهن : الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة ، يتلقاها من خبر السماء)).(٢)

وعرَّفه الشيخ **الألوسي** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((.. بكاهن : هو الذي يخبر بالغيب بضرب من الظن)).(٣)

وعرَّفه الشيخ **العثيمين** ــ حفظه الله تعالى ــ بقوله : ((والكاهن : هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل)).(٤)

فهذه جملة من أقوال أهل العلم في بيان معنى الكِهَانة والكاهن ، ومن تأمل هذه التعريفات يجد أن بعضهم قد قَصَرَ الكِهَانة في الإخبار عن الأمور المستقبلة ، وبعضهم أَدخل الإخبار عن الأمور الماضية مع المستقبلة ، والبعض قصرها على الأمور الماضية ، والظاهر أن ذلك خاص بالأمور المستقبلة ، بدليل قوله ﷺ ــ في أمر استراق الجن للسمع ، ومن ثم إلقاؤها في أُذن الكاهن ــ : ((.. فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ؟ فَيُصدق ..)).(٥) فذكر أنّ ما أخبر به الكاهن أمر في مستقبل الزمان .

وعلى ذلك فيمكن أن نقول في بيان معنى الكاهن ،...

((هو الذي تأتيه الجن بالكلمة يتلقوها من خبر السماء ، ويزيدون عليها من الكذب ، فيتلقّفها منهم ، وينشرها بين الناس ابتغاء الفتنة والإفساد)). والله أعلم .

---

(١) الفتاوى (٥٢/٢) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٤٤/٤) .

(٣) روح المعاني (٣٥/٢٧) .

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد ــ العثيمين (٣١٤/١) .

(٥) البخاري (١٨٠٤/٤) برقم (٤٥٢٢) . قال الشيخ العثيمين ــ حفظه الله تعالى ــ : ((وقد التبس على بعض طلبة العلم ، فظنوا أنه كل من يخبر عن الغيب ، ولو فيما مضى فهو كاهن ، ولكن ما مضى مما يقع في الأرض ليس غيباً ، بل هو غيب نسبي ... وقد يتصل الإنسان بجني فيخبره عما حدث في الأرض ، ولو كان بعيداً ، فيستخدم الجن ، لكن ليس على وجه محرّم ، فلا يسمى كاهناً ..))[القول المفيد على كتاب التوحيد ــ العثيمين (٣١٤/١)] . وعلى ذلك فتعريف الراغب ــ رحمه الله تعالى ــ وما شابهه في معنى الكِهَانة أو الكاهن لا يصح . والله أعلم .

المطلب العاشر
النُّشْرَة

وفيه مسألتان :

الأولى : النُّشرَة لغةً .

الثانية : النُّشْرَة شرعاً .

المسألة الأولى
النُّشْرَةُ لغةً

أصل الكلمة : النُّشْرَةُ مشتقة من أصل لغوي ثلاثي هو (نَشَرَ).[١]

تصريفها : النُّشْرَةُ على وزن (فُعْلَة) ، وهي من مصادر الفعل الثلاثي (نَشَرَ) ، يقال : (نَشَرَ يَنْشُرُ نَشْراً ونُشْرَة) كـ (نَصَرَ يَنْصُرُ نُصْرَة).[٢]

معناها لغةً : بعض معاني مادة نشر اللغوية :-

١. النَّشْرُ : الريح الطيبة .
٢. والنَّشْرُ : الإحياء بعد الموت : ونَشَرَ الله الميت يَنْشُرُه نَشْراً ونُشُوراً وأَنْشَرَه : إذا بعثه .
٣. والنَّشْرُ : البسط ، ونَشَرَ المتاع يَنْشُرُه نَشْراً : إذا بسطه ، وانتشر النهار : طال وامتدّ ، وانتشَرَ الخبر : أي ذاع .
٤. والنَّشْرُ : النحت ، ونَشَرَ الخشبة يَنْشُرُها نَشْراً : إذا نحتها ، أو قطعها بالمنشار .
٥. والنَّشَر : القوم المتفرقون الذين لا يجمعهم رئيس .
٦. والنُّشْرُ : الكرم والسخاء .
٧. والنُّشْرَةُ : رقية يعالج بها المجنون والمريض .[٣]

وهذه المعاني يمكن جمعها في معنى واحد هو : البسط والتشعُّب ، ولذا يقول ابن فارس — رحمه الله تعالى — : ((النون والشين والراء أصل صحيح يدلُّ على فتح شيء وتشعُّبه)).[٤]

---

(١) مقاييس اللغة (٥/٤٣٠) .

(٢) ينظر تصريف الكلمة في : معجم تصريف الأفعال العربية (ص/١٢٧) .

(٣) ينظر لهذه المعاني وغيرها في : الصحاح (٢/٨٢٧-٨٢٨) ؛ لسان العرب (١٤/١٤٠-١٤٢) .

(٤) مقاييس اللغة (٥/٤٣٠) .

والمعنى الأخير هو المقصود بمعنى النُّشْرَة الشرعي ؛ فكأن الناشر تتشعَّب وتنبسط منه التعوّذات ، والأدوية الشرعية في بدن المريض ، فيكون لهذا الانتشار تأثير في العلاج والمداواة، فيكشفه ويزيل أثره ، كما سيأتي بيان ذلك في المطلب التالي . والله تعالى أعلم .

المسألة الثانية
النُّشْرَة شرعاً

عن عقيل بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه يحدث عن جابر بن عبد الله قال ((سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النشرة فقال : هو من عمل الشيطان)) .[1]

من المعلوم أن النُّشْرَة نوعان : أحدهما : ما تستخدم فيه الشياطين ، ويعتبر من السحر ، وهذا النوع محرَّم ولا يجوز . الثاني : ما تستخدم فيه الأدعية والتعوذات الشرعية من القرآن والسنة ، وهذا بالطبع جائزٌ ومباحٌ ،...

يقول الإمام **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ مبيناً لهذين النوعين : ((.. وهي نوعان : حلُّ سحر بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، فإن السحر من عمله ، فيتقرَّب إليه الناشر والمنتشر بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور ، والثاني : النُّشْرَة بالرقية ، والتعوذات ، والدعوات ، والأدوية المباحة ، فهذا جائزٌ بل مستحب)).[2]

وفيما يلي أقوال العلماء التي وقفت عليها في بيان معنى النُّشْرَة :

عرَّفه الإمام **الشعبي** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((وهي أن يخرج الإنسان في موضع عضاه [3] ، فيأخذ عن يمينه ، وعن شماله من كل ، ثم يدقه ويقرأ فيه ، ثم يغتسل به)).[4]

وعرَّفها الإمام **القرطبي** ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : ((.. النُّشْرَة : وهي أن يكتب شيئاً من أسماء الله ، أو من القرآن ، ثم يغسله بالماء ، ثم يمسح به المريض أو يسقيه)).[5]

---

(١) سنن أبي داود (٤/٦) برقم (٣٨٦٨) .

(٢) إعلام الموقعين (٤/٣٩٦) .

(٣) العضاه : كل شجر له شوك . لسان العرب (...) .

(٤) فتح الباري (١٠/٢٣٣) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣١٨) .

وقد ذكر الإمام **القرطبي** ــ رحمه الله ــ عن ابن بطال في صفة النُّشْرَة أنه قال : ((وفي كتاب وهب بن منبه : أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ، ثم يضربه بالماء ، ويقرأ عليه آية الكرسي ، ثم يحسو منه ثلاث حسوات ، ويغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله تعالى ، وهو جيّد للرجل إذا حبس عن أهله)).(١)

وعرَّفها الإمام **ابن الأثير** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((النُّشْرَة بالضم ضربٌ من الرقية والعلاج ، يعالج به من كان يظنُّ أنّ به مسّاً من الجن ، سميت نُشْرَة ؛ لأنه يُنْشَرُ بها عنه ما خامره من الداء : أي يكشف ويزال)).(٢)

وعرَّفها الإمام **البغوي** ــ رحمه الله ــ بقوله : ((والنُّشْرَةُ : ضرب من الرقية ، يعالج بها من كان يُظَنُّ به مس الجن ، سميت نُشْرَة ؛ لأنه يُنْشَرُ بها عنه ، أي يحل عنه ما خامره من الداء)).(٣)

وعرَّفها الإمام **ابن القيم** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((والنُّشْرَةُ : حلّ السحر عن المسحور)).(٤)

وعرَّفها الحافظ **ابن حجر** ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله : ((.. النُّشْرَةُ بالضم : وهي ضرب من العلاج يعالج به من يظن أن به سحراً ، أو مسّاً من الجن قيل لها ذلك ؛ لأنه يكشف بها عنه ما خالطه من الداء)).(٥)

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ : ((وقوله النُّشْرَةُ وينشر : هو نوع من الاغتسال على هيئة مخصوصة لدفع ضرر العائن)).(٦)

---

(١) المصدر السابق (٢/٤٩-٥٠) .

(٢) النهاية (٥/٥٤) .

(٣) شرح السنة ــ البغوي (١٢/١٥٩) .

(٤) إعلام الموقعين (٤/٣٩٦) .

(٥) فتح الباري (١٠/٢٣٣) .

(٦) مقدمة فتح الباري ــ هدي الساري ــ (١/١٩٥) .

وعرَّفها **الألوسي** ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله : ((.. وعرَّفوها بأنها أن يكتب شيء من أسماء الله تعالى ، أو من القرآن ، ثم يغسل بالماء ، ثم يمسح به المريض ، أو يسقاه)).[1]

هذا حاصل ما وقفت عليه من أقوال العلماء في بيان معنى النُّشْرَة ، والحاصل أن النُّشْرَةَ لا تخرج عن الآتي :-

إما أن تكون بسحر ، فيُحَلُّ السحرُ فيها بالسحرِ ، وهذه محرمة لا تجوز .

وإما أن تكون بالأدعية والتعوذات الشرعية ، أو بالأدوية الحسية النافعة التي جاء بها الشرع الحكيم ، أو عُرِفَت بالتجربة ـــ ولا محظور فيها ، فهذه جائزة بالاتفاق .

وإما أن تكون النشرة بأمور مشتبهة ، لا يعلم أحرام هي أم حلال ، فهذه الواجب فيها البعد عنها ، والحذر منها ، من باب قوله ﷺ : ((.. فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام ..)).[2] ، والله أعلم .

---

(1) روح المعاني (١٥/١٤٥) .

(2) رواه البخاري (١/٢٨) برقم (٥٢) . ومسلم (٣/١٢١٩) برقم (١٥٩٩) .

الخاتمة

الخاتمة

وهذه الخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصّلت إليها من خلال هذه الرسالة :

١. الإنابة الشرعية المأمور بها ، التي هي عبادة لله تعالى : هي الإنابة الاختيارية الطوعية ، وليست إنابة الجبر والقسر ، بل هي إنابة تكون في حالي العسر واليسر ، والسعة والضيق ، والشدّة والرخاء .

٢. الإنابة إذا أُفردت في الذكر اقتضت معرفةً بالله تعالى ، ومحبةً وخضوعاً له ، ورجوعاً وإقبالاً إليه ، وإعراضاً عما سواه ، وعملاً بالطاعات ، ظاهراً وباطناً ، فهي تنتظم أعمال الظاهر والباطن .

٣. الخوف منه ما هو عبادة وطاعة لله تعالى ، وهو ما حجز صاحبه عن محارم الله ، وسلك به سبيل الخير والطاعة ، ومنه ما هو طبيعي جبلّي ، فإن كان حقيقياً ، وله من الأسباب الظاهرة والقوية فلا لوم على صاحبه ، وإن كان وهمياً كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً ، أو له سبب ضعيف، فهذا مذموم يُدخِل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعوَّذ ﷺ من الجبن فهو من الأخلاق الرذيلة .

٤. الرجاء الشرعي هو الطمع في نيل أمرٍ محبوب ، غير مُحال ، ولا مقطوع بوقوعه ، مع شعور القلب بالذلة والخضوع لله تعالى ، وبذل الجهد في تحقيقه .

٥. الاستجابة نوعان ؛ استجابة من الله تعالى لعباده ، وهي بمعنى العطاء والإثابة والقبول ، والنوع الثاني استجابة العبد لربه .

٦. المراقبة : هي دوام علم العبد ويقينه بطلاع الله عليه ، وعلمه بسرّه ونجواه ، فيثمر له هذا العلم حالةً هي انصراف قبه وهمّه إلى الله ، والتفاته إليه بكلّيته ، فتثمر له تلك الحالة ، إخلاصاً في الطاعات ، وبعداً وإقلاعاً وتوبة عن المعاصي والمنكرات ، وشكراً على النّعم والسرّاء ، وصبراً على النّقم والضرّاء .

٧. السجود قسمان : عام وخاص ، فالعام : يشمل جميع المخلوقات في هذا الكون ، وهو الخضوع والذل لعظمة الربوبية ، والانقهار تحت سلطانها ، وهو واقع من المؤمن والكافر ، والحي والجامد ، وأما السجود الخاص ، فهو سجود العبودية والطاعة ، والخشوع والانقياد ، وهو الذي يحبه الله تعالى ، ويرضى عمن فعله وقام به .

٨. الجهاد نوعان ، ظاهر وباطن ، فالجهاد الظاهر هو جهاد الكفار والمنافقين ، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن الرد على أهل البدع ، ودحض شبهاتهم ، وإلحاق العقوبة بهم من الجهاد العظيم ، يقول الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : ((فالراد على أهل البدع مجاهد حتى كان يحيى بن يحيى يقول : الذب عن السنة أفضل من الجهاد ...)).

وأما الجهاد الباطن : فهو جهاد النفس في ذات الله تعالى ، وكذا جهاد الشيطان ، وجهاد النفس لا يكمل إلا بمجاهدة الشيطان .

٩. الاستعاذة تحصل بفعل اللسان ، بأن يتلفظ المسلم بها ، ولكنها لا تكون نافعة ما لم يقارنها عمل القلب ، من الافتقار إليه سبحانه ، والاعتصام به ، واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل ، صغير أو كبير ، بشر أو غير بشر ، فهي عبادة لسانية تكتمل بالحالة القلبية التي يكون عليها قلب الإنسان .

١٠. الاستعانة هي طلب العون من الله سبحانه وتعالى ، مع ملازمة القلب لحال التوكل على الله جلَّ وعلا ، فهي مشتملة على قول اللسان وعمل القلب ، فلا تصح الاستعانة باللسان بدون عمل القلب ، وجماع عمله التوكل على الله تعالى .

١١. الاستقامة العظمى التي بها الفوز بالجنة ، والنجاة من الخلود في النار ، هي الاستقامة على التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ، وعدم الشرك بالله تعالى ، وصرف شيء مما يستحقه تعالى لغيره .

١٢. الانقياد الشرعي نوعان : الأول : انقياد الباطن أو الانقياد القلبي ، والثاني : الانقياد الظاهر ، أو انقياد الجوارح ، وهذا الانقياد الباطن هو من ضمن أعمال القلوب الواجبة ، بل لا يصح الإيمان بدون انقياد القلب .

١٣. للتبتل في الشرع معنيان ؛ أحدهما مأمور به ورد ذكره في القرآن ، وهو انقطاع العبد بقلبه ، وجميع جوارحه إلى ما يحبه الله ويرضاه ، وبعده عما يسخط الله تعالى ، والثاني منهيٌّ عنه غير مأذونٍ فيه ، ورد ذكره في السنة ، وهو الانقطاع عن النكاح وما يتبعه من الملاذ المباحة إلى العبادة ، وهو المراد بالرهبانية التي ابتدعها النصارى .

١٤. التسبيح الشرعي في الأصل هو التنــزيه والتبرئة لله تعالى عن النقائص ، ويدخل في مفهومه الشرعي مطلق العبادة ؛ سواء كانت قولاً أو فعلاً أو عملاً قلبياً .

١٥. التقديس الشرعي يتعلق بالقلب واللسان والجوارح ، فيعتقد بقلبه عظمة الله تعالى ، وبُعْدَه وبراءته من كل عيب ، ويتلفظ بلسانه بكل ما فيه تنــزيه لله تعالى ، كما تدخل أعمال الجوارح في مفهوم التقديس لما اشتملت عليه من ذلك ، كالصلاة والحج .

١٦. التوبة الشرعية التي يحبها الله تبارك وتعالى نوعان : واجبة ومستحبة ، فالتوبة الواجبة هي التي تكون من ترك مأمور ، أو فعل محظور ، وهذه واجبة على جميع المكلفين ، والمستحبة هي التوبة من ترك المستحبات ، وفعل المكروهات ، وهي مأمور بها على غير وجه الإلزام ، فمن اقتصر على التوبة الأولى كان من الأبرار المقتصدين ، ومن تاب التوبتين الأولى والثانية ، كان من السابقين المقربين ، ومن لم يأت بالأولى كان من الظالمين ؛ إما الكافرين ، وإما الفاسقين .

١٧. الهجرة الشرعية هجرتان ، هجرة القلب وهجرة البدن ، أو هجرة ظاهرة وباطنة ، فالباطنة ترك متابعة النفس الأمارة والشيطان ، والظاهرة الفرار بالدين من الفتن .

١٨. للإحسان معنيان ، الأول عام يشمل فعل كل ما هو حسن ، والإتيان بالحسنى ، وذلك إذا ورد مطلقاً ، و لم يقترن بالإيمان أو الإسلام ، والمعنى الثاني خاص ، وذلك إذا ورد مقترناً بالإيمان والإسلام ، فيكون معناه الإشارة إلى المراقبة الجامعة ؛ لخشيته ، ومحبته ، ومعرفته ، والإنابة إليه ، والإخلاص له ، وحسن الطاعة عموماً .

١٩. الأدب : هو اسم جامع لكل خصال الخير ، التي أحبها الله تعالى ورضيها لعباده ، ليحــترزوا بتلك الخصال من الخطأ والعيب والتقصير .

٢٠. الصحيح عدم ترادف كلمتي الإيمان والتصديق ، ففي الإيمان زيادة معنى ، كالطمأنينة والخضوع ، أو هو تصديق مخصوص ، وأدلُّ كلِمَةٍ على الإيمان هي كلمة الإقرار .

٢١. مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة : يشتمل على خمسة أمور هي : قول القلب ، وعمله ، وقول اللسان ، وعمله ، وعمل الجوارح ، فمنها ما هو أصل ينتفي الإيمان بانتفائه ، ومنها ما هو فرع ينتفي بانتفائه كمال الإيمان .

٢٢. المفهوم الشرعي للبِرّ هو جميع ما أمر الله تعالى به وأحبه أو أمر به رسوله ﷺ ، سواء كان على جهة الإيجاب أو الاستحباب .

٢٣. البركة في الشرع أصلها من الله تعالى ، فهو الذي تبارك في ذاته ، وبارك فيمن شاء من خلقه ، فصار بذلك مباركاً .

٢٤. الرِدّة هي الرجوع عن دين الإسلام ، وعن الإيمان ، والدخول في ملل الكفر والشرك أيٌّ كانت ، وبأيّ وسيلة كانت .

٢٥. الشرك الخفي ليس له صفة ثابتة غير الخفاء ، بل هو متردد بين الأكبر والأصغر بحسب ما يقوم بالقلب .

٢٦. الغلو هو تجاوز للحدود والنهايات التي نصبها الشارع لعباده ، وتعدٍّ للحمى التي أبان الله معالمها ، سواء كان بالأقوال أم بالأفعال أم بالاعتقادات .

٢٧. القنوت قنوتان ، قنوت كوني عام ، وقنوت شرعي خاص ، فالأول قنوت القهر والذل لعظمة الربوبية ، بخلاف الثاني ، فهو قنوت الطاعة والمحبة والانقياد .

٢٨. الكرامة تنقسم إلى عامة وخاصة ، فالخاصة إنما تكون لعباد الله الأبرار ، أهل الإيمان والاستقامة ، أما العامة ، فتعم جميع الخلق ، مؤمنهم وكافرهم .

٢٩. القول الصحيح في كرامات الأولياء ، أنها كل أمر يدُلُّ على ولايتهم ، وحسن عاقبتهم ، ولو لم يتضمن خرق عادة .

٣٠. الكفر الأكبر : هو اعتقاداتٌ في القلبِ معقودةٌ ، وأقوالٌ من اللسانِ ملفوظةٌ ، وأعمال ظاهرة وباطنة تنقض أصل الإيمان وتنفي حقيقته ، وتحبط العمل ، وتستوجب الخلود في النار .

٣١. النِّفاق : هو مخالفة الظاهر للباطن ، بإظهار الإيمان والصلاح ، وإبطان ضِدّ ذلك بما ينفي حقيقة الإيمان بالكلية ، أو ينفي كماله الواجب .

٣٢. الاستقسام لا ينحصر في استعمال الأزلام فقط ، وإنما هو شامل لكل ما يطلب به علم الغيب ، فأي شيء وُجِدَ فيه هذا المعنى ، فهو كالأزلام سواء .

٣٣. بالنسبة للتولة ، الصحيح أنها عامة في كل ما يعلَّق لتحبيب الزوجين إلى بعضهما ، ولذلك يرى بعض العلماء أن الدِّبْلَة التي تلبس من قبل الزوجين حين العقد ، هي من هذا الباب .

٣٤. الرهبانية : هي الخوف المفرط المقتضي للغلو في التعبد ؛ وترك ملاذ الدنيا المباحة ، بنية التقرب إلى الله تعالى .

٣٥. السحر منه ما هو حقيقة وله أثر يظهر على المسحور ؛ إما بالهمة ، أو بمعين من الشياطين ، أو بدعوى موافقة مزاج الأفلاك ، والعناصر ، ومنه ما هو تخييل ، وإيهام ، ومخادعة ، لا حقيقة له ، وقد يحصل هذا إما عن طريق الأدوية والعقاقير ، وإما عن طريق الجن .

٣٦. الطِّيَرَة مفهومها عام ، فهي تتعلَّق بكل مرئي ، أو مسموع ، أو معلوم ، فتشمل الطير ، وجميع الحيوانات ، بل وغير ذلك .

٣٧. النُّشْرَةُ : إما أن تكون بسحر ، فيُحَلُّ السحرُ فيها بالسحرِ ، وهذه محرمة لا تجوز .

وإما أن تكون بالأدعية والتعوذات الشرعية ، أو بالأدوية الحسية النافعة التي جاء بها الشرع الحكيم ، أو عُرِفَت بالتجربة ــ ولا محظور فيها ، فهذه جائزة بالاتفاق .

وإما أن تكون النشرة بأمور مشتبهة ، لا يعلم أحرام هي أم حلال ، فهذه الواجب فيها البعد عنها ، والحذر منها ، من باب قوله ﷺ : ((.. فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام ..))

هذه أهم النتائج التي تحصلت عليها من خلال هذا البحث المبارك ، إن شاء الله تعالى ، وإن كان لي من توصية لإخواني طلبة العلم الشرعي ، فإني أوصيهم أولاً وأخيراً بتقوى الله تبارك وتعالى ، ثم الحرص المتواصل في طلب العلم ، وتحصيله ، والدعوة إلى ذلك ، بالقلم واللسان ، والصبر على مشقة ذلك ، واحتساب الأجر عند الله تعالى .

وأما فيما يتعلق بالبحث فوصيتي هي الاهتمام بشأن الألفاظ الشرعية ، والمصطلحات الإسلامية عموماً ، خاصة الألفاظ التي تتعلق بأصول الدين والاعتقاد .

كما أني ألفت النظر والانتباه إلى الاهتمام بجانب الألفاظ البدعية المحدثة التي أحدثها خصوم أهل السنة والجماعة ، وزجُّوا بها بين شتى العلوم وأصناف الفنون ، حتى التبست على كثير من خواص المسلمين فضلاً عن عوامهم ، وحصل بذلك من الشر العظيم ، والبلاء المستطير على أمة الإسلام ، والله المستعان ، فالحاصل أن جمع هذه الألفاظ المحدثة ودراستها ، وبيان مكانتها من ميزان الشرع المطهر ، قرباً وبعداً، لمن أهم الأمور ، وأفضل ما صرفت فيه الأوقات، ومضت فيه الأزمان ، وانقضت فيه الأعمار .

وبذكر هذه التوصية أكون قد فرغت من كتابة هذه الرسالة المباركة ، فأسال الله تعالى أن يجعلها لوجهه الكريم خالصة ، وأن ينفعني بما فيها من هدي وعلم ، وجميع إخواني المسلمين ، اللهم ما كان فيها من خطإٍ أو زلل أو تقصير فاجبره بعفوك ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل يا ذا الجلال والإكرام ، ولما كان من طبيعة عمل البشر النقص والتقصير والخلل ، أدعو كل من وقف على شيء من ذلك إلى المبادرة بنصحي وإرشادي ، سائلاً المولى تبارك وتعالى ، أن يجعل نصحه من السعي المشكور ، والعمل المتقبَّل المبرور ، وأن يجده يوم العرض على الله أوفر ما يكون أجراً ومغفرةً وإحساناً ، والله الموفق والهادي .

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار وبعض الأقوال المأثورة

فهرس الكلمات الغريبة

فهرس المصطلحات الواردة في ثنايا البحث

فهرس المصادر

الرقم	المعلومات المتعلّقة بالمصدر
	الألف
١	« **الآداب الشرعية** » : ابن مفلح المقدسي ، طبعة مؤسسة قرطبة .
٢	« **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم** » : صديق حسن خان القنوجي ، تحقيق : عبد الجبار زكار ــ دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الرابعة (١٩٧٨م) .
٣	« ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف » : د/ عبد الله الغفيلي ــ دار المسير ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ) .
٤	« **أحاديث في ذم الكلام وأهله** » : عبد بن محمد الهروي ، تحقيق : عبد الله عثمان الأنصاري ــ مكتبة الغرباء ، الطبعة الأولى .
٥	« **أحكام أهل الذمة** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : يوسف أحمد البكري ــ شاكر توفيق ، رمادي للنشر ــ دار ابن حزم ، الدمام ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ) .
٦	« **الأحكام في أصول الأحكام** » : علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ــ دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ) .
٧	« **أحكام القرآن** » : أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ، تحقيق : علي البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت .
٨	« **أحكام القرآن** » : أحمد بن علي الرازي الجصاص ، تحقيق : عبد السلام بن محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ) .
٩	« **إحياء علوم الدين** » : أبو حامد الغزالي ــ دار القلم ، الطبعة الثالثة .
١٠	« **أدب الكاتب** » : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد ، تعليق : علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ) .

١١	« **إرشاد الفحول** » : محمد بن علي الشوكاني ــ تحقيق : محمد سعيد البدري ، مؤسسة الكتاب الثقافية ــ الطبعة الثانية (١٤١٣هـ) .
١٢	« **أساس البلاغة** » : محمود بن عمر الزمخشري ــ مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٩٩٦م) .
١٣	« **الاستقامة** » : لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ) .
١٤	« **الاشتقاق** » : محمد بن الحسن بن دريد ــ دار الجيل ، بيروت .
١٥	« **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** » : محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ــ عالم الكتب ، بيروت .
١٦	« **إعلام الموقعين عن رب العالمين** » : للإمام ابن القيم الجوزية ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٩٧٣م) .
١٧	« **إغاثة اللهفان** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٣٩٥هـ) .
١٨	« **اقتضاء الصراط المستقيم** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، مطبعة أنار السنة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الثانية (١٣٦٩هـ) .
١٩	« **إلجام العوام عن علم الكلام** » : محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ) .
٢٠	« **إلفات النظر إلى وجوب تصحيح العقيدة لرب البشر** » : الأستاذ /محمد عبد الله الحجي ــ مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ، (١٤١٠هـ) .
٢١	« **الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف** » : محمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق : عبد الرزاق العباد ــ دار ابن عفان ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ) .
٢٢	« **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به** » : أبو بكر بن الطيب الباقلاني ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر . ــ عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ) .
٢٣	« **أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة** » : أحمد بن يحيى النجمي ، إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ) .

٢٤	« **الأولياء والكرامات** » : محمد عبد الظاهر ، إمام وخطيب الحرم المكي سابقاً ، مطبعة الإمام ، مصر (١٣٦٨هـ) .
	الباء
٢٥	« **البحر المحيط في أصول الفقه** » : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : عمر سليمان الأشقر ، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .
٢٦	« **بدائع الصنائع** » : الكاساني ـ دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢٧	« **بدائع الفوائد** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : هشام عطا ـ عادل العدوي ـ أشرف أحمد ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ) .
٢٨	« **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** » : محمد بن يعقوب الفيروزابادي ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت .
٢٩	« **بغية المرتاد** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د/ موسى الدويش ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ) .
٣٠	« **بيان تلبيس الجهمية** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى (١٣٩٢هـ) .
	التاء
٣١	« **تأويل مختلف الحديث** » : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : محمد زهري النجار ـ دار الجيل ، بيروت (١٣٩٣هـ) .
٣٢	« **تاج العروس من جواهر القاموس** » : لمحمد مرتضى الزبيدي ـ تحقيق إبراهيم الترزي ـ دار إحياء التراث العربي .
٣٣	« **تاريخ مدينة دمشق** » : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله المعروف بابن عساكر ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ـ دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ) .
٣٤	« **تاريخ النحو العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري** » : علي أبو المكارم ، القاهرة ، الطبعة الأولى (١٣٩١هـ) .

٣٥	« **التبرك أنواعه وأحكامه** » : د/ ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ) .
٣٦	« **التبرك المشروع والتبرك الممنوع** » : علي بن نفيع العلياني ، دار الوطن ، الرياض (١٤١١هـ) .
٣٧	« **التبصير في معالم الدين** » : محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : على عبد العزيز الشبل ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ) .
٣٨	« **التبيان في أقسام القرآن** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ـ دار الفكر .
٣٩	« **التبيان في تفسير غريب القرآن** » : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم ، تحقيق : فتحي أنور الدابولي ، دار الصحابة للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى (١٩٩٢م) .
٤٠	« **التحذير من مختصرات الصابوني ضمن مجموع لعدد من الرسائل باسم الردود** » : بكر بن عبد الله أبو زيد ـ دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ) .
٤١	« **تحرير التنبيه** » : يحيى بن شرف النووي ، تحقيق : د/ محمد رضوان الداية ـ د/ فايز الداية ـ دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ) .
٤٢	« **تحفة الأحوذي** » : محمد عبد الرحمن عبد الرحيم المباركفوري ـ دار الكتب العلمية ، بيروت .
٤٣	« **التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية** » : فالح بن مهدي آل مهدي ـ دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ) .
٤٤	« **تحفة المودود بأحكام المولود** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، الطبعة الأولى (١٣٩١هـ) .
٤٥	« **التحف في مذاهب السلف** » : محمد بن على الشوكاني ، مطبعة المدني ، جدة ، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
٤٦	« **التخويف من النار** » : عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ـ مكتبة دار البيان ، دمشق ، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ) .

٤٧	« **الترغيب والترهيب** » : عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ـــ دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ) .
٤٨	« **تصريف الأسماء** » : محمد الطنطاوي ـــ مطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ـــ الطبعة السادسة (١٤٠٨هـ) .
٤٩	« **التصوف المنشأ والمصادر** » : إحسان إلهي ظهير ـــ الناشر : إدارة ترجمان السنة ، باكستان ، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ) .
٥٠	« **تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد** » : محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني ، تعليق : علي محمد سنان ، دار الكتاب الإسلامي ، المدينة المنورة ، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ) .
٥١	« **التعرُّف على مذهب أهل التصوف** » : محمد ألكلاباذي أبو بكر ـــ دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤٠٠هـ) .
٥٢	« **التعريفات** » : علي بن محمد بن علي الجرجاني ـــ تحقيق : إبراهيم الأبياري ـــ دار الكتاب العربي ـــ بيروت ـــ الطبعة الثانية (١٤١٣هـ) .
٥٣	« **تعظيم قدر الصلاة** » : محمد بن نصر المروزي ، تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ـــ مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ) .
٥٤	« **تفسير أبي السعود** » : المسمى : إرشاد العقل السليم : محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٥٥	« **تفسير آيات أشكلت** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ـــ تحقيق : عبد العزيز محمد الخليفة ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ) .
٥٦	« **تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** » : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق : المجلس العلمي بفاس ، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب .
٥٧	« **تفسير البحر المحيط** » : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ـــ علي محمد معوض ، مع مشاركة : د/ زكريا عبد المجيد النوقي ـــ وأحمد الجمل ـــ دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ) .
٥٨	« **تفسير البيضاوي** » المسمى : « أنوار التنـــزيل وأسرار التأويل » : عبد الله بن عمر الشيرازي ، تحقيق : عبد القادر حسونة ، دار الفكر ، بيروت (١٤١٦هـ) .

٥٩	« **تفسير التحرير والتنوير** » : محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس (١٩٨٤م) .
٦٠	« **تفسير الثعالبي** » : الموسوم بالجواهر الحسان : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .
٦١	« **تفسير القرآن** » : المسمى تفسير الصنعاني : عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : د/مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ) .
٦٢	« **تفسير القرآن الحكيم** » : الشهير بـ « تفسير المنار » : محمد رشيد رضا، دار المعرفة . بيروت ، الطبعة الثانية .
٦٣	« **تفسير القرآن العظيم** » : لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠١هـ) .
٦٤	« **التفسير الكبير** » : محمد بن عمر بن حسين القرشي الرازي ــ دار الكتب العلمية ، طهران ، الطبعة الثانية .
٦٥	« **تفسير الماوردي النكت والعيون** » : علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، مراجعة وتعليق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية .
٦٦	« **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين** » : الأصبهاني ، تحقيق : د/ عبد المجيد النجار ، دار الغرب الإسلامي .
٦٧	« **تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي** » : محمد أحمد لوح ــ دار الهجرة ، الرياض ــ الطبعة الأولى (١٤١٦هـ) .
٦٨	« **تقريب التدمرية** » : محمد صالح العثيمين ، مطبعة سفير ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ) .
٦٩	« **تلبيس إبليس** » : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، تحقيق : د/ السيد الجميلي ــ دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ) .
٧٠	« **تلخيص كتاب الاستغاثة أو الرد على البكري** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ) .

٧١	« **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** » : يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، تحقيق : مصطفى العلوي ــ محمد البكري ــ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب (١٣٨٧هــ) .
٧٢	« **التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة** » : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ــ تحقيق : أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، الطبعة الأولى (١٤٢٠هــ) .
٧٣	« **تهذيب الأسماء واللغات** » : محي الدين يحيى بن شرف النووي ــ دار الكتب العلمية ، بيروت .
٧٤	« **تهذيب اللغة** » : محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ــ دار الكتاب العربي (١٩٦٧م) .
٧٥	« **توحيد مقاصد المصطلحات العلمية** » : د/ محمد عبد الرحمن الخميس ــ دار إيلاف الدولية ، الطبعة الأولى .
٧٦	« **التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق** .. » : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ــ دار طيبة ، الطبعة الأولى (١٤٠٤هــ) .
٧٧	« **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم** » : أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٦هــ) .
٧٨	« **التوقيف على مهمات التعاريف** » : محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق : د/ محمد رضوان الداية ــ دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى (١٤١٠هــ) .
٧٩	« **التوكل** » : ضمن موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا : أبو بكر عبد الله بن عبيد بن سفيان ابن أبي الدنيا ــ مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٤هــ) .
٨٠	« **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد** » : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ــ مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

	الثــاء
٨١	« **الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني** » : صالح عبد السميع الأزوري ــ دار المعرفة ، بيروت .
	الجيــم
٨٢	« **الجامع لأحكام القرآن** » : محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، الطبعة الثانية (١٣٧٢هـ) .
٨٣	« **جامع بيان العلم وفضله** » : أبو عمر يوسف بن عبد البر ، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري ــ دار ابن الجوزي ، الدمام ، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ) .
٨٤	« **جامع البيان في تأويل القرآن** » : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠٥هـ) .
٨٥	« **جامع البيان في تأويل القرآن** » : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمود شاكر وأحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر .
٨٦	« **جامع الرسائل** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د/ محمد رشاد سالم ، دار المدني ، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ) .
٨٧	« **جامع العلوم والحكم** » : عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ــ دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ) .
٨٨	« **الجامع الفريد** » : مجموعة كتب ورسائل لأئمة الدعوة ، طبع كوقف على نفقة : محمد النعمان .
٨٩	« **جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ، دار العروبة ، الكويت ، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ) .
٩٠	« **جهود علماء الحنفية** » : شمس الدين الأفغاني ، دار الصميعي ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ) .

٩١	« **الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د/ علي ناصر ــ د/ عبد العزيز العسكر ــ د/ حمدان محمد ــ دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ) .
٩٢	« **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي** » : للإمام المحقق شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزي ، تحقيق : د / محمد جميل غازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ) .
	الحاء
٩٣	« **حاشية الإمام ابن القيم على سنن أبي داود** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤١٥هـ) .
٩٤	« **الحاوي** » : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الثالثة (١٣٧٨هـ) .
٩٥	« **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة** » : إسماعيل بن أحمد بن الفضل التيمي الأصبهاني ، تحقيق : محمد ربيع بن هادي المدخلي ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١١هـ) .
٩٦	« **الحقيقة الشرعية** » : محمد بن عمر بن سالم بازمول ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ــ الطبعة الأولى (١٤١٥هـ) .
	الدال
٩٧	« **درء تعارض العقل والنقل** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د/ محمد رشاد سالم ــ طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ) .
٩٨	« **الدرر السنية في الرد على الوهابية** » : أحمد زيني دحلان ــ طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة الخامسة (١٤٠٥هـ) .
٩٩	« **الدر المنثور** » : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت (١٩٩٣م) .
١٠٠	« **الدروس المهمة لعامة الأمة** » : عبد العزيز بن باز ، ضمن مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ) .

١٠١	« **الدعاء ومنـــزلته من العقيدة الإسلامية** » : جيلان خضر العروسي ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ) .
	الراء
١٠٢	« **الرد على المنطقيين** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار المعرفة ، بيروت .
١٠٣	« **الرسائل الشخصية** » : ضمن « مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب » : محمد بن عبد الوهاب ، جمع وتصحيح : عبد العزيز زيد الرومي وآخرون ــ طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ) .
١٠٤	« **الرسالة التبوكية أو زاد المهاجر** » : للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد جميل غازي ، مكتبة المدني ، جدة .
١٠٥	« **رسالة التوحيد** » : إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي ، نقل أصله إلى العربية وقدّم له وعلّق عليه : أبو الحسن علي الحسيني الندوي ــ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالمملكة العربية السعودية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، (١٤١٧هـ) .
١٠٦	« **رسالة الشرك ومظاهره** » : مبارك بن محمد الميلي ــ مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٤١٢هـ) .
١٠٧	« **الرسالة القشيرية** » : عبد الكريم بن هوازن القشيري ، تحقيق : معروف زريق ، وعلي عبد الحميد بلطجي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية .
١٠٨	« **رسالة المسترشدين** » : أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، القاهرة ، الطبعة الرابعة (١٤٠٢هـ) .
١٠٩	« **الروح** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٣٩٥هـ) .
١١٠	« **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** » : محمود الألوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١١١	« **روضة الطالبين** » : يحيى بن شرف النووي ــ إشراف : زهير الشاويش ــ المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤١٢هـ) .

١١٢	« **روضة المحبين ونـزهة المشتاقين** » : للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١٢هـ) .
	الزاي
١١٣	« **زاد المسير في علم التفسير** » : عبد الرحمن بن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٤هـ) .
١١٤	« **زاد المعاد في هدي خير العباد** » : للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ــ عبد القادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة عشر (١٤٠٧هـ) .
١١٥	« **الزهد وصفة الزاهدين** » : أحمد بن محمد بن بشر بن الأعرابي ، تحقيق : مجدي فتحي السيد ــ مكتبة الصحابة ، طنطا ، مصر ، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ) .
١١٦	« **زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه** » : عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ــ مكتبة دار القلم والكتاب ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ) .
	السين
١١٧	« **سبيل الرشاد في هدي خير العباد** » : تقي الدين الهلالي ــ ط مكتبة المعارف ــ الرباط ــ إشراف المكتب التعليمي السعودي بالمغرب .
١١٨	« **السحر بين الحقيقة والخيال** » : د/ أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد ، ضمن مطبوعات جائزة المدينة المنورة ، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ) .
١١٩	« **سنن ابن ماجة** » : محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الفكر ، بيروت .
١٢٠	« **سنن أبي داود** » : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ــ دار الفكر .
١٢١	« **سنن البيهقي الكبرى** » : أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة (١٤١٤هـ) .

١٢٢	« **سنن الترمذي** » : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ـ تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١٢٣	« **السنن الكبرى** » : أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : د/ عبد الغفار البنداري ـ سيد كسروي حسن ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١١هـ) .
١٢٤	« **سنن النسائي** » (المجتبى) : أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ) .
١٢٥	« **سير أعلام النبلاء** » : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة (١٤١٣هـ) .
	الشين
١٢٦	« **شأن الدعاء** » : أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي ، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى .
١٢٧	« **شرح ثلاثة الأصول** » : محمد صالح العثيمين ، إعداد فهد ناصر السليمان ـ دار الثريا للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ) .
١٢٨	« **شرح الزرقاني** » : محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١١هـ) .
١٢٩	« **شرح السنة** » : الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط و محمد زهير الشاويش ـ المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ) .
١٣٠	« **شرح صحيح الإمام مسلم** » : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ـ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ) .
١٣١	« **شرح العقيدة الطحاوية** » : لابن أبي العز الحنفي ـ المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الرابعة (١٣٩١هـ) .
١٣٢	« **شرح العقيدة الواسطية** » : محمد خليل هراس، تحقيق : علوي السقاف ـ دار الهجرة ، الطبعة الثالثة (١٤١٥هـ) .

١٣٣	« **شرح العمدة في الفقه** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ـــ تحقيق : د / سعود صالح العطيشان ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ) .
١٣٤	« **شرح مختصر الروضة** » : لأبي الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي ـــ تحقيق : الدكتور / عبد الله بن عبد المحسن التركي ، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالمملكة العربية السعودية ـــ الطبعة الثانية (١٤١٩هـ) .
١٣٥	« **شرح المقاصد** » : مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير سعد الدين التفتازاني ، تحقيق : د/ عبد الرحمن عميرة ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ) .
١٣٦	« **شرح المواقف في علم الكلام** » : الجرجاني ، تحقيق : د/عبد الرحمن عميرة ـــ دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٩٩٧م) .
١٣٧	« **الشريعة** » : محمد بن الحسين الآجري، تحقيق : الدميجي ، دار الوطن ، الطبعة الأولى .
١٣٨	« **شعب الإيمان** » : أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد سعيد بسيوني زغلول ـــ دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ) .
١٣٩	« **شعب الإيمان** » : أسعد محمد سعيد الصاغرجي ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ) .
١٤٠	« **شعب الإيمان** » : عبد الجليل بن موسى القصري ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ) .
١٤١	« **شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد بدر الدين النعساني ، دار الفكر ، بيروت (١٣٩٨هـ) .
١٤٢	« **شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق** » : يوسف بن إسماعيل النبهاني ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر (١٣٥١هـ) .
	الصاد
١٤٣	« **الصارم المسلول** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ) .

١٤٤	« **الصحاح** » : إسماعيل بن حماد الجوهري ـــ تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ـــ بيروت ، الطبعة الثانية (١٣٩٩) .
١٤٥	« **صحيح ابن حبان** » : محمد بن حبان بن أحمد البستي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ـــ مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤١٤هـ) .
١٤٦	« **صحيح البخاري** » : محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، تحقيق : د/ مصطفى ديب البغا ـــ دار ابن كثير ـــ اليمامة ، بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ) .
١٤٧	« **صحيح مسلم** » : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ـــ دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١٤٨	« **الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء التنزيه والإثبات** » : د/ محمد بن أمان الجامي ـــ دار الفنون ، جدة ، الطبعة الثانية (١٤١١هـ) .
١٤٩	« **الصفدية** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ) .
١٥٠	« **الصلاة وحكم تاركها** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ) .
١٥١	« **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ـــ تحقيق : د/ علي بن محمد الدخيل الله ـــ دار العاصمة ـــ الرياض ، الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ) .
	الطاء
١٥٢	« **طبقات الصوفية** » : للسلمي ـــ مطابع الشعب .
١٥٣	« **طريق الهجرتين** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم ، الدمام ، الطبعة الثانية (١٤١٤هـ) .
	الظاء
١٥٤	« **ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ** » : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ـــ دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ) .

	العين
١٥٥	« **العبادة** » : المعلمي ـــ مخطوط / بواسطة رسالة ماجستير « منهج المعلمي وجهوده ...» أحمد بيه ، الجامعة الإسلامية / قسم العقيدة .
١٥٦	« **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : زكريا علي يوسف ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٥٧	« **عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان** » : سليمان بن صالح الغصن ، دار العاصمة ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ) .
١٥٨	« **عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقضها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك** » : د/ صالح بن فوزان الفوزان ـــ دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ) .
١٥٩	« **العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ** » : صالح بن المهدي المقبلي ، دار البيان ، دمشق .
١٦٠	« **عوارف المعارف** » : السهروردي ـــ ملحق بآخر كتاب إحياء علوم الدين ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الثالثة .
١٦١	« **عون المعبود** » : محمد شمس الحق العظيم أبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٥هـ) .
	الغين
١٦٢	« **غاية الأماني في الرد على النبهاني** » : محمود شكري الألوسي، مطابع نجد التجارية، الرياض.
١٦٣	« **غراس الأساس** » : ابن حجر العسقلاني، تحقيق : د/توفيق محمد شاهين ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى (١٤١١هـ) .
	الفاء
١٦٤	« **الفتاوى الكبرى** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ـــ تحقيق : حسنين محمد مخلوف ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٣٨٦هـ) .

١٦٥	« **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العمية والإفتاء** » : جمع وترتيب : أحمد عبد الرزاق الدويش ــ دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الثالثة (١٤١٩هـ) .
١٦٦	« **فتح الباري شرح صحيح البخاري** » : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ــ محب الدين الخطيب ــ دار المعرفة ، بيروت (١٣٧٩هـ) .
١٦٧	« **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير** » : محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر ، بيروت .
١٦٨	« **الفصل في الملل والأهواء والنحل** » : ابن حزم ، تحقيق : سمير أمين الزهيري ــ مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية (١٩٧٧هـ) .
١٦٩	« **فقه الأدعية والأذكار** » : عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ــ دار ابن عفان ، الخبر ، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ) .
١٧٠	« **فقه النوازل** » : بكر بن عبد الله أبو زيد ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الأولى (١٤١٦هـ) .
١٧١	« **الفوائد** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٣٩٣هـ) .
١٧٢	« **فيض القدير شرح الجامع الصغير** » : محمد عبد الرؤوف المناوي ، الناشر :المكتبة لتجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة الأولى (١٣٥٦هـ) .
١٧٣	« **في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة** » : د/ محمود أحمد خفاجي ، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ) .
	القاف
١٧٤	« **القائد إلى تصحيح العقائد** » : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، تعليق : محمد ناصر الدين الألباني ، طبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة (١٤٠٤هـ) .
١٧٥	« **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د/ ربيع بن هادي المدخلي ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ) .

١٧٦	« **القواعد النورانية** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار المعرفة ، بيروت (١٣٩٩هـ) .
١٧٧	« **قوت القلوب** » : أبو طالب المكي ــ المطبعة المصرية ، الطبعة الأولى (١٣٥١هـ) .
١٧٨	« **القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد** » : عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر ــ دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، الخبر ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ) .
١٧٩	« **القول المفيد على كتاب التوحيد** » : محمد بن صالح العثيمين ، باعتناء : د/ سليمان أبا الخيل ، و خالد المشيقح ــ دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ) .
	الكاف
١٨٠	« **الكافية الشافية** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، عُنِيَ بها : عبد الله بن محمد العمير ــ دار ابن خزيمة ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ) .
١٨١	« **الكبائر** » : محمد بن عثمان الذهبي ــ دار الندوة الجديدة ، بيروت .
١٨٢	« **كتاب تجريد التوحيد المفيد** » : أحمد بن علي المقريزي ، تحقيق : علي محمد العمران ــ دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ) .
١٨٣	« **كتاب تصريف الأفعال ومقدمة الصرف** » : عبد الحميد عنتر ــ طبعة : الجامعة الإسلامية ، الطبعة الثانية (١٤٠٩هـ) .
١٨٤	« **كتاب التوحيد** » : محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ، تحقيق : د/ علي محمد ناصر الفقيهي ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، الطبعة الثانية (١٤١٤هـ) .
١٨٥	« **كشاف اصطلاحات الفنون** » : التهانوي ، تحقيق : لطفي عبد البديع ، وعبد المنعم حسنين المؤسسة المصرية العامة (١٩٦٣هـ) .
١٨٦	« **الكلام على لا إله إلا الله** » : للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ضمن الجامع الفريد .
١٨٧	« **كلمة الإخلاص** » : ابن رجب الحنبلي ، تحقيق : زهير الشاويش ــ المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الرابعة (١٣٩٧هـ) .
١٨٨	« **الكليات** » : لأبي البقاء ، تحقيق : عدنان درويش ــ مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية .

١٨٩	« **الكواشف الجلية عن معاني الواسطية** » : عبد العزيز المحمد السلمان ، الطبعة الثامنة عشر (١٤١٣هـ) .
	اللام
١٩٠	« **لسان العرب** » : لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤١٣) .
١٩١	« **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية** » : محمد بن أحمد السفاريني ـ مؤسسة الخافقين ، الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ) .
	الميـم
١٩٢	« **المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين** » : جمع وترتيب : فهد بن ناصر السليمان ـ دار الوطن ، الطبعة الأولى (١٤١١هـ) .
١٩٣	« **مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز** » : إعداد : أ.د/ عبد الله بن محمد الطيار ـ دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الثانية (١٤١٦هـ) .
١٩٤	« **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** » : جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي ـ طبعة مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، (١٤١٦هـ) .
١٩٥	« **المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي** » : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، طبعة مركز صالح بن صالح الثقافي ، عنيزة ، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ) .
١٩٦	« **مختصر الصواعق المرسلة** » : للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، اختصار : محمد الموصلي ، تحقيق : سيد إبراهيم عمران ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ) .
١٩٧	« **مختصر منهاج القاصدين** » : أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ، علّق عليه : شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ـ دار الهجرة ، دمشق ، (١٤٠٩هـ) .
١٩٨	« **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** » : للإمام المحقق شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٣٩٣هـ) .

١٩٩	« **المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة** » : إبراهيم بن محمد البريكان ــ دار السنة للنشر ، الخبر ، الطبعة الثالثة (١٤١٥هـ) .
٢٠٠	« **مسائل الإيمان** » : القاضي أبو يعلى ، تحقيق : سعود الخلف ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ) .
٢٠١	« **المسائل في أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل** » : الحارث بن أسد المحاسبي ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ــ عالم الكتب ، القاهرة .
٢٠٢	« **مسند الإمام أحمد** » : أحمد بن حنبل الشيباني ، مؤسسة قرطبة ، مصر .
٢٠٣	« **المستدرك على الصحيحين** » : محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ــ دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١١هـ) .
٢٠٤	« **المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث** » : الأمير مصطفى الشهابي ، دمشق ، الطبعة الثانية (١٣٨٤هـ) .
٢٠٥	« **المصطلح النحوي . نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري** » : عوض حمد القوزي ، شركة الطباعة العربية السعودية ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٠١هـ) .
٢٠٦	« **مصنف بن أبي شيبة** » : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ــ مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ) .
٢٠٧	« **معارج الألباب في مناهج الحق والصواب** » : حسين بن مهدي النعمي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الإمام محمد بن عبد الوهاب ، باكستان ، لاهور .
٢٠٨	« **معالم التنزيل** » :الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : خالد العك ــ مروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت (١٤٠٧هـ) .
٢٠٩	« **معالم السنن** » : الخطابي ، بهامش نسخة سنن أبي داود ، تحقيق : عزت عبيد دعاس ــ دار الحديث ، حمص .
٢١٠	« **معاني القرآن** » : يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، محمد على النجار ، دار السرور ، بيروت .

٢١١	« **معاني القرآن** » : أبو جعفر النحاس ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، طبعة جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ) .
٢١٢	« **معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات** » : د/ محمد بن خليفة التميمي ـ دار الحريري ، القاهرة .
٢١٣	« **معجم الأفعال المتعدية بحرف** » : موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي ـ دار العلم للملايين ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الثالثة (١٩٨٦م) .
٢١٤	« **معجم الأمثال العربية** » : رياض عبد الحميد مراد ـ مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، إشراف إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ) .
٢١٥	« **معجم تصريف الأفعال العربية** » : السفير أنطوان الدحداح ، مراجعة د/جورج متري ، مكتبة لبنان ـ بيروت ، (١٩٩١م) .
٢١٦	« **المعجم الصوفي** » : د/ سعاد الحكيم ـ دندرة ، الطبعة الأولى (١٤٠١هـ) .
٢١٧	« **المعجم الكبير** » : سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ـ مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ) .
٢١٨	« **معجم لغة الفقهاء** » : د/ محمد روّاس ـ حامد صادق ، دار النفائس ، الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ) .
٢١٩	« **معجم المصطلحات الصوفية** » : د / أنور فؤاد أبي خزام ـ مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، الطبعة الأولى (١٩٩٣م) .
٢٢٠	« **معجم مقاييس اللغة** » : أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ـ بيروت ـ الطبعة الأولى (١٤١١) .
٢٢١	« **معجم المناهي اللفظية** » : بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الثالثة (١٤١٧هـ) .
٢٢٢	« **المغني** » : لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي ، تحقيق : د/ عبد الله التركي ، عبد الفتاح الحلو ، هجر للطباعة والنشر ـ الطبعة الثانية (١٤١٢هـ) .

٢٢٣	« **المغني في تصريف الأفعال** » : محمد عبد الخالق عضيمة ، طبعة الجامعة الإسلامية ، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ) .
٢٢٤	« **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج** » : شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني على متن المنهاج للنووي ــ دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ) .
٢٢٥	« **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢٢٦	« **المفردات في غريب القرآن** » : الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، (١٣٨١هـ) .
٢٢٧	« **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم** » : أحمد بن علي بن إبراهيم القرطبي ، تحقيق : محي الدين ديب مستو ، يوسف علي بديوي ، أحمد محمد السيد ، محمود إبراهيم بزال ، دار ابن كثير ، ودار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ) .
٢٢٨	« **مقدمة ابن خلدون** » : دار الكتاب اللبناني ، بيروت (١٩٨٢م) .
٢٢٩	« **الملل والنحل** » : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ــ دار المعرفة ، بيروت (١٤٠٤هـ) .
٢٣٠	« **المنار المنيف** » : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية : تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ) .
٢٣١	« **منهاج السنة النبوية** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، مؤسسة قرطبة ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ) .
٢٣٢	« **منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى** » : د/ خالد عبد اللطيف بن محمد نور، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ) .
٢٣٣	« **منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة** » : جابر إدريس أمير ــ أضواء السلف ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ) .
٢٣٤	« **منهج المعلمي وجهوده في تقرير عقيدة السلف** » : رسالة ماجستير مقدمة من الطالب أحمد بيه بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية .

٢٣٥	« **المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال** » : أحمد بن يحيى بن محمد النجمي، تعليق : محمد هادي المدخلي، دار سبيل المؤمنين ، الدمام ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ) .
٢٣٦	« **موسوعة مصطلحات أصول الفقه** » : رفيق العجم ــ مكتبة لبنان ناشرون .
٢٣٧	« **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ** » : إعداد مجموعة من المحققين بإشراف : صالح بن عبد الله بن حميد ــ وعبد الرحمن بن محمد ملُّوح ــ دار الوسيلة ، جدة ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ) .
٢٣٨	« **موطأ مالك** » : مالك بن أنس الأصبحي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار إحياء التراث العربي ، مصر .
٢٣٩	« **موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة** » ، سليمان الغصن ــ دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ) .
	النون
٢٤٠	« **النبوات** » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، المطبعة السلفية ، القاهرة (١٣٨٦هـ) .
٢٤١	« **نزهة النظر شرح نخبة الفكر** » : ابن حجر العسقلاني ــ دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ) .
٢٤٢	« **النهاية في غريب الحديث** » : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت .
٢٤٣	« **نوادر الأصول في أحاديث الرسول** » : محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي ، تحقيق : د/عبد الرحمن عميرة ــ دار الجيل ، بيروت ، الأولى (١٩٩٢م) .
٢٤٤	« **نواقض الإيمان القولية والعملية** » : عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الثانية (١٤١٥هـ) .
٢٤٥	« **نيل الأوطار** » : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ــ دار الجيل ، بيروت (١٩٧٣م) .

	الهاء
٢٤٦	« **هدي الساري مقدمة فتح الباري** » : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ــ محب الدين الخطيب ــ دار المعرفة ، بيروت (١٣٧٩هـ) .
	الـواو
٢٤٧	« **الوابل الصيب من الكلم الطيب** » : للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، محمد عبد الرحمن عوض ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ) .
٢٤٨	« **وسطية أهل السنة بين الفرق** » : د/ محمد باكريم محمد باعبد الله ، دار الراية ــ الطبعة الأولى (١٤١٥هـ) .
٢٤٩	« **الوصايا** » : للحارث بن أسد المحاسبي ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ــ دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ) .
٢٥٠	« **الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف** » : محمد بن سعيد القحطاني ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى .